فهرست التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب / ج ٢

التفسير و المفسرون .

المرحلة الخامسة التفسير في عهد التدوين .

النمط الاول التفسير بالماثور .

التفسير في عهد التدوين .

تدرج التفسير و تلونه .

النمط الاول التفسير بالماثور .

1ـ تفسير القرآن بالقرآن .

2ـ تفسير القرآن بالسنة .

3ـ تفسير القرآن بقول الصحابي .

4ـ تفسير القرآن بقول التابعي .

آفات التفسير بالماثور .

1ـ ضعف الاسانيد .

2ـ الوضع في التفسير .

اهم اسباب الوضع .

اقسام الوضاعين .

اقطاب الوضاعين .

انحا الموضوعات .

3ـ الاسرائيليات .

الاسرائيليات في التفسير و الحديث .

هل تحوز مراجعة اهل الكتاب ؟ .

مناقشة دلائل الجواز .

اقطاب الروايات الاسرائيلية .

1ـ عبداللّه بن سلام .

2ـ كعب الاحبار .

3ـ تميم بن اوس الدارى .

4ـ وهب بن منبه .

5ـ محمد بن كعب القرظي .

6ـ عبداللّه بن عمرو بن العاص .

7ـ ابوهريرة .

8ـ ابن جريج .

مبدا نشر الاسرائيليات .

اقسام الاسرائيليات .

نماذج من اسرائيليات مشوثة في التفسير .

1ـ الاسرائيليات في قصة هاروت و ماروت ((٢٧٧ .))

2ـ اسرائيلية في المسوخ من المخلوقات .

3ـ الاسرائيليات في بنا الكعبة : البت الحرام و الحجر الاسود .

4ـ الاسرائيليات في قصة التابوت .

5ـ الاسرائيليات في قصة قتل داود جالوت .

6ـ الاسرائيليات في قصص الانبيا و الامم السابقة .

7ـ ما ورد في قصة آدم (ع .(

ما نسب الى ابنى آدم لما قتل احدهما الاخر .

ما نسب الى آدم (ع) من قول الشعر .

8ـ الاسرائيليات في عظم خلق الجبارين و خرافة عوج بن عوق .

خرافة عوج بن عوق ((٣٤٧ .((

9ـ الاسرائيليات في قصة التيه .

10ـ الاسرائيليات في : ((المائدة التي طلبها الحواريون .((

11ـ الاسرائيليات في ((سؤال موسى ربه الرؤية .((

12ـ الاسرائيليات في الواح التوراة .

13ـ اسرائيلية مكذوبة في سبب غضب موسى لما القى الالواح .

14ـ اسرائيليات و خرافات في بني اسرائيل .

التفسير الصحيح للاية .

الحديث المرفوع , و الاثار الواردة في هذا .

16ـ الاسرائيليات في سفينة نوح .

17ـ الاسرائيليات في قصة يوسف (ع .(

18ـ الاسرائيليات في قوله تعالى .

القرآن يرد هذه الاكاذيب .

19ـ الاسرائيليات في سبب لبث يوسف في السجن .

20ـ الاسرائيليات في شجرة طوبى .

21ـ الاسرائيليات في افساد بني اسرائيل .

الكذب على رسول اللّه بنسبة هذه الاسرائيليات اليه .

22ـ الاسرائيليات في قصة اصحاب الكهف .

23ـ الاسرائيليات في قصة ذى القرنين .

و من هو ذوالقرنين ؟ .

24ـ الاسرائيليات في قصة ياجوج و ماجوج .

25ـ الاسرائيليات في قصة بلقيس ملكة سبا .

26ـ الاسرائيليات في هدية ملكة سبا لسيدنا سليمان .

27ـ الاسرائيليات في قصة الذبح و انه اسحاق .

تحريفهم للتوراة .

نص التوراة .

الذبح هو اسماعيل (ع .(

و شهد شاهد من اهلها .

28ـ الاسرائيليات في قصة الياس (ع .(

29ـ الاسرائيليات في قصة داود(ع .(

التفسير الصحيح للايات .

30ـ الاسرائيليات في قصة سليمان (ع .(

نسبة بعض هذه الاكاذيب الى رسول اللّه (ص .(

31ـ الاسرائيليات في قصة ايوب (ع .(

الحق في هذه القصة .

32ـ الاسرائيليات في قصة (ارم ذات العماد .(

ما روى في عظم طولهم .

ما يتعلق بعمر الدنيا .

ما يتعلق بخلق الشمس و القمر .

ما يتعلق بتعليل بعض الظواهر الكونية .

ما ذكره المفسرون في الرعد و البرق في كتبهم .

اقوال الرسول عند سماع الرعد و رؤية البرق .

راي العلم في حدوث الرعد، و البرق ، و الصواعق .

الرياح ، و الكهربائية الحوية .

جبل ((قاف)) المزعوم ، و حدوث الزلازل .

الاسرائيليات في تفسير (ن و القلم .(

اشهر كتب التفسير بالماثور .

1ـ جامع البيان للطبرى .

منهجه في التفسير و نقد الارا .

موقفه تجاه اهل الراى في التفسير .

نزعته التعصبية .

2ـ تفسير العياشي .

3ـ تفسير القمي .

4ـ تفسير الحويزى (نور الثقلين .(

5ـ تفسير البحراني)البرهان .(

6ـ الدر المنثور في التفسير بالماثور .

7ـ تفسير البرغاني (بحر العرفان .(

نمط آخر من التفسير بالماثور .

8ـ تفسير الصافي .

9ـ تفسير المشهدى (كنز الدقائق و بحر الغرائب .(

10ـ تفسير ابن كثير .

11ـ تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز .(

12ـ تفسير الثعلبي (الكشف و البان .(

13ـ تفسير الثعالبي (الجواهر الحسان .(

14ـ منهج الصادقين .

النمط الثاني التفسير الاجتهادى .

تنوع التفسير الاجتهادى .

التفسير الفقهي (آيات الاحكام .(

اهم كتب آيات الاحكام .

احكام القرآن ـ للجصاص الحنفي .

احكام القرآن (المنسوب الى الشافعي المتوفى سنة٢٠٤ .(

احكام القرآن لكياالهراسي الشافعي ايضا .

احكام القرآن لابن العربي المالكي .

احكام القرآن ـ للراوندى (فقه القرآن .(

احكام القرآن ـ للسبورى (كنز العرفان في فقه القرآن .(

زبدة البان في احكام القرآن للمقدس الاردبيلي .

مسالك الافهام ـ الى آيات الاحكام للفاضل الجواد الكاظمي .

قلائد الدرر في بيان آيات الاحكام بالاثر .

آيات الاحكام ـ للسيد الطباطبائي البزدى .

التفاسير الجامعة .

التبيان ـ في تفسير القرآن لابي جعفر الطوسي (460).

روح الجنان و روح الجنان لابي الفتوح الرازى .

كنز الدقائق و بحر الغرائب للمولى المشهدى .

تفسير القرطبي (الجامع لاحكام القرآن).

تفسير الماوردى (النكت و العيون).

التفسير الكبير (مفاتيح الغيب).

عنايته باهل البيت .

امام المشككين .

تفسير البيضاوى (انوار التنزيل و اسرار التاويل).

تفسير النسفي (مدارك التنزيل و حقائق التاويل).

تفسير ابي السعود (ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم).

تفسير الالوسي (روح المعاني).

تفسير البلاغي (آلا الرحمان).

التفسير في العصر الحديث .

الوان التفسير في العصر الحديث .

1ـ اللون العلمي .

اهم الكتب التي عنت بهذا اللون .

الجواهر في تفسير القرآن للطنطاوى .

2ـ اللون الادبي الاجتماعي .

اهم رواد هذه المدرسة .

المنار (تفسير القرآن العظيم .(

موقفه من حقيقة الملائكة و الشياطين .

انكاره على اهل الحديث في روايتهم للطامات .

راى صاحب المنار في الجن .

تفسير القاسمي (محاسن التاويل .(

تفسير المراغي .

في ظلال القرآن .

الميزان في تفسير القرآن .

الفرقان في تفسير القرآن .

من هدى القرآن .

من وحي القرآن .

تفسير نمونه)الامثل .(

الكاشف .

مخزن العرفان .

تفاسير ادبية .

الكشاف .

اعتماده على التاويل و التمثيل .

امتهانه بشان القرا .

تهاجمه على اهل السنة .

البحر المحيط .

معاني القرآن .

املا ما من به الرحمان من وجوه الاعراب و القرات في جميع القرآن .

تفاسير لغوية .

تفسير المتشابهات .

التفاسير الموجزة .

تفاسير عرفانية (التفسير الرمزي و الاشاري .(

التنويع في التفسير الباطني .

اهم تفاسير الصوفية و اهل العرفان .

1ـ تفسير التستري .

2ـ حقائق التفسير للسلمي .

3ـ لطائف الاشارات للقشيري .

4ـ كشف الاسرار و عدة الابرار (تفسير الميدي .(

اللغات الغريبة التي جات في هذا التفسير .

5ـ تفسير الخواجا عبدالله الانصاري .

6ـ تفسير ابن عربي .

هل لابن عربي من تفسير؟ .

تفاسير منسوبة الى ابن عربي .

7ـ عرائس البيان في حقائق القرآن لابي محمد الشيرازي .

8ـ التاويلات النجمية لنجم الدين دابة ، و علا الدولة السمناني .

التفسير و المفسرون

الكتاب : التفسير و المفسرون في ثوبه القشيب . المؤلف : الاستاذ المحقق الشيخ محمدهادي معرفة.
التنقيح : قاسم النوري.
الموضوع : علوم القرآن.
الناشر: الجامعة الرضوية للعلوم الاسلامية.
التاريخ : الطبعة الاولى ، ١٣٧٧ ه ش ـ ١٤١٩ ه ق.
عدد المطبوع : ٣٠٠٠ نسخة.
الامور الفنية و الطبع : مؤسسة الطبع و النشر في الاستانة الرضوية المقدسة.
ثمن الدورة : ٣٥٠٠٠ ريال.
))جميع الحقوق محفوظة للناشر.((
شكر و تقدير.
و يجدر بنا ان نقدر خدمات فنية و علمية قام بها كل من اصحاب الفضيلة : نصيري ، مرويان , بهادري ، اكبري ، مريچكاني ،شهركي فلاح ، عليزاده ، حاتمي ، شيخ حافظ في انجاز هذا المشروع الضخم و ساهموا فى مراجعته و اخراجاته الفنية و اعدادفهارسه و تنضيد حروفه المطبعية بالحاسب الالكتروني و غيرها، في قسم الدراسات القرآنية في الجامعة الرضوية فنقدم لهم جزيل شكرنا المتواصل و نبتهل الى اللّه ان يوفق الجميع لخدمة الدين و لاسيما اساسه القويم القرآن الكريم انه تعالى ولى التوفيق.
الجامعة الرضوية للعلوم الاسلامية.
قسم الدراسات القرآنية.
التفسير و المفسرون فى ثوبه القشيب.
الجز الثاني.
)كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا.
آياته و ليتذكر اولوا الا لباب.(
بحث مستوف بشؤون التفسير:
نشاته و تطوره و الوانه.
مع عرض شامل لاشهر المفسرين.
و تحليل كامل لاهم كتب التفسير.

المرحلة الخامسة التفسير في عهد التدوين

النمط الاول التفسير بالماثور

انحا التفسير بالماثور: ١ـ تفسير القرآن بالقرآن.
2ـ تفسير القرآن بالسنة.
3ـ تفسير القرآن بقول الصحابي.
4ـ تفسير القرآن بقول التابعي.
آفات التفسير بالماثور.
1ـ ضعف الاسانيد.
2ـ الوضع في التفسير.
3ـ الاسرائيليات.
اشهر كتب التفسير بالماثور.

التفسير في عهد التدوين

كان التفسير في عهد نشوئه انما يتلقى شفاها و يحفظ في الصدور، ثم يتناقل نقل الحديث يدا بيد هكذا كان التفسير على عهد الرسالة ، و على عهد الصحابة و التابعين الاول اما في عهد تابعي التابعين ، فجعل يضبط و يثبت في الدفاتر و الالواح ،و بذلك بدا عهد تدوين التفسير الى جنب كتابة الحديث ، و ذلك في اواسط القرن الثاني ، حيث راج تدوين الاحاديث الماثورة عن السلف.
و لعل اول من سجل التفسير في الدفاتر و الالواح هو مجاهد بن جبر، توفي سنة (١٠١) يقول ابن ابي مليكة : ((رايت مجاهدا يسال ابن عباس عن تفسير القرآن ، و معه الواحه فيقول له ابن عباس : اكتب قال : حتى ساله عن التفسير كله ((1)) ((و كان اعلم الناس بالتفسير قال الفضل بن ميمون)) : سمعت مجاهدا يقول : عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة. ((2)) ((
و له تفسير متقطع و مرتب على السور، من سورة البقرة الى نهاية القرآن يرويه عنه ابو يسار عبد اللّه بن ابي نجيح الثقفي الكوفي ، توفي سنة (١٣١) و قد صححه الائمة و اعتمده ارباب الحديث ، و قد طبع اخيرا في باكستان سنة (١٣٦٧ ه ق)حسبما تقدم في ترجمته.
و يذكر ابن حجر عند ترجمته لعطا بن دينار المصري ـ و كان من ثقات المصريين ، توفي سنة (126)ـ ان له تفسيرا يرويه عن سعيد بن جبير، قتل سنة (٩٥) و كان في صحيفة قال : و لا دلالة انه سمع من سعيد بن جبير و عن ابي حاتم انه اخذه من الديوان ، و ذلك ان عبد الملك بن مروان ، توفي سنة (٨٦) سال سعيدا ان يكتب اليه بتفسير القرآن ، فكتب سعيد بهذا التفسيرفوجده عطا بن دينار في الديوان فاخذه ، فارسله عن سعيد((3)) .
فهذا صريح في ان سعيد بن جبير جمع تفسير القرآن في كتاب ، و هذا الكتاب اخذه عطا بن دينار و بما ان سعيد بن جبير قتل سنة (٩٥) و لا شك ان تاليفه هذا كان قبل موت عبدالملك سنة (٨٦ (فهذا التفسير قد كتب و دون قبل هذا الحين.
و يذكر ابن خلكان : ان عمرو بن عبيد ـ شيخ المعتزلة ، توفي سنة (١٤٤) ـ كتب تفسيرا للقرآن عن الحسن البصري المتوفى سنة ١١٦((4)) .
و لابن جريج ، توفي سنة (١٥٠) تفسير كبير في ثلاثة اجزا، يرويه بواسطة عطا بن ابي رباح عن ابن عباس ، توفي سنة (٦٨)، و يرويه عنه محمد بن ثورو قد صححته الائمة((5)) و ذكر احمد بن حنبل : انه اول من صنف الكتب ((6)).
و امثال هذه التفاسير مما كتب على الالواح او في صحائف ذلك العهد كثير، كانت تقتضيه طبيعة الاخذ و التلقي ذلك الحين ، و قد قل الاعتماد على الحفظ و الضبط في الصدور.
غير ان هذه التفاسير كانت مقتصرة على نقل المعاني و روايتها عن التابعين و الاصحاب ، و ثبتها في الدفاتر خشية الضياع ،و لم يكن التفسير قد توسع او دخله الاجتهاد في شكل ملحوظ.
و لعل اول من توسع في التفسير و ضم الى جانب المعاني جوانب اخر و لاسيما التعرض لادب القرآن و ذكر خصائص اللغة ، و اجتهد في ذلك ، هو ابو زكريا يحيى بن

زياد الفرا المتوفي سنة .(207)
يذكر ابن النديم في ((الفهرست)) ان ابا العباس ثعلب قال : كان السبب في املا كتاب الفرا في معاني القرآن ، ان عمر بن بكير كان من اصحابه ، و كان منقطعا الى الحسن بن سهل فكتب الى الفرا : ان الامير الحسن بن سهل ، ربما سالني عن الشي بعد الشي من القرآن ، فلايحضرني فيه جواب فان رايت ان تجمع لي اصولا، او تجعل في ذلك كتابا، ارجع اليه فعلت فقال الفرا لاصحابه : اجتمعوا حتى املي عليكم كتابا في القرآن ، و جعل لهم يوما، فلما حضروا خرج اليهم ، و كان في المسجدرجل يؤذن و يقرا بالناس في الصلاة فالتفت اليه الفرا، فقال له : اقرا بفاتحة الكتاب نفسرها، ثم نوفي الكتاب كله فقرا الرجل ويفسر الفرا قال ابوالعباس : لم يعمل احد قبله مثله ، و لااحسب ان احدا يزيد عليه((7)) .
و لا شك ان تفسير الفرا هذا هو اول تفسير تعرض لايات القرآن آية آية ، حسب ترتيب المصحف و فسرها على التتابع ،و توسع فيه و كانت التفاسير قبله تقتصر على تفسير المشكل ، و بصورة متقطعة ، غير مستوعبة لجميع الايات على التتابع و قدجنح الى هذا الراي الاستاذ احمد امين المصري في ((ضحى الاسلام. ((8)) ((
و على اى تقدير، فان ذلك يعد اول بذرة غرست للتفسير المدون بشكل رتيب فقد كان القرن الثاني من بدايته الى نهايته ،عهد تطور التفسير، من مرحلة تناقله بالحفظ الى مرحلة كتابته بالثبت كما اخذ بالتوسع و الشمول ايضا بعد ما كان مقتصرا على النقل بالماثور.
و ازداد في القرن الثالث فما بعد، في الاخذ في التنوع ، و تلونه بالوان العلوم و المعارف و الثقافات التي كانت دارجة في تلك العصور.

تدرج التفسير و تلونه

و في هذا الدور اخذ التفسير يخطو من مرحلة الى اخرى و يزداد توسعا و تنوعا فقد انتقل من دور التفسير بالماثور الى دور الاجتهاد العقلي و اعمال النظر و الراي , و استنباط معاني القرآن الكريم في ضؤ الادب ـ اولا ـ ثم في ضؤ انواع العلوم و المعارف التي كان ذلك العهد آهلا بها، مضافا اليه بعض النظرات الفلسفية الكلامية ، مما نشا على يد ارباب الكلام و ذوي النزعات المذهبية العقائدية ، و كانت متنوعة ذلك العهد كل ذلك اثر في التفسير، و زاد في حجمه ، كما جعله على انواع و اشكال مختلفة.
فمنهم من اقتصر على اسلوب السلف بالاكتفا بالتفسير بالماثور من اقوال الصحابة و كبار التابعين , و منهم من زاد عليه بالتوسع في اللغة و الادب ، و منهم من تجاوز الى معارف اخر من فلسفة و كلام , و بذلك تلون التفسير حسب الوان الثقافات الموجودة آنذاك.
و لكل من هذه الالوان و الانحا التفسيرية مميزاته و مشخصاته ، بها يمتاز كل نوع من التفسير عن سائر الانواع ، و منهم من جمع بين هذه الالوان او بعضها، فكانت تفاسير جامعة تتعرض لمختلف ابعاد التفسير، كاللغة و الادب و الكلام ، الى جنب الماثور من الاحاديث الواردة و نقل الاقوال و قد كثر في العهد المتاخر هذا النمط الجامع من التفسير، كما قد زاد عليه المتاخرون جوانب الشؤون الاجتماعية و السياسية التي تعرض لها القرآن ، و بسطوا القول فيها حسب حاجة الزمن.
و هكذا تدرج التفسير، و اتجهت الكتب المؤلفة فيه اتجاهات متنوعة و تحكمت الاصطلاحات العلمية و العقائدالمذهبية في عبارات القرآن الكريم ، فظهرت آثار الثقافة الفلسفية و العلمية للمسلمين في تفسير القرآن ، كما ظهرت آثار العرفان الصوفي ، و آثار النحل و الاهوا فيه ظهورا جليا.
و ذلك ان كل من برع في فن من فنون العلم و الادب ، يكاد يقتصر تفسيره على الفن الذي برع فيه فالنحوى تراه لا هم له الا الاعراب ، و ذكر ما يحتمل في ذلك من اوجه و تراه ينقل مسائل النحو و فروعه و خلافاته ، و ذلك كالزجاج ، و الواحدي في ((البسيط))، و ابي حيان في ((البحر المحيط.((

و صاحب العلوم العقلية تراه يعني في تفسيره باقوال الحكما و الفلاسفة ، كما يذكر شبههم و الرد عليها، و ذلك كالفخرالرازي في كتابه ((مفاتيح الغيب.((
و صاحب الفقه تراه قد عنى بتقريره الادلة للفروع الفقهية ، و الرد على من يخالف مذهبه ، و ذلك كالجصاص و القرطبي و امثالهما كثير.
و صاحب التاريخ ليس له شغل الا القصص ، و ذكر اخبار السلف ، ما صح منها و ما لم يصح ، و ذلك كالثعلبي و الخازن و غيرهما.
و اصحاب المذاهب الكلامية انما يحاولون تاويل الظواهر الى ما يتفق و مذاهبهم في الكلام ، و يقصرون الكلام في تفاسيرهم على هذا الجانب ، حيث يتوسعون فيه ، و ذلك كالرماني و الجبائي ، و القاضي عبدالجبار، و الزمخشري و الفيض الكاشاني.
و ارباب التصوف و العرفان الصوفي انما يتجهون بكل اتجاهاتهم الى ناحية تزكية الروح و تطهير النفس ، و الترفع بها الى ذروة الاخلاق الحميدة ، كما يحاولون في استخراج المعاني الاشارية ـ حسبما يزعمون ـ من الايات القرآنية بما يتفق مع مشاربهم ، و يتناسب مع رياضاتهم و مواجيدهم في عرفان الذات و من هؤلا ابن عربي ، و ابو عبدالرحمان السلمي ،و القشيري في ((لطائف الاشارات))، و الفيض الكاشاني في اكثر مواضع تفسيره.
و هكذا فسر كل صاحب فن او مذهب بما يتناسب مع فنه او يشهد لمذهبه و قد استمرت هذه النزعة العلمية و العقائدية ، و راجت في فترة غير قصيرة رواجا عظيما، كما راجت في عصر متاخر تفسيرات يحاول اهلها ان يحملوا آيات القرآن كل العلوم ما ظهر منها و ما لم يظهر، كان هذا فيما يبدو وجه وجوه اعجاز القرآن و صلاحيته ، لان يتمشى مع الزمن ، فيمازعموا.
اما في عصرنا الحاضر فقد راج اللون الادبي الاجتماعي على التفسير، و وجدت بعض محاولات علمية ، في كثير منهاتكلف باهت و غلو ظاهر و سنتكلم عن مختلف هذه الالوان ، بما وسع لنا المقال ان شا اللّٰه.
كان التفسير في اجتيازه تلك المراحل و تطوره مع سير الزمان ، قد وجدت له الوان و ظهرت اشكال ، اشرنا اليها غير ان هذه الاشكال و الالوان لم تزل مستمرة ، و دام وجودها في كل عصر من الاعصار و من ثم فان المفسرين لم يزالوا يتنوعون في التفسير، و تظهر على ايديهم انواع من التفسير، حسب مختلف براعاتهم في الفنون و العلوم ، و تخصصاتهم في انحا المعارف و الثقافات ، و بذلك نستطيع ان ننوع التفسير منذ عهد تدوينه فالى الان ، الى انواع مختلفة:
و لقد كان التفسير في بد نشوئه متقطعا و مترتبا حسب ترتيب السور و الايات كان المفسر يراجع شيخه في مواضع من القرآن ، كان قد اشكل عليه فهمه ، فيساله عنه و يسجله في دفتره ، مبتدئا من اول القرآن الى آخره هذا هو نمط التفسير الماثورعن السلف ، المحفوظ بعضه الى اليوم ، كتفسير مجاهد و غيره.
فاول نوع من التفسير الذي جا الى الوجود هو ((التفسير بالماثور)) و متقطعا، و لكن مرتبا حسب ترتيب السور و الايات ثم بعده اخذ في تشكل اكثر و انسجام ابلغ ، مضافا اليه بعض التوسع و التنوع ، كما عرفت.
و لكن ظهر الى جنب هذا النوع من التفسير الرتيب ، نوع آخر تعرض للجوانب الفقهية او اللغوية فقط، تاركا جوانبه الاخر،و هذا نوع من ((التفسير الموضوعي)) الذي ظهر الى عالم الوجود ,من اول يومه و لايزال.
فهذه كتب آيات الاحكام ، و كتب غريب القرآن ، هي تفاسير موضوعية ، مقتصرة على جانب فهم الاحكام ، و استنباط فروع المسائل من القرآن ، و هكذا تفسير ما ورد في القرآن من غريب الالفاظ.
و هكذا تنوع التفسير من اول يومه الى تفسير رتيب و تفسير موضوعي ، غير ان التفسير الر تيب كان مقتصرا في الاكثر على الماثور من الاقوال و الاثار، و الموضوعي على الفقه و اللغة فحسب و زاد المتاخرون جانب الناسخ و المنسوخ في القرآن ،و اسباب النزول ، و غيرهما من مواضيع قرآنية ، افردوا لها كتبا تبحث عنها بالخصوص.
و التفسير الرتيب مذ نشا، نشا على نمطين : تفسير بمجرد الماثور من الارا و الاقوال ، و تفسير اجتهادي معتمد على الراي و النظر و الاستدلال العقلاني و من هذا النمط

الثاني التفاسير التي غلب عليها اللون المذهبي او الكلامي او الصوفي العرفاني ـ و هو من التفسير الباطني في مصطلحهم ـ و كذلك اللغوي و الادبي و ما شاكل و هناك من جمع بين هذه الابعادالمتنوعة ، فجا تفسيره جامعا لمختلف الجوانب التي تعرض لها المفسرون المتخصصون.
و قد شاع هذا النمط الجامع من التفسير في العصور المتاخرة ، فكانت تفاسير جامعة بين العقل و النقل ، مضافا اليه جانب ادب القرآن ، امثال تفسير ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ـ من اكبر علما القرن السادس ـ و بحق اسمى تفسيره ب ((مجمع البيان))، حيث كان من احسن التفاسير و اجمعهن لمختلف جوانب القرآن الكريم و هكذا تفسير ابي عبداللّه محمد بن احمدالقرطبي ـ من علما القرن السابع ـ المسمى ب ((الجامع لاحكام القرآن))، فانه تفسير جامع نافع ، و غيرهما كثير ,و سنتعرض لها.
و اما التفاسير المقتصرة على مجرد النقل فاقدمها من حيث البسط و الشمول تفسير ((جامع البيان)) تاليف ابي جعفرمحمد بن جرير الطبري المتوفى سنة (٣١٠)، ثم ((الدر المنثور ((لجلال الدين عبدالرحمان بن ابي بكر السيوطي المتوفى سنة (٩١١)، و بعدهما تفسير ((نور الثقلين)) لعبد علي بن جمعة العروسي الحويزي المتوفى سنة (١٠٩١))) و ((البرهان في تفسيرالقرآن)) للسيد هاشم بن سليمان البحراني التوبلي الكتكاني المتوفى سنة (١١٠٩)، و هذان اقتصرا على الماثور عن ائمة اهل البيت (ع) و قد زاد عليهما و بسط الكلام في هذا النوع من التفسير المولى صالح البرغاني القزويني المتوفى سنة (١٢٩٤)،له تفسير كبير معتمد على الماثور من احاديث اهل البيت (ع.(
و اما المناهج التفسيرية التي يسلكها المفسر و يتجه نحوها في تفسيره للايات القرآنية ، فتختلف حسب اختلاف اتجاهات المفسرين و اذواقهم ، و ايضا حسب معطياتهم و مواهبهم في العلوم و المعارف و انحا الثقافات ، فمنهم من لايعدو النقل ،معتقدا ان لا سبيل للعقل في تفسير كلامه تعالى ، و منهم من اجاز للعقل التدخل فيه ، و يرى للراي و النظر و الاجتهاد مجالاواسعا في التفسير، حيث قوله تعالى : (افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها ((9)) (و قوله تعالى : (و انزلنا اليك الذكرلتبين للناس ما نزل اليهم و لعلهم يتفكرون ((10)) (فللتدبر في القرآن ، و التفكر حول آياته و مفاهيمه مجال واسع ، قد فتح القرآن ذاته ابوابه بمصراعين غير ان بعضهم اسرف في التعقل ، و ربما التحق بالتوهم المتكلف فيه.
و على اى تقدير، فالمنهج الذي انتهجه المفسرون اما نقلي او اجتهادي و قد عرفنا سبيل النقلي واعتماده على الماثور من الارا و الاقوال ، اما مع شي من البيان و التوضيح ، كما سلكه ابو جعفر الطبري ، او مجرد النقل من غير نظر و بيان ، كالذي انتهجه جلال الدين السيوطي و السيد البحراني.
و اما النظري الاجتهادي فمعتمده اما مجرد الراي الخاص حسب عقيدته و مذهبه ، فهذا كاكثر تفاسير اهل الباطن او مجموعة مصادر التفسير من المنقول و المعقول ، و هذا هو الشائع من التفاسير المعتبرة الدارجة بين المسلمين ، منذ العهدالاول و لايزال .
و لنذكر هذين النمطين من التفسير، الل ذين بدئ بهما منذ اول يومه ، و نذكر شيئا من آفاتهما.

النمط الاول التفسير بالماثور

يعتمد التفسير النقلي او التفسير بالماثور على ماجا في القرآن نفسه من البيان و التفصيل اولا، ثم على ما نقل عن المعصوم :النبي (ص) او الائمة من خلفائه المرضيين (ع)، و بعده على الماثور من الصحابة الاخيار و التابعين لهم باحسان ، مما جا بياناو توضيحا لجوانب ابهم من القرآن.
و كان ادراج ما روي عن التابعين في التفسير بالماثور، من جهة ان اقدم كتب التفسير بالماثور كتفسير ابن جرير وغيره اعتمد على اقوال التابعين و آرائهم في

التفسير، على نحو اعتماده على الـماثـور من المعصوم فنراهم قد اردفوا ما نقل عن التابعين الى جنب المنقول عن الصحابة ، بل الى جنب احاديث الرسـول (ص) و سائر الائمة (ع.(
و لنتكلم عن انحا التفسير بالماثور، و مقدار صحته ، و مدى اعتباره ، في عالم التفسير :

1ـ تفسير القرآن بالقرآن

لا شـك ان اتقن مصدر لتبيين القرآن هو القرآن نفسه ، لانه ينطق بعضه ببعض ، و يشهد بعضه على بـعض ((11)) ـ كـما قال الامام امير المؤمنين (ع) ـ حيث ما جا منه مبهما في موضع منه ، قد جا مـفـصلا و مبينا في موضع آخر، بل و في القرآن تبيان لكل شـي جا مبهما في الشريعة ، فلان يكون تبيانا لنفسه اولى و من ذلك جا قولهم : ((القرآن يفسر بعضه بعضا)) كلام معروف.
و تفسير القرآن بالقرآن على نمطين : منه ما ابهم في موضع و بين في موضع آخر ـ فكان احدهما مـتـناسبا مع الاخر تناسبامعنويا او لفظيا ـ كما في قوله تعالى : (حم و الكتاب المبين انا انزلناه في ليلة مباركة ((12)) (و قد جا تبيين هذه الليلة المباركة بليلة القدر في سورة القدر : (انا انزلناه في لـيـلـة القدر ((13)) (و قد بين في سورة البقرة انها واقعة في شهر رمضان :(شـهر رمضان الذي انزل فيه القرآن. ((14)) (فقد تبين من مجموع ذلك : ان القرآن نزل في ليلة مباركة هي ليلة القدر من شهر رمضان.
و مـن ذلـك ايضا قوله تعالى : (يا ايها الذين امنوا استجيبوا للّه و للرسول اذا دعاكم لما يحييكم و اعـلـمـوا ان اللّه يـحول بين المر و قلبه ((15)) (ما هذه الحيلولة و كيف هي ، و هو تهديد لاذع باولئك الزائفين المتمردين عن الشريعة و الدين.
و هذا الابهام يرتفع عند مراجعة قوله تعالى : (و لاتكونوا كالذين نسوا اللّه فانساهم انفسهم اولئك هـم الفاسقون ((16)) (فعرفنا انها نسيان الذات ، فالذي يجعل من شريعة اللّه ورا ظهره ، انما حرم نفسه و نسي حظه ، فقد تاه في غياهب ضلالة الجهل و العمى.
و هـكذا قوله تعالى : (اولم يروا انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها و اللّه يحكم لامعقب لحكمه و هـو سـريـع الـحـسـاب ((17)) (ما هو المقصود من ((الارض)) هنا في هذه الاية ، و كيف يقع نقصانها؟.
امـا الارض فـالمقصود منها هو العمران منها، و ليس المراد هي الكرة الارضية و يشهد لذلك قوله تعالى بشان المحاربين المفسدين في الارض : (انما جزا الذين يحاربون اللّه و رسوله و يسعون في الارض فـسادا ان يقتلوا او يصلبواو تقطع ايديهم و ارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خـزي في الدنيا و لهم في الاخرة عذاب عظيم (((18))فان النفي من الارض ، يراد به الابعاد عن العمران ليظل حيرانا بين البراري و القفار.
اما كيف يقع النقصان ؟ فقد فسره الامام ابو جعفر محمد بن علي الباقر(ع) و كذا ولده الامام جعفر بـن مـحـمدالصادق (ع)بفقد العلما، و ان عمارة الارض سوف تزول و تندثر عند ذهاب علمائها و خيار اهلها، و هكذا ورد تفسير الاية بذلك عن ابن عباس ((19)).
و من هذا النمط ايضا قوله تعالى : (انا عرضنا الامانة على الس ماوات و الا رض و الجبال فابين ان يحملنها و اشفقن منها و حملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ((20)) (.
ما هذه الامانة التي كان الانسان صالحا لحملها، دون سائر المخلوق ؟.
فـجـات آيـة اخـرى تـفـسـرهـا بـالـخـلافة : (و اذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة. ((21)) (
ثم ما هذه الخلافة التي منحت للانسان ، و حظي بها هذا المخلوق دون سائر الخلق ؟.
كانت آية ثالثة تفسر الخلافة بقدرة الابداع و امكان التصرف في ساحة الوجود : (الم

تروا ان اللّه سخر لكم ما في السماوات و ما في الارض) ((22)) (و سخر لكم ما في السماوات و ما في الارض جميعا ((23)) (فقدرة الانسان التسخيرية و امكان تصرفه في عالم الوجود، علوه و سفله ، هي قدرته الابداعية التي تمثل قدرة اللّه الحاكمة على عالم الوجود بذاته المقدسة.
فجات كل آية تفسر اختها، و القرآن يفسر بعضه بعضا.
و النمط الاخر من تفسير القرآن بالقرآن ، كان ما جا فيه البيان غير مرتبط ظاهرا لا معنويا و لا لفظيا مع موضع الابهام من الاية الاخرى ، سوى امكان الاستشهاد بها لرفع ذلك الابهام.
مثال ذلك ، آية السرقة ، حيث ابهم فيها موضع قطع اليد، فقد بين الامام ابو جعفر محمد بن علي الجواد(ع) انه من موضع الاشاجع (مفصل اصول الاصابع)
مستشهدا لذلك بقوله تعالى : (و ان المساجد للّه فلاتدعوا مع اللّه احدا ((24)) (حيث ان السارق انما جنى على نفسه ، فتعود عقوبته الى ما يمسه من الاعضا، و بما ان مواضع السجود للّه تعالى ، لايشركه فيها احد،و راحة الكف من مواضع السجود للّه ، فلا موضع للقطع فيها((25)) .
و جميع الايات التي بظاهرها التشبيه ، يفسرها قوله تعالى : (ليس كمثله شي (((26))حيث انها تنفي التشبيه على الاطلاق ، فلابد هناك في آيات التشبيه من تاويل صحيح ، يوضحه العقل السليم.

2ـ تفسير القرآن بالسنة

لا شك ان مجموعة احكام الشريعة و فروع مسائلها، جات تفاصيل عما ابهم في القرآن و اجمل من عموم و اطلاق و هكذا ما ورد في لسان المعصوم و فعله و تقريره , بيانا لمختلف ابعاد الشريعة ، هي بيانات عما جا في القرآن من رؤوس الاحكام و الاخلاق و الاداب.
قال اللّه تعالى مخاطبا نبيه الكريم : (و انزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم و لعلهم يتفكرون ((27)) (فقد كانت وظيفة النبي الاساسية هي بيان و تبيين ما جا في الذكر الحكيم ، و كل ما صدر عنه في بيان ابعاد الشريعة ، فانما هو تفسيرللقرآن الكريم.
هذا فضلا عما سئل عن معاني القرآن ، حيثما ابهم على الصحابة ، فبينه لهم في شرح و تبيين ، على ما اسلفنا في الكلام عن التفسير الماثور عن النبي (ص.(
و هكذا ما ورد عن ائمة اهل البيت (ع) تفسيرا لما ابهم او تفصيلا لما اجمل في القران الكريم و قد تكلمنا عن دور اهل البيت في التفسير في فصل خاص.

3ـ تفسير القرآن بقول الصحابي

و نحن قد تكلمنا عن قيمة تفسير الصحابي الذي تربى في احضان الرسالة ، و قد اخذ العلم مباشرة من منهله العذب السائغ ، و كان ممن تفقه على يده الكريمة , و تحت هديه و ارشاده المستقيم (ص) فلابد انهم ـ اي صحابته الاخيار ـ اقرب الناس فهما الى معاني القرآن الحكيمة ، و اهداهم الى معالمه الرشيدة.
هذا ابن مسعود يقول : ((كان الرجل منا اذا تعلم عشر آيات ، لم يجاوزهن حتى يعلم معانيهن و العمل بهن. ((28)) ((
و هذا الامام اميرالمؤمنين (ع) يقول : ((و انما هو تعلم من ذي علم علم علمه اللّه نبيه فعلمنيه و دعا لي بان يعيه صدري و تضطم عليه جوانحي. ((29)) ((
الى غير ذلك من تصريحات تنبؤك عن مدى حرصه (ص) على تعليم صحابته وتثقيفهم الثقافة الاسلامية القرآنية الكاملة.

4ـ تفسير القرآن بقول التابعي

لا شك ان التابعين هم امس جانبا باحاديث الرسول (ص) و العلما من صحابته الاخيار، و كانوا اقرب فـهـمـا لمعاني القرآن الكريم ، حيث قربهم باصول معاني اللغة الفصحى غير المتحورة ، الباقية على صفوها الاول ، كما كانت الحوادث و الوقائع المقترنة بنزول الايات ، و الموجبة احيانا للنزول , كانت تـلـك الـحـوادث و الاسـباب و الموجبات في متناولهم القريب ، كما كان باب الفهم و السؤال لديهم مفتوحا، و بالتالي كان باب العلم باسباب النزول و فهم معاني القرآن و السؤال عن مواضع الابهام فيه منفتحا لهم بمصراعين , الامر الذي لم يحظ بها من تاخر من ارباب التفسير.
هـذا، و مع ذلك انما نعتبر قول التابعي شاهدا و مؤيدا، و ليس حجة على الاطلاق ، كما كان حديث الـمـعصوم (ع) حجة براسه ، او قول الصحابي بالنسبة و في الغالب الاكثر حجة معتبرة ، فانما يقع قول التابعي في الدرجة الثالثة من الاعتبار، و ليس على اطلاقه.

آفات التفسير بالماثور

علمنا ان التفسير النقلي يشمل ما كان تفسيرا للقرآن بالقرآن ، و ما كان تفسيرا للقرآن بالسنة ، و ما كان موقوفا على الصحابة ،او المروي عن التابعين اما تفسير القرآن بالقرآن بعد وضوح الدلالة ، او بما ثبت من السنة الصحيحة فذلك مما لا خلاف فيه و لاشك يعتريه ، لانه من احسن الطرق الى فهم معاني كلامه تعالى ، و امتنها و اتقنها.
و امـا ما اضيف الى النبي (ص) او الى احد الائمة الاطهار، و كان في سنده ضعف او في متنه وهن , فذلك مردود غيرمقبول ، مادام لم تصح نسبته الى المعصوم.
و امـا تفسير القرآن بالمروي عن الصحابة و التابعين ، فقد تسرب اليه الخلل ، و تطرق اليه الضعف و الـوهـن الكثير، الى حدكاد يفقدنا الثقة بكل ما روي من ذلك ـ كما قال الاستاذ الذهبي((30)) ـ حـيـث وفـرة اسباب الضعف و الوهن في ذلك الخضم من المرويات ، في كتب التفسير المعزوة الى الصحابة و التابعين و قد خلط سليمها بسقيمها، بحيث خفي وجه الصواب.
و لـقد كانت كثرة المروي من ذلك كثرة جاوزت الحد، و بخاصة ما اذا وجدنا التناقض و تضارب الاقـوال ، و كـثيرا ما تضادما نسب الى شخص واحد، كالمرويات عن ابن عباس ، كان ذلك من اكبر عوامل زوال الثقة بها او بالاكثرية الساحقة منها، الامرالذي يستدعي التثبت لديها، و امعان النظر و البحث و التمحيص.
هـذا الامـام احـمـد بـن حـنبل يصرح بانه لم يثبت في التفسير شي يقول : ثلاث كتب لا اصل لها : المغازي ، و الملاحم ،والتفسير قال المحققون من اصحابه : مراده ان الغالب انه ليس لها اسانيد صحاح متصلة((31)) .
و هـذا الامـام مـحـمد بن ادريس الشافعي يقول : لم يثبت عن ابن عباس في التفسير الا شبيه بمائة حديث ((32)) مراده : عدم صحة الاسناد اليه في الكثير من المرويات عنه.
و هـذا الـكـلام ، و ان كان مبالغا فيه ، الا انه يدلنا على مبلغ ما دخل في التفسير النقلي من الروايات المكذوبة المصطنعة ،فضلا عن الضعاف والمراسيل.
و على اى تقدير فاسباب الوهن في التفسير النقلي تعود الى الامور الثلاثة التالية:
اولا : ضعف الاسانيد و ارسالها او حذفها راسا، مما يوجب القدح في التفسير بالماثور.
و ثانيا : كثرة الوضع و الدس و التزوير في الحديث و التفسير، بما اوجب زوال الثقة به.
و ثالثا : وفرة الاسرائيليات في التفسير و التاريخ بما شوه وجه التفسير.
و لنتكلم عن هذه الامور الثلاثة في شي من التوضيح:

1ـ ضعف الاسانيد

مـمـا اوجـب الـوهـن في وجه التفسير النقلي ، ضعف الاسانيد بكثرة المجاهيل او ضعاف الحال او الارسال او حذف الاسنادراسا، و ما الى ذلك مما يوجب ضعف الطريق

في الحديث الماثور.
هـذا اذا كـنـا نـرافق علما الاصول ـ اصول الفقه ـ في اساليبهم في توثيق الاسانيد او تضعيفها، و جرينا معهم على غرار مانجري في فقه الاحكام ، و ملاحظة شرائط استنباطها من دلائل الكتاب و الـسـنـة فـان كـانـت الـشـرائط هـناك تجري هنا ـ في باب التفسير ـ ايضا، كانت نفس الاساليب واجبة الاتباع ، غير ان باب التفسير يختلف عن الفقه اختلافا في الجذور.
الفقه : استنباط احكام و تكاليف ترجع الى عمل المكلفين ، اما فعلا او تركا، الزاما او رجحانا فلابد لـلفقيه من ان يستوثق في الاستنباط، و يبني الفروع على اصول متينة و الاستيثاق والاطمئنان انما يحصلان بحصول الظن الغالب المعتبر شرعاو عقلائيا، فيجب عليه اتباعه ، و ان لم يحصل له القطع و اليقين ، لان ظنه هذا حجة معتبرة.
امـا التفسير ـ و كذا التاريخ ـ فليس الامر كذلك ، حيث طريق الاستيثاق و الحجية تختلف اساليبه عـن اسـاليب الفقه اذا لاحجية تعبدية هنا، كما كانت حجة تعبدا هناك فان دليل التعبد قاصرالشمول هنا، اذ لا عمل يوجب التعبد فيه انما هو عقيدة و ركون نفس ، ان حصلت اسبابه حصل ، و الا فلا، و لا معنى للتعبد في العقيدة و الراي او في وقوع حادثة او عدم وقوعها.
مثلا : لا معنى للتعبد بان تفسير الاية الفلانية كذا، اذ التفسير : كشف القناع عن وجه اللفظ المبهم , فان ارتفع الابهام وانكشف المعنى ، اصبح موضع القبول و الاذعان به ، و ان لم يرتفع الابهام ، فلا موضع للقبول و الاذعان تعبدا محضا.
و هذا نظير الاحداث التاريخية ، انما يذعن بها اذا حصل الاطمئنان الشخصي بوقوعها من اي سبب كان ، و لايمكن التعبدبوقوع حدث تاريخي اطلاقا.
و هذا معنى قولهم : لا اعتبار بالخبر الواحد في باب التفسير و التاريخ و العقائد، اذ لايوجب علما و لا عملا، حيث المطلوب في هذه الابواب هو العلم ، الذي لايحصل بخبر الواحد بمجرده ، كما لا عـمـل ـ فـعـلا او تركا ـ هنا، كي يستدعي الخبرالواحد التعبد به و من ثم اختص باب التعبد في اعتبار الخبر الواحد بالفقه ، حيث العمل هناك محضا.
اذن فـمـا قيمة الحديث ـ الخبر الواحد ـ في باب التفسير و كذا التاريخ ؟ الامر الذي يجب الامعان فيه : قيمة الخبر الواحدفي باب التفسير و التاريخ انما هي بملاحظة المتن الوارد فيه ، دون مجرد الـسند فان كان مضمون الخبر ـ و هو محتوى الحديث الوارد ـ ما يعالج دفع مشكلة ابهام في الامر ,فنفس المتن شاهد على صدقه ، و الا فلا دليل على التعبد به.
فـالـحـديـث الـماثور عن الرسول (ص) او عن احد الائمة (ع) او احد الصحابة العلما او التابعين الـكـبـار، ان كـان يزيد في معرفة او يرفع من ابهام في اللفظ او المعنى فهو شاهد صدقه ، ذلك انهم اعرف بمواضع النزول و اقرب تناولا فيه ، حيث قرب عهدهم به ، او انهم حضروا الحادثة فنقلوها.
و لـلـعـقلا طريقتهم في قبول خبر الثقة بل من لم يظهر فسقه علانية فيعتمدونه ، و عليه جا قوله تـعـالى : (ان جاكم فاسق بنبا فتبينوا , ((33)) (فقد اقر العقلا على قبولهم للنبا ما لم يكن الاتي به متجاهرا بالفسق ، ممن لايتورع الكذب ، و لايخاف اللّه في سره و علانيته.
فمن عرف بالصدق و الامانة قبل نبؤه ، و من عرف بالكذب و الخيانة ترك ، و من كان مجهولا تريثنا ,فان ظهرت منه دلائل الصدق قبلناه و الا رفضناه.
اذن فشرط قبول الخبر احتفافه بقرائن الصدق : من وجوده في اصل معتبر، وكون الراوي معروفا بـالـصـدق و الامانة ، و على الاقل غير معروف بالكذب و الخيانة ، و سلامة المتن و استقامته ، مما يـزيـد علما او يزيل شكا و ان لايخالف معقولا او منقولاثابتا في الدين و الشريعة ، الامر الذي اذا توفر في حديث اوجب الاطمئنان به و امكان ركون النفس اليه ، و عليه فلايضره حتى الارسال في السند ان وجدت سائر شرائط القبول.

2ـ الوضع في التفسير

كان الوضع و التزوير من اهم اسباب الوهن في التفسير الماثور فقد كانت الدواعي متوفرة للدس و الاختلاق في الماثور من التفسير، الى جنب الوضع في الحديث , فهناك اسباب سياسية و اخرى مذهبية و كلامية ، و ربما عاطفية ، كانت عن قصور النظرلا عن سؤ نية و العمدة ان القرآن كان المحور الاساسي الذي يدور عليه رحى الدين و السياسة و السلوك آنذاك ، فلابد لكل منتحلي مسلك من المسالك ان يتشبث بعرى القرآن ، و يجعل من آياته الكريمة وسيلة ناجعة , لبلوغ اهدافه ان خيرا و ان شرا،الامر الذي جعل من سوق الكذب و التزوير في التفسير و الحديث رابحة ذلك العهد.
و قد بدئ ذلك على يد معاوية ، حيث كان يجعل الجعائل على و ضع الحديث او قلبه تمشية لسياسته الغاشمة ذلك الحين((34)) , و راج ذلك طول عهد الامويين و بعدهم العباسيين ، حيث اخذ بالتوسع و الاطراد.
قال الاستاذ الذهبي : و كان مبدا ظهور الوضع في سنة احدى و اربعين بعد وفاة الامام امير المؤمنين حين اختلف المسلمون سياسيا، و تفرقوا شيعا، و وجد من اهل البدع و الاهوا من روجوا لبدعهم و تعصبوا لاهوائهم و دخل في الاسلام من تبطن الكفر و التحف الاسلام بقصد الكيد له و تضليل اهله فوضعوا ما وضعوا من روايات باطلة ليصلوا بها الى اغراضهم السيئة و رغباتهم الخبيثة((35)) .
قال الاستاذ ابورية : و قد اجمع الباحثون و العلما المحققون ، على ان نشاة الاختراع في الرواية و وضع الحديث على رسول اللّه (ص) انما كان في اواخر عهد عثمان و بعد الفتنة التي اودت بحياته , ثم اشتد الاختراع و استفاض بعد مبايعة الامام امير المؤمنين (ع) فانه ما كاد المسلمون يبايعونه بيعة تامة ، حتى ذر قرن الشيطان الاموي ليغتصب الخلافة من صاحبها،و يجعلها حكما اموياو قد كان وا اسفاه ((36)).
و في ذلك يقول الامام الشيخ محمد عبده : و توالت الاحداث بعد الفتنة الكبرى ، و نقض بعض المبايعين للخليفة الرابع الامام امير المؤمنين (ع) ما عقدوا، و كانت حروب بين المسلمين انتهى فيها امر السلطان الى الامويين بهم المذاهب في الخلافة ، و اخذت الاحزاب في تاييد آرائهم ، كل ينصررايه على راى خصمه بالقول و العمل ، و كانت نشاة الاختراع في الرواية و التاويل ، و غلا كل قبيل((37)) .

اهم اسباب الوضع

ذكروا لوضع الحديث و الكذب على رسول اللّه (ص) و على اصحابه الخيار و الائمة الاطهار اسبابا كثيرة ، ناتي على اهمها:
1ـ ما وضعه الزنادقة اللا بسون لباس الاسلام غشا و نفاقا، و قصدهم بذلك افساد الدين و ايقاع الخلاف و الافتراق بين المسلمين قال حماد بن زيد : وضعت الزنادقة اربعة آلاف حديث قال ابورية :هذا بحسب ما وصل اليه علمه و اختباره في كشف كذبها ((38)) , و الا فقد اكثر الزنادقة من وضع الاحاديث في اعداد هائلة فهذا عبدالكريم بن ابي العوجا ـ و كان خال معن بن زائدة و ربيب حماد بن سلمة ، و كان يدس الاحاديث في كتب حماد ـ فلما اخذ و اتي به الى محمد بن سليمان بن على ، فامر بضرب عنقه لزندقته ، فلما ايقن بالقتل قال : و اللّه لقد و ضعت فيكم اربعة آلاف حديث احرم فيها الحلال و احل فيها الحرام و لقد فطرتكم في يوم صومكم و صومتكم في يوم فطركم فهذا زنديق واحد يضع آلاف حديث ، فكيف بغيره و هم كثيرون و ايضا روى حماد بن زيد عن جعفربن سليمان ، قال : سمعت المهدي يقول : اقر عندي رجل من الزنادقة انه وضع اربعمائة حديث ، فهى تحول في ايدي الناس.
كما روى ابن الجوزي باسناده الى حماد بن زيد، يقول : وضعت الزنادقة على رسول اللّه (ص (اربعة عشر الف حديث ((39)) .

و اخـرج جلال الدين السيوطي باسناده الى ابن مبارك ، انه قال بشان حديث فضائل السور المعزوة الى ابي بن كعب : اظن الزنادقة وضعته((40)) , و ذلك تشويها لسمعة القرآن الكريمة.
و ذكـر ابـن الجوزي ان جماعة من الكذابين ندموا على كذبهم و تنصلوا من ذلك فقد حدث عن ابي شيبة ، قال : كنت اطوف بالبيت و رجل من قدامي يقول : اللهم اغفر لي ، و ماراك تفعل قـنـوطـك اكـثـر من ذنبك ؟ خمسين حديثا، و طارت في الناس ، ما اقدر ان ارد منها شيئاو قال ابن لهيعة : دخلت على شيخ و هو يـبـكـي فـقلت : ما يبكيك ؟ فقال : وضعت اربعمائة حديث ادرجتها ادراجا مع الناس ،فلاادري كيف اصنع ؟((41)) .
2ـ الـوضـع لـنصرة المذاهب في اصول الدين و فروعه فان المذاهب و الارا لما تشعبت ، جعل كل فـريق يستفرغ ما بوسعه لاثبات مذهبه و دعم عقيدته ، لاسيما بعد ما فتح باب المجادلة و المناظرة فـي الـمـذاهـب و الارا و لم يكن المقصود من ذلك الا افحام الجانب الاخر مهما بلغ ثمن ذلك ، و لو بالحط من كرامة الدين.
فقد روى ابن الجوزي باسناده الى الدارقطني عن ابي حاتم ابن حبان ، قال : سمعت عبد اللّه بن علي يـقول : سمعت محمد بن احمد بن الجنيد يقول : سمعت عبد اللّه بن يزيد المعري يقول عن رجل من اهـل الـبدع رجع عن بدعته ، فجعل يقول : انظروا هذا الحديث ممن تاخذونه ، فانا كنا اذا راينا رايا جعلنا له حديثا.
و بـاسناده الى ابن لهيعة قال : سمعت شيخا من الخوارج تاب و رجع ، و هو يقول : ان هذه الاحاديث ديـن ، فانظروا عمن تاخذون دينكم ، فانا كنا اذا هوينا امرا صيرناه حديثا و عن آخر، قال : كنا اذا اجـتمعنا استحسنا شيئا جعلناه حديثا((42)) قال ابورية : و ليس الوضع لنصرة المذاهب محصورا فـي الـمـبـتـدعة و اهل المذاهب في الاصول ، بل ان من اهل السنة المختلفين في الفروع من وضع احاديث كثيرة لنصرة مذهبه او تعظيم امامه.
مـن ذلك ما رواه الاحناف ، قدحا في الشافعي و مدحا لابي حنيفة ، باسناد رفعوه الى ابي هريرة عن النبي (ص) : ((يكون في امتي رجل يقال له : محمد بن ادريس ، اضر على امتي من ابليس و يكون في امتي رجل يقال له : ابوحنيفة ، هو سراج امتي.((
و قـد رواه الخطيب مقتصرا على ما ذكروه في ابي حنيفة ، و قال : موضوع وضعه محمد بن سعيد الـمـروزي البورقي ،و هكذا حدث به في بلاد خراسان ثم حدث به في العراق ، و زاد فيه : ((و سيكون في امتي رجل يقال له : محمد بن ادريس ،فتنته اضر على امتي من فتنة ابليس.((
قـال ابـوريـة : و هـذا الافك مما لايحتاج الى بيان بطلانه ، و مع هذا تجد فقها الاحناف المعتبرين يـذكـرون فـي كتبهم الفقهية شق الحديث الذي يصف ابا حنيفة بانه سراج الامة و يسكنون اليه ، بل يستدلون به على تعظيم امامهم على سائر الائمة.
الامر الذي اضطر الشافعية ازا ذلك ان يضعوا في امامهم حديثا يفضلونه على كل امام ، و هذا نصه)) : اكرموا قريشا فان عالمها يملا طباق الارض علما)) و انصار الامام مالك لم يلبثوا ان وضعوا في امـامـهـم هـذا الـحـديـث : ((يخرج الناس من المشرق الى المغرب ، فلايجدون اعلم من عالم اهل المدينة)) و احاديث مشابهة وضعوها بهذا الشان((43)) .

هذا فضلا عن الدس و التزوير فى الاحاديث لنصرة المذهب.
هـذا ابوالعباس القرطبي ـ في شرح صحيح مسلم ـ يقول : اجاز بعض فقها اهل الراي ، نسبة الحكم الذي دل عليه القياس الجلى الى رسول اللّه (ص) نسبة قولية فيقولون في ذلك : قال رسول اللّه (ص : (كـذا و كـذا، و لـهـذا نرى كتبهم مشحونة باحاديث تشهد متونها بانها موضوعة ، لانها تشبه فتاوي الفقها، و لاتليق بجزالة كلام سيد المرسلين ، كما لايقيمون لها اسنادا.
قـال ابـوشامة في مختصر كتابه ((المؤمل)): مما يفعله شيوخ الفقه في الاحاديث النبوية و الاثار الـمـرويـة ، كثرة استدلالهم بالاحاديث الضعيفة على ما يذهبون اليه ، نصرة لقولهم ، و ينقصون في الفاظ الحديث ، و تارة يزيدون فيه قال : و ما اكثره في كتب ابي المعالي و صاحبه ابي حامد((44)) .
3ـ شـدة الـتـرهـيب و زيادة الترغيب لاجل هداية الناس فقد تساهل الوعاظ و علما الاخلاق في تـصـحـيـح ما يروونه بهذاالشان ، و ربما تنازل بعضهم فاجاز الاختلاق في ذلك ، مادام الغرض هو هـدايـة الناس ، و ليس اغواهم فقد كان الوضع للّه ، و برربعضهم ذلك بانه انما كذب لرسول اللّه و لم يكذب عليه.
يـقـول ابـوريـة عـن العباد و الصوفية : انه راجت عليهم الاكاذيب و حدثوا عن غير معرفة و لا بصيرة ، فيجب ان لايعتمد على الاحاديث التي حشيت بها كتب الوعظ و الرقائق و التصوف ، من غير بـيـان تخريجها و درجتها و لايختص هذا الحكم بالكتب التي لايعرف لمؤلفها قدم في العلم ، ككتاب))نـزهـة الـمـجـالـس)) المملؤ بالاكاذيب في الحديث و غيره بل ان كتب ائمة العلماك((الاحيا للغزالي)) لاتخلو من الموضوعات الكثيرة((45)) .
قـلـت : و هكذا بعض كتب الوعظ و الارشاد عندنا، ككتاب ((الانوار النعمانية)) للسيد نعمة اللّه الـجـزائري ، مـمـلؤ بالاكاذيب و المخاريق ، و مثله كتاب ((خزائن الجواهر)) للشيخ علي اكبر النهاوندي فيه من المخاريق الطامات و ايضا كتب المقاتل و المراثي من المتاخرين ، ككتاب ((محرق الـقـلـوب)) لـلـمـولى مهدي النراقي ، و كتاب ((اسرار الشهادة)) لاقا بن عابد الدربندي المملؤ بـالاكـاذيـب و الـطـامات و امثال هذه الكتب كثير مع الاسف ، كتبتها ايدي اناس ضعاف العقول ، ممن تساهلوا في امرالدين ، و هم يحسبون انهم يحسنون صنعا، سامحهم اللّه.
اخـرج ابـن الـجوزي باسناده الى محمود بن غيلان قال : سمعت مؤملا يقول : حدثني شيخ بفضائل سور القرآن الذي يروى عن ابي بن كعب فقلت للشيخ : من حدثك ؟ قال : حدثني رجل بالمدائن و هو حـي ، فـصـرت اليه فقال : حدثني شيخ بواسطو هو حى ، فصرت اليه فقال : حدثني شيخ بالبصرة , فـصـرت الـيـه فـقال : حدثني شيخ بعبادان ، فصرت اليه فاخذ بيدي فادخلني بيتا فاذا فيه قوم من الـمتصوفة و معهم شيخ فقال : هذا الشيخ حدثني فقلت : يا شيخ من حدثك ؟ فقال : لم يحدثني احد،و لـكـنـا راينـا الـنـاس قـد رغـبـوا عن القرآن ، فوضعنا لهم هذا الحديث ليصرفوا وجوههم الى القرآن ((46)).
و من ثم قال يحيى بن سعيد القطان : لم نر الصالحين في شئ اكذب منهم في الحديث.
و اوله مسلم بانه يجري الكذب على لسانهم و لايتعمدون الكذب ((47)).

قال القرطبي في ((التذكار)) لا التفات لما وضعه الواضعون و اختلقه المختلقون من الاحاديث الكاذبة و الاخبار الباطلة في فضل سور القرآن , و غير ذلك من فضائل الاعمال ، و قد ارتكبها جماعة كثيرة وضعوا الحديث حسبة ـ كما زعموا ـ يدعون الناس الى فضائل الاعمال ، كما روي عن ابي عصمة نوح بن ابي مريم المروزي و محمد بن عكاشة الكرماني ، و احمد بن عبد اللّه الجويباري ، و غيرهم قيل لابي عصمة : من اين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضل سور القرآن سورة سورة ؟ فقال :اني رايت الناس قد اعرضوا عن القرآن و اشتغلوا بفقه ابي حنيفة و مغازي محمد بن اسحاق ، فوضعت هذا الحديث حسبة و قال : قد ذكر الحاكم و غيره من شيوخ المحدثين : ان رجلا من الزهاد انتدب في وضع احاديث في فضل القرآن و سوره فقيل له : لم فعلت هذا؟ فقال : رايت الناس زهدوا في القرآن فاحببت ان ارغبهم فيه انا ما كذبت عليه ، انما كذبت له.
قال تحذيرا من الاحاديث الموضوعة : و اعظمهم ضررا، قوم منسوبون الى الزهد، وضعوا الحديث حسبة ((48)).
و هذا ميسرة بن عبد ربه ـ كان كذابا وضاعا ـ وضع في فضل قزوين اربعين حديثا قال ابوزرعة : كان يقول : اني احتسب في ذلك و قال ابن الطباع : قلت لميسرة : من اين جئت بهذه الاحاديث : ((من قرا كذا فله كذا))؟ قال : وضعته ارغب الناس فيه و قد وصفه جماعة بالزهد.
و هكذا كان الحسن ـ الراوي عن المسيب بن واضح ـ ممن يضع الحديث حسبة.
و كان نعيم بن حماد يضع الحديث في تقوية السنة((49)) .
و كان الهيثم الطائي يقوم عامة الليل بالصلاة ، فاذا اصبح يجلس و يكذب ، و امثاله كثير من الزهاد كانوا من الوضاعين حسبة للّه فيما زعموا((50)) .
قال ابن الجوزي : منهم قوم وضعوا الاحاديث في الترغيب و الترهيب ، ليحثوا الناس بزعمهم على الخير و يزجروهم عن الشر و هذا تعاط على الشريعة ، و مضمون فعلهم ان الشريعة ناقصة تحتاج الى تتمة ، فقد اتمماها ثم اسند الى ابي عبداللّه النهاوندي ، قال : قلت لغلام خليل : هذه الاحاديث التي تحدث بها من الرقائق ؟ فقال : وضعناها لنرقق بها قلوب العامة و كان غلام خليل هذا يتزهد و يهجن شهوات الدنيا و يتقوت الباقلا تصوفا و غلقت اسواق بغداد يوم موته((51)) .
4ـ وضع الحديث تزلفا لدى الامرا كان بعض ضعفا النفوس من المحدثين الضعيفي الايمان يتزلفون لدى الامراو السلاطين ، بوضع احاديث تروقهم ، او تشيد من شناعاتهم في السياسة و الحكم.
كان الرشيد يعجبه الحمام و اللهو به ، فاهدي اليه حمام ، و عنده ابوالبختري القاضي((52)) , فقال :روى ابوهريرة عن النبي انه قال : لا سبق الا في خف او حافر او جناح فزاد جناح و قد وضعها تزلفا لدي الرشيد، فاعطاه جائزة سنية و لما خرج قال الرشيد : واللّه لقد علمت انه كذاب ، و امر بالحمام ان يذبح فقيل له : و ما ذنب الحمام ؟ قال : من اجله كذب على رسول اللّه (ص ((53)) (و حكى ابن الجوزي نظير هذه القصة لغياث بن ابراهيم بمحضر المهدي العباسي ((54)).
و هكذا حدث الرشيد : ان جعفر بن محمد حدثه عن ابيه : ان جبرائيل نزل على النبي (ص) و عليه قبا اسود و منطقة و انما قال ذلك ، لان ذلك كان شعار العباسيين فدخل يحيى بن معين ، فقال له : كذبت يا

عدو اللّه ، و قال للشرطية خذوه فقال فيه المعافى التميمي:
ويل و عول لابي البختري ـــ اذا توافى الناس في المحشر.
من قوله الزور و اعلانه ـــ بالكذب في الناس على جعفر.
الى آخر الابيات ، و هي مشهورة و لما بلغ ابن المهدي موته قال : الحمد للّه الذي اراح المسلمين منه((55)).
و روى ابن الجوزي عن زكريا بن يحيى الساجي ، قال : بلغني ان ابا البختري دخل على الرشيد ـ و هو قاض ـ و هارون اذذاك يطير الحمام ، فقال : هل تحفظ في هذا شيئا؟ فقال : حدثني هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة : ((ان النبي (ص) كان يطيرالحمام)) فقال هارون : اخرج عني ثم قال : لولا انه رجل من قريش لعزلته.
قال ابن الجوزي : هذا الحديث من عمل ابي البختري ، و اسمه وهب بن وهب كان من كبار الوضاعين((56)).
و روى حديث القبا الاسود، قال : لما قدم الرشيد المدينة اعظم ان يرقى منبر النبي (ص) في قبا اسود و منطقة فقال ابوالبختري : ((حدثنا جعفر بن محمد عن ابيه قال : نزل جبرئيل على النبي (ص) و عليه قبا اسود و منطقة ، محتجزا فيهابخنجر.((
قال يحيى بن معين : وقفت على حلقة ابي البختري و هو يحدث بهذا الحديث ، مسندا عن جعفر بن محمد عن ابيه عن جابر فقلت له : كذبت يا عدو اللّه ، على رسول اللّه قال : فاخذني الشرط فقلت : هذا يزعم ان رسول رب العالمين نزل على النبي و عليه قبا فقالوا لي : هذا واللّه قاص كذاب و افرجوا عني((57)).
و الاحاديث في اولاد العباس و ملكهم ، و لا سيما الزي العباسي الذي تزيا به جبرائيل ، كثيرة , اوردها ابن الجوزي في موضوعاته و فندها خير تفنيد فراجع((58)).
5ـ الوضع نزولا مع سياسة الطغاة كان معاويه اول من وضع سياسته على وضع الاحاديث و قلبها ,تمشية مع اهدافه المرتذلة ، في التغلب على واقع الاسلام الرفيع.
قال الاستاذ ابورية : لابد لنا ان نكشف عن ناحية خطيرة من نواحي الوضع في الحديث ، كان لها اثر بعيد في الحياة الاسلامية ، و لايزال هذا الاثر يعمل عمله في الافكار العفنة و العقول المتخلفة و النفوس المتعصبة ذلك ان السياسة قد دخلت في هذا الامر، و اثرت فيه تاثيرا بالغا، فسخرته ليؤيدها في حكمها، و جعلته من اقوى الدعائم لاقامة بنائها.
و قد علا موج هذا الوضع السياسي و طغا ماؤه في عهد معاوية الذي اعان عليه و ساعده بنفوذه و ماله ، فلم يقف وضاع الحديث عند بيان فضله و الاشادة بذكره ، بل امعنوا في مناصرته ، والتعصب له , حتى رفعوا مقام الشام الذي يحكمه الى درجة لم تبلغها مدينة الرسول (ص) و لا البلد الحرام الذي ولد فيه و اسرفوا في ذلك اسرافا كثيرا، و اكثروا حتى الفت في ذلك مصنفات ((59)).
و ذكر ابن ابي الحديد عن شيخه ابي جعفر الاسكافي : ان معاوية وضع قوما من الصحابة و قوما من التابعين ، على رواية اخبار قبيحة في علي (ع) تقتضي الطعن فيه و البراة منه ، و جعل لهم على ذلك جعلا يرغب في مثله ، فاختلقوا ما ارضاه منهم :ابوهريرة ، و عمروبن العاص ، و المغيرة بن شعبة ، و من التابعين عروة بن الزبير.
روى الزهري ان عروة بن الزبير حدثه ، قال : حدثتني عائشة ، قالت : كنت عند رسول اللّه (ص (اذ اقبل العباس و علي فقال : يا عائشة ، ان هذين يموتان على غير ملتي ـ او قال ـ غير ديني.

و فـي حـديث آخر عنه ، قال : حدثتني عائشة ، قالت : كنت عند النبي (ص) اذ اقبل العباس و علي , فقال : يا عائشة ، ان سرك ان تنظري الى رجلين من اهل النار، فانظري الى هذين قد طلعا.
و امـا عـمـرو بـن الـعـاص فـقـد اخـرج عـنـه البخاري و مسلم باسناد متصل اليه ، قال : سمعت رسول اللّه (ص) يقول : ((ان آل ابي طالب ليسوا لي باوليا انما وليى اللّه و صالح المؤمنين.((
و امـا ابـوهـريـرة فـروي عـنـه الـحديث الذي معناه : ان عليا(ع) خطب ابنة ابي جهل في حياة رسـول اللّه (ص) فـاسخطه ،فخطب ، و قال : لاها اللّه ، لاتجتمع ابنة ولي اللّه و ابنة عدو اللّه ابي جهل ، ان فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها فان كان علي يريد ابنة ابي جهل فليفارق ابنتي ، و ليفعل ما يريد.
و ايـضـا روى ابـو جـعـفـر عـن الاعـمـش قـال : لـمـا قـدم ابوهريرة العراق مع معاوية عام الـجماعة((60)) , جا الى مسجد الكوفة ،فلما راى كثرة من استقبله من الناس جثا على ركبتيه ، ثم ضرب صلعته مرارا، و قال : يا اهل العراق ، اتزعمون اني اكذب على اللّه و على رسوله((61)) و احـرق نـفـسـي بالنار بالمدينة ما بين عير الى ثور فمن احدث فيها حدثا فعليه لعنة اللّه و الملائكة و الناس اجمعين))، و اشهد ان عليا احدث فيهافلما بلغ معاوية قوله اجازه و اكرمه و ولا ه امارة المدينة((62)).
و ايـضـا روى عـن شـيخه ابي جعفر : ان معاوية بذل لسمرة بن جندب ـ الرجل الوقح ـ مائة الف درهم حتى يروي ان هذه الاية نزلت في علي بن ابي طالب : (و من الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا و يشهد اللّه على ما في قلبه و هو الدالخصام و اذا تولى سعى في الا رض ليفسد فيها و يهلك الحرث و النسل و اللّه لايحب الفساد ((63)) (و ان الاية الاخرى نزلت في ابن ملجم ، و هي قوله تـعـالـى : (و من الن اس من يشري نفسه ابتغا مرضاة اللّه و اللّه رؤوف بالعباد ((64)) (فلم يقبل , فـبـذل له مئتي الف درهم فلم يقبل ، فبذل له ثلاثمئة الف فلم يقبل ، فبذل له اربعمئة الف فقبل ، و روى ذلك ((65)).
نعم كان معاوية يرى لنفسه ما يضاهي به عليا في مثل مقامه و مرتبته ، و من ثم كان يحاول الانتشال من مقامه الوضيع ليتسن ى له المقابلة مع مثل امير المؤمنين (ع) فكان يجعل الجعائل للوضع في تفضيله و تفضيل بلاده التي كان يحكمها، و حاضرة ملكه ، كان يجهد جهده في ذلك.
قال ابورية : و معاوية ـ كما هو معروف ـ اسلم هو و ابوه يوم فتح مكة ، فهو بذلك من الطلقا و كان كـذلك من المؤلفة قلوبهم الذين كانوا ياخذون ثمنا لاسلامهم و هو الذي هدم مبدا الخلافة الرشيدة في الاسلام ، فلم تقم لها من بعده الى اليوم قائمة و قد اتخذ دمشق حاضرة لملكه ، و قد وضعوا فيه و فـي تـفضيل الشام احاديث نسبوها الى رسول اللّه (ص) نذكر منها : مااخرجه الترمذي ان النبي قال لمعاوية : اللهم اجعله هاديا مهديا و في حديث آخر ان النبي قال : اللهم علمه الكتاب و الحساب و قه العذاب ـ و هناك زيادة ـ : و ادخله الجنة.
و عـلـى كـثرة ما جا في فضائل معاوية من احاديث لا اصل لها، فان اسحاق بن راهويه و هو الامام الكبير و شيخ البخاري قد قال : انه لم يصح في فضائل معاوية شي((66)).
و لـلعلامة الاميني هنا مقال ضاف بشان المغالاة في فضائل معاوية ،

و قد اردفها بما ورد في ذمه من احاديث صحاح لامغمز في اسنادها، جعلنا في غنى عن الكلام فيه هنا، فراجع((67)) .
و هكذا ذكر الاستاذ ابورية : ان اشادة كهان اليهود ـ يريد كعبا و اذنابه ـ الى ان ملك النبي سيكون بالشام انما هو لامر خبئ في انفسهم و قد تبى ن ان الشام ما كان لينال من الاشادة بذكره و الثنا عليه , الا لـقـيام دولة بني امية فيه ، تلك الدولة التي قلبت الحكم من خلافة عادلة الى ملك عضوض ، و التي تـحـت كـنـفـها و في ايامها نشات الفرق الاسلامية التي فتت في عضد الدولة الاسلامية و مزقتها تـمزيقا، و استفاض فيها وضع الحديث فكان جديرا بكهنة اليهود ان ينتهزوا هذه الفرصة و ينفخوا في نارالفتنة ، و يمدوها بجيوش الاكاذيب و الكيد و كان من هذه الاكاذيب ان بالغوا في مدح الشام و اهله ، و ان الخير كل الخير فيه ،و الشر كل الشر في غيره((68)) .
و مـمـا قـالـه هـؤلا الكهنة بهذا الشان : ان ملك النبي سيكون بالشام ، روى البيهقي في الدلائل عن ابي هريرة ـ تلميذكعب ـ مرفوعا : الخلافة بالمدينة و الملك بالشام و عن كعب : اهل الشام سيف من سيوف اللّه ينتقم اللّه بهم ممن عصاه.
و من حديث : ستفتح عليكم الشام ، فاذا خيرتم المنازل فيها فعليكم بمدينة يقال لها : ((دمشق)) ـ و هـي حـاضـرة الامـويـيـن ـ فـانـها معقل المسلمين في الملاحم ، و فسطاطها منها بارض يقال لها :))الغوطة.((
و قـد جـعـلوا دمشق هذه ، هي الربوة التي ذكرت في القرآن الكريم : (و آويناهما الى ربوة ذات قـرار و مـعين ((69)) (و ذلك في حديث مرفوع الى النبي (ص) و قد جعلها ابوهريرة من مدائن الـجـنـة ايـضـا في حديث رفعه الى النبي (ص) هذا نصه : ((اربع مدائن من مدائن الجنة : مكة ، و المدينة ، و بيت المقدس ، و دمشق ((70)) ((.
و هـكـذا نـرى معاوية الذي تعلم من كعب كيف يضع الحديث ، يصف نفسه بان النبي (ص) وعده بانه سـيلي الخلافة من بعده قال في خطبته لم ا عاد من العراق الى الشام بعد بيعة الامام الحسن (ع) سنة)) :(41)ايـهـا الـنـاس ، ان رسـول اللّه (ص) قـال : انـك ستلي الخلافة من بعدي ، فاختر الارض المقدسة ، فان فيها الابدال ((
((71))قال ابورية : و ماكاد معاوية يذكر ان الشام ارض الابدال الا و ظـهـرت احـاديـث مـرفـوعـة عـن هـؤلا الابـدال و قـد اوردهـا الـسـيـوطي في ((الجامع الصغير. ((72)) ((
و بذلك نكشف عن جانب خطير من كيد الدها اليهودي للمسلمين و دينهم و ملكهم.
ذلك انهم لم يكتفوا بما قالوه في الشام بل زادوا على ذلك بان جعلوا الطائفة الظاهرة على الحق تكون في الشام كذلك ،و حتى نزول عيسى الذي قالوا عنه : سيكون بارضه.
فـقد جا في الصحيحين : ((لاتزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق لايضرهم من خذلهم و لا من خـالـفهم ، حتى ياتي امراللّه و هم كذلك روى البخاري : هم بالشام((73)) و في رواية ابي امامة الباهلي : انهم لما سالوا النبي قال : بيت المقدس و اكناف بيت المقدس ((74)).
و في مسلم عن ابي هريرة : ان النبي قال : لايزال اهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة قال احمد و غيره : هم اهل الشام.

و فـي ((كـشـف الخفا)) : ان كعب الاحبار قال : اهل الشام سيف من سيوف اللّه ، ينتقم اللّه بهم من العصاة.
قـال ابـوريـة : و لعل العصاة هنا هم الذين لاينضوون تحت لوا معاوية ، ويتبعون غيره و غيره هو الامام اميرالمؤمنين علي بن ابي طالب (ع) ((75)).
نعم وجد اهل الحقد على الاسلام في معاوية و الشام ارضية خصبة لبذر النفاق و التفريق بين كلمة الـمسلمين ، فعادواعليا(ع) حيث وجدوه المثال الاتم لحقيقة الاسلام الناصعة ، و افرغوا عداهم له و للاسلام ، في قالب الثنا على معاوية و الشام بلد الابدال ، فيما اختلقوه.
اخـرج ابـن الـجـوزي مـن طـريق عبد اللّه بن احمد بن حنبل ، قال : سالت ابي ما تقول في علي و مـعـاويـة ؟ فـاطرق ، ثم قال :ايش اقول فيهما، ان عليا(ع) كان كثير الاعدا، ففتش اعداؤه له عيبا فـلـم يـجـدوا، فـعـمـدوا الـى رجـل ـ يـريـد مـعـاوية ـ قد حاربه و قاتله فاطروه ، كيدا منهم لعلي (ع. ((76))
قـال ابـن حـجر : فاشار بهذا الى ما اختلقوه لمعاوية من الفضائل مما لا اصل له قال : و قد ورد في فضائل معاوية احاديث كثيرة ، ليس فيها ما يصح من طريق الاسناد و بذلك جزم اسحاق بن راهوية و النسائي و غيرهما((77)).
و من طريف الامر، ان البخاري في كتاب ((الفضائل)) نراه عنون الباب الذي خصه بمعاوية ، بقوله)) :بـاب ذكر معاوية))،و لم يجرا ان يعنونه بلفظة ((الفضائل)) كما في سائر الابواب ، و بالفعل لم يات فيه شيئا مذكورا((78)) , و هكذا ابن الجوزي((79)) و غيره و من ثم قال ابن حجر في الشرح : عبر البخاري في هذه الترجمة بقوله ((ذكر)) و لم يقل : ((فضيلة)) و لا ((منقبة ,((لـكـون ((الـفضيله)) لاتؤخذ من حديث الباب ((80)) , اي لاتستفاد فضيلة من الحديث الذي ذكره تحت هذه الترجمة ، و قد عرفت انه لم يصح فيه حديث.
و روى الـذهـبـي قـال : سئل النسائي ـ و هو بدمشق ـ عن فضائل معاوية ، فقال : الا يرضى راسا بـراس ، حتى يفضل فتوفى بها ((81)).
و هكذا استمر الحال بعد معاوية مادامت السلطة الاموية قائمة فهذا هشام بن عبد الملك نراه يفرض عـلـى اتـباعه و متملقيه من علما ذلك العصر ان يرووا ان الاية : (والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم ((82)) (نزلت في علي (ع) فاقروه على ذلك ((83)).
6ـ الـوضـع نـزولا مـع رغبة العامة ، و رغبة فيما بايديهم من حطام الدنيا و هذه مهنة القصاصين , يقصون على الناس القصص و الاساطير البائدة و يحدثونهم الغرائب و العجائب ، ليستدروا ما لديهم من نقود و اعانات و فضول طعام.
و قـد كـان وضـع الـحـديـث لارضـا الناس و ابتغا القبول عندهم ، و استمالتهم لحضور مجالسهم الوعظية ، و توسيع حلقاتهم ، امرا رائجا و لايزال.
قال القرطبي في مقدمة تفسيره : منهم (من الوضاع و الكذابين) قوم من السؤال و المكدين ، يقفون في الاسواق و المساجد، فيضعون على رسول اللّه (ص) احاديث باسانيد صحاح قد حفظوها، فيذكرون الموضوعات بتلك الاسانيد((84)).
قال ابن الجوزي : هناك قوم شق عليهم الحفظ، فضربوا نقد الوقت ، و ربما راوا ان الحفظ معروف , فاتوا بما يغرب ممايحصل مقصودهم ،

فهؤلا قسمان ، احدهما : القصاص ، و معظم البلا منهم يجري , لانـهـم يزيدون احاديث تثقف و ترقق ،و الصحاح يقل فيها هذا ثم ان الحفظ يشق عليهم و يتفق عدم الـديـن ، و مـن يحضرهم جهال ، فيقولون و لقد حكى لي فقيهان ثقتان عن بعض قصاص زماننا و كان يـظهر النسك و التخشع ، انه حكى لهما، قال : يوم عاشورا، قال رسول اللّه (ص) : من فعل اليوم كذا فله كذا، و من فعل كذا فله كذا، الى آخر المجلس فقالا له : و من اين حفظت هذه الاحاديث ؟ فقال : و اللّه ما حفظتها،و لااعرفها، بل في وقتي قلتها.
قـال : و لاجـرم كان القصاص شديدي النعير، ساقطي الجاه ، لايلتفت الناس اليهم ، فلا لهم دنيا و لا آخرة و قد صنف بعض قصاص زماننا كتابا فذكر فيه : ((ان الحسن و الحسين دخلا على عمر بن الخطاب و هو مشغول ، فلما فرغ من شغله رفع راسه فرآهما، فقام فقبلهما، و وهب لكل واحد منهما الـفا، و قال : اجعلاني في حل ، فما عرفت دخولكما، فرجعا و شكراه بين يدي ابيهما على (ع) فقال على : سمعت رسول اللّه (ص) يقول : عمر بن الخطاب نور في الاسلام و سراج لاهل الجنة فرجعا فحدثاه فدعا بدواة و قرطاس و كتب : بسم اللّه الرحمن الرحيم ، حدثني سيدا شباب اهل الجنة عن ابيهما المرتضى عن جدهماالمصطفى انه قال : عمر نور الاسلام في الدنيا و سراج اهل الجنة في الجنة و اوصى ان تجعل في كفنه على صدره ، فوضع فلمااصبحوا وجدوه على قبره ، و فيه : صدق الـحـسـن و الـحـسين و صدق ابوهما و صدق رسول اللّه (ص) : عمر نور الاسلام و سراج اهل الجنة.((
قـال ابن الجوزي : و العجب بهذا الذي بلغت به الوقاحة الى ان يضيف مثل هذا و ماكفاه حتى عرضه على كبار الفقها،فكتبوا عليه تصويب ذلك التصنيف فلا هو عرف ان مثل هذا محال و لا هم عرفوا و هـذا جـهـل متوفر، علم به انه من اجهل الجهال الذين ما شموا ريح النقل ، و لعله قد سمعه من بعض الطرقيين((85)) .
قال الامام احمد بن حنبل : اكذب الناس السؤال و القصاص.
و عن ابي قلابة : ما امات العلم الا القصاص.
و كان ابو عبد الرحمان يقول : اتقوا القصاص ((86)).
و كان الذي احدث القصص ـ في المساجد ـ هو معاوية بن ابي سفيان فقد اخرج الزبير بن بكار في اخـبـار المدينة عن نافع و غيره من اهل العلم ، قالوا : انما القصص محدث احدثه معاوية حين كانت الفتنة((87)) .
لـكـن سيوافيك في قصة الاسرائيليات ان القصص في المساجد، حدث في اواخر عهد عمر، حين اسـتـجازه تميم الداري فاجازه ان يقص قائما في مسجد المدينة((88)) و هكذا استمر على عهد عثمان ، حتى كان الامام امير المؤمنين (ع) هو الذي طردالقصاص من المساجد على عهده((89)) , الامر الذي قد اصر معاوية على تدوامه في المساجد، منذ ان اجازه عمر بن الخطاب.
و كـان الذي اشاع القص في المساجد هو كعب الاحبار، حيث انتهز الفرصة ايام الفتنة لبث مخاريقه بين المسلمين كيدابالاسلام ، و ذلك ان وجد من سياسة معاوية امكان اشاعة اساطيره بين الناس.
كـان كـعـب قـد تـوعـده عـمر بالنفي الى ارض القردة اذا هو روى اسرائيلياته او ما كان يلصقه بالنبي (ص) من احاديث خرافة (ستوافيك في حقل الاسرائيليات)فلم يجد كعب تلقا هذا التهديد مناصا مـن ان يـذعن في غيظ و موجدة ، ثم اخذ يسعى في الخفا

لكي يحقق اغراضه التي اسلم من اجلها قال ابـوريـة : و ما لبث ان اتيحت له فرصة المؤامرة التي دبرتها جمعية سرية لقتل عمر، فاشترك هو فيها، و نفخ في نارها.
فـلـمـا خـلا لـه الجو بقتله ، اطلق العنان لنفسه لكي يبث ما شا الكيد اليهودي ان يبث من الخرافات الاسـرائيـلـيـات الـتي تشوه بها الدين ، يعاونه في ذلك تلاميذه الكبار امثال : عبد اللّه بن عمرو بن العاص ، و عبد اللّه بن عمر بن الخطاب ، و ابي هريرة.
و قد درس هذا الكاهن اليهودي في ملامح معاوية تحقيق اهدافه و امكان رواج اسرائيلياته ، فلم يدع تلك الفرصة ،و اغتنمها منذ عهد عثمان.
ذلك انه لما اشتعلت نيران الفتنة في زمن عثمان و اشتد زفيرها، حتى التهمت عثمان فقتلته و هو ـ اي كـعـب الاحبار ـ في بيته ، لم يدع هذا الكاهن الماكر هذه الفرصة تمردون ان يبتهلها، بل اسرع يـنـفـخ في نارها، و يسهم بكيده اليهودي فيها ما استطاع الى ذلك سبيلا و قد كان من كيده في هذه الفتنة ان ارهص بيهوديته بان الخلافة بعد عثمان ستكون لمعاوية.
فقد روى وكيع عن الاعمش عن ابي صالح : ان الحادي كان يحدو بعثمان يقول:
ان الامير بعده على ـــ و في الزبير خلق رضي[((90))](#) .
فـقـال كـعب : بل هو صاحب البغلة الشهبا ـ يعني معاوية ـ و كان يراه يركب بغلة ، فبلغ ذلك معاوية فـاتاه ، فقال : يا اباإسحاق ما تقول هذا؟ و هاهنا على و الزبير و اصحاب محمد لعله اردف ذلك بقوله : اني وجدت ذلك في التوراة ـ كما هي عادته.
و قدر معاوية هذه اليد الجليلة لكعب ، و اخذ يغمره بافضاله.
و قـد عـرف مـن تـاريخ هذا الكاهن انه تحول الى الشام في عهد عثمان ، و عاش تحت كنف معاوية , فاستصفاه معاوية لنفسه و جعله من خلصائه ، لكي يروي من اكاذيبه و اسرائيلياته ما شا ان يروي في قصصه ، لتاييده ، و تثبيت قوائم دولته.
و قـد ذكـر ابـن حجر العسقلاني بان معاوية هو الذي امر كعبا بان يقص في الشام[((91))](#) و هو الذي بث احاديث تفضيل الشام و اهلها، سوا بنفسه او على يد تلامذته.

اقسام الوضاعين

قسم ابن الجوزي الرواة الذين وقع في حديثهم الموضوع و الكذب و المقلوب الى خمسة اقسام : القسم الاول : قوم غلب عليهم الزهد و التقشف ، فتغفلوا عن الحفظ و التمييزو منهم من ضاعت كتبه او احـتـرقـت او دفـنـهـا، ثم حدث من حفظه فغلط فهؤلا تارة يرفعون المرسل ، و تارة يسندون الموقوف ، و تارة يقلبون الاسناد، و تارة يدخلون حديثا في حديث.
و القسم الثاني : قوم لم يعانوا على النقل ، فكثر خطاؤهم و فحش ، على نحو ما جرى للقسم الاول.
و القسم الثالث : قوم ثقات لكنهم اختلطت عقولهم في آخر اعمارهم ، فخلطوا في الرواية.
و القسم الرابع : قوم متغفلون ، فمنهم من كان يلقن فيتلقن ، و منهم من يروي حديثا فيظن انه سمعه و لـم يـسمعه ، او يظن جواز اسناد ما لم يسمع و قد قيل لبعضهم : هذه الصحيفة سماعك ؟ فقال : لا، و لكن مات الذي رواها فرويتها مكانه و منهم من كان بعض اولاده يضع له الحديث ، فيدون و لايعلم.

و القسم الخامس : قوم تعمدوا الكذب ، و هؤلا على ثلاثة اصناف:
الصنف الاول : قوم رووا الخطا من غير ان يعلموا انه خطا فلماعرفوا وجه الصواب انفوا ان يرجعوا، فاصروا على خطائهم ،انفة ان ينسبوا الى غلط.
و الصنف الثاني : قوم رووا عن كذابين و عن ضعفا يعلمونهم ، لكنهم دلسوا في اسمائهم فالكذب من اولئك المجروحين ، و الخطا القبيح من هؤلا المدلسين.
و الصنف الثالث : قوم تعمدوا الكذب الصريح.
و هؤلا، منهم الزنادقة ، وضعوا الحديث قصدا الى افساد الشريعة ، و ايقاع الشك في قلوب العامة , والتلاعب بالدين ،امثال : ابن ابي العوجا وضع اربعة آلاف حديث و غيره ممن وضعوا كميات كبيرة , احلوا بها الحرام و حرموا بها الحلال.
و منهم ، اصحاب العصبية الجاهلة ، كانوا يضعون الحديث نصرة لمذهبهم ، و سول لهم الشيطان ان ذلك جائز.
و منهم ، اهل التصوف والتقشف ، وضعوا الحديث في الترغيب و الترهيب ، ليحثوا الناس ـ بزعمهم ـ على فعل الخيرو ترك الشر، و هذا تعاط على الشريعة ، و مضمون فعلهم ان الشريعة ناقصة تحتاج الى تتمة فقد اتموها.
و منهم ، قوم استجازوا وضع الاسانيد لكل كلام حسن ، فقد حدث محمد بن خالد عن ابيه قال : سمعت محمد بن سعيديقول : لا باس اذا كان الكلام حسنا ان تضع له اسنادا.
و منهم قوم وضعوا الحديث تزلفا الى سلطان او نيلا الى نوال ، كما وضع غياث بن ابراهيم حديث))لاسبق في جناح)) تزلفاالى المهدي ، و كان يحب الحمام.
و منهم من كان يضع الحديث جوابا لسائليه ليحظى منزلة رفيعة لديه.
و منهم من كان يضع الحديث لقدح او مدح في اناس لاغراض مختلفة ، كالاحاديث الموضوعة في قدح و مدح الشافعي و ابي حنيفة.
و منهم من كان يضع الغريب من الحديث ، استجلابا لانظار العامة ، كما كان يفعله القصاص ، و معظم البلا منهم يجري ،لانهم يزيدون احاديث تثقف و ترقق ، و الصحاح يقل فيها هذا لا جرم كان القصاص شديدي النعير ساقطي الجاه ، لا التفات اليهم ، ليست لهم دنيا و لا آخرة.
و من هؤلا القصاص شحاذون ، يضعون الحديث و يسندوه الى من شاؤوا، و لاسيما من كان معروفا لدى العامة بالجاه و القبول.
قال جعفر بن محمد الطيالسي : صلى احمد بن حنبل و يحيى بن معين في مسجد الرصافة فقام بين ايديهم قصاص ،فقال : حدثنا احمد بن حنبل و يحيى بن معين ,قالا : حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن انس ، قال : قال رسول اللّه (ص) : ((من قال : لا اله الا اللّه ، خلق اللّه كل كلمة منها طيرا منقاره من ذهب و ريشه من مرجان)) و اخذ في قصة نحوعشرين ورقة فجعل احمد ينظر الى يحيى ، و يحيى ينظر الى احمد، فقال له : انت حدثته بهذا؟ فقال :واللّه ماسمعت بهذا الا الساعة ، فلما فرغ من قصصه و اخذ القطيعات , ثم قعد ينتظر بقيتها، اشار اليه يحيى بيده ان تعال ، فجا متوهما النوال فقال له يحيى : من حدثك بهذا الحديث ؟ فقال : احمد بن حنبل و يحيى بن معين فقال : انا يحيى و هذا احمد، ماسمعنا بهذا قط في حديث رسول اللّه (ص) فان كان لابد و الكذب فعلى غيرنا فقال له : انت يحيى بن معين ؟ قال : نعم قال : لم ازل اسمع ان يحيى بن معين احمق ، ما تحققته الا الساعة قال له يحيى : كيف علمت اني احمق ؟ قال : كان ليس في الدنيا يحيى بن معين و احمد بن حنبل غيركما قد كتبت عن سبعة عشر احمد بن حنبل و يحيى بن معين فوضع احمد كمه على وجهه ، و قال :دعه يقوم فقام كالمستهزئ بهما((92)) .

اقطاب الوضاعين

قال الحافظ ابو عبد الرحمان النسائي ـ صاحب السنن ـ : الكذابون المعروفون بوضع الحديث على رسول اللّه (ص)اربعة :ابن ابي يحيى بالمدينة ، و الواقدي ببغداد، و مقاتل بن سليمان بخراسان ، و محمد بن سعيد بالشام ، يعرف بالمصلوب ((93)).

اما ابن ابي يحيى ، فهو : ابو اسحاق ابراهيم بن محمد بن ابي يحيى ، و اسمه سمعان الاسلمي المدني روى عن الزهري و يحيى بن سعيد الانصاري ، و روى عنه الثوري و الامام الشافعي رمي بالقدر و التشيع و الكذب قال ابن عدي : لم اجدلابراهيم حديثا منكرا الا عن شيوخ يحتملون و قد حدث عنه ابن جريج و الثوري و الكبار له كتاب صنفه في المسانيد اسماه ((الموطا)) اضعاف موطا مالك ، و احاديثه كثيرة ، رواه عنه الشافعي بمصر، و كان يكنى عنه و في مسند الشافعي عنه احاديث ،و كان يقول عنه : لان يخر ابراهيم من بعد، احب الى من ان يكذب ، و كان ثقة في الحديث و قال ابو احمد ابن عدي : سالت احمد بن محمد بن سعيد ـ يعني ابن عقدة ـ فقلت له : تعلم احدا احسن القول في ابراهيم غير الشافعي ؟ فقال : نعم ، حدثنااحمد بن يحيى الاودي ، قال : سمعت حمدان بن الاصبهاني , قلت : اتدين بحديث ابراهيم بن ابي يحيى ؟ قال : نعم ثم قال لي احمد بن محمد بن سعيد : نظرت في حديث ابراهيم كثيرا و ليس بمنكر الحديث قال ابن عدي : و هذا الذي قاله ، كماقال و قد نظرت انا ايضا في حديثه الكثير فلم اجد فيه منكرا الا عن شيوخ يحتملون ، و انما روي المنكر من قبل الرواي عنه او من قبل شيخه قال : و هو من جملة من يكتب حديثه.

نعم يقال : ان الرجل كان يقع في بعض السلف ، و من ثم اتهم و رمي بالاعتزال تارة ، و بالرفض و التشيع اخرى((94)) .

في حين ان الرجل مستقيم لاباس به ، و لامغمز فيه سوى جانب اخلاصه لاهل البيت و صحبته للائمة من ذرية الرسول (ص)، و قد عده الشيخ ابو جعفر الطوسي من رجال الامامين الباقر والصادق (ع) قال : ابراهيم بن محمد بن ابي يحيى ابو اسحاق مولى اسلم ، مدنى روى عن ابي جعفر و ابي عبداللّه (ع)، و كان خاصا بحديثنا، و العامة تضعفه لذلك .

ذكر يعقوب بن سفيان في تاريخه في اسباب تضعيفه عن بعض الناس ، انه سمعه ينال من الاولين و ذكر بعض ثقات العامة ان كتب الواقدي سائرها ـ اي جميعها ـ انما هي كتب ابراهيم بن محمد بن ابي يحيى ,نقلها الواقدي و ادعاها، و لم نعرف منهاشيئا منسوبا الى ابراهيم و له كتاب مبوب في الحلال و الحرام عن جعفر بن محمد(ع)، و للشيخ اليه طريق ((95)).

و الواقدي هو : محمد بن عمر بن واقد الاسلمي ، مولاهم الواقدي المديني القاضي ، صاحب التصانيف و المغازي ،العلامة الامام ابو عبد اللّه ، احد اوعية العلم على ضعفه سمع من صغار التابعين , فمن بعدهم بالحجاز و الشام و غير ذلك و قداتفقوا على تضعيفه غير جماعة ، فوثقوه كابراهيم الحربي ، قال : الواقدي امين الناس على اهل الاسلام ، كان اعلم الناس بامرالاسلام و قال ابراهيم بن جابر الفقيه : سمعت ابابكر الصاغاني ـ و ذكر الواقدي ـ فقال : و اللّه لولا انه عندي ثقة ماحدثت عنه ، قد حدث عنه ابوبكر بن ابي شيبة ، و ابو عبيد، و غيرهما و لابراهيم الحربي شهادة اخرى

قال : سمعت مصعب بن عبداللّه يقول : الواقدي ثقة مامون و سئل معن بن عيسى عن الواقدي , فقال : انا اسال عن الواقدي ؟ حديثه هاهنا فمستو، و اما حديث اهل المدينة ، فهم اعلم به و عن يزيد بن هارون :الواقدي ثقة الحربي قال : سمعت ابا عبد اللّه يقول : الواقدي ثقة.
و تجاه ذلك من ضعفوه : قال يحيى بن معين : اغرب الواقدي على رسول اللّه (ص) عشرين الف حديث و قال يونس بن عبد الاعلى : قال لي الشافعي : كتب الواقدي كذب و عن ابن معين : ليس الواقدي بشي و قال مرة : لايكتب حديثه و عن احمد بن حنبل : الواقدي كذاب.
قال الذهبي : و قد تقرر ان الواقدي ضعيف ، يحتاج اليه فى الغزوات و التاريخ ، اما في الفرائض فلاينبغي ان يذكر فهذه الكتب الستة و مسند احمد، نراهم يترخصون في اخراج احاديث اناس ضعفا، بل و متروكين ، و مع هذا لايخرجون للواقدي شيئا قال : مع ان وزنه عندي مع ضعفه انه يكتب حديثه و يروى ، لاني لااتهمه بالوضع ، و قول من اهدر فيه مجازفة من بعض الوجوه((96)) .
قلت : و هذا المنهج الذي انتهجه الذهبي هو الارجح في النظر، لان الرجل رجل التاريخ و السير و المغازي ، و ليس من رجال الفقه و الحديث و التفسيرو العمدة انه لم يكن ممن يضع و ان خلط الغث بالسمين و الخرز بالدر الثمين ، شان سائرارباب التاريخ و السير كابن جرير و ابن الاثير و ابي الفدا و غيرهم من اعلام التاريخ ولد سنة (١٣٠)، و مات سنة (٢١٧)ببغداد، و هو قاض بعسكر المهدي من قبل المامون.
و مقاتل بن سليمان بن بشير الخراساني المروزي اصله من بلخ و انتقل الى البصرة ، و دخل بغداد و حدث بها و كان مشهورا بتفسير كتاب اللّه ، و له تفسير معروف اخذ العلم عن مجاهد و عطا و الضحاك و غيرهم من كبار التابعين و كان من العلما الاجلا قال الامام الشافعي : الناس كلهم عيال على مقاتل بن سليمان في التفسير و كان تفسيره هذا موضع اعجاب العلما من اول يومه ، و قد اتهمه من لاخلاق له حسدا عليه قال ابراهيم الحربي و قد سئل ما بال الناس يطعنون عليه ؟ فقال :حسدا منهم له و له حديث عن الامام ابي عبداللّه الصادق (ع) يرفعه الى النبي (ص) يدل على رفيع منزلته لدى ائمة اهل البيت (ع) و قد عده الشيخ ابو جعفر الطوسي من اصحاب الباقر و الصادق (ع) و قد اتينا على ترجمته ـ و ان الرجل صالح لا مغمز فيه ـ عند الكلام عن الطرق الى ابن عباس ((97)) توف ي سنة (١٥٠).
و اما محمد بن سعيد المصلوب ، فهو من اهل دمشق ، اتهم بالزندقة فصلبه ابو جعفر و هو الذي وضع الحديث المروي من طريقه ، عن حميد عن انس مرفوعا : ((انا خاتم النبيين ، لا نبى بعدي ، الا ان يشا اللّه)) فقدوضع و افترى هذا الاستثنا، تاييدالمذهبه في الزندقة((98)) ثم اخذ يدعي النبوة ((99)) و كان يضع الحديث و يضع الاسانيد قال : لا باس اذا كان الكلام حسنا ان تضع له اسنادا و عن احمد بن حنبل قال : عمدا، كان يضع الحديث ((100)).
و قال ابن الجوزي : و الكذابون و الوضاعون خلق كثير، قد جمعت اسماهم في كتاب ((الضعفا و المتروكين)) و كان من كبار الكذابين : وهب بن وهب القاضي ، و محمد بن السائب الكلبي ، و محمد بن سعيد الشامي ، المصلوب ، و ابوداودالنخعي ، و اسحاق بن نجيح الملطي ، و غياث بن ابراهيم النخعي ، و المغيرة بن سعيد الكوفي ، و احمد بن عبد اللّه الجويباري ، و مامون بن احمد الهروي ، و محمد بن عكاشة الكرماني ، و محمد بن القاسم الكانكاني.
و روى باسناده عن ابي عبد اللّه محمد بن العباس الضبي ، قال : سمعت سهل بن السري يقول : قد وضع احمد بن عبداللّه الجويباري ، و محمد بن عكاشة الكرماني ، و محمد بن تميم الفارابي ، على رسول اللّه (ص) اكثر

من عشرة آلاف حديث ((101)).
و لـلعلامة الاميني فهرس باسما الكذابين ممن كان يكذب على رسول اللّه (ص) صريحا من غير ان يتورع اورده في كتابه القيم ((الغدير)) بعنوان ((سلسلة الكذابين و الوضاعين ((102)) ((ذكر فيها الاهم ممن كان يضع الحديث ، و نحن نقتطف منهانماذج:
ابـراهـيم بن الفضل الاصبهاني ابو منصور توفي سنة (٥٣٠) احد الحفاظ كذاب كان يقف في سوق اصـفـهـان و يروي من حفظه بسنده ، و كان يضع في الحال قال معمر : رايته في السوق و قد روى مناكير باسانيد الصحاح ، و كنت اتامله مفرطا اظن ان الشيطان تبدى على صورته.
ابراهيم بن هدبة البصري ، كذاب خبيث حدث بالاباطيل و وضع على انس كان رقاصا بالبصرة يدعى الى العرائس فيرقص لهم ، و كان يشرب المسكر بقى الى سنة (٢٠٠).(
احـمـد بـن الـحسن بن ابان البصري من كبار شيوخ الطبراني ، كان كذابا دجالا يضع الحديث على الثقات.
احمد بن داود، ابن اخت عبد الرزاق ، من اكذب الناس ، عامة احاديثه مناكير.
احمد بن عبد اللّه الشيباني ابو علي الجويباري ، كذاب ، يضع الحديث ، دجال قال البيهقي : اني اعرفه حـق الـمـعرفة بوضع الاحاديث على رسول اللّه (ص) فقد وضع عليه اكثر من الف حديث و سمعت الـحاكم يقول : هذا كذاب خبيث ، وضع كثيرا في فضائل الاعمال ، لاتحل رواية حديثه بوجه و قال ابن حبان : دجال من الدجاجلة ، روى عن الائمة الوف احاديث ، ماحدثوابشي منها.
احـمـد بـن عبد اللّه بن محمد ابوالحسن البكري ، كذاب دجال واضع القصص التي لم تكن قط، فما اجهله و اقل حياه قاله الذهبي في ((ميزان الاعتدال)).
احـمد بن محمد بن محمد ابوالفتح الغزالي الطوسـي الواعظ المفوه المتوفى سنة (٥٢٠)، اخو ابي حـامـد، كـان يضع ،و الغالب على كلامه التخليط و الاحاديث الموضوعة ، و كان يتعصب لابليس و يعذره.
احمد بن محمد بن الصلت ، وضاع ، لم يكن في الكذابين اقل حيا منه.
احمد بن محمد بن غالب الباهلي ابو عبد اللّه المتوفى سنة (٢٧٥)، غلام الخليل ، من كبار الزهاد ببغداد، كذاب وضاع ،و كان دجالا.
اسحاق بن بشر البخاري ابو حذيفة المتوفى سنة (٢٠٦)، قد اجمعوا على انه كذاب يضع الحديث.
اسحاق بن ناصح ، من اكذب الناس ، يحدث عن النبي عن ابن سيرين ، براي ابي حنيفة.
اسحاق بن نجيح الملطي الازدي ، دجال ، اكذب الناس ، عدو اللّه ، رجل سؤ، خبيث ، كان يضع الحديث .
اسحاق بن وهب الطهرمسي ، كذاب متروك ، كان يضع صراحا.
اسـماعيل بن علي بن المثنى الواعظ الاسترابادي المتوفى (٤٤٨)، كذاب ابن كذاب ، كان يقص و يكذب ، يركب المتون الموضوعة على الاسانيد الصحيحة.
بشير بن نمير البصري المتوفى (٢٣٨)، كان ركنا من اركان الكذب ، كذاب يضع الحديث.
الـحـسـن بـن علي الاهوازي ابو علي المتوفى سنة (٤٤٦)، كذاب في الحديث و القراة ، كان من اكذب الناس ، صنف كتابااتى بالموضوعات و الفضائح.
الـحـسـن بـن علي ابو علي النخعي المعروف بابي الاشنان قال ابن عدي : رايته ببغداد يكذب كذبا فاحشا و يحدث عن قوم لم يرهم ، و كان يلزق احاديث قوم تفردوا به ، على قوم ليس عندهم.

الـحـسـن بن علي بن زكريا ابو سعيد العدوي البصري ، شيخ قليل الحيا كذاب افاك ، يضع الحديث عـلى رسول اللّه (ص)و يسرق الحديث ، و يلزقه على قوم آخرين ، و يحدث عن قوم لايعرفون ، و عامة احاديثه الا القليل موضوعات ، يتيقن انه هو الذي وضعه كذاب على رسول اللّه (ص) يقول عليه ما لم يقله قال ابن حبان : لعله قد حدث عن الثقات بالاشيا الموضوعة ، ما يزيد على الف حديث.
الـحـسن بن عمارة بن المضرب ابو محمد الكوفي المتوفى سنة (١٥٣)، فقيه كبير كذاب ساق ط مـتـروك ، و كـان يضع الحديث قال شعبة : من اراد ان ينظر الى اكذب الناس فلينظر الى الحسن بن عمارة.
الحسين بن حميد بن ربيع الكوفي الخزاز المتوفى (٢٨٢)، كذاب ابن كذاب ابن كذاب.
الحسين بن محمد البزري المتوفى سنة (٤٢٣)، كذاب ، احد المشايخ الاربعة الكذابين ببغداد.
حماد بن عمر النصيبي قال يحيى بن معين : انه من المعروفين بالكذب و وضع الحديث.
داود بن المحبر ابو سليمان البصري نزيل بغداد، و المتوفى بها (٢٠٦)، كذاب وضاع على الثقات , صاحب مناكير، متروك الحديث.
ربـيـع بـن مـحـمود الماردیني المتوفى (٦٥٢)، دجال مفتر ادعى الصحبة و التعمير توفي سنة .(599)
زكـريـا بـن يحيى المصري ابو يحيى الوكار المتوفى (٢٥٤)، كذاب من الكذابين الكبار، و كان فقيها صاحب حلقة و من الصلحا و العباد و الفقها.
سـلـيمان بن داود البصري ابو ايوب المعروف بالشاذكوني المتوفى (٢٣٤)، احد الحفاظ، كذاب خبيث ، كان يضع الحديث في الوقت ، و كان يتعاطى المسكر و يتماجن.
سليمان بن عمرو ابو داود النخعي كان اكذب الناس على رسول اللّه (ص) معروف بوضع الحديث ، و كان رجلا صالحا في الظاهر، الا انه كان يضع الحديث وضعا قال الخطيب : كان ببغداد رجال يكذبون و يـضـعون ، منهم ابو داود النخعي و قال الحاكم : لست اشك في وضعه الحديث على تقشفه و كثرة عبادته.
صالح بن بشير ابو بشر المري البصري ، قاص كذاب ، متروك الحديث.
عامر بن صالح حفيد الزبير بن العوام ، كذاب خبيث ، عدو للّه.
عـبد اللّه بن الحارث الصنعاني ، شيخ دجال يضع الحديث وضعا، حدث عن عبد الرزاق بنسخة كلها موضوعة.
عبد اللّه بن عبد الرحمان الكلبي الاسامي ، من اكذب خلق اللّه ، روى بالاباطيل.
عبد اللّه بن علا ن بن رزين الخزاعي الواسطي ، كان كذابا، كثير الكذب و التزوير.
عبد المنعم بن ادريس اليماني المتوفى (٢٢٨)، قصاص كذاب خبيث ، يضع الحديث.
كثير بن عبد اللّه بن عمرو المزني المدني ، ركن من اركان الكذب.
مـحـمد بن شجاع ابو عبد اللّه الثلجي الحنفي المتوفى (٢٦٦)، فقيه العراق في وقته ، كان كذابا ,يضع الحديث في التشبيه احتال في ابطال الحديث عن رسول اللّه ، و رده نصرة لابي حنيفة و رايه.
مـحمد بن محمد بن عبد الرحمان ابوالفتح الخشاب ، كان يضرب به المثل في الكذب و التخيلات و وضعها، و كان منهمكا على الشرب قال فيه ابراهيم بن عثمان العربي:
اوصاه ان ينحت الاخشاب والده ـــ فلم يطقه و اضحى ينحت الكذبا.
نـوح بـن مريم ابو عصمة المروزي المتوفى (١٧٣)، شيخ كذاب ، كان يضع

الحديث وضع حديث فضائل القرآن الطويل.
هناد بن ابراهيم النسفي ، كذاب وضاع ، راوية للموضوعات و البلايا توفي سنة (٤٦٥.(
وهب بن وهب القاضي ابو البختري القرشي المدني ، اكذب الناس توفي سنة (٢٠٠)، كذاب خبيث , دجال عدو اللّه ، كان يضع الحديث وضعا و كان عامة الليل يضع الحديث قال فيه سويد بن عمرو بن الزبير:
انا وجدنا ابن وهب حدثنا ـــ عن النبي اضاع الدين و الورعا.
يروي احاديث من افك مجمعة ـــ اف لوهب و ما روى و ما جمعا.
الى آخر ابيات.
قال ابن عدي : ابو البختري من الكذابين الوضاعين ، و كان يجمع في كل حديث يرويه اسانيد من جسارته على الكذب ،و وضعه على الثقات.
يحيى بن هاشم الغساني السمسار ابو زكريا، كذاب ، دجال هذه الامة كان يضع الحديث و يسرقه.
ابو المغيرة شيخ ، من اكذب الناس و اخبثهم.
فهؤلا اربعون شيخا من كبار المحدثين الوضاعين ، المعروفين بالكذب و الاختلاق ، اخترناهم من سبعمائة شيخ كذاب ،اوردهم العلامة الاميني في ((الغدير)) و لعلك تستغرب هذا العدد الهائل من الكذابين على رسول اللّه (ص) حيث عدم المبالاة في الفرية في الدين و لكن لاغرابة فيمن سولت له نفسه و انساه الشيطان ذكر ربه فهؤلا ممن استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر اللّه (ان هؤلا متبر ما هم فيه و باطل ماكانوا يعملون ((103)) (صدق اللّه العلي العظيم.
و بعد، فهذا غيض من فيض ، احتمله سيل الكذابين ممن اجتراوا على اللّه و اجترحوا السيئات , فشوهوا وجه الحديث عن رسول اللّه (ص) و لقد صدق حيث قوله في خطبته في حجة الوداع)) : قد كثرت على الكذابة و ستكثر فمن كذب على متعمدافليتبوا مقعده من النار فاذا اتاكم الحديث فاعرضوه على كتاب اللّه و سنتي ، فما وافق كتاب اللّه و سنتي فخذوه ، و ما خالف كتاب اللّه و سنتي فلاتاخذوا به. ((104)) ((
فقد زالت الثقة بكتب الحديث من اهل الحشو، مع هذا الخضم من الموضوعات المدسوسة في الحديث و التفسير.

انحا الموضوعات

كانت الاكاذيب تتنوع حسب تنوع الاسباب الداعية للكذب و الاختلاق ، فهناك كذب سياسي و آخر تحمس مذهبي او تعصب جاهلي او تزلف لدى امير او رغبة في جاه او استمالة للعامة ، لغرض استدرار ما لديهم من نقود و قطيعات ، و مااشبه ذلك.
و قد تكفلت الكتب المخصصة لبيان الموضوعات كل هذه الجوانب ، و رتبتها في فصول و ابواب ، و نحن نورد من ذلك امثلة نموذجية:
فمما وضعته يد السياسة الغاشمة ، ما رواه داود بن عفان عن انس مرفوعا : ((الامنا سبعة : اللوح , والقلم ، و اسرافيل ،و ميكائيل ، و جبرائيل ، و محمد، و معاوية)) و داود هذا من الوضاعين قال الذهبي : روى عن انس بنسخة موضوعة و قال ابن حبان : كان يدور بخراسان و يضع على انس ((105)).
و ذكره ابن كثير في تاريخه (٨ :١٢٠) قال : هذا انكر من الاحاديث التي قبله ، و اضعف اسنادا.
و عن واثلة مرفوعا : ((ان اللّه ائتمن على وحيه جبريل و انا و معاوية و كاد ان يبعث معاوية نبيا من كثرة علمه و ائتمانه على كلام ربي يغفر اللّه لمعاوية ذنوبه ، و وقاه حسابه ، و علمه كتابه ، و جعله هاديا مهديا، و هدى به.((
قال الحاكم : سئل احمد بن عمر الدمشقي ـ و كان عالما بحديث الشام ـ عن هذا الحديث ، فانكره جدا اخرجه ابن عساكر في تاريخه (٧ :٣٢٢. ((106)) (

و مما وضع تزلفا لدى الامرا ما اخرجه الخطيب في تاريخه (١٣ :٤٥٢) قال : لما قدم الرشيد المدينة ، اعظم ان يرقى منبر النبي (ص) في قبا اسود و منطقة ، فقال ابو البختري : حدثني جعفر بن محمد الصادق عن ابيه قال : نزل جبريل على النبي (ص) و عليه قبا و منطقة ، مخنجرا فيها بخنجر، و في ذلك قال المعافي التيمي:

ويل و عول لابي البختري ـــ اذا ثوى للناس في المحشر.
من قوله الزور و اعلانه ـــ بالكذب في الناس على جعفر.
و اللّه ما جالسه ساعة ـــ للفقه في بدو و لا محضر.
و لارآه الناس في دهره ـــ يمر بين القبر و المنبر.
يا قاتل اللّه ابن وهب لقد ـــ اعلن بالزور و بالمنكر.
يزعم ان المصطفى احمدا ـــ اتاه جبريل التقي السري.
عليه خف و قبا اسود ـــ مخنجرا في الحقو بالخنجر((107)) .

مما وضع في الفضائل ما اخرجه الخطيب في تاريخه (٢ :٩٧) عن انس قال : لما نزلت سورة التين على رسول اللّه (ص)فرح لنا فرحا شديدا حتى بان لنا شدة فرحه ، فسالنا ابن عباس ـ بعد ذلك ـ عن تفسيرها، فقال : اما (التين)فبلاد الشام ، (و الزيتون) فبلاد فلسطين ، (و طور سينين) فطور سينا الذي كلم اللّه موسى ، (و هذا البلد الامين) فبلد مكة ،(لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم) محمد) ,ثم رددناه اسفل سافلين) عباد اللا ت و العزى ، (الا الذين امنوا و عملواالصالحات)ابوبكر و عمر، (فلهم اجر غير ممنون) عثمان ، (فما يكذبك بعد بالدين) على ، (اليس اللّه باحكم الحاكمين)بعثك فيهم و جمعكم على التقوى.

قال الخطيب : هذا الحديث بهذا الاسناد باطل ، لا اصل له يصح فيما نعلم و ذكر الذهبي في))الميزان)) (٣ : ٣٢) ان العلة فيه محمد بن بيان فقد رواه بقلة حيا من اللّه ، و هكذا ذكر ابن الجوزي في ((الموضوعات. ((108)) ((

و روى القرطبي في تفسيره مرسلا رفعه الى ابى بن كعب ، قال : قرات على رسول اللّه (ص) (والعصر) ثم قلت : ماتفسيرها يا نبي اللّه ؟ قال : (و العصر) قسم من اللّه اقسم ربكم بخر النهار) ,ان الانسان لفي خسر) ابو جهل ، (الا الذين امنوا) ابوبكر، (و عملوا الصالحات) عمر، (و تواصوا بالحق) عثمان ، (و تواصوا بالصبر) على ((109)).

و روى الصفوري في))نزهة المجالس)) قال : قال ابن عباس في قوله تعالى : (و نزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين : ((110)) (اذا كان يوم القيامة تنصب كراسي من ياقوت احمر، فيجلس ابوبكر على كرسى ، و عمر على كرسى ،و عثمان على كرسى ، و على على كرسى ، ثم يامر اللّه الكراسي فتطير بهم الى تحت العرش ، فتسبل عليهم خيمة من ياقوتة بيضا ثم يؤتى باربع كاسات ، فابوبكر يسقي عمر، و عمر يسقي عثمان ، و عثمان يسقي عليا، و على يسقي ابابكر، ثم يامر اللّه جهنم ان تتمخض باموا جها، فتقذف الروافض على ساحلها، فيكشف اللّه عن ابصارهم ، ينظرون الى منازل اصحاب رسول اللّه (ص) فيقولون : هؤلا الذين سعد الناس بمتابعتهم و شقينا نحن بمخالفتهم ، ثم يردون الى جهنم بحسرة و ندامة((111)) .

و ايضا في قوله تعالى : (و حملناه على ذات الواح و دسر تجري باعيننا ((112)) (قال : ان نوحا لما عمل السفينة جاه جبرئيل باربعة مسامير مكتوب على كل مسمار ((ع)) : عين عبداللّه ، و هو ابوبكر، و عين عمر، و عين عثمان ، و عين على ،فجرت السفينة ببركتهم((113)) .

اورد ابن الجوزي باسناده الى ابن عباس ، قال : لما نزلت (اذا جا نصر اللّه و الفتح) جا العباس الي على ، فقال له : قم بناالى رسول اللّه (ص)، فسالاه عن ذلك فقال : يا عم ، ان اللّه جعل ابابكر خليفتي عن دين اللّه و وحيه ، فاسمعوا له تفلحوا،و اطيعوا ترشدوا.

و في حديث آخر : فاطيعوه بعدي تهتدوا، واقتدوا به ترشدوا قال ابن عباس : ففعلوا فرشدوا.

قال ابن الجوزي : هذا حديث لايصح ، و مدار الطريقين على عمر بن ابراهيم ، و هو

الكردي قال : الدارقطني : كان كذابايضع الحديث.
قال : هكذا روى ابوبكر الجوزقي من حديث ابي سعيد عن عمر، قال : قال رسول اللّه (ص) : لما عرج بي الى السما،قلت : اللهم اجعل الخليفة من بعدي على بن ابي طالب ، فارتجت السماوات ، و هتف بي الملائكة من كل جانب : يا محمداقرا (و ما تشاؤون الا ان يشا اللّه ((114)) (قد شا اللّه ان يكون من بعدك ابابكر الصديق.
قال ابن الجوزي : هذا حديث موضوع ، وضعه يوسف بن جعفر، و كان يضع الحديث ((115)).
و مما وضع في المجون و الدجل ما رواه ابو صالح عمرو بن خليف الخناوي , باسناد وضعه عن ابن عباس ، قال : قال النبي (ص) : ادخلت الجنة فرايت فيها ذئبا، فقلت : ا ذئب في الجنة ؟ ابن شرطى قال ابن عباس : هذا و انمااكل ابنه ، فلو اكله رفع في عليين((116)) قال الاميني : ليت ابن عباس كان يفصح عن انه لو كان اكل مدير الشرطة اين كان يرفع ؟((117)) و قد عد ذلك من خزايات الخناوي.
و روى محمد بن مزيد باسناده عن ابي منظور ـ و كانت له صحبة ـ قال : لما فتح اللّه على نبيه خيبر اصابه من سهمه اربعة ازواج نعال ، و اربعة خفاف ، و عشرة اواق ذهب و فضة ، و حمار اسود قال : فكلم النبي (ص) الحمار، فقال له : ما اسمك ؟قال : يزيد بن شهاب ، اخرج من نسل جدي ستون حمارا كلهم لم يركبه الا نبي ، و لم يبق من نسل جدي غيري و لا من الانبياغيرك ، اتوقعك ان تركبني ، و قد كنت لرجل من اليهود كنت اعثر به عمدا فقال النبي (ص) : قد سميتك يعفورا، يا يعفور،اتشتهي الاناث ؟ قال : لا و كان النبي يركبه في حاجة ، فاذا نزل بعث به الى باب الرجل , فياتي الباب فيقرعه براسه ، فاذا خرج اليه صاحب الدار اوما اليه ان اجب رسول اللّه (ص)، فلما قبض رسول اللّه (ص) جا الى بئر كانت لابي الهيثم ابن التيهان فتردى فيها فصارت قبرا له ، جزعا منه على رسول اللّه (ص.(
قال ابن الجوزي : هذا حديث موضوع ، فلعن اللّه واضعه ، فانه لم يقصد الا القدح في الاسلام و الاستهزا به قال ابو حاتم ابن حبان : لااصل لهذا الحديث ، و اسناده ليس بشي ، و لايجوز الاحتجاج بمحمد بن مزيد((118)) .
و مما وضع شينا على مقام النبوة ، حديث القضيب الممشوق:
روى ابو جعفر الصدوق في اماليه باسناد فيه ضعف ، رفعه الى ابن عباس ، قال : لما مرض رسول اللّه (ص) قال لبلال : هلم ،على بالناس فاجتمع الناس ، فخرج رسول اللّه (ص) متعصبا بعمامته , متوكيا على قوسه حتى صعد المنبر، فحمد اللّه و اثنى عليه ، ثم قال : ((معاشر اصحابي ، اى نبى كنت لكم ، الم اجاهد بين اظهركم ، الم تكسر رباعيتي ، الم يعفر جبيني ، الم تسل الدماعلى حر وجهي حتى كنفت لحيتي ، الم اكابد الشدة و الجهد مع جهال قومي ، الم اربط حجر المجاعة على بطني ؟.
قالوا : بلى يا رسول اللّه ، لقد كنت للّه صابرا و على منكر بلا اللّه ناهيا، فجزاك اللّه عنا افضل الجزا قال : و انتم فجزاكم اللّه ثم قال : ان ربي حكم ، و اقسم ان لايجوزه ظلم ظالم ، فناشدتكم باللّه ، اى رجل منكم كانت له قبل محمد مظلمة الا قام فليقتص منه فالقصاص في دار الدنيا احب الى من القصاص في دار الاخرة على رؤوس الملائكة و الانبيا فقام اليه رجل من اقصى القوم ، يقال له : سوادة بن قيس فقال له : فداك ابي و امي يا رسول اللّه (ص) انك لما اقبلت من الطائف استقبلتك و انت على ناقتك العضبا، و بيدك القضيب الممشوق ، فرفعت القضيب و انت تريد الراحلة فاصاب بطني ، فلاادري عمدا او خطا؟فقال النبي (ص) : معاذ اللّه ان اكون تعمدت.
ثم قال : يا بلال ، قم الى منزل فاطمة فائتني بالقضيب الممشوق فخرج بلال ، و هو ينادي في سكك المدينة ، معاشر الناس ،من ذا الذي يعطي القصاص من نفسه قبل يوم القيامة ، فهذا محمد(ص) يعطي القصاص من نفسه قبل يوم القيامة و طرق بلال الباب على فاطمة (س) و هو يقول : يا فاطمة قومي فوالدك يريد القضيب الممشوق فاقبلت فاطمة و هي تقول : يا بلال ، و مايصنع والدي بالقضيب ، و ليس هذا يوم القضيب اهل الدين و الدنيا، فصاحت فاطمة و قالت : وا غماه لغمك يا ابتاه ، من للفقرا و المساكين و ابن السبيل يا حبيب اللّه و حبيب القلوب ثم ناولت بلالا القضيب ،

فخرج حتى ناوله رسول اللّه (ص.(
فـقـال رسول اللّه (ص) : اين الشيخ ؟ فقال الشيخ : ها اناذا يا رسول اللّه (ص) بابي انت و امي فقال : تعال ، فاقتص مني حتى ترضى فقال الشيخ : فاكشف لي عن بطنك يا رسول اللّه ، فكشف عن بطنه فقال الـشـيخ : بابي انت و امي يا رسول اللّه (ص)اتاذن لي ان اضع فمي على بطنك ؟ فاذن له ، فقال : اعوذ بموضع القصاص من بطن رسول اللّه من النار يوم النار.
فقال رسول اللّه (ص) : يا سوادة بن قيس ، ا تعفو ام تقتص ؟ فقال : بل اعفو، يا رسول اللّه (ص) فقال : اللهم اعف عن سوادة بن قيس كما عفى عن نبيك محمد ((119)).
و رواه ابن شهر آشوب في كتاب ((المناقب)) مرسلا((120)) .
و رجـال اسـناد الصدوق في هذا الحديث اكثرهم مجاهيل او ضعاف ، فضلا عن عدم استقامة المتن عـلـى اصول المذهب ،اذ لايشرع القصاص في غير العمد، كما لاقصاص في الضرب بالعصا و لعل واضـع هذا الحديث غفل عن مباني شريعة القصاص في الاسلام ، او لعله اراد الحط من سيد الانبيا ,في حادثة وضعها على خلاف الشريعة.
هـذا، و سوادة بن قيس ، مجهول في زمرة اصحاب رسول اللّه ، لم يات له ذكر في التراجم نعم ذكر ابن حجر مايقارب هذه القصة بشان سوادة بن غزية الانصاري تارة ، و بشان سواد بن عمرو اخرى , و ذكـر القصة في يوم بدر كان (ص) يعدل الصفوف و في يده قدح (هو السهم قبل ان يراش) فمر بـسـواد بن غزية فطعن في بطنه ، فقال : اوجعتني فاقدني ، فكشف عن بطنه ،فاعتنقه و قبل بطنه , فـدعـا لـه بخير قال ابو عمر : رويت هذه القصة لسواد بن عمرو قال ابن حجر : لايمتنع التعدد ,لاسـيـما مع اختلاف السبب روى عبدالرزاق عن ابن جريج عن الامام جعفر بن محمد عن ابيه : ان النبي (ص) كان يتخطى بعرجون فاصاب به سواد بن غزية ، فذكر القصة ، و عن معمر عن رجل عن الـحـسـن نحوه لكن قال : فاصاب به سوادة بن عمرو، و كان يصيب من الخلوف فنهاه النبى (ص)، و فيها : فلقيه ذات يوم و معه جريدة فطعنه في بطنه ، فقال : اقدني يا رسول اللّه ؟ فكشف عن بطنه فقال له : اقتص فالقى الجريدة و طفق يقبله قال الحسن : حجزه الاسلام((121)) .
و القصة ـ كما رواه ابو جعفر الصدوق ـ رواها ابن الجوزي باسناده الى ابي نعيم الاصبهاني ، اسنده الـى وهـب بـن مـنبه عن جابر بن عبد اللّه و ابن عباس و ذكر القصة بطولها لكن جا بدل سوادة بن قيس ، رجل يقال له : ((عكاشة)) و القصة اطول مما ذكره الصدوق ، و على الغرائب اشمل.
قـال ابـن الـجـوزي بعد سردها بكمالها : هذا حديث موضوع ، كافا اللّه من وضعه و قبح من يشين الشريعة بمثل هذا التخليطالبارد، و الكلام الذي لايليق بالرسول (ص) و لا بالصحابة ، و المتهم به :عـبـدالـمـنـعـم بـن ادريـس قـال احـمـد بن حنبل : كان يكذب على وهب و قال يحيى : كذاب خبيث ((122)).
و هكذا ذكر جلال الدين السيوطي القصة في الموضوعات ((123)).

3ـ الاسرائيليات

اسـرائيليات : جمع اسرائيلية ، و هي قصة او اسطورة تروى عن مصدر اسرائيلي ، سوا اكان عن كتاب او شخص ، تنتهي اليه سلسلة اسناد القصة.
والـنسبة فيها الى اسرائيل ، و هو لقب يعقوب النبي (ع)، و اليه تنسب اليهود، فيقال : بنواسرائيل , سوا اكانوا منسوبين اليه بالنسب ، او بالايمان فكل من آمن باليهودية فهو اسرائيلى ، سوا اكان منتسبا الى احد الاسباط ام لم يكن((124)) .
والـلفظة عبرية تعطي معنى : الغلبة على اللّه ، حيث القصة الاسطورية في مصارعة يعقوب مع اللّه ليلة كاملة ، و غلبته عليه عند الصباح((125)) .
و ((اسـرا)) بـمـعـنـى الـغـلبة ، و ((ئيل)) بمعنى القدرة الكاملة ، لقب الاله ، و تلقب به الاصنام ايضا((126)) فمعنى ((اسرائيل)) : الغالب على القدرة الكاملة ، و هو اللّه تعالى ـ في زعمهم ـ، و قد اصبح لقب يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم ، لانه صارع مع

اللّه و غلب عليه.
و لفظ ((اسرائيليات)) و ان كان بظاهره يدل على القصص الذي يروى اصلا عن مصادر يهودية , يستعمله علما التفسيرو الحديث ، و يطلقونه على ما هو اوسع و اشمل من القصص اليهودية فهو في اصطلاحهم يدل على كل ما تطرق الى التفسيرو الحديث و التاريخ من اساطير قديمة ، منسوبة في اصل رواياتها الى مصدر يهودي او نصراني او غيرهما، بل توسع بعض المفسرين و المحدثين فعدوا من الاسرائيليات ما دسه اعدا الاسلام من اليهود و غيرهم على التفسير و الحديث ، من اخبار لااصل لها حتى في مصدر قديم و انما هي من صنع اعدا الاسلام ، صنعوها بخبث نية و سؤ طوية ، ثم دسوها على التفسيرو الحديث ليفسدوا بها عقائد المسلمين.
و انما اطلق لفظ الاسرائيليات على كل ذلك ، من باب التغليب للون اليهودي على غيره ، لان غالب ما يروى من هذه الخرافات و الاباطيل ، يرجع في اصله الى مصدر يهودي ، و لانهم الفئة التي كانت العرب الاوائل و كذا المسلمون في العهدالاول يرجعون اليها في الاغلب الاكثر و اليهود قوم بهت , و هم اشد الناس عداوة و بغضا للاسلام و المسلمين ، كما قال سبحانه : (لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود و الذين اشركوا ((127)) (و اليهود كانوا اكثر اهل الكتاب صلة بالمسلمين و ثقافتهم كانت اوسع من ثقافات غيرهم ، و حيلهم التي يصلون بها الى تشويه جمال الاسلام كانت ماكرة خادعة ،و كان لهم نصيب كبير في هذا الهشيم المركوم من الاسرائيليات الدخيلة فمن اجل هذا كله ، غلب اللون اليهودي على غيره من الوان الدخيل على التفسير و الحديث ، و اطلق عليه كله لفظ ((الاسرائيليات.((

الاسرائيليات في التفسير و الحديث

كانت العرب منذ اول يومها تزعم من اهل الكتاب ، و لاسيما اليهود القاطنين بين اظهرهم ، اهل دين و ثقافة و معرفة بشؤون الحياة ، و من ثم كانوا يراجعونهم فيما تتوق اليه نفوسهم في معرفة شؤون الخليقة و تواريخ الامم السالفة و الانبيا و ماالى ذلك و هكذا بعد ظهور الاسلام كانوا يفضلون مراجعة اهل الكتاب في معرفة شؤون الاسلام و الدعوة.
و لاسيما و قد حدا بهم القرآن الى مسائلة اهل الذكر و الكتاب قال تعالى مخاطبا لهم : (فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسال الذين يقراون الكتاب من قبلك لقد جاك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ((128)) (و هذا من باب (و ما لي لا اعبد الذى فطرني و اليه ترجعون. ((129)) (
المخاطب ، و ان كان هو النبي (ص) لكن المقصود غيره ممن شك في رسالته ، فليراجعوا اهل الكتاب في معرفة سمات نبي الاسلام و هذا كان في ابان الدعوة ، حيث كان يرجى الصدق من اهل الكتاب.
و هكذا قوله تعالى : (و ما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون. ((130)) (
و قوله : (و ما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات و الزبر. ((131)) (
و قوله : (و لقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسال بني اسرائيل اذ جهم. ((132)) (الى غيرها من آيات ، تخاطب المشركين ، فيما لو ارتابوا في صحة ما جا به القرآن ، ان يراجعوا اهل الكتاب.
و قد حسب بعض المسلمين الاوائل ، ان ذلك تجويز لهم ايضا في مراجعة اليهود، فيسالوهم عن بعض شؤون الشريعة ،و لاسيما في اصول معارفها و شؤون الخليقة و تاريخ الانبيا.
لكن الامر لم يستمر على ذلك حتى جا النهي الصريح عن مراجعة اهل الكتاب ، و ذلك بعد ان عرف منهم الخبث و اللؤم في تضليل المسلمين ، و تشويه سمعة الاسلام ، و تضعيف العقائد.
قال تعالى : (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يالونكم خبالاودوا ما عنتم

قد بدت البغض من افواههم و ما تخفي صدورهم اكبر قد بينا لكم الا يات ان كنتم تعقلون. ((133)) (
)البطانة) : ما يستبطنه الانسان من ثيابه التي تلي جسده ، اي لاتتخذوا اصحاب سر من غيركم.
)لايالونكم خبالا)، اي لايقصرون في افساد ذهنياتكم عن الاسلام ، و منه الخبل : فساد العقل و رجل مخبل : فاسدالراي.
)ودوا ما عنتم)، اي كانت غاية جهدهم ايقاع العنت بكم و العنت : المشقة الروحية ، و القلق الفكري .
و من ثم اصدر النبى (ص) نهيه الصريح عن مراجعة اهل الكتاب ، بما انهم لايخلصون النصيحة للمسلمين ، و لايابهون ان حقا قالوا او باطلا، مادامت الغاية هي ايقاع الفساد و العنت بين المؤمنين.
فقد اخرج احمد في مسنده و كذا ابن ابي شيبة و البزار من حديث مجالد عن الشعبي عن جابربن عبداللّه الانصاري ، قال:
ان عمربن الخطاب اتى النبي (ص) بكتاب اصابه من بعض اهل الكتاب ، فقراه عليه (و في نسخة احمد : فقراه النبي)فغضب ، فقال : امتهوكون فيها يا ابن الخطاب ؟ بيضا نقية لاتسالوهم عن شي فيخبروكم بحق فتكذبوا به ، او بباطل فتصدقوا به والذي نفسي بيده لو ان موسى (ع) كان حيا ما وسعه الا ان يتبعني((134)) .
المتهوك : الذي خاس عقله ، فيرد في الامور من غير روية و لا تعقل ، كالمتهور غير المبالي.
و هذا اللحن من الخطاب غاية في الاستنكار على صنيع قبيح لايليق بشان انسان عاقل متدبر بصير فقد وبخ (ص) عمر في صنيعه هذا، و انه راجع اليهود في بعض مسائله ، و هذا الاسلام ناصع جلى بين يديه يجيب على جميع مسائل الانسان في الحياة ، لا ابهام فيه و لا قصور.
فقد ابان (ص) ان نبي اللّه موسى (ع) لو ادرك هذا الزمان ، لكان الواجب نبذ ما لديه ، و الاخذ بما جا به نبي الاسلام ، فكيف بالمسلمين يراجعون اليهود في مخاريق قديمة العهد، لا وزن لها و لا اعتبار ,و انها مزيج اباطيل قد يوجد في طيها بعض الحقيقة ، مما لايمكن الوثوق من صحتها، مادامت ضائعة بين الاباطيل.
و قد عقد البخاري في صحيحه بابا عنونه بقول النبي (ص) : ((لاتسالوا اهل الكتاب عن شي ((135)) ((و ذكر فيه حديث معاوية عن كعب الاحبار : ان كان من اصدق هؤلا المحدثين الذين يحدثون عن اهل الكتاب ، و ان كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب.
قوله : ((نبلو عليه الكذب))، اي نختبره فنجد في اخباره كذبا هذا الحديث قاله معاوية عندما حج في خلافته((136)) .
و روى باسناده عن ابي هريرة ، قال : كان اهل الكتاب يقراون التوراة بالعبرانية و يفسرونها بالعربية لاهل الاسلام ، فقال رسول اللّه (ص) : ((لاتصدقوا اهل الكتاب و لاتكذبوهم ، و قولوا آمنا باللّه و ما انزل الينا و ما انزل اليكم. ((137)) ((
اقول : ويل تلك الفئة من المنتحلين بالاسلام ، يتركون القرآن العربى الفصيح ، و يستمعون الى سفاسف عبرية يفسرهاذوو الاحقاد من اهل الكتاب.
و هذا كان في اخريات حياة النبي (ص) حيث كان ابوهريرة((138)) ممن يستمع الى مثل تلك السفاسف ، فجا النهي ،و الامر بالاقتناع بما جا به القرآن.
و روى حديث ابن عباس في الاستنكار لمراجعة بعض المسلمين لاهل الكتاب ، و سنذكره.
هذا، و مع ذلك كان من المسلمين من لم ينته عن مراجعة اهل الكتاب او النظر في كتبهم و رسائلهم , بغية الحصول على مطالب كان يزعم افتقادها في احاديث المسلمين.
و قد راجت هذه العادة الجاهلية ـ التي كانت تضعف حينا و تقوى حينا آخر ـ بعد وفاة النبي (ص (حيث انسد على كثير من الناس باب علم اللّه المتمثل في شخصية الرسول (ص) متغافلين عن خلفائه العلما ابواب علومه الفياضة ، و لاسيما باب علم

النبى علي اميرالمؤمنين (ع) و من كان على حذوه كابن عباس و ابن مسعود و اضرابهما، فتركوا السبيل السوى و لجاوا الى معوج الطريق.
هذا ابن عباس يناديهم فيقول:
))كيف تسالون اهل الكتاب عن شي ، و كتابكم الذي انزل على رسول اللّه احدث ((139)) , تقراونه محضا لم يشب ((140)) و قدحدثكم ان اهل الكتاب بدلوا كتاب اللّه و غيروه و كتبوا بايديهم الكتاب ، و قالوا : هو من عنداللّه ليشتروا به ثمنا قليلاالا ينهاكم ما جاكم من العلم عن مسالتهم لاواللّه ما راينا منهم رجلا قط يسالكم عن الذي انزل عليكم. ((141)) ((
و كان من الاثار السيئة التي خلفتها مراجعة اهل الكتاب رغم نهي النبي عنها ان خلطت الاكاذيب الاسرائيلية بالتفسيرو الحديث الوارد عن النبي و الخيار من صحابته الاجلا ، فشوهت وجه التفسير، فضلا عن التاريخ و الحديث و سوف نذكرنماذج من هذا التشويه ، و لاسيما في التفسير بالماثور.
قال ابن خلدون :

و صار التفسير على صنفين : تفسير نقلي مسند الى الاثار المنقولة عن السلف ، و هي معرفة الناسخ و المنسوخ و اسباب النزول و مقاصد الاي ، و كل ذلك لايعرف الا بالنقل عن الصحابة و التابعين ، و قد جمع المتقدمون في ذلك و اروعوا، الا ان كتبهم و منقولاتهم تشتمل على الغث و السمين و المقبول و المردود و السبب في ذلك : ان العرب لم يكونوا اهل كتاب و لاعلم ، و انما غلبت عليهم البداوة و الاميه ، و اذا تشوقوا الى معرفة شي مما تتشوق اليه النفوس البشرية ، في اسباب المكونات و بد الخليقة و اسرار الوجود، فانما يسالون عنه اهل الكتاب قبلهم ، و يستفيدونه منهم ، و هم اهل التوراة من اليهود، و من تبع دينهم من النصارى و اهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم ، و لايعرفون من ذلك الا ما تعرفه العامة من اهل الكتاب ، و معظمهم من حمير الذين اخذوا بدين اليهودية ، فلما اسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لاتعلق له بالاحكام الشرعية التي يحتاطون لها، مثل اخبار بد الخليقة و ما يرجع الى الحدثان و الملاحم و امثال ذلك و هؤلا مثل كعب الاحبارو وهب بن منبه و عبداللّه بن سلام و امثالهم ، فامتلات التفاسير من المنقولات عندهم في امثال هذه الاغراض اخبار موقوفة عليهم و تساهل المفسرون في مثل ذلك ، و ملاوا كتب التفسير بهذه المنقولات ، و اصلها ـ كما قلنا ـ عن اهل التوراة الذين يسكنون البادية و لا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك ، الا انهم بعد صيتهم و عظمت اقدارهم ، لماكانوا عليه من المقامات في الدين و الملة , فتلقيت بالقبول من يومئذ((142)).

هل تجوز مراجعة اهل الكتاب ؟

و هل هناك ما يبرر مراجعة اهل الكتاب ؟. زعم الكثير من الكتاب المتاخرين ـ تبريرا لمواقف لفيف من الصحابة الذين صمدوا على الرجوع اليهم ، و لاسيما مسلمة اهل الكتاب ـ ان هناك دلائل على الجواز، اما في زمن متاخر عن المنع الذي كان في ابتدا الامر، او في شؤون لاتمس احكام الشريعة في مثل القصص و التواريخ ، او فيما لم تمس ه يد التحريف و قد توافق مع ما جا به القرآن الكريم ، او نحو ذلك.
هذا ابن تيميه يذكر عن السدى الكبير (هو ابومحمد اسماعيل بن عبدالرحمان الكوفي توفي سنة (127انه كان في بعض الاحيان ينقل ما يحكى من اقاويل اهل الكتاب ،

التي اباحها ـ فيما زعم ـ رسـول اللّه (ص) حيث قال : بلغوا عني و لو آية ،و حدثوا عن بني اسرائيل و لا حرج ، و من كذب على متعمدا فليتبوا مقعده من النار((143)) , رواه البخاري عن عبداللّه بن عمرو بن العاص و لهذا كان عبداللّه بن عمرو قد اصاب يوم اليرموك زاملتين((144)) من كتب اهل الكتاب ، فكان يحدث منهما،بما فهمه من هذا الحديث من الاذن في ذلك ((145)).
قال : و لكن هذه الاحاديث الاسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد، فانها على ثلاثة اقسام:
احدها : ما علمنا صحته مما بايدينا مما يشهد له بالصدق.
و الثاني : ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.
و الثالث : ما هو مسكوت عنه ، لا من هذا القبيل و لا من هذا القبيل ، فلانؤمن به و لانكذبه ، و تجوز حكايته ، لما تقدم((146)) و غالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود الى امر ديني و لهذا اختلف علما اهل الكتاب في مثل هذا كثيرا، في مثل اسما اهل الكهف و اسما الطيور التي احياها اللّه لابراهيم ، مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دنياهم و دينهم و لكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز((147)) .
و يستدل الذهبي لجواز مراجعة اهل الكتاب و النقل عنهم فيما لايخالف الشريعة بيات ، زعم دلالتها على اباحة الرجوع اليهم ، قال:
و اذا نحن نظرنا في القرآن الكريم ، وجدنا من آياته البينات ما يدعو نبي الاسلام و جماعة المسلمين الى ان يرجعوا الى علما اهل الكتاب من اليهود و النصارى ليسالوهم عن بعض الحقائق التي جات في كتبهم ، و جا بها الاسلام فانكروها،او اغفلوها، ليقيم عليهم الحجة ، و لعلهم يهتدون.
و من هذه الايات الدالة على اباحة رجوع النبي (ص) و من تبع دينه من المسلمين الى اهل الكتاب قوله تعالى : (فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسال الذين يقراون الكتاب من قبلك لقد جك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين, ((148)) (و قوله : (فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون , ((149)) (و قوله : (و اسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا ((150)) (قال :و معناه : و اسال اممهم و علما دينهم قال الفرا مبينا وجه المجاز في الاية : هم انما يخبرونه عن كتب الرسل , فاذا سالهم فكانه سال الانبيا(ع)، و قوله : (و اسالهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر)، و قوله :)فاسال بني اسرآئيل)، و قوله :(سل بني اسرآئيل كم آتيناهم من آية بينة ((151)) (.
قال : كل ما تقدم من امر اللّه لنبيه (ص) بسؤال اهل الكتاب ، يدل على جواز الرجوع اليهم ، و لكن لا في كل شي ، بل فيمالم تصل له يد التحريف و التبديل من الحقائق التي تصدق القرآن و تلزم المعاندين منهم و من غيرهم الحجة((152)) .
قال : و على هذا فما جا موافقا لما في شرعنا تجوز روايته ، و عليه تحمل الايات الدالة على اباحة الرجوع الى اهل الكتاب ، و عليه ايضا يحمل قوله (ص) : ((حدثوا عن بني اسرائيل و لا حرج ,((اذ المعنى : حدثوا عنهم بما تعلمون صدقه.
و اما ما جا مخالفا لما في شرعنا او كان لايصدقه العقل ، فلاتجوز روايته ، لان حديث الاباحة لايتناول ما كان كذبا و اما ماسكت عنه شرعنا، و لم يكن ما يشهد لصدقه و لا لكذبه و كان محتملا ,فحكمه ان نتوقف في قبوله فلانصدقه و لانكذبه ،و على هذا يحمل قول النبي (ص) : ((لاتصدقوا اهل الكتاب و لاتكذبوهم)) اما روايته فجائز على انها مجرد حكاية لما عندهم ،لانها تدخل في عموم الاباحة المفهومة ، من قوله (ص) : ((حدثوا عن بني اسرائيل و لا حرج. ((153)) ((
و اضاف قائلا : ما ثبت من ان بعض الصحابة كابي هريرة و ابن عباس ، كانوا يراجعون بعض من اسلم من اهل الكتاب ،يسالونهم عما في كتبهم ، و ما روي من ان عبداللّه بن عمرو بن العاص اصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب اهل الكتاب فكان يحد ث منهما، لايعارض ما رواه البخاري من انكار ابن عباس على من يسال اهل الكتاب.
و لا ما رواه عبدالرزاق في مسنده عن ابن مسعود من نهيه عن سؤال اهل الكتاب بقوله : ((لاتسالوا اهل الكتاب ، فانهم لن يهدوكم و قد اضلوا انفسهم.((
و لا ما رواه احمد من انكار الرسول (ص) على عمر لما اتاه بكتاب اصابه من بعض

اهل الكتاب بقوله : ((امتهوكون فيها ياابن الخطاب.((
قال : ((نعم لا تعارض بين هذا و ذاك ، لان صحابة الرسول (ص) كانوا اعرف الناس بامور دينهم ، و كان لهم منهج سديدو معيار دقيق في قبول ما يلقى اليهم من الاسرائيليات ، ما كانوا يرجعون اليهم في كل شي ، و انما كانوا يرجعون اليهم لمعرفة بعض جزئيات الحوادث و الاخبار.
قال : اما انكار الرسول (ص) و انكار الصحابة على من كان يرجع اليهم ، فقد كان في مبدا الاسلام و قبل استقرار الاحكام ،مخافة التشويش على عقائدهم و افكارهم ((154)).
قال ابن حجر : ((و كان النهي وقع قبل استقرار الاحكام الاسلامية و القواعد الدينية خشية الفتنة ثم لما زال المحذور وقع الاذن في ذلك ، لما في سماع الاخبار التي كانت في زمانهم من الاعتبار. ((155)) ((

مناقشة دلائل الجواز

غير ان هذه الدلائل غير وافية باثبات المطلوب ، و لا هي تبرر مراجعة اهل الكتاب في شي من تفسير القرآن الحكيم او تاريخ الانبيا(ع.(
ذلك لان اليهود الذين جاوروا العرب كانوا اهل بادية مثلهم ـ كما قال ابن خلدون ـ لا علم لهم و لا تحقيق بمعرفة الصحيح من الاخبار، سوى ما شاع لديهم من اخبار عامية مما لايمكن الوثوق بها اما علماؤهم فكانوا اهل دجل و تزوير، كانوا يكتبون الكتاب بايديهم ـ كما حكى عنهم القرآن ـ و يزورون الحديث و يقولون : هذا من عندالله ، و ما هو من عندالله ، ليشتروا به ثمناقليلا، بغية حطام الدنيا الرذيلة.
و من ثم كان المنع من ذلك شديدا كما عرفت في مناهي النبي و اصحابه الكبار عن ذلك ، و لم يدل على جوازه شي من الاخبار و الاثار.
اما الايات التي زعموها مبيحة لذلك ، فالاستدلال بها عقيم ، لانها من باب ((اياك اعني و اسمعي يا جارة)) كان الخطاب في ظاهره مع النبي (ص) غير ان المقصود غيره من المتشككين في امر الرسالة ، و ليسوا هم المسلمين ايضا، بل الكفار و المنافقون هم المقصودون ، بدليل صدر الاية و ذيلها : (فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسال الذين يقراون الكتاب من قبلك لقدجك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين. ((156)) (
و العجب من الذهبي كيف يزعم ان هذه الاية جات رخصة للنبي في مراجعة اهل الكتاب ؟ يشك النبي فيما انزل اليه ؟ لا شك ان المقصود غيره من الذين كانوا يتشككون في صدق رسالته ، و لقد كان المرجع الوحيد الذي يمكن اولئك المتشككين اللجؤ اليه هم (اهل الكتاب) الذين جاوروهم ، و ليس النبي)ص) بمقصود البتة ، و لا المسلمون المعتقدون بصحة الرسالة.
و هكذا قوله تعالى : (فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات و الزبر ((157)) (خطاب محض موجه الى العرب الجاهلي.
اما حديث ((حدثوا عن بني اسرائيل و لا حرج)) فهو كناية عن التوسع في تفضيع شانهم ، حيث كل ما حدثته عنهم من رذائل و فضائح فهو حق لا مرية فيه ، حيث توسعهم في ارتكاب الاثام و ركوبهم جميع القبائح المحتملة بشانهم ، كما جا في المثل :((حدث عن البحر و لا حرج)) كناية عن التوسع في الامر، و انه كل ما قلت عنه فهو صحيح و منه قولهم بشان معن بن زائدة الشيباني و كان من اجواد العرب : ((حدث عن معن و لا حرج))، كناية عن توسعه في المكرمات ، فكل ما حدثت عنه من فضيلة ،فهو صدق واقع((158)) .
فهذا تعبير كنائي عن مطلق التوسع في امر ان شينا او زينا، و ليس المقصود التحدث ، بمعنى الرواية و النقل عنهم.
و يتايد هذا المعنى ، بما ورد في لفظ احمد:
))تحدثوا عن بني اسرائيل و لا حرج ، فانكم لاتحدثون عنهم بشي الا و قد كان فيهم اعجب منه , ((159)) ((اي كل ما حدثت عنهم من فضيحة او رذيلة شانئة ، فهو

صدق ، لانهم اوسع فضاحة و اكثر رذالة مما يحتمل بشانهم.
و في لفظه الاخر:
))حدثوا عن بني اسرائيل و لا حرج ، و حدثوا عني و لاتكذبوا. ((160)) ((
ففي هذه المقارنة بين التوسع في الحديث عن بني اسرائيل ، و التقيد لدى الحديث عن رسول اللّه (ص) دلالة واضحة على صدق الحديث عنهم مهما كان الحديث ، اما عند التحدث عن رسول اللّه (ص) فيجب تحري الصدق ، و لئلايكون كذبا عليه فانه من كذب عليه متعمدا فليتبوا مقعده من النار.

اقطاب الروايات الاسرائيلية

عندما نتصفح كتب السير و التفاسير و اخبار الملاحم ، نجد ان اكثرية ما يروى من الاسرائيليات تكاد تدور على اقطاب ثمانية ، كانوا هم الاساس لشياع الاساطير الاسرائيلية بين المسلمين.
و هم : عبداللّه بن سلام ، و كعب الاحبار، و محمد بن كعب القرظي ، و وهب بن منبه ، و تميم بن اوس الداري ،و عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج ، و عبداللّه بن عمرو بن العاص ، و ابوهريرة.
اما الاولان فهما من مسلمة اهل الكتاب و الثلاثة بعدهما ممن ولدوا عن ابوين كتابيين و الاخيران اسلما عن شرك و لكن اخذا علمهما ممن سبقهما من اهل الكتاب.
اما الخمسة الاول فكانت لهم المامة بثقافات موروثة من اهل الكتاب ، لكن لا على حد التحقيق و النقد ,بل على حدالشياع العام ـ حسبما نبه عليه ابن خلدون ـ لانهم كانوا ايضا كاخوانهم العرب ، من البائدة القاطنين في الجزيرة.
كان هؤلا جميعا، يقصون على الناس ـ في حلقات اما في اندية او جوامع ـ القصص و الاخبار البائدة ، و يحوكون لهم غرائب الاثار الاساطيرية ، و ربما كانت مهيجة ، و من ثم كانت لهم اسواق رائجة في الاوساط العامية ، الامر الذي اشاع عنهم الكثير من الاساطير الاسرائيلية ، و اخذ عنهم اهل السير و التاريخ ، و ادرجوها ضمن كتبهم في التفسير و الحديث و التاريخ.
و اليك المامة قصيرة بحياة هؤلا الاقطاب الثمانية:

1ـ عبداللّه بن سلام

اسمه الحصين بن سلام بن الحارث الاسرائيلي ، حليف النوافل من الخزرج ، و هم بنو عوف ، كان حبرا من احبار اليهود،فاسلم عند مقدم النبي (ص) المدينة ، و قيل : قبل وفاته بسنتين ، فسماه النبي (ص) عبداللّه قال ابن حجر : و كان من بني قينقاع ((161)).
قيل : انه جا الى النبى (ص) فقال : اني قد قرات القرآن و التوراة فقال : ((اقرا بهذا ليلة ، و بهذا ليلة)) قال الامام شمس الدين الذهبي : اسناده ضعيف ((162)).
لان الراوي له هو ابراهيم بن ابي يحيى الاسلمي ، و هو متروك الحديث و بعضهم اتهمه قال الاستاذ شعيب الارنؤوط :فالحديث ضعيف جدا، بل يكاد يكون موضوعا، فانه مخالف لحديث جابر بن عبداللّه الانصاري : ان عمربن الخطاب اتى النبي (ص) فقال : انا نسمع احاديث من يهود تعجبنا ,افترى ان نكتب بعضها؟ فقال (ص) : ((امتهوكون كما تهوكت اليهودو النصارى ؟ لقد جئتكم بها بيضا نقية و لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي)) قال : و هو حديث حسن((163)).
كان عبداللّه بن سلام ممن يحوك الاحاديث ليستجلب انظار العامة و يرفع بمنزلته لديهم ، من ذلك ما حاكه حول صفة رسول اللّه (ص) في التوراة ، كان يمليها على العامة تزلفا اليهم فكان يذكر من اوصاف الرسول الراهنة ، و يقول : وجدتها كذلك في التوراة((164)) , و كان يدعي انه اعلم اليهود و اخبرهم بكتب السالفين((165)).
و قد حكيت حوله احاديث في فضله و نبله ، غير انها ضعيفة الاسناد موهونة توفي بالمدينة سنة .(43)

2ـ كعب الاحبار

هـو كـعب بن ماتع الحميري من آل ذي رعين او من آل ذي الكلاع((166)) و يكنى اباسحاق ، من كبار احبار اليهود، كان ابوه كاهنا، و ورث الكهانة من ابيه ولد قبل الهجرة باثنتين و سبعين سنة ، و اسـلـم بعد وفاة النبي (ص) في اوائل خلافة عمرو هلك ايام عثمان سنة (٣٢) فقد عاش (١٠٤ (سنة.
كان من اهل اليمن ـ من يهودهاـ فهاجر الى المدينة عندما اسلم ، ثم تحول الى الشام ، فاستصفاه معاوية و جـعـلـه من مستشاريه ، لما زعم فيه من كثرة العلم ((167)) و هو الذي امره ان يقص في بلاد الـشـام ، و بـذلـك اصـبح اقدم الاخباريين في موضوع الاحاديث اليهودية المتسربة الى الاسلام و بـواسطة كعب و ابن منبه و سواهما من اليهود الذين اسلموا تسربت الى الحديث طائفة من اقاصيص الـتـلـمـود ـ الاسـرائيـليات ـ و ما لبثت هذه الروايات ان اصبحت جزا من الاخبار التفسيرية و التاريخية في حياة المسلمين.
افتجر هذا الكاهن لاسلامه سببا عجيبا ليتسلل به الى عقول المسلمين و قلوبهم فقد اخرج ابن سعد باسنادصحيح ـ حسبما ذكره ابورية ـ عن سعيد بن المسيب قال : قال العباس بن عبدالمطلب لكعب : ما منعك ان تسلم على عهدرسول اللّه (ص) و ابي بكر، حتى اسلمت الان على عهد عمر؟.
فقال : ان ابي كتب لي كتابا من التوراة و دفعه الي ، و قال : اعمل بهذا و ختم على سائر كتبه ، و اخذ علي بحق الوالد على ولده ان لاافض الخاتم فلما كان الان ، و رايت الاسلام يظهر و لم ار باسا ,قالت لـي نـفسي : لعل اباك غيب عنك علما كتمك ، فلوقراته ففضضت الخاتم ، فقراته ، فوجدت فيه صفة محمد و امته فجئت الان مسلما فوالى العباس ((168)).
قلت : و لايخفى ما في هذا التبرير من تفاهة ان لم يكن في طيها سفاهة تصحبها خباثة.
و كان عمر يكرهه و يسي الظن به ، لما كان قد افسد في الحديث و اشاع الاكاذيب قال له يوما و قد احضره : لتتركن الاحاديث او لالحقنك بارض القردة((169)) , يعني ارض اليهود التي هي اصله و روى اهـل السير ان الامام اميرالمؤمنين (ع) كان يذمه ، و يقول عنه : ان كعب الاحبار لكذاب و قد كان منحرفا عن علي (ع)، كما ذكره ابن ابي الحديد((170)) .
و مـن سـخافاته ما روي عن سعد الجاري مولى عمر، قال : ان عمر دعا ام كلثوم ـ و كانت تحته ـ فـوجدها تبكي فقال لها : ما يبكيك ؟ فقالت : هذا اليهودي ـ تعني كعباـ يقول : انك على باب من ابواب جهنم فلما جاه قال : يا اميرالمؤمنين لاتعجل على ، و الذي نفسي بيده ، لاينسلخ ذوالحجة حتى تدخل الجنة.
فقال عمر : اي شي هذا، مرة في الجنة و مرة في النار؟ فقال : يا اميرالمؤمنين ، و الذي نفسي بيده ، انا لنجدك في كتاب اللّه ـ يعني به التوراة ـ على باب من ابواب جهنم ، تمنع الناس ان يقعوا فيها فاذا مت لم يزالوا يقتحمون فيها الى يوم القيامة ((171)).
و يروي الطبري انه جا الى عمر قبل مقتله بثلاثة ايام ، و قال له : اعهد، فانك ميت في ثلاثة ايام قال :و مـا يـدريـك ؟ قـال :اجده في كتاب اللّه في التوراة التوراة ؟ قال : اللهم ، لا، و لكن اجد صفتك وحليتك ، و انه قد فنى اجلك ((172)).
قال احمد امين تعقيبا على هذه القصة : و هذه القصة ان صحت دلت على وقوف كعب على مكيدة قتل عمر، ثم وضعهاهو في هذه الصبغة الاسرائيلية كما تدلنا على مقدار اختلاقه فيما ينقل((173)) .
و هـكـذا ذكر ابورية : و ممن اشترك في مؤامرة قتل عمر، و كان له اثر كبير في تدبيرها كعب الاحبار و هذا لايمتري فيه احدالا الجهلا((174)) .
و ذكـر ابن سعد ان كعبا كان يقول : كان في بني اسرائيل ملك اذا ذكرناه ذكرنا عمر، و اذا ذكرنا عـمر ذكرناه و كان الى جنبه نبى يوحى اليه فاوحى اللّه الى النبى ان يقول له : اعهد عهدك و اكتب وصـيـتك فانك ميت الى ثلاثة ايام ، فاخبره النبي بذلك فلما

كان في اليوم الثالث وقع بين الجدر و بين السرير، ثم جا الى ربه فقال : اللهم ان كنت تعلم اني كنت اعدل في الحكم ،و اذا اختلفت الامور اتبعت هواك و كنت و كنت ، فزدني في عمري حتى يكبر طفلي و تربو امتي فاوحى اللّه الى النبى انه قدقال كذا و كذا، و قد صدق ، و قد زدته في عمره خمس عشرة سنة ، ففي ذلك ما يكبر طفله و تربو امته.
فلما طعن عمر قال كعب : لئن سال عمر ربه ليبقينه اللّه فاخبر بذلك عمر، فقال عمر : اللهم , اقبضني اليك غير عاجز و لاملوم((175)) .
و ذكر ايضا : لما طعن عمر، جا كعب فجعل يبكي بالباب ، و يقول : و اللّه لو ان اميرالمؤمنين يقسم على اللّه ان يؤخره لاخره فدخل ابن عباس عليه ، فقال :يا اميرالمؤمنين ، هذا كعب يقول كذا و كذا قال : اذن واللّه لااساله ثم قال : ويل لي و لامي ان لم يغفر اللّه لي((176)) .
و من ثم كان ما يحكيه كعب عن الكتب القديمة ، ليس بحجة عند احد من اهل العلم و التحقيق ، و لم يثبته اهل الحديث الاوائل قال شعيب الارنؤوط : و اخطا من زعم انه خرج له البخاري و مسلم , فانهما لم يسندا من طريقه شيئا من الحديث و انماجرى ذكره في الصحيحين عرضا قال : و لم يؤثر عن احد من المتقدمين توثيق كعب الا ان بعض الصحابة ـ يعني معاوية ـ اثنى عليه بالعلم((177)) .
و قد سمعت قول معاوية ـ صديقه الوفى ـ بشانه ، حينما حج في خلافته : ان كان من اصدق هؤلا المحدثين الذين يحدثون عن اهل الكتاب ، و ان كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب ((178)).
قال ابن حجر : و روى عنه من الصحابة عبداللّه بن عمر و عبداللّه بن الزبير و ابوهريرة و معاوية((179)) , و ذكر ابن عباس ايضا لكنا قد فندنا ذلك بتفصيل و في ((الطبقات)) : ان تبيع ابن امراة كعب حمل من كعب علما كثيرا((180)) .
قال احمد امين : و اما كعب الاحبار فيهودى من اليمن ، و من اكبر من تسربت منهم اخبار اليهود الى المسلمين و قد اخذعنه اثنان ، هما اكبر من نشر علمه : ابن عباس على علمه الواسع بالثقافة اليهودية و اساطيرهاجا في))الطبقات الكبرى)) حكاية عن رجل دخل المسجد فاذا عامر بن عبداللّه بن عبد قيس جالس الى كتب و بينها سفر من اسفار التوراة و كعب يقرا و قد لاحظ بعض الباحثين ان بعض الثقات كابن قتيبة و النووي لايروي عنه ابدا و ابن جرير يروي عنه قليلا((181)) .
قال الذهبي بعد نقل كلام احمد امين : و هذا يدلنا على ان كعبا كان لايزال بعد اسلامه يرجع الى التوراة و التعاليم الاسرائيلية((182)) .
قلت : اما رواية ابن عباس عن كعب فشي موضوع ، و لم تثبت روايته عنه ، و هو الناقم على مراجعي اهل الكتاب على مااسلفنا نعم ، كان ابوهريرة لقلة بضاعته كثيراما يراجع اهل الكتاب ، و لاسيما كعبا، كان يعد شيخه و مرشده في هذا الطريق و كان ابوهريرة اكثر من نشر عن كعب و افاض بمعلوماته الجمة عن مثله.
قال الاستاذ ابورية ـ و نعم ما قال ـ : ((ان كعبا اظهر الاسلام خداعا، و طوى قلبه على يهوديته , و انه سلط قوة دهائه على سذاجة ابي هريرة لكي يستحوذ عليه و ينيمه ، ليلقنه كل ما يريد ان يبثه في الدين الاسلامي من خرافات و اوهام و انه قد طوى اباهريرة تحت جناحه حتى جعل يردد كلامه بالنص ، و يجعله حديثا مرفوعا((183)) .
قال : و قد استطاع هذا اليهودي ان يدس من الخرافات و الاوهام و الاكاذيب في الدين ، ما امتلات به كتب التفسيرو الحديث و التاريخ ، فشوهتها و ادخلت الشك اليها و مازالت تمدنا باضرارها((184)) .

3ـ تميم بن اوس الداري

هو ابورقية ، تميم بن اوس بن حارثة او خارجة الداري ، اللخمي الفلسطيني و الدار : بطن من لخم ، فخدمن يعرب بن قحطان.
وفد تميم و اخوه نعيم في وفد كانوا عشرة نفر من بني الدار على رسول اللّه (ص) بعد منصرفه من تبوك سنة (٩) فاسلماو كانا نصرانيين قال ابونعيم : كان تميم راهب

عصره و عابد فلسطين يقال : ان النبى (ص) اخذ عنه قصة ((الجساسة)) و الدجال ،فحدث عنه بذلك على المنبر، فكان ذلك منقبة له((185)) .
و التمس من النبي (ص) ان يهب له قريتين من قرى فلسطين ، ان فتح اللّه عليه الشام قال : كانت لنا جيرة من الروم ، و لهم قريتان يقال لاحداهما : حبرى و الاخرى بيت عينون ، فان فتح اللّه عليك الشام فهبهما لي قال (ص) فهما لك و كتب له كتابافلماقام ابوبكر بالامر اعطاه ذلك ((186)) و قيل :انه جا بالكتاب الى عمر فقال : انا شاهد ذلك فامضاه و ذكر الليث ان النبى (ص)قال له : ((ليس لك ان تبيع)) فجعلها وقفا عليه قال ابن جريج : فهي في ايدي اهله الى اليوم((187)) اخرجه ابوعبيد من طريق عبداللّه بن صالح كاتب الليث عنه((188)) .
و قد بالغ اصحاب التراجم بشانه و ذكروا له كرامات و مناقب ، منها قصة مدافعته النار حتى اطفاها، كما ذكره ابن حجر،قال : له قصة مع عمر فيها كرامة واضحة لتميم و تعظيم كثير من عمر له ـ فذكرها في ترجمة معاوية بن حرمل ـ و هي : ان معاوية بن حرمل ـ صهر مسيلمة الكذاب و الذي ارتدمعه ـ جا الى المدينة تائبا، فلبث في المسجد لايؤوي و لايطعم شيئاقال فاتيت عمر، فقلت : تائب من قبل ان تقدر عليه قال : من انت ؟ قلت : معاوية بن حرمل قال : اذهب الى خيرالمؤمنين ،فانزل عليه.
قال : و كان تميم الداري اذا صل ى ضرب بيديه على يمينه و شماله فذهب برجلين ، فصليت الى جنبه فاخذني ، فاوتينابطعام فبينا نحن ذات ليلة ,اذ خرجت نار بالحرة ، فجا عمر الى تميم يستنجده ، فقال : قم الى هذه النار فقال : يا اميرالمؤمنين :و من انا امري فلم يزل به عمر حتى قام معه ، و تبعتهما فانطلقا الى النار فجعل تميم يحوشها (اي يدفعها الى الداخل) بيده حتى دخلت الشعب ، و دخل تميم خلفها فجعل عمر يقول : ليس من راى كمن لم ير ثلاثا قال : فخرج و لم تضره النار((189)) .
قال الذهبي : هذه القصة سمعها عفان من حماد بن سلمة عن الجريري عن ابي العلا عن ابن حرمل قال : و ابن حرمل لايعرف.
قلت : قد اهمل معاوية بن حرمل في كتب ترجمة الرجال.
و هذا الكاهن المسيحي ـ الذي بقيت معه نزعته المسيحية (الرهبنة) الى ما بعد اسلامه ـ هو اول من سن القص في المسجد، و تكاد تتفق الروايات على انه اول قاص في الاسلام((190)) و ذلك كان على عهد عمر بن الخطاب ، و لعله في اواخرولايته روى الزهري عن السائب بن يزيد، قال : اول من قص تميم الداري ، استاذن عمر، فاذن له فقص قائما((191)) و روى عن ابن شهاب ، ان اول من قص في مسجد رسول اللّه (ص) تميم الداري ، استاذن عمر ان يذكر الناس فابى عليه ، حتى كان آخر ولايته فاذن له ان يذكر الناس في يوم الجمعة قبل ان يخرج عمر و استاذن تميم عثمان بن عفان فاذن له ان يذكر يومين في الجمعة ،فكان تميم يفعل ذلك.
قال احمد امين : و قد نما القصص بسرعة ، لانه يتفق و ميول العامة ، و اكثر القصاص من الكذب حتى رووا ان الامام اميرالمؤمنين (ع) طردهم من المساجد، و استثنى الحسن البصري ، لتحريه الصدق((192)) .
و اما قصة ((الجساسة))، فقد ذكر مسلم في كتاب الفتن و اشراط الساعة ، باسناده عن الحسين بن ذكوان عن ابن بريدة عن الشعبي عن فاطمة بنت قيس ، و كانت من المهاجرات الاول ، قالت : سمعت منادي رسول اللّه (ص) ينادي : الصلاة جامعة ،فخرجت الى المسجد، فصليت مع رسول اللّه (ص (فكنت في صف النسا التي تلي ظهور القوم قالت : فلما قضى رسول اللّه (ص) صلاته جلس على المنبر و هو يضحك ، فقال : ليلزم كل انسان مصلا ه ، ثم قال : اتدرون لم جمعتكم ؟ قالوا : اللّه و رسوله اعلم قال : اني واللّه ماجمعتكم لرغبة و لا لرهبة ، و لكن جمعتكم لان تميما الداري كان رجلا نصرانيا فجا و بايع و اسلم ، و حد ثني حديثا وافق الذي كنت احدثكم عن مسيح الدجال حدثني انه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من لخم و جذام ، فلعب بهم الموج شهرا في البحر، ثم ارفاوا الى جزيرة في البحر حتى مغرب الشمس فجلسوا في اقرب (جمع قارب و هو الزورق) السفينة فدخلوا الجزيرة ، فلقيهم دابة اهلب ((193)) كثير الشعر لايدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر،فقالوا : ويلك ما انت ؟ فقالت : انا الجساسة ((194)) قالوا : و ما الجساسة ؟

قالت : ايها الـقـوم انـطـلـقوا الى هذا الرجل في الدير(الدير هو القصر) فانه الى خبركم بالاشواق قال (اي الـداري) : لـما سمت لنا رجلا فرقنا (اي فزعنا) منها ان تكون (اي الدابة)شيطانة قال : فانطلقنا سـراعـا حـتى دخلنا الدير، فاذا فيه اعظم انسان راياه قط خلقا، و اشده وثاقا، مجموعة يداه الى عنقه مابين ركبتيه الى كعبيه بالحديد قلنا : ويلك ما انت ؟ قال : قد قدرتم على خبري ، فاخبروني ما انتم ؟ قالوا : نحن اناس من العرب فقصوا عليه قصتهم ، فقال : اخبروني عن نخل بيسان ((195)) قـلـنا : عن اى شانها تستخبر؟ قال : اسالكم عن نخلها هل تثمر؟قلنا له : نعم قال : اما انه يوشك ان لاتـثمر قال : اخبروني عن بحيرة الطبرية هي كثيرة الما قال : اما ان ماها يوشك ان يذهب قال : اخبروني عن عين زغر((196)) قالوا : عن اي شانها تستخبر؟قال : هل في العين ما، و هل يزرع اهلها بما العين ؟ قلنا له : نعم ، هي كثيرة الما ,و اهـلـها يزرعون من مائها قال : اخبروني عن نبى الاميين ما فعل ؟ قالوا : قد خرج من مكة و نزل يـثـرب قـال : اقـاتله العرب ؟ قلنا : نعم قال : كيف صنع بهم ، فاخبرناه انه قدظهر على من يليه من العرب و اطاعوه قال : قد كان ذلك ؟ قلنا : نعم قال : اما ان ذاك خير لهم ان يطيعوه ، و اني اخبركم عني :انى انا المسيح((197)) , و انى اوشك ان يؤذن لي في الخروج ، فاخرج فاسير في الارض , فلاادع قرية الا هبطتها في اربعين ليلة ،غير مكة و طيبة ، فهما محرمتان على كلتاهما، كلما اردت ان ادخل واحدة منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتا((198)) يصدني عنها، و ان على كل نقب منها ملائكة يحرسونها.
قـالـت : قال رسول اللّه (ص) و طعن بمخصرته في المنبر : هذه طيبة هذه طيبة ، يعني المدينة((199)) .
هـذه القصة على غرابتها في سندها ضعف ، لانها رويت بطريقين : مسلم في))الصحيح))، و احمد في ((المسند)) و كلاهماينتهي الى عامر الشعبي ، غير ان الذي يروي عن الشعبي في المسند، هو مـجـالـد بن سعيد، و كان يكذب في الحديث قال عمرو بن علي : سمعت يحيى بن سعيد يقول لبعض اصحابه : اين تذهب ؟ قال : الى وهب بن جرير اكتب السيرة عن ابيه عن مجالد بن سعيد كـذبـا كـثـيـرا، لـو شـئت ان يـجعلها الى مجالد كلها عن الشعبي عن مسروق عن عبداللّه ، فعل و قـال ابـوطالب عن احمد : ليس بشي يرفع حديثا كثيرا لايرفعه الناس و قال الدوري عن ابن معين : لايـحتج بحديثه و قال ابن ابي خيثمة عن ابن معين : ضعيف واهي الحديث كان يحيى بن سعيد يقول : لـو اردت ان يـرفـع لي مجالد حديثه كله رفعه ، الى غيرها من شـهادات بضعفه في الحديث ,و رفعه الـحـديـث لـمـكان ضعفه((200)) و قال محمد بن حبان : كان رذي الحفظ يقلب الاسانيد و يرفع المراسيل ، لايجوز الاحتجاج به((201)) .
و فـي مسند مسلم وقع : ابن بريدة عن الشعبي و ابن بريدة هذا هو عبداللّه بن بريدة اخو سليمان قـال البزار : فحيث ابهم علقمة و محارب و محمد و كذا الاعمش عند ابن حجر فالمراد : سليمان بن بريدة و اما من عدا هؤلا حيث ابهموا فهوعبداللّه بن بريدة ((202)) ـ كما هنا ـ لان الذي ابهم في اسناد مسلم هو الحسين بن ذكوان.
و عبداللّه بن بريدة هذا، قد ضعف حديثه احمد، و كانوا يرجحون اخاه سليمان عليه قال ابراهيم : لـه عـن ابيه احاديث منكرة و تعجب من الحاكم كيف زعم ان سند حديثه من رواية الحسين بن واقد عن عبداللّه بن بريدة عن ابيه اصح الاسانيدلاهل مرو((203)) .

4ـ وهب بن منبه

هـو وهب بن منبه بن كامل اليماني الصنعاني و قال احمد بن حنبل : كان من ابنا فارس قيل : ان منبها من خراسان من اهل هراة ، اخرجه كسرى من هراة الى اليمن ، فاسلم في عهد النبي و حسن اسلامه فسكن ولده في اليمن ، و كان وهب بن منبه يختلف الى هراة و يتفقد امرها كان يقول : قرات بضعة و سـبـعين كتابا من كتب الانبيا ولد سنة (٣٤) و مات سنة (١١٠) قيل :ضربه يوسف بن عمر حتى مات ((204)).
و قد اكثر من سرد الاسرائيليات , و نسب اليه قصص كثيرة ، كانت مثارا للنيل منه و الطعن عليه , حتى رمي بالكذب و التدليس ، و افساد عقول المسلمين.

5ـ محمد بن كعب القرظي

هو محمد بن كعب سليم القرظي ، كان ابوه من سبى قريظة ، من اولاد كهنة اليهود ولد سنة (٣٩ (و مات سنة (١١٧) كان يقص في المسجد، فسقط عليه السقف ، فمات هو و جماعة معه((205)) .
فقد كان من القصاصين ، يقصون على الناس عن كتب السلف و اساطيرهم ، و فيها كان حتفه.

6ـ عبداللّه بن عمرو بن العاص

قيل : كان اسمه العاص فغيره رسول اللّه (ص) و سماه عبداللّه اسلم قبل ابيه عمرو، و عمرو اسلم قبل الفتح سنة ثمان ولدقبل الهجرة بسبع سنين ، و مات سنة (٦٥) فقد عاش (٧٢) سنة.
هو اول من اشاع الاسرائيليات بعد وفاة النبي (ص) زعم انه اصاب يوم اليرموك ((206)) زاملتين((207)) من كتب اليهود،فكان يحدث منهما و يبرر ذلك بما رواه عن رسول اللّه (ص) من قوله : ((حدثوا عن بني اسرائيل و لا حرج)) رواه البخاري باسناده عنه((208)) هكذا فهم من هذا الحديث ، جواز الرواية عنهم ، حسبما ذكره ابن تيمية((209)) .
و اضاف اليه حديثا آخر اختلقه بهذا الشان ، قال : رايت فيما يرى النائم كان في احدى اصبعى سمنا و في الاخرى عسلافانا العقهما فلما اصبحت ذكرت ذلك للنبي (ص)، فقال : تقرا الكتابين ، التوراة و الفرقان و من ثم كان يقراهما((210)) .
و كانت له صحيفة يسميها ((الصادقة)) زعم انه كتبها من احاديث الرسول (ص) عن اجازته له في كتابتها قال : استاذنت النبي (ص) في كتاب ما سمعت منه فاذن لي فكتبته فكان يسمي صحيفته تلك الصادقة.
قال مجاهد : رايت عنده صحيفة فسالت عنها، فقال : هذه الصادقة ، فيها ما سمعت من رسول اللّه (ص (ليس بينى و بينه فيها احد((211)) .
روى البخاري باسناده الى همام بن منبه عن اخيه وهب ، قال : سمعت اباهريرة يقول : ما من اصحاب رسول اللّه (ص)احداكثر حديثا عنه مني الا ما كان من عبداللّه بن عمرو، فانه كان يكتب و لااكتب ((212)).
و لقد كان ضعيف الراي وهن السلوك ، كان قد صحب اباه في الوقوف مع معاوية في وقعة صفين ، في حين انه كان يعلم انهم كانوا هم الفئة الباغية على ما وصفهم بها رسول اللّه (ص) و قد اعتذر لذلك بانه كان لوصية رسول اللّه (ص) اياه ان يتابع اباه عمرو بن العاص و قد نسي قوله تعالى:
)و اذا قيل لهم اتبعوا ما انزل اللّه قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آبانا او لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا و لا يهتدون. ((213)) (
و كذا قوله تعالى : (و ان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما(((214)) .
و مع ذلك نراه قد تابع اباه في ضلال كان يعلمه.
اخرج ابن سعد عن الغنوي ، قال : بينا نحن عند معاوية ، اذ جاه رجلان يختصمان في راس عمار ,يقول كل واحد منهما،انا قتلته فقال عبداللّه بن عمرو : ليطب به احدكما نفسا لصاحبه ، فاني سمعت رسول اللّه (ص) يقول : ((تقتله الفئة الباغية)) فقال معاوية : الاتغني عنا مجنونك يا ((215))قال : ان ابي شكاني الى رسول اللّه (ص) فقال : اطع اباك حياو فما بالك معنا؟ لاتعصه و انا معكم و لست اقاتل((216)) .

7ـ ابوهريرة

اما ابوهريرة فقد اختلف في اسمه ، كما لم يعرف اصله و نسبه و نشاته ، و لا شي من تاريخه قبل اسلامه ، غير ما ذكر هوعن نفسه ، من انه كان يلعب بهرة صغيرة ، و انه كان معدما فقيرا خامل الذكر، يخدم الناس على شبع بطنه قال : كنت ارعى غنم اهلي ، و كانت لي هرة صغيرة ، فكنت اضعها بالليل في شجرة ، و اذا كان النهار ذهبت بها معي فلعبت بها، فكنوني ((اباهريرة))قال : نشات يتيما و هاجرت مسكينا، و كنت اجيرا لبسرة بنت غزوان بطعام بطني و عقبة رجلي , فكنت اخدم اذا نزلوا،و احدو اذا ركبوا.
قدم ابوهريرة بعد ان تخطى الثلاثين من عمره ، و كان النبي (ص) حينذاك في غزوة خيبر التي وقعت عام (٧) من الهجرة ،قال ابن سعد : قدم الدوسيون فيهم ابوهريرة و رسول اللّه (ص) بخيبر فكلم رسول اللّه (ص) اصحابه في ان يشركوا اباهريرة في الغنيمة ، ففعلوا و لفقره اتخذ سبيله الى الصفة (موضع مظلل في موخرة مسجد النبي من الناحية الشمالية) قال ابوالفدا :و اهل الصفة اناس فقرا لا منازل لهم و لا عشائر، ينامون في المسجد و يظلون فيه و كانت صفة المسجد مثواهم , فنسبوا اليهاو كان اذا تعشى رسول اللّه (ص) يدعو منهم طائفة يتعشون معه ، و يفرق منهم طائفة على الصحابة ليعشوهم.
روى مسلم عنه ، قال : كنت رجلا مسكينا اخدم رسول اللّه (ص) على ملا بطني و في رواية : كنت الزم رسول اللّه (ص)على ملا بطني و كان اكولا، اذا كان يطعم في بيت احد الصحابة ، كان بعضهم ينفر منه.
و روى البخاري عنه ، قال : استقرئ الرجل الاية و هي معي ، كي ينقلب بي فيطعمني و كان خير الناس للمساكين جعفربن ابي طالب ، كان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته و روى الترمذي عنه : و كنت اذا سالت جعفر عن آية لم يجبني حتى يذهب بي الى منزله قال ابورية : و من اجل هذا كان جعفر في راي ابي هريرة افضل الصحابة جميعا، فقدمه على ابي بكر و عمرو علي و عثمان و غيرهم من كبار الصحابة .
فقد اخرج الترمذي و الحاكم باسناد صحيح عن ابي هريرة : ما احتذى النعال و لا ركب المطايا و لا وطئ التراب ، بعدرسول اللّه (ص) افضل من جعفر بن ابي طالب ((217)) .
كان ابوهريرة يلقب بشيخ المضيرة (طعام يطبخ باللبن المضر، اي الحامض) و قد نالت هذه المضيرة من عناية العلماو الكتاب و الشعرا ما لم ينله مثلها من اصناف المكل و الحلويات و ظلوا يتندرون بها و يغمزون اباهريرة قرونا طويلة من اجلها.
قال الثعالبي ، و كان ابوهريرة تعجبه المضيرة جدا، فياكل مع معاوية ، فاذا حضرت الصلاة صلى خلف على (ع)، فاذا قيل له في ذلك ، قال : مضيرة معاوية ادسم و اطيب ، و الصلاة خلف على افضل و اتم و من كلامه : ما شممت رائحة اطيب من رائحة الخبز الحار، و ما رايت فارسا احسن من زبد على تمر((218)) .
و قد اخذ العلما على ابي هريرة كثرة حديثه عن النبي (ص) مع قلة صحبته و قلة بضاعته حينذاك , و من ثم رموه بالتدليس و الاختلاق كان يسمع الحديث من احد الصحابة ثم يدلس ، فيرفعه الى النبي (ص .(

و كان كثيراما يسمع الحديث من اهل الكتاب و لاسيما كعب الاحبار، فيسنده الى النبى او احد كبار صحابته تدليساو تمويها على العامة.
فقد روى مسلم عن بسر بن سعيد، قال : اتقوا اللّه و تحفظوا من الحديث فواللّه لقد رايتنا نجالس اباهريرة فيحدث عن رسول اللّه (ص) و يحدث عن كعب الاحبار، ثم يقوم ، فاسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول اللّه (ص) عن كعب ،و حديث كعب عن رسول اللّه (ص) و في رواية : يجعل ما

قاله كعب عن رسول اللّه (ص) و ما قاله رسول اللّه (ص) عن كعب فاتقواالله و تحفظوا في الحديث.
و قال يزيد بن هارون : سمعت شعبة يقول : ابوهريرة كان يدلس ، اي يروي ما سمعه من كعب و ما سمعه من رسول اللّه (ص) و لايميز هذا من هذا و قال ابن قتيبة : و كان ابوهريرة يقول : قال رسول اللّه (ص) كذا، و انما سمعه من الثقة عنده فحكاه و كانت عائشة اشدهم انكارا على ابي هريرة و ممن اتهم اباهريرة بالكذب عمر و عثمان و علي و غيرهم ، فكماقال الاستاذ الرافعي)) :كان اول راوية اتهم في الاسلام. ((219)) ((
و الحديث بشان تدليس ابي هريرة و انكار الصحابة عليه ذوشجون ، عرضه بتفصيل الاستاذ ابورية في كتابيه : ((شيخ المضيرة))، و ((الاضوا)) و كان هذا العرض القصير مستقى منه((220)) .
اخذ ابوهريرة عن كعب الاحبار الشي الكثير، غير ان السئ الذي كان يرتكبه ، اسناد ما سمعه من كعب الى رسول اللّه (ص) كما نوهنا عنه.
قال ابورية : ذكر علما الحديث في باب ((رواية الصحابة عن التابعين ، او رواية الاكابر عن الاصاغر)) ان اباهريرة و العبادلة((221)) و معاوية و انس و غيرهم ، قد رووا عن كعب الاحبار اليهودي الذي اظهر الاسلام خداعا، و طوى قلبه على يهوديته.
قال : و يبدو ان اباهريرة كان اكثر الصحابة انخداعا به ، و ثقة فيه ، و رواية عنه و عن اخوانه , من سائر اهل الكتاب و يتبين من الاستقرا ان كعب الاحبار قد سلط قوة دهائه على سذاجة ابي هريرة لكي يستحوذ عليه ، و ينيمه ليلقنه كل ما يريد ان يبثه في الدين الاسلامي ، من خرافات و اوهام و كان له في ذلك اساليب غريبة و طرق عجيبة.
فقد روى الذهبي في ((طبقات الحفاظ)) في ترجمة ابي هريرة ان كعبا قال فيه ـ اي في ابي هريرة ـ : ما رايت احدا لم يقراالتوراة ، اعلم بما فيها من ابي هريرة فانظر مبلغ دها هذا الكاهن و مكره بابي هريرة ، الذي يتجلى في درس تاريخه انه كان رجلا فيه غفلة و غرة ، اذ من اين يعلم ابوهريرة ما في التوراة و هو لايعرفها، و لو عرفها لمااستطاع ان يقراها.
ومما يدلك على ان هذا الحبر الداهية قد طوى اباهريرة تحت جناحه حتى جعله يردد كلام هذا الكاهن بالنص ، و يجعله حديثا مرفوعا الى النبى ، ما نورد لك شيئا منه.
روى البزار عن ابي هريرة : ان النبي (ص) قال : ان الشمس و القمر ثوران في النار يوم القيامة فقال الحسن : و ما ذنبهما؟فقال : احدثك عن رسول اللّه ، و تقول : ما ذنبهما؟ و هذا الكلام نفسه قد قاله كعب بنصه ، فقد روى ابويعلى الموصلي ، قال كعب : يجا بالشمس و القمر يوم القيامة كانهماثوران عقيران ، فيقذفان في جهنم ، يراهما من عبدهما((222)) .
و روى الحاكم في ((المستدرك)) و الطبراني ـ و رجاله رجال الصحيح ـ عن ابي هريرة : ان النبي قال : ان اللّه اذن لي ان احدث عن ديك رجلاه في الارض و عنقه مثبتة تحت العرش ، و هو يقول : سبحانك ما اعظم شانك و هذا الكلام من قول كعب ، و نصه : ان للّه ديكا عنقه تحت العرش و براثنه في اسفل الارض ، فاذا صاح صاحت الديكة ،فيقول : سبحان القدوس الملك الرحمان لا اله غيره((223)) .
و روى ابوهريرة : ان رسول اللّه قال : النيل و سيحان و جيحان و الفرات من انهار الجنة ، و هذا القول نفسه قاله كعب :اربعة انهار الجنة وضعها اللّه في الدنيا : فالنيل نهر العسل في الجنة ، و الفرات نهر الخمر في الجنة ، و سيحان نهر الما في الجنة ،و جيحان نهر اللبن في الجنة((224)) .
و قال ابن كثير في تفسيره : ان حديث ابي هريرة في ياجوج و ماجوج ، و نصه ـ كما رواه احمد ـ عن ابي هريرة : ان ياجوج و ماجوج ليحفرون السد كل يوم حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس ، قال الذين عليهم : ارجعوا

فستحفرونه غدا،فيعودون و قد روى احمد هذا الحديث عن كعب ، قال ابن كثير : لعل اباهريرة تلقاه من كعب ، فانه كثيراما كان يجالس كعباو يحدثه ((225)) و بين في مواضع كثيرة من تفسيره ما اخذه ابوهريرة من كعب.
و في الصحيحين من حديث ابي هريرة : ان اللّه خلق آدم على صورته و هذا الكلام قد جا في الاصحاح الاول من التوراة (العهد القديم) و نصه هناك : ((و خلق اللّه الانسان على صورته ، على صورة اللّه خلقه. ((226)) ((
و روى مسلم عن ابي هريرة : اخذ رسول اللّه (ص) بيدي خلق فيها الجبال يوم الاحد،و خلق الشجر يوم الاثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثا، و خلق النور يوم الاربعا، و بث فيها الدواب يوم الخميس ، و خلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة و قد روى هذا الحديث احمد و النسائي ايضا عن ابي هريرة.
قال البخاري و ابن كثير و غيرهما : ان اباهريرة قد تلقى هذا الحديث عن كعب الاحبار، لانه يخالف نص القرآن في انه خلق السماوات و الارض في ستة ايام((227)) .
قال ابورية : و قد بلغ من دها كعب و استغلاله لسذاجة ابي هريرة و غفلته ، ان كان يلقنه ما يريد بثه في الدين الاسلامي من خرافات و ترهات ، حتى اذا رواها ابوهريرة عاد هو فصدق اباهريرة ، و ذلك ليؤكد هذه الاسرائيليات ، و ليمكن لها في عقول المسلمين ، كان الخبر جا عن ابي هريرة ، و هو في الحقيقة عن كعب الاحبار.
و اليك مثلا ما رواه احمد عن ابي هريرة ان رسول اللّه قال : ((ان في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ، اقراوا ان شئتم : و ظل ممدود)) . ((228))
و لم يكد ابوهريرة يروي هذا الحديث حتى اسرع كعب ، فقال : صدق والذي انزل التوراة على موسى و الفرقان على محمد، لو ان رجلا ركب حقة او جذعة ثم دار باعلى تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط هرما العجيب ان يروي مثل هذا الخبر الغريب ايضا وهب بن منبه في اثر غريب ، فيرجع اليه من اراده((229)) .
هلك ابوهريرة سنة (٥٩) عن (٨٠) سنة بقصره بالعقيق ، و حمل الى المدينة و دفن بالبقيع ، و صلى عليه الوليد بن عتبة بن ابي سفيان ، و كان اميرا على المدينة تكريما له و لما كتب الوليد الى عمه معاوية ينعى اليه اباهريرة ، ارسل اليه معاوية : ((انظر من ترك ، و ادفع الى ورثته عشرة آلاف درهم ، و احسن جوارهم ، و افعل اليهم معروفا)) قال ابورية : و هكذايترادف رفدهم له حتى بعد وفاته((230)) .
قال السيد رشيد رضا بشان ابي هريرة : كان اسلامه في سنة (٧ ه)، فصحب رسول اللّه ثلاث سنين و نيفا، فاكثر احاديثه لم يسمعها من النبي و انما سمعها من الصحابة و التابعين فاذا كان جميع الصحابة عدولا في الرواية ـ كما يقول جمهورالمحدثين ـ فالتابعون ليسوا كذلك ، و قد ثبت انه كان يسمع من كعب الاحبار، و اكثر احاديثه عنه ، على انه صرح بالسماع من النبي ، في حديث))خلق اللّه التربة يوم السبت)) و قد جزموا بان هذا الحديث اخذه عن كعب و كان يكثر في احاديثه النقل بالمعنى و الارسال ـ اي لايذكر اسم الصحابي الذي سمع منه ـ و رواية الحديث بالمعنى كانت مثارا لمشكلات كثيرة كما انه انفرد باحاديث كثيرة ، كان بعضها موضع الانكار او مظنته لغرابة موضوعها، كاحاديث الفتن و الاخبار ببعض المغيبات ، الى غيرها من علل ذكرها اهل النقد في الحديث ((231)).

8ـ ابن جريج

هو عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج ، من اصل رومي نصراني ولد سنة (٨٠) و مات سنة (١٥٠) و هو من اول من صنف الكتب بالحجاز قال الذهبي : هو قطب الاسرائيليات في عهد التابعين قال : و لو انا رجعنا الى تفسير ابن جرير الطبري و تتبعناالايات التي وردت في النصارى ، لوجدنا كثيرا مما يرويه ابن جرير في تفسير هذه الايات يدور على عبدالملك الذي يعبر عنه دائما ب((ابن جريج. ((232)) ((
قال عبدالله بن احمد بن حنبل : قلت لابي : من اول من صنف الكتب ؟ قال : ابن جريج و ابن ابي عروبة و كان رحالة في طلب العلم ، فقد ولد بمكة ثم طوف في كثير من البلاد و قد رويت عن ابن جريج اجزا كثيرة في التفسير عن ابن عباس ، منهاالصحيح و منها غيرالصحيح ، لانه لم يقصد الصحة فيما جمع ، بل روى كل ما ذكر في كل آية من صحيح او سقيم((233)) .
قال الامام مالك بشانه : كان ابن جريج حاطب ليل ، لا يبالي من اين ياخذ.
و عن احمد بن حنبل : اذا قال ابن جريج : قال فلان و قال فلان و اخبرت ، جا بمناكير و اذا قال : اخبرني و سمعت ،فحسبك به.
و قال الدارقطني ، تجنب تدليس ابن جريج ، فانه قبيح التدليس ، لايدلس الا فيما سمعه من مجروح((234)) .

مبدا نشر الاسرائيليات

قد عرفت منع النبي (ص) من مراجعة اهل الكتاب ، منعه البات ، حتى الاستنساخ من كتبهم فضلا عن الرجوع الى اقاويلهم و من ثم لم يكن يجرا احد من الصحابة ان يراجع اهل الكتاب او ياخذ عنهم شيئا من الاخبار، و ذلك مادام النبى على قيدالحياة.
و في حديث عمر الانف ، لما زجره النبى (ص) على استنساخه عن كتب القوم ، قام و قال متندما على ما فرط منه :((رضيت باللّه ربا، و بالاسلام دينا، و بك رسولا)) ((235)) .
و هكذا انتهج المسلمون منهجا سليما عن شوب اكدار اهل الكتاب ، مدة حياته (ص)، و مدة ايام ابي بكر، و طرفا من ايام عمر.
ثم لما توسعت رقعة الاسلام و فاضت بلاد المسلمين بكثرة الوافدين ، و فيهم الاجانب عن روح الاسلام ، ممن لا معرفة له باصول الشريعة ، نرى ان هذا السد المنيع قد ازيل ، و جعلت اكاذيب اهل الكتاب تتسرب بين المسلمين ، و لم تزل تتوسع دائرتها مع توسع البلاد.
هذا كعب الاحبار، اتى بخزعبلاته في هذا العهد، و ابدى عبداللّه بن عمرو بن العاص بمفترياته عن زاملتيه ايضا في هذاالعهد، كما كظ ابوهريرة بمخاريقه في هذا الدور المتاخر عن حياة الرسول و هكذا نرى عمر بن الخطاب قد اذن لتميم بن اوس الداري ان يقص قصصه قائما في المسجد النبوى ، علانية على رؤوس الاشهاد في هذا العهد((236)) , كما اصاخ باذنيه لمخاريق كعب يقول ابن كثير بعد ما ساق الروايات في ان الذبيح هو اسحاق : و هذه الاقوال كلها ماخوذة عن كعب الاحبار، فانه لمااسلم في الدولة العمرية جعل يحدث عمر عن كتبه قديما، فربما استمع له عمر، فترخص الناس في استماع ما عنده ، و نقلوا ما عنده عنه ، غثها و سمينها، وليس لهذه الامة حاجة الى حرف واحد مما عنده((237)) .
فقد كان العقد الثاني بعد وفاة الرسول (ص) عهد رواج القصص الاسطورية و الاسرائيليات , حسبما قال الدكتور ابوشهبة :ان بدعة القص قد حدثت في آخر عهد الفاروق : عمر بن الخطاب ((238)).
و هل كان هناك نكير على هذا الفعيل ؟.
كان عمر بين حين و آخر يشدد النكير على هذا الصنيع ، و لكن من غير تداوم عليه ، فكان هناك ـ رغم تشديد عمر ـ اناس يقومون بنسخ او ترجمة كتب العهد القديم ، و التحديث عنها بين المسلمين , اما المراجعة الى اهل الكتاب و القص على الناس فقد تعارف و شاع ذلك العهد.
اخرج الحافظ ابويعلى الموصلي عن خالد بن عرفطة ، قال : كنت جالسا عند عمر، اذ

اتي برجل مسكنه السوس ((239)) فقال له عمر : انت فلان بن فلان العبدي ؟ قال : نعم قال : و انت النازل بالسوس ؟ قال : نعم فضربه بقناة معه فقال الرجل : ما لي ياامیرالمؤمنين ؟ فجلس ، فقرا عليه : (بسم اللّه الرحمن الرحيم الر، تلك آيات الكتاب المبين انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن و ان كنت من قبله لمن الغافلين , ((240)) (فقراها عليه ثلاثا و ضربه ثلاثا فقال له الرجل : ما لي يا اميرالمؤمنين ؟ فقال : انت الذي نسخت كتاب دانيال ؟ قال : مرني بامرك اتبعه ، قال : انطلق فامحه بالحميم و الصوف الابيض ، ثم لاتقراه و لاتقرئه احدا من الناس ، فلئن بلغني عنك انك قراته او اقراته احدا من الناس لانهكتك عقوبة.

ثم قال له عمر : اجلس ، فجلس بين يديه ، فقال : انطلقت انا فانتسخت كتابا من اهل الكتاب ، ثم جئت به في اديم فقال لي رسول اللّه (ص) : ما هذا في يدك يا عمر؟ الى علمنا، فغضب رسول اللّه (ص) حتى احمرت وجنتاه ، ثم نودي بالصلاة جامعة ، فقالت الانصار : اغضب نبيكم ؟، السلاح السلاح فجاؤوا حتى احدقوا بمنبر رسول اللّه (ص)،فقال : ((يا ايها الناس اني قد اوتيت جوامع الكلم و خواتيمه ، و اختصر لي اختصارا، و لقد اتيتكم بها بيضا نقية ، فلاتهوكواو لايغرنكم المتهوكون)) قال عمر : فقمت و قلت : رضيت باللّه ربا و بالاسلام دينا و بك رسولا، ثم نزل رسول اللّه (ص.(

و يقرب من ذلك ما اخرجه الحافظ احمد بن ابراهيم الاسماعيلي عن جبير بن نضير، حدثهم ، قال : ان رجلين كانابحمص في خلافة عمر، فارسل اليهما في من ارسل من اهل حمص ، و كانا قد اكتتبا من اليهود صلاصفة((241)) , فاخذاها معهمايستفتيان فيها اميرالمؤمنين ، يقولون : ان رضيها لنا اميرالمؤمنين ازددنا فيها رغبة ، و ان نهانا عنها رفضناها فلما قدما عليه قالا :انا بارض اهل الكتاب , و انا نسمع منهم كلاما تقشعر منه جلودنا، افناخذ منه او نترك ؟ فقال : لعلكما كتبتما منه شيئا : لاقال عمر : ساحدثكما:

انطلقت في حياة النبي (ص) حتى اتيت خيبر،فوجدت يهوديا يقول قولا اعجبني ، فقلت : هل انت مكتبي مما تقول ؟قال : نعم ، فاتيت باديم فاخذ يملي على حتى كتبت في الاكراع((242)) فلما رجعت ، قلت : يا نبي اللّه ـ و اخبرته ـ قال : ائتني به فانطلقت ارغب عن الشي رجا ان اكون جئت رسول اللّه (ص) ببعض ما يجب فلما اتيت به قال : اجلس اقرا علي فقرات ساعة ، ثم نظرت الى وجه رسول اللّه (ص) فاذا هو يتلون فتحيرت من الفرق((243)) , فما استطعت ان اجيز منه حرفا فلما راى الذي بي رفعه((244)) ثم جعل يتبعه رسما رسما فيمحوه بريقه ، و هو يقول : لاتتبعوا هؤلا فانهم قد هوكوا و تهوكوا((245)) , حتى محاه عن آخره حرفا حرفا.

قال عمر : فلو علمت انكما كتبتما شيئا جعلتكما نكالا لهذه الامة قالا : واللّه مانكتب منه شيئا ابدا فخرجا بصلاصفتهما،فحفرا لها، فلم يالوا ان يعمقا، و دفناها، فكان آخر العهد منها((246)) .

و لكن هل اثر تشديد عمر في الحد عن مراجعة اهل الكتاب ؟.

انه لم يشدد على مراجعتهم ، و انما شدد على الكتابة من كتبهم كما شدد على كتابة الحديث و من ثم نراه قد اجاز للداري ان يقص على الناس ، كما شاع القص في مسجد النبي (ص) فضلا عن سائر المساجد ذلك العهد.

و هكذا سار على منهجه في اجازة القص في المساجد، من جا بعده من الخلفا و اصبح ذلك مرسوما اسلاميا فيما بعد،كما حث عليه معاوية في اجازته لكعب ان يقص على الناس حسبما عرفت.

و بعد، فان عصر الصحابة و هي الفترة بين وفاة النبى (ص) و ظهور التابعين في عرصة الفتيا و التفسير كان عصر نشؤالاسرائيليات و تسربها في التفسير و الحديث ، فضلا عن التاريخ ، ذلك ان غالبية الشؤون التاريخية كانت مما يرجع عهدها الى تاريخ الامم الماضية و الانبيا الماضين ، و كان المرجع الوحيد لدى العرب حينذاك لمعرفة احوالهم و تواريخهم هي التوراة و اهل الكتاب ، فكانوا يراجعونهم و ياخذون عنهم بهذا الشان.

قال الاستاذ الذهبي : نستطيع ان نقول : ان دخول الاسرائيليات في التفسير، امر يرجع الى عهد الصحابة ، و ذلك نظرالاتفاق القرآن مع التوراة و الانجيل في ذكر بعض المسائل((247)) مع فارق واحد، هو الايجاز في القرآن و البسط و الاطناب في التوراة و الانجيل و لقد كان الرجوع الى اهل الكتاب ، مصدرا من مصادر التفسير عند الصحابة((248)) فكان الصحابي اذا مر على قصة من قصص القرآن يجد من نفسه ميلا الى ان يسال عن بعض ما طواه القرآن منها و لم يتعرض له ، فلايجد من يجيبه على سؤاله سوى هؤلا النفر الذين دخلوا في الاسلام ، و حملوا الى اهله ما معهم من ثقافة دينية ، فالقوا اليهم ما القوا من الاخبارو القصص ((249)).

و نحن اذ نصادق الذهبي في ان الصحابة ـ على وجه الاجمال ـ كانوا يراجعون اهل الكتاب ، فيما ابهم عليهم من قصص القرآن ، و كان اولئك يلقون اليهم ما كان لديهم من قصص و اساطير.

لكن لانصادقه في حكمه ذلك على الصحابة على وجه العموم ، اذ كان علما الصحابة يابون الرجوع الى غيرهم من ذوي المعلومات الكاسدة ، بل كانوا يستنكرون من يراجعهم في قليل او كثير، حيث وفرة المعلومات الصحيحة لدى علماالاصحاب الكبار و قد كان مستقاها مسائلة الرسول (ص) مهب ط الوحي و معدن علوم الاولين و الاخرين ، فلم يدعوا صغيرة و لاكبيرة الا سالوا عنها الرسول الكريم.

هذا ابن عباس حبر الامة و ترجمان القرآن ينادي برفيع صوته : هلا من مستفهم او مستعلم و يستنكر على اولئك الذين يراجعون اهل الكتاب و لديهم الرصيد الاوفر من ذخائر العلوم فقد كان ابن عباس يسي الظن باهل الكتاب حتى المسلمة منهم.

روى البخاري باسناده الى ابن عباس ، كان يقول:

))يا معشر المسلمين كيف تسالون اهل الكتاب ، و كتابكم الذي انزل على نبيه (ص) احدث الاخبار باللّه تقراونه لم يشب ((250)) و قد حدثكم اللّه ان اهل الكتاب بدلوا ما كتب اللّه و غيروا بايديهم الكتاب ، فقالوا هو من عنداللّه ليشتروا به ثمناقليلا افلاينهاكم ما جاكم من العلم عن مسائلتهم ، و لا واللّه ما راينا منهم رجلا قط يسالكم عن الذي انزل عليكم. ((251)) ((

و هذا اميرالمؤمنين على بن ابي طالب ، سفط العلم و باب مدينة علم الرسول ، و كذا عبداللّه بن مسعود و ابى بن كعب و امثالهم من اوعية العلم ، لم يحتمل بشانهم الرجوع الى كتابى قط و هذا معلوم بالضرورة من التاريخ.

نعم انما كان يراجع اهل الكتاب من الاصحاب ، من لا بضاعة له و لا سابقة علم ، امثال عبداللّه بن عمر بن العاص ،و عبداللّه بن عمرو بن الخطاب ، و ابي هريرة و اضرابهم ، من المفلسين المعوزين.

و قد سمعت مراجعة عبداللّه بن عمرو بن العاص الى اهل الكتاب و لاسيما زاملتيه اللتين زعم انه عثر عليهما في واقعة اليرموك ، و كذا ابوهريرة تربية كعب الاحبار.

و قد ذكر اصحاب التراجم : ان عبداللّه بن عمر بن الخطاب كان ممن نشر علم كعب ، و كان راوية له.

هذا عماد الدين ابن كثير عند كلامه عن قصة هاروت و ماروت يحكم بوضع هذه القصة ، و ان منشاها روايات اسرائيلية تدور حول ما نقله عبداللّه بن عمر بن الخطاب عن كعب الاحبار، و هي مما الصقها زنادقة اهل الكتاب بالاسلام ، و ان روايات الرفع الى النبي (ص) غريبة جد ا، قال:

))و اقرب ما يكون في هذا انه من رواية عبداللّه بن عمر عن كعب الاحبار لا عن النبي (ص) كما قال عبدالرزاق في تفسيره عن الثوري عن موسى بن عقبة عن سالم عن ابن عمر عن كعب الاحبار و هكذا روى ابن جرير باسناده الى سالم انه سمع ابن عمر يحدث عن كعب الاحبار. ((252)) ((

و هذا ابوهريرة يراجع كعبا و عبداللّه بن سلام في معرفة الساعة في يوم الجمعة ، لايوافقها عبد مسلم و هو قائم يصلي ،يسال اللّه تعالى شيئا الا اعطاه اياه((253)) , فيجيباه بانها آخر ساعة من نهار يوم الجمعة ، فيرد عليهما كيف و هي ساعة لاينبغي الصلاة فيها فيراجع كعب التوراة و يرى الحق مع ابي هريرة ، و كذا ابن سلام ، و يجيبه بان الجلوس في انتظار الصلاة كانه في الصلاة((254)).

و هكذا تداومت مراجعة كتب العهدين و اهل الكتاب على عهد التابعين و تابعي التابعين و من بعدهم , على اثر تساهل السلف في ذلك ، و صارت مهنة القص على الناس عادة مالوفة بين المسلمين على طول التاريخ.
فقد كانت هناك فئة تقص بالمساجد، و تذكر الناس بمواعظها و ترغبهم و ترهبهم و لما كان هؤلا ـ علـى امثال اسلافهم المعوزين ـ ليسوا اهل علم و دراية ، و كان غرضهم استمالة العوام ، فجعلوا يختلقون القصص و الاساطير الخرافية ، و روجواالاباطيل و في هذا الكثير من الاسرائيليات و الخرافات العامية ، ما يتصادم مع العقيدة الاسلامية ، و قد تلقفها الناس منهم ، لان من طبيعة العوام الميل الى العجائب و الغرائب.
يقول ابن قتيبة بشان القصاصين و شعوذتهم:
انـهم يميلون وجه العوام اليهم ، و يستدرون ما عندهم بالمناكير و الاكاذيب من الاحاديث و من شان العـوام القعود عندالقاص ما كان حديثه عجيبا خارجا عن فطر العقول ، او كان رقيقا يحزن القلوب فـان ذكر الجنة قال : فيها الحورا من مسك او زعفران ، و عجيزتها ميل في ميل ، و يبوئ اللّه وليه قصرا من لؤلؤة بيضا، فيها سبعون الف مقصورة ، في كل مقصورة سبعون الف قبة ، و لايزال هكذا في السبعين الفا، لايتحول عنها((255)) .
و مـن هـؤلا الـقـصـاص ، من كان يبتغي الشهرة و الجاه بين الناس و منهم ، من كان يقصد التعيش و الارتـزاق و مـنهم ، من كان سيئ النية خبيث الطوية ، يقصد الافساد في عقائد الناس ، و ربما حجب جمال القرآن و تشويه سمعة الاسلام ، بما ياتي من تفاسير باطلة و خرافات تتنافى العقول.
قـال ابوشـهبة : و قد حدثت بدعة القص في آخر عهد عمر، و فيما بعد صارت حرفة ، و دخل فيه مـن لا خلاق له في العلم ،و قد ساعدهم على الاختلاق ، انهم لم يكونوا من اهل الحديث و الحفظ، و غالب من يحضرهم جهال فجالوا و صالوا في هذاالميدان و اتوا بما لايقضي منه العجب ((256)).
و يظهر انه اتخذ القصص اداة سياسية ورا ستار التذكير و الترهيب ، يستعين بها ارباب السياسات في دعم سياساتهم و توجيه العامة نحوها، كالتي نشاهدها و قد حدثت في عهد معاوية ، و هو اول من ابدع مزج السياسة بالوعظ الارشادي ، و من ثم ارتفع شان القصص حتى اصبح عملا رسميا يعهد الى رجـال رسميين يعطون عليه اجرا و في كتاب ((القضاة)) للكندي ان كثيرا من القضاة كانوا يعينون قـصـاصـا ايـضا و اول من قص بمصر سليمان بن عتر التجيبي في سنة (٣٨)، و جمع له القضاو القصص ، ثم عزل عن القضا و افرد بالقصص.
و هكذا امر معاوية ـ في هذا الوقت ـ رجالا يقصون في المساجد بعد صلاة الصبح و بعد المغرب , يدعون له و لاهل ولايته كل صباح و مسا((257)) .
و صـورة الـقـصـص : ان يجلس القاص في المسجد و حوله الناس ، فيذكرهم اللّه و يقص عليهم حـكـايـات و احاديث و قصصا عن الامم السالفة ، و اساطير و نحو ذلك ، و لايتحرون الصدق مادام الـغـرض هو الترغيب و الترهيب و التوجيه الخاص ، مهما كانت الوسيلة ، جريا مع قاعدة ((الغاية تبرر الواسطة.((
قـال الـلـيـث بن سعد : هما قصصان : قصص العامة ، و قصص الخاصة فاما قصص العامة فهو الذي يجتمع اليه النفر من الناس يعظهم و يذكرهم فذلك مكروه لمن فعله و لمن استمعه.
و امـا قـصص الخاصة فهو الذي جعله معاوية ، ولى رجلا على القصص ، فاذا سلم من صلاة الصبح جـلـس و ذكـر اللّه و حمده و مجده و صلى على النبي ، و دعا للخليفة و لاهل ولايته و حشمه و جنوده ، و دعا على اهل حربه و على المشركين كافة((258)) .
و قـد نما القصص بسرعة ، لانه كان يتفق و ميول العامة ، فضلا عن اتفاقها مع الاتجاهات السياسية الـظـالـمـة فـي الاغـلـب و قداكثر القصاص من الاكاذيب و الافتعالات , يصحبها كثير من التهم و الافترات ، فاتوا بالطامات الكبرى و ضلالات.
و قد عد الغزالي ذلك من منكرات المساجد المحرمة و المبتدعات الباطلة ، قال : فلايجوز حضور مـجلسه ، الا على قصداظهار الرد عليه ، فان لم يقدر فلايجوز سماع

البدعة ، قال اللّه تعالى لنبيه) : فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ((259)) (
.
و قد عرفت ان الامام اميرالمؤمنين (ع) طردهم من المساجد و استثنى الحسن البصرى ، لانه كان يتحرى الصدق في قوله((260)) .
و من صفاقاتهم في ذلك ، ما روي انه صلى احمد بن حنبل ، و يحيى بن معين بمسجد الرصافة فقام بين ايديهم قاص ،فقال : حدثنا احمد بن حنبل و يحيي بن معين ، قالا : حدثنا عبدالرزاق عن معمر عن قتادة عن انس ، قال : قال رسول اللّه (ص) : ((من قال : لا اله الا اللّه خلق اللّه من كل كلمة طيرا منقاره من ذهب و ريشه من مرجان)) و اخذ في قصة نحوا من عشرين ورقة.
فجعل احمد ينظر الى يحيى ، و يحيى ينظر الى احمد، يسال احدهما الاخر : هل انت حدثته بهذا؟ قال : واللّه ماسمعت بهذا الا هذه الساعة.
فلما انتهى الخطيب القاص اشار اليه يحيى ، فجا متوهما نوالا، فقال له : من حدثك بهذا؟ قال : احمد بن حنبل و يحيى بن معين فقال يحيى : انا يحيى بن معين و هذا احمد بن حنبل ، ماسمعنا بهذا قط في حديث رسول اللّه فان كان و لابدمن الكذب فعلى غيرنا فقال القاص : لم ازل اسمع ان يحيى بن معين و احمد بن حنبل احمقان ، ما تحققته الا الساعة فقال له يحيى : و كيف ؟ قال : كانه ليس في الدنيا احمد بن حنبل و يحيى بن معين فماكان منهما الا ان رضيا من النقاش بالسلامة((261)) .
و من يدري ، فلعلهما لو اطالا معه القول ، لنالهما ما نال الشعبي ، فقد دخل مسجدا، فاذا رجل عظيم اللحية ، و حوله اناس يحدثهم ، و هو يقول : ان اللّه خلق صورين ، في كل صور نفختان قال : فخففت صلاتي ، ثم قلت له : اتق اللّه يا شيخ ، ان اللّه لم يخلق الا صورا واحدا فقال لي : يا فاجر، انا يحدثني فلان و فلان ، و ترد على قلت لهم : ان اللّه خلق ثلاثين صورا في كل صور نفختان ((262)).
و هكذا كان القصاص مصدر شر و بلا على الاسلام و المسلمين.

اقسام الاسرائيليات

قسم الاستاذ الذهبي ، الاسرائيليات تقسيمات ثلاثة : ١ ـ تقسيمها الى صحيح او ضعيف او موضوع.
2ـ و الى موافقتها لما في شريعتنا او مخالفتها او مسكوت عنها.
3ـ و الى ما يتعلق بالعقائد او بالاحكام او بالمواعظ و الحوادث و العبر.
و اخيرا حكم عليها بانها متداخلة ، يمكن ارجاع بعضها الى بعض ، كما يمكن ان ندخلها تحت الاقسام الثلاثة التالية :مقبول ، و مردود، و متردد فيه بين القبول و الرد((263)) .
فالاحسن تقسيمها ـ حسب تقسيم الدكتور ابي شهبة ـ الى موافق لما في شرعنا، و مخالف ، و مسكوت عنه((264)) .
و تقسيم آخر ايضا لعله اولى : اما منقول بالحكاية شفاها ـ و هو الاكثر المروي عن كعب الاحبار و ابن سلام و ابن منبه و امثالهم ـ او موجود بالفعل في كتب العهدين الموجودة بايدينا اليوم ، و هذا كاكثر ما ينقله ائمة الهدى ، و لاسيما الامام ابوالحسن الرضا(ع) احتجاجا على اهل الكتاب ، و ليس اعتقادا بمضمونه.
ثم ان المنقول شفاها او الموجود عينا اما موافق لشرعنا او مخالف او مسكوت عنه و لكل حكمه الخاص ، نوجزه فيمايلي:
اما المنقولات الشفاهية ، حسبما يحكيه امثال كعب و ابن سلام و غيرهما، فجلها ان لم نقل كلها ,موضوع مختلق ، لا اساس له ، و انما مصدرها شائعات عامية اسطورية ، او اكاذيب افتعلها مثل كعب و ابن سلام ، او عبداللّه بن عمرو و اضرابهم ، اذلم نجد في المرويات عن هؤلا مايمكن الوثوق اليه فهي بمجموعتها مردودة عندنا، حسبما تقتضيه قواعد النقد و التمحيص.
انا نسي الظن بامثال هؤلا ممن لم يخلصوا الولا للاسلام و لم يمحضوا النصح للمسلمين ، كما لانثق بصحة معلوماتهم غير الصادرة عن تحقيق رصين ، سوى

الاعتماد على الشائعات العامية المبتذلة ان لم تكن مفتعلة اننا نجد في طيات كلامهم بعض الخبث و اللؤم المتخذ تجاه موضع الاسلام القويم ، و ربما كان حقدا على ظهور الاسلام و غلبة المسلمين فحاولواالتشويه من سمعة الاسلام و التزعزع من عقائد المسلمين.
هذا هو الطابع العام الذي يتسم به وجه الاسرائيليات على وجه العموم.
قال الاستاذ احمد امين : و اما كعب الاحبار او كعب بن ماتع اليهودي ، كان من اليمن ، و كان من اكبر من تسربت منهم اخبار اليهود الى المسلمين ، و كان كل تعاليمه ـ على ما وصل الينا ـ شفوى ة ، و ما نقل عنه يدل على علمه الواسع بالثقافة اليهودية و اساطيرها.
قال : و نرى ان هذا القصص هو الذي ادخل على المسلمين كثيرا من اساطير الامم الاخرى كاليهودية و النصرانية ، كما كان بابا دخل منه على الحديث كذب كثير، و افسد التاريخ بما تسرب منه من حكاية وقائع و حوادث مزيفة ، اتعبت الناقدو اضاعت معالم الحق((265)) .
و هكذا قال ابن خلدون فيما سبق من كلامه : فانما يسالون اهل الكتاب قبلهم ، و هم اهل التوراة من اليهود و من تبع دينهم من النصارى و اهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم ، و لايعرفون من ذلك الا ما تعرفه العامة من اهل الكتاب ،و معظمهم من حمير الذين اخذوا بدين اليهودية ، فلما اسلموا بقوا على ما كان عندهم ، و هؤلا مثل كعب الاحبار و وهب بن منبه و عبداللّه بن سلام و امثالهم ، فامتلات التفاسير من المنقولات عندهم ، و هي اخبار موقوفة عليهم و تساهل المفسرون في مثل ذلك و ملاوا كتب التفسير بهذه المنقولات ، و اصلها ـ كما قلنا ـ عن اهل التوراة الذين يسكنون البادية ، و لاتحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك ((266).
فعلى ما ذكره العلا مة ابن خلدون تكون جل المنقولات عن هؤلا الكتابيين ، لا وثوق بها، حيث مصدرها الشياع القومي ،و لكل قوم اساطيرها المسطرة في تاريخ حياتها، يحكونها و ينقلونها يدا بيد، و هذا التنقل حصل فيها التحريف و التبديل الكثير، بما الحقها بالخرافات و الاوهام ، و هؤلا اصحاب القوميات المختلفة ، دخلوا في الاسلام و معهم ثقافاتهم و تاريخهم ،اتوا بها و بثوها بين المسلمين.
قال الاستاذ احمد امين : ان كثيرا من الشعوب المختلفة ذوات التواريخ دخلت في الاسلام ، فاخذوا يدخلون تاريخ اممهم و يبثونه بين المسلمين ، اما عصبية لقومهم او نحو ذلك فكثير من اليهود اسلموا و معهم ما يعلمون من تاريخ اليهودية و اخبارالحوادث ، حسبما روت التوراة و شروحها، فاخذوا يحد ثون المسلمين بها، و هؤلا ربطوها بتفسير القرآن احيانا، و بتاريخ الامم الاخرى احيانا ان شئت فاقرا ما في الجز الاول من ((تاريخ الطبري)) تجد منه الشي الكثير، مثل ما اسند عن عبداللّه بن سلام ، انه تعالى بدا بالخلق يوم الاحد، و فرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة ، فخلق فيها آدم على عجل((267) ـ حسبما جا في التوراة ـ و كثير من هذا النوع روي حول ما ورد في القرآن من قصص الانبيا.
كذلك كان للفرس تاريخ ، و كان لهم اساطير، فلما اسلموا رووا تاريخهم و رووا اساطيرهم ، و كذلك فعل النصارى فكانت هذه الروايات و الاساطير عن الامم المختلفة مبثوثة بين المسلمين ، و مصدرا من مصادر الحركة التاريخية عندهم((268) .
و عليه فنشطب على جميع ما ينقل عن اهل الكتاب فيما يمس تفسير القرآن او تاريخ الانبيا اذا كان نقلا بالشفاه و ليس مستندا الى نص كتاب قديم معتمد، حيث مصدرها الشياع العام ، و لا اعتبار به اصلا و سنورد امثلة لاسرائيليات دخلت على الاسلام ، و كان مصدرها الشياع و الاسطورية.
و لعلك تقول : بعض ما نقل عن اهل الكتاب كان مصدره النقل من الكتاب ، اما يكتبونه منه او ينقلونه عنه ، كما في زاملتي عبداللّه بن عمرو بن العاص ، كان ينقل من كتب زعم العثور عليها في واقعة يرموك و كما في نسخة عمر بن الخطاب التي جابها الى النبى ، اكتتبها من كتب اليهود فيما حسب.

لـكـن لايـذهـب عليك ان لا وثوق بنقلهم و لو عن كتاب ، مادام الدس و التزوير شيمة يهودية جبلوا عـليها من قديم (كانوايكتبون الكتاب بايديهم) اي من عند انفسهم (ثم يقولون هذا من عندالله) كذبا و زورا (ليشتروا به ثمنا قليلا. ((269)) (
و هـذا هو الذي فهمه ابن عباس منذ اول يومه فحذر الاخذ عنهم بتاتا، قائلا : و قد حدثكم الله ان اهل الكتاب بدلوا ماكتب الله و غيروا بايديهم الكتاب ، فقالوا هو من عندالله ليشتروا به ثمنا قليلا ,افلاينهاكم ما جاكم من العلم عن مسائلتهم((270)) .
اما المراجعة الى كتب السلف و تواريخهم من يونان او فرس او الهند او اليهود او غيرهم ، فان ذلك شـي آخـر، يـجـب العمل فيه وفق سـنن النقد و التمحيص ، و على مناهج السبر و التحقيق ، حسب المتعارف المعهود.
امـا الـتـوراة ، فـفيها من الغث و السمين الشي الكثير، و هو الكتاب الوحيد الذي احتوى على تاريخ الانـبـيـا و امـمهم فيماسلف ، مصحوبا بالاساطير و الخرافات ، شان سائر كتب التاريخ القديمة و التوراة كتاب تاريخ ، قبل ان يكون كتابا سماويا، و انماسميت بالتوراة ، لاحتوائها على تعاليم اليهود ,و الـتي جا بها موسى من شرائع وقعت موضع الدس و التحريف ، و من ثم فالمراجعة اليها بحاجة الى نقد و تحقيق ، و ليس اخذا براسه.
و في العهد القديم جات تفاصيل الحوادث مما اوجز بها القرآن و طواها في سرد قضايا قصار، اخذا بـمـواضـع عبرها دون بيان التفصيل ، فتجوز المراجعة الى تلكم التفاصيل لرفع بعض المبهمات في القضايا القرآنية ، و لكن على حذر تام وفق التفصيل التالي:
فـالموجود في كتب السلف ـ فيما يمس المسائل القرآنية ـ اما موافق مع شرعنا في اصول مبانيه و في الفروع ، او مخالف او مسكوت عنه.
فالمخالف منبوذ لامحالة ، لان ما خالف شريعة الله فهو كذب باطل ، و اما المسكوت عنه فالاخذ به و تركه سوا، شان سائر احداث التاريخ.
و اليك امثلة على ذلك:
1ـ امثلة على الموافقة:
اـ جا في المزامير، المزمور (٣٧) عدد (١٠: (
))اما الودعا فيرثون الارض و يتلذذون في كثرة السلامة.((
و في عدد (٣٢) : ((لان المباركين منه يرثون الارض و الملعونين منه يقطعون.((
و في عدد (٢٩) : ((الصديقون يرثون الارض و يسكنونها الى الابد.((
و جـا تصديق ذلك في القرآن ، في قوله تعالى ، في سورة الانبيا/١٠٥ : (و لقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الا رض يرثها عبادى الصالحون. ((271)) (
قوله : (من بعد الذكر) حيث البشارة في مزامير داود (الزبور) جات بعد مواعظ و تذكير.
ب ـ و جا في سفر التثنية اصحاح (٣٢) ع (٣) وصية جامعة لنبي الله موسى (ص) جا فيها وصف الرب تعالى بالعدل و الحكمة و العظمة ، على ما جا به القرآن الكريم.
يقول فيها : ((اني باسم الرب انادي ، اعطوا عظمة لالهنا، هو الصخر الكامل صنيعه ((272)) , ان جميع سبله عدل ، اله امانة لاجور فيه ، صديق و عادل هو.((
ج ـ و جا في لاويين اصحاح (١٢) ع (٤) شريعة الختان ، كما هو في الاسلام:
))و في اليوم الثامن يختن لحم غرلته)) و الغرلة : القلفة ، و هي جلدة عضو التناسل.
د ـ و في سفر التثنية اصحاح (١٤) ع (٨) جا تحريم لحم الخنزير، لانه نجس لايجتر.
))و الخنزير، لانه يشق الظلف ، لكنه لايجتر، فهو نجس لكم.((
2ـ امثلة على المخالفة :

و الامـثـلـة عـلى مخالفة ما جا في التوراة الموجودة مع ما في القرآن فهي كثيرة جدا، فضلا عن مخالفته للفطرة و العقل الرشيد، على ما فصلناه في مباحثنا عن الاعجاز التشريعي للقرآن ، و مقارنة بعض ما جا فيه ، مع ما في

كتب العهدين((273)) .
انك تجد في كتب العهدين مخالفات كثيرة مع شريعة العقل فضلا عن شريعة السماء، فمثلا تجد فيها ما يتنافى و مقام عصمة الانبيا ما يذهلك:
ففي سفر التكوين (اص ١٩، ع١٣٠) : ان ابنتي لوط سقتا اباهما الخمر فاضطجعتا معه.
و في (الملوك الاول ، اص ١١) : ان سليمان عبد اوثانا، نزولا الى رغبة نسائه .
و في (الخروج ، اص ٣٢، ع٢١ ـ ٢٤) : ان هارون هو الذي صنع العجل و ليس السامرى.
كما تفرض التوراة عقوبة البهائم (الخروج ، اص ٢١، ع٢٨.(
و نجاسة من مس ميتا الى سبعة ايام (سفر العدد، اص ١٩، ع١١ ـ ١٦.(
و امثالها كثير.
3ـ امثلة على المسكوت عنه.
و الامـثـلـة على المسكوت عنه في شرعنا على ما جا في كتب السالفين ايضا كثيرة في كثير، كان شانها شان سائر الاحداث التاريخية التي جات في الكتب القديمة.
و لعل الحديث الوارد : ((لاتصدقوا اهل الكتاب و لاتكذبوهم ((274)) ((ناظر الى هذا النوع من الـمـسـكوت عنه في شرعنا،لانعلم صدقه عن كذبه ، لانهم خلطوا الحق بالباطل فلو صد قناه فلعله الـبـاطـل ، او كـذبـناه فلعله الحق قال (ص) : ((فيخبروكم بحق فتكذبوا به ، او بباطل فتصدقوا به ((((275)) .
و هكذا قال عبداللّه بن مسعود:
))لاتـسـالـوا اهـل الـكتاب ، فانهم لن يهدوكم ـ اي لن يخلصوا لكم النصح ـ و قد اضلوا انفسهم , فتكذبوا بحق او تصدقوابباطل. ((276)) ((
و عـلـيه فيجب الحذر فيما لم نجد صدقه و لا كذبه في الماثور من شرعنا الاسلامي و يلزم اجرا قواعد النقدو التمحيص ـ التثبت ـ فيما وجدناه في كتب القوم من آثار و اخبار.
هـذه قصة يوسف (ص) جات مواضع عبرها في القرآن و ترك الباقي ، و قد تعرض لتفاصيلها العهد القديم و هكذا سائرقصص الانبيا، و فيها الغث و السمين.

نماذج من اسرائيليات مبثوثة في التفسير

سبق القول بان في التفسير من الاسرائيليات طامات و ظلمات ، اصبحت مثارا للشك و الطعن و التقول عـلـى الاسلام و مقدساته و يرجع اكثر اللوم على الاوائل الذين زجوا بتلكم الاساطير اليهودية و غـيـرهـا فـي الـتـفـسـير و الحديث و التاريخ ،و هكذا تساهل اهل الحديث في جمع و ثبت تلكم الاسـرائيليات في كتبهم ، امثال ابي جعفر الطبري ، و جلال الدين السيوطي ,و اضرابهما من ارباب كتب التفسير بالماثور.
و قد اخذ على تفسير ابن جرير، انه يذكر الروايات من غير بيان و تمييز بين صحيحها و سقيمها ,و لـعله كان يحسب ان ذكر السند ـ و لو لم ينص على درجة الرواية قوة و ضعفاـ يخلي المؤلف عن الـمـؤاخـذة و الـتـبـعـات و تفسيره هذا مشحون بالروايات الواهية و المنكرة و الموضوعات و الاسـرائيليات ، و ذلك فيما يذكره في الملاحم و الفتن و في قصص الانبيا،و حتى في مثل قصص نبينا(ص) كما في قصة زينب بنت جحش ، على ما يرويها القصاص و المبطلون ، و امثالها كثير.
كما اخذ على تفسير ((الدر المنثور))، انه و ان عزى الروايات الى مخرجيها، لكن لم يبين منزلتها مـن الصحة و الضعف او الوضع ، و ليس كل قارئ يمكنه معرفة ذلك بمجرد ذكر السند او المصدر المخرج منه ، و لاسيما في عصورنا المتاخرة و لعله ايضا من المحدثين الذين يرون ان ابراز السند او الـمـخرج يخلي من العهدة و التبعة و في الكتاب

اسرائيليات و بلاياكثيرة ، و لاسيما في قصص الانبيا، و ذلك مثل ما ذكره في قصة هاروت و ماروت ، و في قصة الذبيح و انه اسحاق ، و في قصة يوسف ، و في قصة داود، و سليمان ، و في قصة الياس و اسرف في ذكر المرويات في بلا ايوب و معظمها مما لايصح و لايثبت ، و انما هو من الاسرائيليات التي سردها بنو اسرائيل و اكاذيبهم على الانبيا.
و هذان التفسيران هما الاساس لبث و نشر الاسرائيليات ، فيما تاخر من كتب التفسير و سنعرض منها نماذج:

1ـ الاسرائيليات في قصة هاروت و ماروت ((٢٧٧((

روى السيوطي في ((الدر المنثور))، في تفسير قوله تعالى : (و ما انزل على الملكين ببابل هاروت و ماروت ((278)) (روايات كثيرة و قصصا عجيبة ، رويت عن ابن عمر، و ابن مسعود ,و علي ، و ابن عباس ، و مجاهد، و كعب ، و الربيع ،و السدي رواها ابن جرير الطبري في تفسيره , و ابن مردويه ، و الحاكم ، و ابن المنذر، و ابن ابي الدنيا، و البيهقي ، و الخطيب في تفاسيرهم و كتبهم((279)) .
و خلاصتها : انه لما وقع الناس من بني آدم فيما وقعوا فيه من المعاصي و الكفر باللّه ، قالت الملائكة في السما : اي رب ،هذا العالم انما خلقتهم لعبادتك ، و طاعتك ، و قد ركبوا الكفر، و قتل النفس الحرام ، و اكل المال الحرام ، و السرقة ، و الزنى ،و شرب الخمر، فجعلوا يدعون عليهم ، و لايعذرونهم ، فقيل لهم : انهم في غيب ، فلم يعذروهم و في بعض الروايات : ان اللّه قال لهم : لو كنتم مكانهم لعملتم مثل اعمالهم ، قالوا : سبحانك ، ما كان ينبغي لنا و في رواية اخرى : قالوا : لا، فقيل لهم :اختاروا منكم ملكين آمرهما بامري ، و انهاهما عن معصيتي فاختاروا هاروت و ماروت ,فاهبطا الى الارض ، و ركبت فيهماالشهوة ، و امرا ان يعبدا اللّه ، و لايشركا به شيئا، و نهيا عن قتل النفس الحرام ، و اكل المال الحرام ، و السرقة ، و الزنى و شرب الخمر فلبثا على ذلك في الارض زمانا، يحكمان بين الناس بالحق ، و ذلك في زمان ادريس و في ذلك الزمان امراة حسنها فى سائر الناس كحسن الزهرة في سائر الكواكب و انها اتت عليهما فخضعا لها بالقول ، و انهما اراداها((280)) على نفسها، فابت الا ان يكونا على امرها و دينها، و انهما سالاها عن دينها ,فاخرجت لهما صنما، فقالا : لا حاجة لنا في عبادة هذا فذهبا فصبرا ما شااللّه ، ثم اتيا عليها، فخضعا لها بالقول ، و اراداها على نفسها، فابت الا ان يكونا على دينها، و ان يعبدا الصنم الذي تعبده ، فابيا،فلما رات انهما قد ابيا ان يعبدا الصنم ، قالت لهما : اختارا احدى الخلال الثلاث : اما ان تعبدا هذا الصنم , او تقتلا النفس ،او تشربا هذا الخمر فقالا : كل هذا لاينبغي ، و اهون الثلاثة شرب الخمر، و سقتهما الخمر، حتى اذا اخذت الخمر فيهما وقعابها((281)) فمر بهما انسان ، و هما في ذلك , فخشيا ان يفشي عليهما، فقتلاه ، فلما ان ذهب عنهما السكر، عرفا ما قد وقعا فيه من الخطيئة ، و ارادا ان يصعدا الى السما، فلم يستطيعا و كشف الغطا فيما بينهما، و بين اهل السما، فنظرت الملائكة الى ما قدوقعا فيه من الذنوب ، و عرفوا ان من كان في غيب فهو اقل خشية ، فجعلوا بعد ذلك يستغفرون لمن في الارض فلما وقعا فيماوقعا فيه من الخطيئة ، قيل لهما : اختارا عذاب الدنيا ,او عذاب الاخرة ، فقالا : اما عذاب الدنيا فينقطع ، و يذهب و اما عذاب الاخرة فلا انقطاع له , فاختارا عذاب الدنيا، فجعلا ببابل ، فهما بها يعذبان معلقين بارجلهما و في بعض الروايات ، انهما علماهاالكلمة التي يصعدان بها الى السما، فصعدت ، فمسخها اللّه ، فهي هذا الكوكب المعروف بالزهرة((282)) .
و يذكر السيوطي ايضا في كتابه ، ما رواه ابن جرير، و ابن ابي حاتم ، و الحاكم و صححه((283)) , و البيهقي في سننه ، عن عائشة : انها قدمت عليها امراة من دومة الجندل ، و انها اخبرتها انها جي لها بكلبين اسودين فركبت كلبا، و ركبت امراة اخرى الكلب الاخر، و لم يمض غيرقليل ، حتى وقفتا ببابل فاذا هما برجلين معلقين بارجلهما، و هما هاروت و ماروت ، و استرسلت المراة التي قدمت على عائشة في ذكر قصة عجيبة غريبة.

و يـذكـر ايضا : ان ابن المنذر اخرج من طريق الاوزاعي ، عن هارون بن رباب ، قال : دخلت على عبدالملك بن مروان و عنده رجل قد ثنيت له وسادة ، و هو متكئ عليها، فقالوا : هذا قد لقي هاروت و مـاروت ، فـقـلـت هـذا، قـالوا نعم ، فقلت : حدثنارحمك اللّه ، فانشا الرجل يحدث بقصة عجيبة غريبة((284)) .
و كل هذا من خرافات بني اسرائيل ، و اكاذيبهم التي لايشهد لها عقل ، و لا نقل ، و لا شرع ، و لم يقف بعض رواة هذاالقصص الخرافي الباطل عند روايته عن بعض الصحابة و التابعين ، و لكنهم اوغلوا بـاب الاثم ، و التجني الفاضح ,فالصقوا هذاالزور الى النبى (ص) و رفعوه اليه فقد قال السيوطى : اخرج سعيد، و ابن جرير، و الخطيب في تاريخه ، عن نافع ، قال : سافرت مع ابن عمر، فلما كان من آخر الليل قال : يا نافع ، انظر هل طلعت الحمرا؟ قلت : لا، مرتين او ثلاثا، ثم قلت : قد طلعت قال :لا مرحبا بها، و لا اهلا قلت : سبحان اللّه من رسول اللّه (ص)، قال :ان الملائكة قالت : يا رب كيف صبرك على بني آدم في الخطايا و الذنوب ؟ قال : اني ابتليتهم و عافيتكم قالوا : لو كنا مكانهم ماعصيناك قال : فاختاروا ملكين منكم ، فلم يالوا جهدا ان يـخـتـاروا فاختاروا هاروت و ماروت ، فنزلا، فالقى اللّه عليهم الشبق قلت :و ما الشبق ؟ قال : الـشـهـوة ، فـجـات امـراة يقال لها : الزهرة , فوقعت في قلبيهما، فجعل كل واحد منهما يخفي عن صاحبه ما في نفسه ، ثم قال احدهما للاخر : هل وقع في نفسك ما وقع في قلبي ؟ قال : نعم فطلباها لانـفـسـهـما، فقالت : لاامكنكما حتى تعلماني الاسم الذي تعرجان به الى السما، و تهبطان ، فابيا، ثم سـالاها ايضا، فابت ، ففعلا، فلما استطيرت طمسها اللّه كوكبا،و قطع اجنحتهما ثم سالا التوبة من ربـهـمـا، فـخـيرهما بين عذاب الدنيا، و عذاب الاخرة ، فاختارا عذاب الدنيا على عذاب الاخرة , فـاوحى اللّه اليهما : ان ائتيا ((بابل ((285)) ((فانطلقا الى بابل ، فخسف بهما، فهما منكوسان بين السما و الارض ، معذبان الى يوم القيامة.
ثـم ذكر ايضا رواية اخرى ، مرفوعة الى النبي (ص) لاتخرج في معناها عما ذكرنا ((286)) , و لايـنـبغي ان يشك مسلم عاقل فضلا عن طالب حديث في ان هذا موضوع على النبي (ص) مهما بلغت اسـانـيده من الثبوت ، فما بالك اذا كانت اسانيدها واهية ،ساقطة ، و لاتخلو من وضاع ، او ضعيف ، او مجهول ؟ و قـد حكم بوضع هذه القصة الامام ابوالفرج ابن الجوزي((287)) , و نص الشهاب العراقي على ان مـن اعـتـقد في هاروت و ماروت انهما ملكان يعذبان على خطيئتهما مع الزهرة ، فهو كافر باللّه تعالى العظيم((288)) و قال الامام القاضي عياض في ((الشفا)) : و ما ذكره اهل الاخبار، و نقله الـمـفـسـرون فـي قـصـة هـاروت و مـاروت ، لم يرد فيه شي لا سقيم((289)) , و لا صحيح عن رسول اللّه (ص)، و ليس هو شيئا يؤخذ بالقياس.
و كذلك حكم بوضع المرفوع من هذه القصة الحافظ عماد الدين ابن كثير و اما ما ليس مرفوعا فبين ان مـنـشـاه روايات اسرائيلية اخذت عن كعب و غيره الصقها زنادقة اهل الكتاب بالاسلام قال ابن كـثـيـر فـي تفسيره بعد ان تكلم على الاحاديث الواردة في هاروت و ماروت ، و ان روايات الرفع غريبة جدا : ((و اقرب ما يكون في ذلك انه من رواية عبداللّه بن عمر، عن كعب الاحبار، كما قال عـبـدالرزاق في تفسيره ، عن الثوري ، عن موسى بن عقبة ، عن سالم بن عبداللّه عن ابن عمر، عن كـعـب :و رفع مثل هذه الاسرائيليات الى النبي كذب و اختلاق ، الصقه زنادقة اهل الكتاب ، زورا و بهتانا و ذكر مثل ذلك في البداية و النهاية. ((290)) ((
قال ابوشهبة : و هذا الذي قاله ابن كثير هو الحق الذي لاينبغي ان يقال غيره و ليس ادل على هذا من ان ابـن جـريـر رواهـابـالـسـنـد الـذي ذكـره ابـن كـثـيـر، و بغيره عن ابن عمر، عن كعب الاحبار((291)) و لكن بعض الرواة غلطا، او لسؤ نية رفعها و نسبها الى النبى (ص) و كذا ردها الـمـحـقـقـون مـن الـمـفـسرين الذين مهروا في معرفة اصول الدين ، و ابت عقولهم ان تقبل هذه الخرافات كالامام الرازي ، و ابي حيان ، و ابي السعود، و الالوسي.
ثـم هذه من ناحية العقل غيرمسلمة ، فالملائكة معصومون عن مثل هذه الكبائر، التي لاتصدر الا من عربيد و قد اخبر اللّه عنهم بانهم لايعصون اللّه ما امرهم ، و يفعلون ما يؤمرون كما ورد في بعض الروايات التي اشرنا اليها آنفا رد لكلام اللّه ، و في رواية

اخرى : ان اللّه قال لهما : لو ابتليتكما بما ابتليت به بني آدم لعصيتماني ، فقالا : لو فعلت بنا يا رب ما عصيناك من له علم باللّه و صفاته ، فضلا عن الملائكة.
ثم كيف ترفع الفاجرة الى السما، و تصير كوكبا مضيئا؟ ((الزهرة ,((و زعموا انه كان امراة ،فمسخت ؟ الا في مكانه ، من يوم ان خلق اللّه السماوات و الارض.
و هذه الخرافات التي لايشهد لها نقل صحيح ، و لا عقل سليم هي كذلك مخالفة لما صار عند العلما المحدثين امرايقينيا، و لاادري ماذا يكون موقفنا امام علما الفلك ، و الكونيات ، اذا نحن لم نزيف هذه الخرافات ، و سكتنا عنها، او انتصرنالها؟ و اذا كان بعض العلما المحدثين((292)) مال الى ثبوت مثل هذه الروايات التي لانشك في كذبها ,فهذا منه تشدد في التمسك بالقواعد، من غير نظر الى ما يلزم من الحكم بثبوت ذلك من المحظورات و نحن لاننكر ان بعض اسانيدها صحيحة او حسنة ،الى بعض الصحابة او التابعين ، و لكن مرجعها و مخرجها من اسرائيليات بني اسرائيل ، و خرافاتهم ، و الراوي قد يغلط،و بخاصة في رفع الموقوف , و قد حققنا هذا في مقدمات البحث ، و ان كونها صحيحة في نسبتها، لاينافي كونها باطلة في ذاتهاو لو ان الانتصار لمثل هذه الاباطيل يترتب عليه فائدة ما، لغضضنا الطرف عن مثل ذلك ، و لمابذلنا غاية الجهد في التنبيه الى بطلانها، و لكنها فتحت على المسلمين باب شر كبير، يجب ان يغلق.
قال الامام ابومحمد الحسن بن علي العسكري (ع) و قد سئل عن الذي يقوله الناس بشان الملكين هاروت و ماروت ،و انهما عصيا اللّه ، قال : ((معاذ اللّه من ذلك ، ان الملائكة معصومون محفوظون من الكفر و القبائح بالطاف اللّه تعالى.
فقد قال اللّه فيهم : (لا يعصون اللّه ما امرهم و يفعلون ما يؤمرون. ((293)) (
و قال : (و له من في السماوات و الا رض و من عنده ـ يعني الملائكة ـ لا يستكبرون عن عبادته و لا يستحسرون يسبحون الليل و النهار لا يفترون. ((294)) (
و قال ـ في الملائكة ـ : (بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول و هم بامره يعملون يعلم ما بين ايديهم و ما خلفهم و لا يشفعون الا لمن ارتضى و هم من خشيته مشفقون (
. ((295))
و هكذا سال الخليفة المامون العباسي الامام على بن موسى الرضا(ع) عما يرويه الناس من امر))الزهرة)) و انها كانت امراة ،فتن بها هاروت و ماروت ، و ما يرويه الناس من امر ((سهيل))، و انه كان عشارا باليمن.
فقال الامام : كذبوا في قولهم : انهما كوكبان ، و انما كانتا دابتين من دواب البحرو غلط الناس انهما كوكبان ، و ماكان اللّه تعالى ليمسخ اعداه انوارا مضيئة ، ثم يبقيهما ما بقيت السما و الارض.
و قال الامام جعفر بن محمد الصادق (ع) في تفسير الاية:
كان بعد نوح (ع) قد كثرت السحرة و المموهون ، فبعث اللّه تعالى ملكين الى نبي ذلك الزمان بذكر ما يسحر به السحرة و ذكر ما يبطل به سحرهم و برد كيدهم فتلقاه النبى عن الملكين و اداه الى عباد اللّه بامر اللّه ، و امرهم ان يقفوا به على السحرو ان يبطلوه ، و نهاهم ان يسحروا به الناس و هذا كما يدل على السم ما هو، و على ما يدفع به غائلته ثم يقال لمتعلم ذلك :هذا السم فمن رايته سم فادفع غائلته بكذا، و اياك ان تقتل بالسم احدا.
و قال الامام ابوجعفر محمد بن علي الباقر(ع) بشان الشياطين في الاية:
لما مات سليمان النبى (ع) وضع الشيطان السحر و كتبه في كتاب ثم طواه ، و كتب على ظهره : هذا ما وضع آصف بن برخيا للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم ، من اراد كذا فليعمل كذا ,ثم دفنه تحت سرير سليمان ، ثم استتاره لهم فقراه ، فقال الكافرون : ماكان سليمان يغلبنا الا بهذا ,فقال اللّه : (و ماكفر سليمان ـ باعمال السحر ـ و لكن الشياطين كفروايعلمون الناس السحر. ((296)) (
اذن فليس في الاية ما يدل ـ و لو من بعد ـ على هذه القصة المنكرة ، و ليس السبب في نزول الاية ذلك ، و انما السبب ان الشياطين في ذلك الزمن السحيق كانوا يسترقون السمع من السما، ثم يضمون الى ما سمعوا اكاذيب يلفقونها، و يلقونها الى كهنة اليهود و احبارهم و قد دونها هؤلا في كتب يقرؤونها، و يعلمونها الناس ، و

فشا ذلك في زمن سليمان (ع) حتى قالوا : هذاعلم سليمان و ما تم لسليمان ملكه الا بهذا العلم ، و به يسخر الانس ، و الجن ، و الريح التي تجري بامره و هذا من افترات اليهود على الانبيا، فاكذبهم اللّه بقوله : (و ماكفر سليمان و لكن الش ياطين كفروا يعلمون الناس السحر. ((297)) (
ثم عطف عليه : (و ما انزل على الملكين) فالمراد بما انزل هو ((علم السحر)) الذي نزلا ليعلماه الناس ، حتى يحذروا منه ،فالسبب في نزولهما هو تعليم الناس ابوابا من السحر، حتى يعلم الناس الفرق بين السحر و النبوة ، و ان سليمان لم يكن ساحرا،و انما كان نبيا مرسلا من ربه و قد احتاط الملكان غاية الاحتياط، فماكان يعلمان احدا شيئا من السحر حتى يحذراه ، و يقولاله : (انما نحن فتنة) اي بلا و اختبار، فلاتكفر بتعلمه و العمل به و اما من تعلمه للحذر منه ، و ليعلم الفرق بينه و بين النبوة و المعجزة ، فهذا لا شي فيه ، بل هو امر مطلوب ، مرغوب فيه ، اذا دعت الضرورة اليه و لكن الناس ماكانوا ياخذون بالنصيحة ،بل كانوا يفرقون به بين المر و زوجه ، و ذلك باذن اللّه و مشيئته.
و قد دلت الاية على ان تعل م السحر لتحذير الناس من الوقوع فيه و العمل به مباح ، و لا اثم فيه ، و ايضا تعلمه لازالة الاشتباه بينه و بين المعجزة و النبوة مباح ، و لا اثم فيه و انما الحرام و الاثم في تعلمه او تعليمه للعمل به ، فهو مثل ما قيل:
عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ـــ و من لايعرف الشر من الناس يقع فيه.
و اليهود ـ عليهم غضب اللّه ـ لما جاهم رسول اللّه (ص) و كانوا يعلمون انه النبى الذي بشرت به التوراة ، حتى كانوايستفتحون به على المشركين قبل ميلاده و بعثته ، فلما جاهم ما عرفوا، كفروا به ، و نبذوا كتابهم التوراة ، و كتاب اللّه القرآن وراظهورهم ، و بدل ان يتبعوا الحق المبين ، اتبعوا السحر الذي توارثوه عن آبائهم و الذي علمتهم اياه الشياطين و كان الواجب عليهم ان ينبذوا السحر، و يحذروا الناس من شره ، و ذلك كما فعل الملكان : هاروت و ماروت من تحذير الناس من شروره ،و العمل به و هذا هو التفسير الصحيح للاية ، لا ما زعمه المبطلون الخرفون ، و بذلك يحصل التناسق بين الايات ، و تكون الاية متخية متعانقة و لاادري ما الصلة بين ما رووه من اسرائيليات ، و بين قوله : (و ما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر. ((298)) (
و العجب ان مثل ابن جرير حوم حول ما ذكرناه في تفسير الاية ، ثم لم يلبث ان ذكر ما ذكر((299)) .
و الخلاصة : على القارئ ان يحذر من هذه الاسرائيليات ، سوا وجدها في كتاب تفسير، او حديث او تاريخ او مواعظ،او ادب او.

2ـ اسرائيلية في المسوخ من المخلوقات

و يوغل بعض زنادقة اهل الكتاب ، فيضعون على النبى (ص) خرافات في خلق بعض انواع الحيوانات التي زعموا انهامسخت و لو ان هذه الخرافات نسبت الى كعب الاحبار و امثاله او الى بعض الصحابة و التابعين ، لهان الامر ,و لكن عظم الاثم ان ينسب ذلك الى المعصوم (ص)، و هذا اللون من الوضع و الدس من اخبث و اقذر انواع الكيد للاسلام و نبى الاسلام.
فقد قال السيوطي بعد ما ذكر طامات و بلايا في قصة هاروت و ماروت ، من غير ان يعلق عليها بكلمة:
اخرج الزبير بن بكار في الموفقيات ، و ابن مردويه ، و الديلمي ، عن على : ان النبي (ص) سئل عن المسوخ((300)) , فقال :هم ثلاثة عشر : الفيل ، و الدب ، و الخنزير، و القرد، و الجريث ((301)) , و الضب ، و الوطواط، و العقرب ، و الدعموص ،و العنكبوت ، و الارنب ، و سهيل ، و الزهرة فقيل : يا رسول اللّه ، و ما سبب مسخهن ؟ـ و اليك التخريف و الكذب الذي نبرئ ساحة رسول اللّه منهماـ فقال:
اما الفيل فكان رجلا جبارا لوطيا، لايدع رطبا و لا يابسا و اما الدب فكان مؤنثا يدعو الناس الى نفسه و اما الخنزير فكان من النصارى الذين سالوا المائدة ، فلما نزلت كفروا و اما القردة فيهود اعتدوا في السبت و اما الجريث فكان ديوثا((302)) ,

يدعوالرجال الى حليلته و اما الضب فكان اعـرابـيـا يـسرق الحاج بمحجنه و اما الوطواط فكان رجلا يسرق الثمار من رؤوس النخل و اما العقرب فكان رجلا لايسلم احد من لسانه و اما الدعموص ((303)) فكان نماما يفرق بين الاحبة و امـا العنكبوت فامراة سحرت زوجها و اما الارنب فامراة كانت لاتطهر من حيضها و اما سهيل فكان عشارا باليمن و اما الزهرة فكانت بنتا لبعض ملوك بني اسرائيل افتتن بها هاروت و ماروت الاقبح اللّه من وضع هذا الزور و الباطل ، و نسبه الى من لاينطق عن الهوى.
و مما لايقضي منه العجب ان السيوطي ذكر هذا الهرا من غيرسند، و لم يعقب عليه بكلمة استنكار و مثل هذا لايشك طالب علم في بطلانه ، فضلا عن عالم كبيرو قد حكم عليه ابن الجوزي بالوضع ، و قد ذكره السيوطي في ((اللا لئ))، و تعقبه بمالايجدي ، و كان من الامانة العلمية ان يشير الى هذا .
و بـعـد هذا الكذب و التخريف ينقل السيوطي ما رواه الطبراني في الاوسط بسند ـ ضعيف ـ كذا قال ، عن عمر بن الخطاب ، قال : جا جبرئيل الى النبي (ص) في غير حينه ، ثم ذكر قصة طويلة في وصف النار، و ان النبى بكى ، و جبريل بكى ،حتى نوديا : لاتخافا ان اللّه امنكما ان تعصياه((304)) و اغلب الظن : انه من الاسرائيليات التي دست في الرواية الاسلامية.

3ـ الاسرائيليات في بنا الكعبة : البيت الحرام و الحجر الاسود

و كـذلـك اكـثـر الـسيوطي في تفسيره ((الدر المنثور)) عند تفسير قوله تعالى : (و اذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت و اسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم (: ((305))
من النقل عن الازرقي ، و امثاله من المؤرخين و المفسرين الذين هم كحاطبي ليل ، و لايميزون بين الغث و السمين ،و المقبول و المردود، في بنا البيت ، و من بناه قبل ابراهيم ، اهم الملائكة ام آدم ؟ و الـحـجـر الاسود، و من اين جا؟ و ما وردفي فضلهما و قد استغرق في هذا النقل الذي معظمه من الاسرائيليات التي اخذت عن اهل الكتاب بضع عشرة صحيفة((306)) , لايزيد ما صح منها او ثبت عن عشر هذا المقدار.
قال ابوشهبة : و لو انه اقتصر على الرواية التي رواها البخاري في صحيحه((307)) , و رواها غـيره من العلما، لاراحنا و اراح نفسه ، و لما افسد العقول ، و سمم النفوس بكل هذه الاسرائيليات , التي نحن في غنية عنها، بما تواتر من القرآن ، و ثبت من السنة الصحيحة و في الحق : ان ابن جرير كـان مـقـتـصدا في الاكثار من ذكر الاسرائيليات في هذا الموضع ، و ان كان لم يسلم منها،و ذكر بعضها، و ذلك مثل ما رواه بسنده عن عبداللّه بن عمرو بن العاص ، قال : لما اهبط اللّه آدم من الجنة قـال : اني مهبط معك بيتا يطاف حوله كما يطاف حول عرشي ، و يصلى عنده ، كما يصلى عند عرشي فـلـمـا كان زمن الطوفان ، رفع ، فكان الانبيايحجونه ، و لايعلمون مكانه((308)) , حتى بواه اللّه ابـراهيم (ص) و اعلمه ، مكانه ، فبناه من خمسة اجبل : من حرا، و ثبير،و لبنان ، و جبل الطور، و جبل الخمر.
و اعـجـب مـن ذلـك مـا رواه بسنده عن عطا بن ابي رباح ، قال : ((لما اهبط اللّه آدم من الجنة كان رجـلاه فـي الارض ، و راسـه فـي الـسـما الـمـلائكة ، حتى شكت الى اللّه في دعائها، و في صلاتهافخفضه الى الارض فلما فقد ماكان يسمع مـنـهـم استوحش حتى شكا ذلك الى اللّه في دعائه و في صلاته ، فوجه الى مكة ، فكان موضع قدمه قـرية ، و خطوه مفازة ، حتى انتهى الى مكة ، و انزل اللّه ياقوتة من ياقوت الجنة ، فكانت على موضع البيت الان ،فلم يزل يطوف به ، حتى انزل اللّه الطوفان ، فرفعت تلك الياقوتة ، حتى بعث اللّه ابراهيم فبناه ، فذلك قول اللّه تعالى : (و اذ بوانالا براهيم مكان البيت ((309)) (الى غير ذلك مما مرجعه الى اخبار بني اسرائيل و خرافاتهم.
و لـم يـصح في ذلك خبر عن المعصوم (ص) و يرحم اللّه الامام الحافظ ابن كثير، فقد بين لنا منشا مـعـظم هذه الروايات التي هي من صنع بني اسرائيل ، و دس زنادقتهم ، فقد قال فيما رواه البيهقي في))الـدلائل))، مـن طرق عن عبداللّه بن عمرو بن

العاص عن النبى (ص) : ((بعث اللّه جبريل الى آدم ، فامره ، ببنا البيت ، فبناه آدم ، ثم امره بالطواف به ، و قال له : انت اول الناس ، و هذااول بيت وضع للناس.((
قال ابن كثير : انه من مفردات ابن لهيعة ، و هو ضعيف ، و الاشبه ـ و اللّه اعلم ـ ان يكون موقوفا على عبداللّه بن عمرو بن العاص ، و يكون من الزاملتين((310)) اللتين اصابهما يوم اليرموك ، من كتب اهل الكتاب ، فكان يحدث بما فيهما((311)) .
و قال في ((بدايته)) : و لم يجئ في خبر صحيح عن المعصوم ان البيت كان مبنيا قبل الخليل (ع)، و من تمسك في هذابقوله : (مكان البيت) فليس بناهض و لا ظاهر، لان مراده : مكانه المقدر في علم اللّه تعالى ، المقرر في قدرته ، المعظم عندالانبيا موضعه ، من لدن آدم الى زمان ابراهيم((312)) .

4ـ الاسرائيليات في قصة التابوت

و من الاسرائيليات التي التبس فيها الحق بالباطل ما ذكره غالب المفسرين في تفاسيرهم ، في قصة طالوت ، و تنصيبه ملكاعلى بني اسرائيل ، و اعتراض بني اسرائيل عليه ، و اخبار نبيهم لهم بالاية الدالة على ملكه ، و هي التابوت ، و ذلك عند قوله تعالى : (و قال لهم نبيهم ان آية ملكه ان ياتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم و بقية مما ترك آل موسى و آل هرون تحمله الملا ئكة ان في ذلك لا ية لكم ان كنتم مؤمنين. ((313)) (
فقد ذكر ابن جرير، و الثعلبي ، و البغوي ، و القرطبي ، و ابن كثير، و السيوطي في ((الدر))، و غيرهم في تفاسيرهم ، كثيرا من الاخبار عن الصحابة و التابعين ، و عن وهب بن منب ه ، و غيره من مسلمة اهل الكتاب في وصف ((التابوت))، و كيف جا،و علا م يشتمل ؟، و عن ((السكينة)) و كيف صفتها؟.
فقد ذكروا في شان التابوت انه كان من خشب الشمشاد((314)) , نحوا من ثلاثة اذرع في ذراعين ، كان عند آدم الى ان مات ، ثم عند شيث ، ثم توارثه اولاده ، الى ابراهيم ، ثم كان عند اسماعيل ، ثم يعقوب ، ثم كان في بني اسرائيل ، الى ان وصل الى موسى (ع) فكان يضع فيه التوراة و متاعا من متاعه ، فكان عنده الى ان مات ثم تداوله انبيا بني اسرائيل الى وقت شمويل ،و كان عندهم حتى عصوا، فغلبوا عليه ، غلبهم عليه العمالقة.
و هذا الكلام و ان كان محتملا للصدق و الكذب ، لكننا في غنية ، و لايتوقف تفسير الاية عليه.
و قال بعضهم : ان التابوت انما كان في بني اسرائيل ، و لم يكن من عهد آدم (ع)، و انه الصندوق الذي كان يحفظ فيه موسى (ع) التوراة و لعل هذا اقرب الى الحق و الصواب.
و كذلك اكثروا من النقل في ((السكينة))، فروي عن علي بن ابي طالب (ع) : هي ريح فجوج((315)) هفافة ، لها راسان و وجه كوجه الانسان.
و قال مجاهد : حيوان كالهر، لها جناحان و ذنب ، و لعينيه شعاع ، اذا نظر الى الجيش انهزم.
و قال محمد بن اسحق ، عن وهب بن منبه : ((السكينة)) راس هرة ميتة ، اذا صرخت في التابوت بصراخ هر ايقنوا بالنصرو هذا من خرافات بني اسرائيل و اباطيلهم.
و عن وهب بن منبه ايضا قال : ((السكينة)) روح من اللّه تتكلم ، اذا اختلفوا في شي تتكلم , فتخبرهم ببيان ما يريدون.
و عن ابن عباس : ((السكينة)) طست من ذهب ، كانت تغسل فيه قلوب الانبيا، اعطاه اللّه موسى (ع.(
و الحق انه ليس في القرآن ما يدل على شي من ذلك ، و لا فيما صح عن النبي (ص) و انما هذه من اخبار بني اسرائيل التي نقلها الينا مسلمة اهل الكتاب ، و حملها عنهما بعض الصحابة و التابعين ، و مرجعها الى وهب بن منبه ، و كعب الاحبار،و امثالهما.
قال ابوشهبة : و الذي ينبغي ان تفسر به ((السكينة)) ان المراد بها الطمانينة ، و

السكون الذي يحل بالقلب ، عند تقويم التابوت امام الجيش فهي من اسباب السكون ، و الطمانينة ، و بذلك تقوى نفوسهم ، و تشتد معنوياتهم ، فيكون ذلك من اسباب النصر فهو مثل قوله تعالى : (فانزل اللّه سكينته عليه , ((316)) (اي طمانينته ، و ما ثبت به قلبه ، و مثل قوله تعالى : (هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم , ((317)) (و قوله : (فانزل اللّه سكينته على رسوله و على المؤمنين و الزمهم كلمة التقوى و كانوا احق بها و اهلها ((318)) (فالمراد ب((السكينة ((طمانينة القلوب ، و ثبات النفوس.

5ـ الاسرائيليات في قصة قتل داود جالوت

و من الاسرائيليات ما يذكره المفسرون في قصة قتل داود ـ و هو جندي صغير في جيش طالوت ـ جالوت الملك الجبار،و ذلك عند تفسير قوله تعالى : (فهزموهم باذن اللّه و قتل داود جالوت و آتاه اللّه الملك و الحكمة و علمه مما يش و لولا دفع اللّه الناس بعضهم ببعض لفسدت الا رض و لكن اللّه ذوفضل على العالمين. ((319)) (فقد ذكر الثعلبي ، و البغوي ، و الخازن ، و صاحب ((الدر المنثور))، و غيرهم ، في تفاسيرهم ، ما خلاصته : انه عبر النهر فيمن عبر مع طالوت ـ ملك بني اسرائيل ـ ايشا : ابوداود، في ثلاثة عشر ابنا له ، و كان داود اصغرهم ، و كان يرمي بالقذافة ((320)) فلايخطئ ، و انه ذكر لابيه امر قذافته تلك ، و انه دخل بين الجبال ، فوجد اسدا فاخذ باذنيه ، فلم يهجه ، و انه مشى بين الجبال ،فسبح , فمابقي جبل حتى سبح معه ، فقال له ابوه : ابشر فان هذا خير اعطاك اللّه تعالى اياه.
فارسل جالوت الى طالوت ان ابرز الى ، او ابرز الى من يقاتلني ، فان قتلني فلكم ملكي ، و ان قتلته فلي ملككم فشق ذلك على طالوت ، فنادى في عسكره : من قتل جالوت زوجته ابنتي ، و ناصفته ملكي فهاب الناس جالوت ، فلم يجبه احد.
فسال طالوت نبيهم ان يدعو اللّه تعالى ، فدعا اللّه في ذلك ، فاتى بقرن فيه دهن القدس ، و تنور من حديد، فقيل : ان صاحبكم الذي يقتل جالوت هو الذي يوضع هذا القرن على راسه ، فيغلي الدهن حتى يدهن منه راسه ، و لايسيل على وجهه ،بل يكون على راسه كالاكليل((321)) , و يدخل هذا التنور فيملؤه ، و لايتقلقل فيه.
فدعا طالوت بني اسرائيل ، فجربهم ، فلم يوافقه منهم احد، فاوحى اللّه الى نبيهم : ان في ولد))ايشا)) من يقتل اللّه به جالوت فدعا طالوت ايشا، فقال : اعرض هذا على بنيك ، فاخرج له اثني عشر رجلا امثال السواري((322)) , فجعل يعرضهم على القرن ،فلايرى شيئا، فقال لايشا : هل بقي لك ولد غيرهم ؟ فقال : لا، فقال نبي هذا الزمان : يا رب انه زعم ان لا ولد له غيرهم , فقال اللّه : كذب ، فقال هذا النبي لايشا : ان اللّه كذبك فقال ايشا : صدق اللّه ، يا نبي اللّه ، ان لي ابنا صغيرا، يقال له : داود، استحييت ان يراه الناس لقصر قامته وحقارته ، فخلفته في الغنم يرعاها، و هو فى شعب كذا و كذا و كان داود رجلا قصيرا، مسقاما، مصفارا، ازرق ، امعر ((323)) , فدعاه طالوت ، و يقال :بل خرج اليه ، فوجد الوادي قد سال بينه و بين الزريبة التي كان يريح اليها، فوجده يحمل شاتين يجيز بهما السيل ، و لايخوض بهما الما، فلما رآه قال : هذا هو لا شك فيه ، هذا يرحم البهائم ، فهو بالناس ارحم فدعاه ، و وضع القرن على راسه ،ففاض ـ يعني من غير ان يسيل على وجهه ـ فقال طالوت : هل لك ان تقتل جالوت ، و ازوجك ابنتي ، و اجري خاتمك في ملكي ؟، قال : نعم ، قال : و هل آنست من نفسك شيئا تتقوى به على قتله ؟ قال : نعم ، و ذكر بعض ذلك .
فاخذ طالوت داود، و رده الى عسكره و في الطريق مر داود بحجر، فناداه يا داود احملني ، فاني حجر هارون الذي قتل بي ملك كذا، فحمله في مخلاته ، ثم مربخر، فناداه قائلا : انه حجر موسى الذي قتل به ملك كذا، فاخذه في مخلاته ، ثم مر بحجرثالث ، فناداه قائلا له : احملني ، فاني حجرك الذي تقتل بي جالوت ، فوضعه في مخلاته.
فلما تصافوا للقتال ، و برز جالوت ، و سال المبارزة ، انتدب له داود، فاعطاه طالوت

فرسا، و درعا ,و سـلاحا، فلبس السلاح ، و ركب الفرس ، و سار قريبا، ثم لم يلبث ان نزع ذلك ، و قال لطالوت : ان لـم ينصرني اللّه لم يغن عني هذا السلاح شيئا قال : نعم.
فاخذ داود مخلاته ، فتقلدها، و اخذ المقلاع ، و مضى نحو جالوت و كان جالوت من اشد الرجال ، و اقواهم ، و كان يهزم الجيش وحده ، و كان له بيضة فيها ثلاثمائة رطل حديد ((324)) , فلما نظر الى داود القى اللّه في قلبه الرعب و بعد مقاولة بينهما،و توعد كل منهما الاخر اخرج داود حجرا مـن مـخـلاتـه ، و وضـعه في مقلاعه ، و قال : باسم اله ابراهيم ، ثم اخرج الاخر و قال :باسم اله اسـحـاق ، و وضـعـه فـي مقلاعه ، ثم اخرج الثالث و قال : باسم اله يعقوب ، و وضعه في مقلاعه , فـصـارت كـلـها حجراواحدا و دور داود المقلاع ، و رمى به ، فسخر له اللّه الريح ، حتى اصاب الحجر انف البيضة ، فخلص الى دماغه ، و خرج من قفاه ، و قتل من ورائه ثلاثين رجلا، و هزم اللّه تـعـالـى الجيش ، و خر جالوت قتيلا فاخذه يجره ، حتى القاه بين يدي طالوت ، ففرح جيش طالوت فرحا شديدا، و انصرفوا الى مدينتهم سالمين ، و الناس يذكرون بالخير داود.
فـجا داود طالوت ، و قال له : انجز لي ما وعدتني ، فقال : و اين الصداق ؟ فقال له داود : ما شرطت عـلـى صـداقـا غـيـر قتل جالوت ، ثم اقترح عليه طالوت ان يقتل مئتي رجل من اعدائهم ، و ياتيه بـغـلـفهم((325)) , ففعل ، فزوجه طالوت ابنته ، و اجرى خاتمه في ملكه فمال الناس الى داود، و احـبـوه ، و اكـثـروا ذكره ، فحسده طالوت ، و عزم على قتله فاخبر ابنة طالوت رجل من اتباعه , فـحذرت داود، و اخبرته بما عزم ابوها عليه و بعد مغامرة من طالوت لقتل داود، و مكيدة و حيلة من داود، انجى اللّه داود منه فلما اصبح الصباح ، و تيقن طالوت ان داود لم يقتل ، خاف منه ، و توجس خيفة ، و احتاط لنفسه ، و لكن اللّه امكن داود منه ثلاث مرات ، و لكن لم يقتله ثم كان ان فر داود من طـالـوت فـي الـبـرية ، فرآه طالوت ذات يوم فيها، فاراد قتله ، و لكن داوددخل غارا، و امر اللّه العنكبوت ، فنسجت عليه من خيوطها، و بذلك نجا من الجبل ، و تعبد مع المتعبدين .

طالوت ، و لجا الى

فـطـعن الناس في طالوت بسبب داود، و اختفائه , فاسرف طالوت في قتل العلما و العباد، ثم كان ان وقـعـت التوبة في قلبه ،و ندم على ما فعل ، و حزن حزنا طويلا، و صار يطلب من يفتيه ان له توبة فلم يجد، حتى دل على امراة عندها اسم اللّه الاعظم ،فذهب اليها، و امن روعها فانطلقت به الى قبر ((شمويل))، فخرج من قبره و ارشده الى طريق التوبة ، و هو ان يقدم ولده و نفسه في سبيل اللّه حـتـى يقتلوا، ففعل و جا قاتل طالوت الى داود ليخبره بقتله ، فكانت مكافاته على ذلك ان قتله و اتى بنواسرائيل الى داود، و اعطوه خزائن طالوت ، و ملكوه على انفسهم و قد استغرق ذلك من تفسير البغوي بضع صحائف ((326)).
قال ابوشهبة : و في هذا الذي ذكروه الحق و الباطل ، و الصدق ، و الكذب ، و نحن في غنية عنه بما في ايدينا من القرآن و السنة و ليس في كتاب اللّه ما يدل على ما ذكروه ، و لسنا في حاجة الى شي من هذا في فهم القرآن و تدب ره ، فلاتلق اليه بالا، و ارم به دبر اذنيك ، فان فيه تجنيا على من اصطفاه اللّه ملكا عليهم ، و كذبا على نبي اللّه داود.
و اما الامام العلامة ابن كثير، فقد اعرض عن ذكره ، و نبه الى انه من الاسرائيليات ، فقال في قوله تـعـالى : (و قتل داودجالوت) : ذكروا في الاسرائيليات ((327)) انه قتله بمقلاع كان في يده رماه به فاصابه ، فقتله ، و كان طالوت قد وعده ان قتل جالوت ان يزوجه ابنته ، و يشاطره نعمته ، و

يشركه في امره ، فوفى له ، ثم آل الملك الى داود(ع) مع ما منحه اللّه من النبوة العظيمة ، و لهذا قال تعالى : (و آتاه اللّه الملك) الذي كان بيد طالوت ، (و الحكمة) اي النبوة بعد شمويل ، (و علمه ممايش) من العلم الذي اختصه به (ع.(

6ـ الاسرائيليات في قصص الانبيا و الامم السابقة

و قد جا في كتب التفسير ـ على اختلاف مناهجها ـ اسرائيليات كواذب ، و مرويات بواطل ، لايحصيها العد، و ذلك فيمايتعلق بقصص الانبيا و المرسلين و الامم و الاقوام السابقين و قد رويت عن بعض الصحابة ، و التابعين و تابعيهم ، و وردبعضها مرفوعا الى النبي (ص) كذبا، و زورا.
و هذه المرويات و الحكايات لاتمت الى الاسلام ، و انما هي من خرافات بني اسرائيل و اكاذيبهم ، و افتراااتهم على اللّه ،و على رسله ، رواها عن اهل الكتاب الذين اسلموا، او اخذها من كتبهم بعض الصحابة و التابعين ، او دست عليهم ، بل فيها ماحرفوا لاجله التوراة ، و ذلك مثل ما فعلوا في قصة اسحاق بن ابراهيم ، و انه هو الذبيح ، كما سياتى.
و لايمكن استقصا كل ما ورد من الاسرائيليات ، و الا لاقتضى هذا مجلدات كبارا، و لكني ساكتفي بما هو ظاهر البطلان ،و لايتفق و سنن اللّه في الاكوان ، و ما يخل بالعقيدة الصحيحة في انبيا اللّه و رسله التي يدل عليها العقل السليم ، و النقل الصحيح.

7ـ ما ورد في قصة آدم (ع(

)فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه . ((328)) (فمن تلك الاسرائيليات ما رواه ابن جرير((329)) في تفسيره بسنده عن وهب بن منبه قال : لما اسكن اللّه آدم و ذريته او زوجته ـ الشك من ابي جعفر، و هو في اصل كتابه ((و ذريته)) ـ و نهاه عن الشجرة ، و كانت شجرة غصونها متشعبة بعضها في بعض ، و كان لها ثمر تاكله الملائكة لخلدهم((330)) , و هي الثمرة التي نهى اللّه آدم عنها و زوجته ، فلما اراد ابليس ان يستزلهمادخل في جوف الحية ، و كانت للحية اربعة قوائم ، كانها بختية((331)) من احسن دابة خلقها اللّه فلما دخلت الحية الجنة خرج من جوفها ابليس ، فاخذ من الشجرة التي نهى اللّه عنها آدم و زوجته ، فجا بها الى حوا، فقال : انظري الى هذه الشجرة ، ما اطيب ريحها، و اطيب طعمها، و احسن لونها سؤاتهما فدخل آدم في جوف الشجرة ، فناداه ربه : يا آدم اين انت ؟ قال : انا هنا يا رب قال : الا تخرج ؟ قال :استحيي منك يا رب قال : ملعونة الارض التي خلقت منها، لعنة يتحول ثمرها شوكا ثم قال : يا حوا، انت التي غررت عبدي ،فانك لاتحملين حملا الا حملتيه كرها، فاذا اردت ان تضعي ما في بطنك اشرفت على الموت مرارا و قال للحية : انت التي دخل الملعون في جوفك حتى غر عبدي ، ملعونة انت لعنة تتحول قوائمك في بطنك ، و لايكن لك رزق الا التراب ، انت عدوة بني آدم ، و هم اعداؤك قال عمرو : قيل لوهب : و ماكانت الملائكة تاكل ((332)) قال ابن جرير : و روى ابن عباس نحو هذه القصة.
ثم ذكر ابن جرير بسنده عن ابن عباس ، و عن ابن مسعود، و عن ناس من الصحابة نحو هذا الكلام((333)) , و في السند اسباطعن السدي ، و عليهما تدور الروايات.
و كذلك ذكر السيوطي في ((الدر المنثور)) ما رواه ابن جرير و غيره في هذا، مما روي عن ابن عباس ، و ابن مسعود، و لكنه لم يذكر الرواية عن وهب بن منبه((334)) , و اغلب كتب التفسير بالراي ذكرت هذا ايضا و كل هذا من قصص بني اسرائيل الذي تزيدوا فيه ، و خلطوا حقا بباطل ، ثم حمله عنهم الضعفا من الصحابة و التابعين ، و فسروا به القرآن الكريم.

و لـقـد احسـن ابن جرير، فقد اشـار بذكره الرواية عن وهب الى ان ما يرويه عن ابن عباس ، و ابن مـسعود، انما مرجعه الى وهب و غيره من مسلمة اهل الكتاب ، و ياليته لم ينقل شيئا من هذا، و ياليت من جا بعده من المفسرين صانوا تفاسيرهم عن مثل هذا و في رواية ابن جرير الاولى ما يدل على ان الـذيـن رووا عـن وهـب و غـيـره كـانـوا يـشكون فيما يروونه لهم ، فقد جا في آخرها : (قال ((335))قال : يفعل اللّه ما يشا) فهم قد :قـيـل لـوهـب : و مـاكانت الملائكة تاكل ؟ استشكلوا عليه ، كيف ان الملائكة تاكل ؟ و وسـوسـة ابليس لادم (ع) لاتتوقف على دخوله في بطن الحية ,اذ الوسوسة لاتحتاج الي قرب و لا مـشـافـهة ، و قد يوسوس اليه و هو على بعد اميال منه و الحية خلقها اللّه يوم خلقها على هذا، و لم تكن لها قوائم كالبختي ، و لا شـي من هذا((336)) .

ما نسب الى ابنى آدم لما قتل احدهما الاخر

و مـن ذلـك : مـا ذكره بعض المفسرين كابن جرير الطبري في تفسيره ، و السيوطي في تفسيره ((الـدر المنثور)) في قصة ابني آدم : قابيل ، و هابيل , و قتل اولهما الاخر، ما روي عن كعب : ان الدم الذي على جبل قاسيون هو دم ابن آدم ، و عن وهب : ان الارض نشفت دم ابن آدم المقتول ، فلعن ابـن آدم الارض ، فـمـن اجل ذلك لاتنشف الارض دما بعد دم هابيل الى يوم القيامة و ان قابيل حمل هابيل سنة في جراب على عنقه ، حتى انتن و تغير، فبعث اللّه الغرابين ، قتل احدهما الاخر، فحفر له ، و دفنه برجليه و منقاره ، فعلم كيف يصنع باخيه مع ان القرآن عبر بالفا التي تدل على الترتيب و الـتـعـقـيـب من غير تراخ قال تعالى : (فبعث اللّه غرابا يبحث في الا رض ليريه كيف يواري سواة اخيه. ((337)) (
و روى ايـضـا : انـه لـما قتله اسود جسده ، و كان ابيض ، فساله آدم عن اخيه ، فقال : ماكنت عليه وكيلا قال : بل قتلته فلذلك اسود جسدك ، الى نحو ذلك.
فكل هذا و امثاله ـ عدا ما جا في القرآن ـ من اسرائيليات بني اسرائيل ، و قد جات بعض الروايات صـريـحة عن كعب ،و وهب و ما جا عن ابن عباس ، و مجاهد و غيرهما، فمرجعه الى اهل الكتاب الذين اسلموا((338)) .

ما نسب الى آدم (ع) من قول الشعر

و من الاسرائيليات ما رواه ابن جرير في تفسيره ، و ما ذكره السيوطي في ((الدر : ((من ان آدم لما قتل احد ابنيه الاخر، مكث مائة عام لايضحك حزنا عليه , فاتى على راس المائة ، فقيل له : حياك اللّه ، و بياك ، و بشر بغلام , فعند ذلك ضحك.
و كـذلك ما ذكره من ان آدم (ع) رثى ابنه بشعر، روى ابن جرير عن علي بن ابي طالب (ع) قال : لما قتل ابن آدم اخاه بكى آدم ، فقال:
تغيرت البلاد، و من عليها ـــ فوجه الارض مغبد قبيح.
تغير كل ذي لون و طعم ـــ و قل بشاشة الوجه المليح.
قـال الـسـيـوطي : و اخـرج الخطيب و ابن عساكر عن ابن عباس قال : لما قتل ابن آدم اخاه قال آدم (ع) : و ذكر البيتين السابقين باختلاف قليل.
فاجابه ابليس عليه اللعنة:
تنح عن البلاد و ساكنيها ـــ فبي في الخلد ضاق بك الفسيح.
و كنت بها و زوجك في رخا ـــ و قلبك من اذى الدنيا مريح.
فماانفكت مكايدتي و مكري ـــ الى ان فاتك الثمن الربيح((339)) .
و قـد طعن في نسبة هذه الاشعار الى نبي اللّه آدم الامام الذهبي في كتابه ((ميزان الاعتدال))، و قال : ان الافة فيه من المخرمي او شيخه((340)) .
و ما الشعر الذي ذكروه الا منحول مختلق ، و الانبيا لايقولون الشعر، و صدق الزمخشري حيث قال)) :روى ان آدم مـكـث بـعـد قتل ابنه مائة سنة لايضحك ، و انه رثاه بشعر، و هو كذب بحت و ما الشعر الا منحول ملحون و قد صح ان الانبيامعصومون

من الشعر. ((341))
و قد قال اللّه تبارك و تعالى : (و ماعلمناه الشعر و ماينبغي له ان هو الا ذكر و قرآن مبين. ((342))
و قال الالوسي في تفسيره : و روي عن ميمون بن مهران عن الحبر ابن عباس انه قال : ((من قال : ان آدم (ع) قال شعرا فقدكذب ، ان محمدا(ص) و الانبيا كلهم في النهي عن الشعر سوا و لكن لما قتل قابيل هابيل رثاه آدم بالسريانية ، فلم يزل ينقل ،حتى وصل الى يعرب بن قحطان ، و كان يتكلم بالعربية و السريانية ، فنظر فيه ، فقدم و اخر، و جعله شعرا عربيا و ذكر بعض علما العربية ان في ذلك الشعر لحنا، او اقوا، او ارتكاب ضرورة و الاولى عدم نسبته الى يعرب ، لما فيه من الركاكة الظاهرة ((343)).
قال ابوشهبة : و الحق انه شعر في غاية الركاكة ، و الاشبه ان يكون هذا الشعر من اختلاق اسرائيلي ، ليس له من العربية الاحظ قليل ، او قصاص يريد ان يستولي على قلوب الناس ، بمثل هذا الهرا.

8ـ الاسرائيليات في عظم خلق الجبارين و خرافة عوج بن عوق

و من الاسرائيليات التي اشتملت عليها كتب التفسير، ما يذكره بعض المفسرين ,عند تفسير قوله تعالى : (قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين و انا لن ندخلها حتى يخرجوا منها. ((344))
فقد ذكر الجلال السيوطي في ((الدر)) كثيرا من الروايات في صفة هؤلا القوم ، و عظم اجسادهم ، مما لايتفق و سنة اللّه في خلقه ، و يخالف ما ثبت في الاحاديث الصحيحة ، و ذلك مثل ما اخرجه ابن عبدالحكم عن ابي ضمرة قال : استظل سبعون رجلا من قوم موسى في خف رجل من العماليق اولادها رابضة في فجاج عين رجل من العماليق عباس ، قال :امر موسى ان يدخل مدينة الجبارين ، فسار بمن معه ، حتى نزل قريبا من المدينة ، و هي ((اريحا ((فبعث اليهم اثني عشر نقيبا،من كل سبط منهم عين ، لياتوه بخبر القوم , فدخلوا المدينة ، فراوا امرا عظيما من هيبتهم ، و جسمهم و عظمهم , فدخلواحائطا ـ اي بستانا ـ لبعضهم ، فجا صاحب الحائط ليجني الثمار، فنظر الى آثارهم فتبعهم ، فكلما اصاب واحدا منهم اخذه ،فجعله في كمه مع الفاكهة و ذهب الى ملكهم ، فنثرهم بين يديه ، فقال الملك : قد رايتم شاننا و امرنا، اذهبوا فاخبروا صاحبكم ،قال : فرجعوا الى موسى فاخبروه بما عاينوه من امرهم ، فقال : اكتموا عنا، فجعل الرجل يخبر اخاه و صديقه , و يقول : اكتم عني ، فاشيع في عسكرهم ، و لم يكتم منهم الا رجلان : يوشع بن نون ، و كالب بن يوحنا، و هما اللذان انزل اللّه فيهما : (قال رجلا ن من الذين يخافون انعم اللّه عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون. ((345))
و يروي ابن جرير بسنده ، عن مجاهد، نحوا مما قدمنا، ثم يذكر ان عنقود عنبهم لايحمله الا خمسة انفس ، بينهم في خشبة ، و يدخل في شطر الرمانة اذا نزع حبها خمسة انفس او اربعة((346)) , الى غير ذلك من الاسرائيليات الباطلة.

خرافة عوج بن عوق ((٣٤٧))

و من الاسرائيليات الظاهرة البطلان ، التي ولع بذكرها بعض المفسرين و الاخباريين ، عند ذكر الجبارين : قصة عوج بن عوق ، و انه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع ، و انه كان يمسك الحوت ، فيشويه في عين الشمس ، و ان طوفان نوح لم يصل الى ركبتيه ، و انه امتنع عن ركوب السفينة مع نوح ، و ان موسى كان طوله عشرة اذرع و عصاه عشرة اذرع ، و وثب في الهوا عشرة اذرع ، فاصاب كعب عوج فقتله ، فكان جسرا لاهل النيل سنة ، الى نحو ذلك من الخرافات ، و الاباطيل التي تصادم العقل و النقل ، و تخالف سنن اللّه في الخليقة و لاادري كيف يتفق هذا الباطل ، هو، و قول اللّه تبارك و تعالى) : و نادى نوح ابنه و كان في معزل يا بني اركب معنا و لا تكن مع الكافرين قال

سوى الى جبل يعصمني من الم قال لا عاصم اليوم من امر اللّه الا من رحم و حال بينهما الموج فكان من .اللهم الا اذا كان عوج اطول من جبال الارض فمن تلك الروايات الباطلة المخترعة ما رواه ابن جرير بسنده عن اسباط، عن السدي ، في قصة ذكرها من امر موسى و بني اسرائيل ، و بعث موسى النقبا الاثني عشر، و فيها : فلقيهم رجل من الجبارين يقال له : عوج ، فاخذ الاثني عشر،فجعلهم في حجزته((349)) , و على راسه حملة حطب ، و انطلق بهم الى امراته ، فقال : انظرى الى هؤلا القوم الذين يزعمون انهم يريدون ان يقاتلونا، فطرحهم بين يديها، فقال : الا اطحنهم برجلي ؟، فقالت امراته : بل خل عنهم ، حتى يخبروا قومهم بما راوا،ففعل ذلك و كذلك ذكر مثل هذا و اشنع منه غير ابن جرير و السيوطي بعض المفسرين و القصيصين ، و هي كما قال ابن قتيبة :احاديث خرافة ، كانت مشهورة في الجاهلية , الصقت بالحديث بقصد الافساد((350)) .

و اليك ما ذكره الامام الحافظ الناقد ابن كثير في تفسيره ، قال : و قد ذكر كثير من المفسرين هاهنا اخبارا من وضع بني اسرائيل ، في عظمة خلق هؤلا الجبارين ، و ان منهم عوج بن عنق بنت آدم (ع ,(و انه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع و ثلثمائة و ثلاثة و ثلاثون ذراعا، و ثلث ذراع ، تحرير الحساب ، و هذا شي يستحى من ذكره ، ثم هو مخالف لما ثبت في الصحيحين :ان رسول اللّه (ص) قال)) :ان اللّه خلق آدم ، وطوله ستون ذراعا، ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الان))، ثم ذكروا : ان هذا الرجل كان كافرا، و انه كان ولد زنية ، و انه امتنع من ركوب سفينة نوح ، و ان الطوفان لم يصل الى ركبتيه و هذا كذب و افترا، فان اللّه تعالى ذكر : ان نوحا دعا على اهل الارض من الكافرين ، فقال) : رب لا تذر على الا رض من الكافرين ديارا ((351)) (و قال تعالى :(فانجيناه و من معه في الفلك المشحون ثم اغرقنا بعد الباقين ((352)) (و قال تعالى : (لا عاصم اليوم من امر اللّه الا من رحم , ((353)) (و اذا كان ابن نوح الكافر غرق ، فكيف يبقى عوج بن عنق ، و هو كافر، و ولد زنية ؟ اعلم((354)) .

و قال ابن قيم الجوزية ، بعد ان ذكر حديث عوج : ((و ليس العجب من جراة من وضع هذا الحديث , و كذب على اللّه ،و انما العجب ممن يدخل هذا في كتب العلم من التفسير و غيره ، فكل ذلك من وضع زنادقة اهل الكتاب الذين قصدواالاستهزا، و السخرية بالرسل و اتباعهم.((

قال ابو شهبة : و سوا اكان عوج بن عوق شخصية وجدت حقيقة ، او شخصية خيالية ، فالذي ننكره هو : ما اضفوه عليه من صفات و ما حاكوه حوله من اثواب الزور و الكذب و التجرؤ، على ان يفسر كتاب اللّه بهذا الهرا و ليس في نص القرآن مايشير الى ما حكوه و ذكروه ، و لو من بعد، او وجه الاحتمال ، ثم اين زمن نوح من زمن موسى (ع) و ما يدل عليه آية : (قالوا ياموسى ان فيها قوما جبارين و انا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ((355)) (كان في زمن موسى قطعا، و لا مرية في هذا، فهل طالت الحياة بعوج حتى زمن موسى ؟ اليهود، فكم من علم افسدوا و كم من خرافات و اباطيل وضعوا((356)) .

9ـ الاسرائيليات في قصة التيه

فمن هذه الاخبار العجيبة التي رويت في قصة التيه ، ما رواه ابن جرير بسنده عن الربيع ، قال : لما قال لهم القوم ما قالوا،و دعا موسى عليهم ، اوحى اللّه الى موسى : انها محرمة عليهم اربعين سنة ، يتيهون في الارض , فلاتاس على القوم الفاسقين ،و هم يومئذ ستمائة الف مقاتل ، فجعلهم فاسقين بما عصوا، فلبثوا اربعين سنة في فراسخ ستة ، او دون ذلك ، يسيرون كل يوم جادين ، لكي يخرجوا منها، حتى يمسوا و ينزلوا، فاذا هم في الدار التي منها ارتحلوا، و انهم اشتكوا الى موسى ما فعل بهم ،فانزل عليهم المن و السلوى((357)) , و اعطوا من الكسوة ما هي قائمة لهم ، ينشا الناشي فتكون معه على هيئته و سال موسى ربه ان يسقيهم ، فاتى ((بحجر الطور))، و هو حجر ابيض , اذا ما انزل القوم ضربه بعصاه ، فيخرج منه اثنتا عشرة عينا، لكل سبط منهم عين ، قد علم كل اناس مشربهم و

كـذلـك روى : ان ثـيـابـهـم ما كانت تبلى ، و لاتتسخ و كذلك نقل بعض المفسرين كالزمخشري و غيره : بانهم كانوا ستمائة الف ، و سعة المعسكر اثناعشر ميلا.
و كـذلـك ذكـروا ان الحجر كان من الجنة ، و لم يكن حجرا ارضيا و منهم من قال : كان على هيئة راس انـسـان و منهم من قال :كان على هيئة راس شاة و قيل : كان طوله عشرة اذرع ، و له شعبتان تـتـقـدان في الظلام ، الى غير ذلك من تزيدات بني اسرائيل و ليس في القرآن ما يدل على هذا الذي ذكـروه فـي وصف الحجر، مع انه لو اريد بالحجر الجنس ، و ان يضرب اي حجرما، لكان ادل على القدرة ، و اظهر في الاعجاز.
و قـد لاحـظ ابـن خـلـدون ـ من قبل ـ المغالط التي تدخل في مثل هذه المرويات ، فقال في مقدمته المشـهورة:
اعلم ان فن التاريخ فن عزيز المذهب ، جم الفوائد، شريف الغاية ، اذ هو يوقفنا على احوال الماضين من الامم في اخلاقهم ،و الانبيا في سيرهم ، و الملوك في دولهم ، و سياستهم ، حتى تتم فائدة الاقتدا في ذلك لمن يرومه في احوال الدين و الدنيا،فهو محتاج الى مخذ متعددة ، و معارف متنوعة ، و حسـن نـظـر و تـثبت ، يفضيان بصاحبهما الى الحق ، و ينكبان به عن المزلا ت و المغالط، لان الاخبار اذا اعـتـمـد فـيـها على مجرد النقل ، و لم تحكم اصول العادة ، و قواعد السياسة ، و طبيعة العمران ،و الاحـوال في الاجتماع الانساني ، و لو قيس الغائب منها بالشاهد، و الحاضر بالذاهب ، فربما لم يؤمن فيها من العثور، و مزلة القدم ، و الحيد عن جادة الصدق ، و كثيرا ما وقع للمؤرخين ، و المفسرين و ائمـة الـنقل من المغالط في الحكايات ، و الوقائع ،لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا او سمينا، و لـم يـعـرضـوها على اصولها، و لا قاسوها باشباهها، و لا سبروها بمعيارالحكمة ، و الوقوف على طـبائع الكائنات و تحكيم النظر و البصيرة في الاخبار، فضلوا عن الحق ، و تاهوا في بيدا الوهم و الـغلط، و لاسيما في احصا الاعداد من الاموال ، و العساكر اذا عرضت في الحكايات ، اذ هي مظنة الـكـذب و مـطـيـة الـهذر،و لابد من ردها الى الاصول ، و عرضها على القواعد و هذا : كما نقل الـمـسـعودي و كثير من المؤرخين في جيوش بني اسرائيل ،و ان موسى احصاهم في التيه ، بعد ان اجـاز من كان يطيق حمل السلاح خاصة من ابن عشرين ، فما فوقها، فكانوا ستمائة الف او يزيدون , و يذهل في ذلك عن تقدير مصر و الشام ، و اتساعهما لمثل هذا العدد من الجيوش ، لكل مملكة حصة من الحامية تتسع لها، و تقوم بوظائفها، و تضيق عما فوقها، تشهد بذلك العوائد المعروفة ، و الاحوال المالوفة.
و لـقـد كـان مـلك الفرس و دولتهم اعظم من ملك بني اسرائيل بكثير، يشهد لذلك : ما كان من غلب بـخـتـنـصر لهم ، و التهامه بلادهم ، و استيلائه على امرهم ، و تخريب بيت المقدس قاعدة ملتهم و سلطانهم ، و هو من بعض عمال مملكة فارس و كانت ممالكهم بالعراقين ، و خراسان ، و ما ورا النهر ,و الابواب ، اوسع من ممالك بني اسرائيل بكثير، و مع ذلك لم تبلغ جيوش الفرس قط مثل هذا العدد و لا قـريـبـا مـنـه و اعـظـم مـا كانت جموعهم بالقادسية مائة و عشرين الفا، كلهم متبوع ، على ما نـقـله ((سيف)) قال : و كانوا في اتباعهم اكثر من مئتي الف و عن عائشة ، و الزهري : ان جموع رستم التي حف بهم سعد بالقادسية انما كانوا ستين الفا كلهم متبوع.
و ايضا : فلو بلغ بنواسرائيل مثل هذا العدد، لاتسع نطاق ملكهم ، و انفسح مدى دولتهم ، فان العمالات و الممالك في الدول ، على نسبة الحامية ، و القبيل القائمين بها في قلتها و كثرتها حسبما نبين ذلك في فـصل الممالك من الكتاب الاول((358)) , و القوم لم تتسع ممالكهم الى غير الاردن ، و فلسطين من الشام ، و بلاد يثرب ، و خيبر، من الحجاز، على ما هو المعروف.
و ايـضا : فالذي بين موسى و اسرائيل ، ان هو الا اربعة آبا، على ما ذكره المحققون ، فان موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث ـ بفتح الها و كسرها ـ بن لاوى ـ بكسر الواو و فتحها ـ بن يعقوب و هو : اسـرائيل ، هكذا نسبه في التوراة و المدة بينهماعلى ما نقله المسعودي ، قال : دخل اسرائيل مصر مع ولده الاسباط، و اولادهم ، حين اتوا الى يوسف سبعين نفسا، و كان مقامهم بمصر الى ان خرجوا مـع موسى (ع) الى التيه ،

مئتين و عشرين سنة , تتداولهم ملوك القبط من الفراعنة و يبعد ان يتشعب النسل في اربعة اجيال الى مثل هذا العدد سليمان و من بعده ،فبعيد ايضا، اذ ليس بين سليمان و اسرائيل الا احدعشر ابا، و لايتشعب النسل في احدعشر من الولد الى هذا العدد الذي زعموه ، اللهم الا المئين و الالاف ، فربما يكون و اما ان يتجاوز هذا الى ما بعدهما من عقود الاعداد فبعيد، و اعتبر ذلك في الحاضر المشاهد، و القريب المعروف تجد زعمهم باطلا، و نقلهم كاذبا.
قال : و الذي ثبت في ((الاسرائيليات)) ان جنود سليمان كانت اثني عشر الفا خاصة ، و ان مقرباته كانت الفا، و اربعمائة فرس مرتبطة على ابوابه هذا هو الصحيح من اخبارهم ، و لايلتفت الى خرافات العامة منهم ، و في ايام سليمان (ع)، و ملكه كان عنفوان دولتهم ، و اتساع ملكهم((359)) .
و هذا الفصل من النفاسة بمكان ، فلذلك حرصنا على ذكره ، لانه يفيدنا في رد الكثير من الاسرائيليات التي وقعت فيهاالمغالط، و الاخبار الباطلة ، و الخرافات التي كانت سائدة في العصور الاولى.

10ـ الاسرائيليات في : ((المائدة التي طلبها الحواريون((

و من الاسرائيليات التي ذكرها المفسرون عند تفسير قوله تعالى : (اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السم قال اتقوا اللّه ان كنتم مؤمنين قالوا نريد ان ناكل منها و تطمئن قلوبنا و نعلم ان قد صدقتناو نكون عليها من الشاهدين قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا انزل علينا مئدة من السم تكون لنا عيدا لا ولنا، و آخرنا و آية منك , و ارزقنا و انت خير الرازقين قال اللّه اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين. ((360)) (
و قد اختلف العلما في المائدة ، انزلت ام لا؟ و جمهور العلما ـ سلفا و خلفاـ على نزولها و هذا هو ظاهر القرآن ، فقدوعد اللّه ، و وعده محقق لا محالة و ذهب الحسن و مجاهد الى انها لم تنزل ، و ذلك لان اللّه سبحانه لما توعدهم على كفرهم ،بعد نزولها بالعذاب البالغ غاية الحد، خافوا ان يكفر بعضهم ، فاستعفوا، و قالوا : لانريدها فلم تنزل ، و لاندري ما الحامل لهم على هذا؟ و قد احيطت المائدة باخبار كثيرة ، اغلب الظن انها من الاسرائيليات ، رويت عن وهب بن منبه ، و كعب ، و سلمان ، و ابن عباس ، و مقاتل ، و الكلبي ، و عطا و غيرهم ، بل رووا في ذلك حديثا عن عمار بن ياسر عن النبي (ص) انه قال : ((انها نزلت خبزا و لحما، و امروا ان لايخونوا، و لايدخروا لغد)) و في رواية : بزيادة ((و لايخبئوا، فخانوا و ادخروا، و رفعوا لغد، فمسخواقردة و خنازير)) و رفع مثل هذا الى النبي غلط، و وهم من احد الرواة على ما نرجح فقد روى هذا ابن جرير في تفسيره مرفوعا،و موقوفا، و الموقوف اصح ، و قد نص على ان المرفوع لا اصل له الامام ابوعيسى الترمذي ، فقال بعد ان روى الروايات المرفوعة : ((هذا حديث قد رواه ابوعاصم و غيرواحد، عن سعيد بن ابي عروبة عن قتادة ، عن خلاس عن عمار بن ياسرموقوفا، و لانعرفه مرفوعا الا من حديث الحسن بن قزعة))، و بعد ان ذكر رواية موقوفة عن ابي هريرة ، قال : ((و هذا اصح من حديث الحسن بن قزعة ، و لانعرف للحديث المرفوع اصلا. ((361)) ((
و قد اختلفت المرويات في هذا، فروى العوفي عن ابن عباس : انها خوان عليه خبز و سمك , ياكلون منه اينما نزلوا، اذاشاوا و قال عكرمة عن ابن عباس : كانت المائدة سمكة ، و اريغفة((362)) و قال سعيد بن جبير عن ابن عباس : انزل على المائدة كل شي الا الخبز و اللحم.
و قال كعب الاحبار : نزلت المائدة تطير بها الملائكة بين السما و الارض ، عليها كل الطعام الا اللحم.
و قال وهب بن منبه : انزلها من السما على بني اسرائيل ، فكان ينزل عليهم في كل يوم في تلك المائدة من ثمار الجنة ،فاكلوا ما شاوا من ضروب شتى ، فكان يقعد عليها اربعة آلاف ، و اذا اكلوا انزل اللّه مكان ذلك لمثلهم ، فلبثوا على ذلك ما شااللّه و قال وهب ايضا : نزل عليهم اقرصة من شعير، و احوات ((363)) , و حشا اللّه بين

اضعافهن البركة ، فكان قوم ياكلون ، ثم يخرجون ، ثم يجي آخرون فياكلون ، ثم يخرجون ، حتى اكل جميعهم ، و افضلوا و هكذا لم يتفق الرواة على شي , مما يدل على انها اسرائيليات مبتدعة ، و ليس مرجعها الى المعصوم (ص) و الحق ابلج ، و الباطل لجلج ، لايت فق عليه غالبا.

و سنكتفي بذكر الرواية الطويلة التي ذكرها ابن ابي حاتم ، في تفسيره بسنده ، عن وهب بن منبه , عن ابي عثمان المهدي عن سلمان الفارسي ـ رضوان اللّه عليه ـ و خلاصتها : ((ان الحواريين لما سالوا عيسى بن مريم (ع) المائدة كره ذلك ، خشية ان تنزل عليهم ، فلايؤمنوا بها، فيكون فيها هلاكهم فلما ابوا الا ان يدعو لهم اللّه لكي تنزل دعا اللّه ، فاستجاب له ، فانزل اللّه تعالى سفرة حمرا بين غمامتين : غمامة فوقها، و غمامة تحتها، و هم ينظرون اليها في الهوا منقضة من السما ,تهوي اليهم ،و عيسى (ع) يبكي خوفا من الشرط الذي اتخذ عليهم فيها، فمازال يدعو حتى استقرت السفرة بين يديه ، و الحواريون حوله يجدون رائحة طيبة ، لم يجدوا رائحة مثلها قط، و خر عيسى (ع) و الحواريون سجدا، شكرا للّه تعالى ، و اقبل اليهود ينظرون اليهم ، فراوا ما يغمهم ثم انصرفوا، فاقبل عيسى (ع) و من معه ينظرونها، فاذا هي مغطاة بمنديل ، فقال (ع) : من اجرؤنا على كشفه ، و اوثقنا بنفسه ، و احسننا بلا عند ربه ، حتى نراها، و نحمد ربنا سبحانه و تعالى ، و ناكل من رزقه الذي رزقنا؟ فقالوا : ياروح اللّه و كلمته ، انت اولى بذلك ، فقام و استانف وضؤا جديدا، ثم دخل مصلا ه ، فصلى ركعات ، ثم بكى طويلا، و دعا اللّه تعالى ان ياذن له في الكشف عنها ,و يجعل له و لقومه فيها بركة و رزقا، ثم انصرف و جلس حول السفرة و تناول المنديل ،و قال : بسم اللّه خير الرازقين ، و كشف عنها، فاذا عليها سمكة ضخمة مشوية ، ليس عليها بواسير((364)) , و ليس في جوفهاشوك ، يسيل السمن((365)) منها، قد نضد حولها بقول من كل صنف غير الكراث ، و عند راسها خل ، و عند ذنبها ملح ، و حول البقول خمسة ارغفة على واحد منها زيتون ، و على الاخر تمرات ، و على الاخر خمس رمانات ، و في رواية : على واحد منهازيتون ، و على الثاني عسل ، و على الثالث سمن ، و على الرابع جبن ، و على الخامس قديد((366)) فقال شمعون ـ راس الحواريين ـ لعيسى : يا روح اللّه و كلمته ، امن طعام الدنيا هذا ,ام من طعام الجنة ؟، فقال عيسى : اما آن لكم ان تعتبروا بما ترون من الايات ، و تنتهوا عن تنقير المسائل ؟ ماارادت بهذا سؤالا((367)) يا ابن الصديقة ، فقال عيسى (ع) : ليس شي مما ترون من طعام الدنيا ,و لا من طعام الجنة ،انما هو شي ابتدعه اللّه في الهوا بالقدرة الغالبة القاهرة.

فقالوا : يا روح اللّه و كلمته ، انا نحب ان يرينا اللّه آية في هذه الاية ، فقال (ع) : سبحان اللّه تعالى اما اكتفيتم ؟ طرية يا سمكة عودي باذن اللّه تعالى كما كنت مشوية ،فعادت ، ثم دعاهم الى الاكل فامتنعوا، حتى يكون هو البادئ ، فابى ، ثم دعا لها الفقرا و الزمنى ، و قال : كلوا من رزق ربكم ،و دعوة نبيكم ، و احمدوا اللّه تعالى الذي انزلها لكم ، فيكون مهنؤها لكم ، و عقوبتها على غيركم ، و افتتحوا اكلكم باسم اللّه تعالى ، و اختتموه : بحمد اللّه ففعلوا، فاكل منها الف و ثلاثمائة انسان : بين رجل و امراة , يصدرون عنها كل واحد منها شبعان يتجشا و نظر عيسى و الحواريون ، فاذا ما عليها كهيئته اذ نزلت من السما، لم ينقص منها شي ، ثم انها رفعت الى السما و هم ينظرون ، فاستغنى كل فقير اكل منها، و برئ كل من اكل منها، و ندم الحواريون و اصحابهم الذين ابوا ان ياكلوا منها ندامة سالت منها اشفارهم ، و بقيت حسرتها في قلوبهم ، الى يوم الممات ((368)).

و كانت المائدة اذا نزلت بعد ذلك اقبل اليها بنواسرائيل يسعون من كل مكان ، يزاحم بعضهم بعضا فلما راى ذلك ، جعلهانوبا تنزل يوما و لاتنزل يوما، و مكثوا على ذلك اربعين يوما، تنزل عليهم غبا ,عند ارتفاع النهار، فلاتزال موضوعة يؤكل منها،حتى اذا قالوا ((369)) ارتفعت عنهم الى جو السما، و هم ينظرون الى ظلها في الارض ، حتى تتوارى عنهم((370)).

فاوحى اللّه تعالى الى عيسى (ع) : ان اجعل رزقي لليتامى ، و المساكين ، و الزمنى دون الاغنيا من الناس فلما فعل ذلك ارتاب بها الاغنيا، و عمصوا ذلك ، حتى

شكوا فيها في انفسهم ، و شككوا فيها الناس ، و اذاعوا في امرها القبيح ، و المنكر،و ادرك الشيطان منهم حاجته ، و قذف وساوسه في قلوب المرتابين فلما علم عيسى ذلك منهم قال : هلكتم و اله المسيح ،سالتم نبيكم ان يطلب المائدة لكم الى ربكم ، فلما فعل ، و انزلها عليكم رحمة و رزقا، و اراكم فيها الايات و العبر، كذبتم بها،و شككتم فيها، فابشروا بالعذاب ، فانه نازل بكم الا ان يرحمكم اللّه تعالى و اوحى اللّه تعالى الى عيسى (ع) : اني آخذالمكذبين بشرطي ، فاني معذب منهم من كفر بالمائدة بعد نزولها عذابا لااعذبه احدا من العالمين فلما امسى المرتابون بها،و اخذوا مضاجعهم في احسن صورة مع نسائهم آمنين , فلما كان في آخر الليل مسخهم اللّه خنازير، فاصبحوا يتبعون الاقذار في الكناسات.

قال ابن كثير في تفسيره بعد ذكره : ((هذا اثر غريب ((371)) جدا قطعه ابن ابي حاتم في مواضع من هذه القصة ، و قد جمعته انااليكون سياقة اتم ، و اكمل ، واللّه سبحانه و تعالى اعلم.((

و من هذه الروايات الغريبة دخل البلا على الاسلام و المسلمين ، لان غالبها لايصح ، و لذا قال الامام احمد بن حنبل :((لاتكتبوا هذه الاحاديث الغرائب فانها مناكير، و عامتها عن الضعفا.((

و قال الامام مالك : ((شر العلم الغريب ، و خير العلم الظاهر الذي قد رواه الناس.((

و قال ابن المبارك : ((العلم : الذي يجيئك من هاهنا و هاهنا)) يعني المشهور الذي رواه الكثيرون رواها البيهقي في المدخل ، و روي عن الزهري انه قال : ((ليس من العلم ما لايعرف ، انما العلم ما عرف و تواطات عليه الالسن. ((372)) ((

و العمدة ان اصل القصة ثابت بالقرآن الذي لا شك فيه ، و انما موضع الشك في كل هذه التزيدات التي هي من الاسرائيليات.

و قد ذكر المفسرون جميعا كل ما يدور حول قصة المائدة ، و ان اختلفوا في ذلك قلة و كثرة((373)) و العجب ان احدا لم ينبه على اصل هذه المرويات ، و المنبع الذي نبعت منه ، حتى ابن كثير و الالوسي ـ و ان كان ابن كثير قد اشار من طرف خفى الى عدم صحة معظم ما روي ـ و لعلهم اعتبروا ذلك مما يباح روايته ، و يحتمل الصدق و الكذب ، فذكروه من غير انكار له ، و كان عليهم ان ينزهوا التفسير عن هذا و امثاله.

و قد شكك في القصة الطويلة التي اختصرناها ابوعبداللّه محمد بن احمد القرطبي ، فقال : قلت : في هذا الحديث مقال ،و لايصح من قبل اسناده((374)) .

ثم عرض بعد لما روي مرفوعا، و موقوفا، و ذكر ما قاله الامام ابوعيسى الترمذي : من ان الموقوف اصح ، و ان المرفوع لااصل له((375)) .

قال ابوشهبة : و لاجل ان نكون على بينة من ان تفسير الايات ، و الانتفاع بها، و الاهتدا بهديها ليس متوقفا على مارووا من اخبار، و قصص ، نفسر لك الايات تفسيرا صحيحا، كما هو منهجنا في كل ما عرضنا له ، فاقول و باللّه التوفيق:

قال اللّه تعالى : (اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مئدة من السم ((376)) (اذ :ظرف لما مضى من الزمان ، و هو مفعول لفعل محذوف ، و التقدير : اذكر يا محمد ما حدث في هذا الزمن البعيد ليكون دليلاعلى صدق نبوتك ، فما كنت معهم ، و لا صاحبت اهل الكتاب ، و لم تكن قارئا، و لا كاتبا.

الحواريون : جمع حوارى ، و هم المخلصون الاصفيا من اتباع عيسى (ع) و يطلق ايضا على الاصحاب المخلصين من اتباع الانبيا.

المائدة : الخوان : الذي عليه الطعام ، فان لم يكن عليها طعام فهو خوان السما : اما المعروفة او المراد بها جهة العلو، فانهاقد تطلق و يراد بها كل ما علا.

و ليس المراد بالاستفهام هو اصل الاستطاعة ، و انهم ماكانوا يعلمون هذا، لان السائلين كانوا مؤمنين ، عارفين ، عالمين باللّه و صفاته ، بل في اعلى درجات هذه الصفات و انما المراد بالسؤال : الانزال بالفعل ، من قبيل اطلاق السبب و ارادة المسبب ،و المعنى : هل يجيبنا ربك ـ يا نبينا عيسى ـ الى ذلك ام لا؟.

و قال بعض العلما : ليس ذلك بشك في الاستطاعة ، وانما هو تلطف في السؤال ، و ادب مع اللّه تعالى بهذه الصيغة المهذبة ، كقول الرجل لاخر : هل تستطيع ان تعتبني على كذا، و هو يعلم انه يستطيع.

و اما قول من قال : انه من قول من كان مع الحواريين ، فبعيد لخروجه عن ظاهر الاية ، و لاسيما ان تفسير الاية مستقيم غاية الاستقامة ، على ما ذكرنا.
و هذا السؤال اما لفقرهم و حاجتهم ، و اما لتعرف فضل نبيهم عيسى ، و فضلهم و كرامتهم عند ربهم .
و اما ما روي : ان عيسى امرهم بصيام ثلاثين يوما، ثم ليسالوا ربهم ما يشاون ، فصاموا و سالوا ,فلست منه على ثلج (قال : اتقوا اللّه ان كنتم مؤمنين.(
ليس هذا شكا في ايمانهم ، و انما هو اسلوب معهود، حملا على التقوى ، كما قال تعالى في حق المؤمنين الصادقين ، من هذه الامة المحمدية : (و اطيعوا اللّه و رسوله ان كنتم مؤمنين , ((377)) (و المعنى : اتقوا اللّه و لاتسالوه ، فعسى ان يكون فتنة لكم ، و توكلوا على اللّه في طلب الرزق ، او اتقوا اللّه ، و دعوا كثرة السؤال ، فانكم لاتدرون ما يحل بكم عند اقتراح الايات ، لان اللّه سبحانه انما يفعل الاصلح لعباده ، (ان كنتم مؤمنين) من اهل الايمان باللّه ، و رسله , و لاسيما انه سبحانه آتاكم من الايات ما فيه غنية عن غيره (قالوا نريد ان ناكل منها) بداوا بالغذا المادي ، ثم ثنوا بالغذا الروحي ، فقالوا : (و تطمئن قلوبنا)،و هو مثل قول الخليل ابراهيم (ع) : (و لكن ليطمئن قلبي . ((378)) (

)و نعلم ان قد صدقتنا) اي نزداد علما، و يقينا بصدقك ، و حقيقة رسالتك (و نكون عليها من الشاهدين) اي المقرين المعترفين للّه بالوحدانية ، و لك بالنبوة و الرسالة ، او من الشاهدين عليها لمن لم يرها و يعاينها.
)قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا انزل علينا مئدة من السم تكون لنا عيدا لا ولنا و آخرنا. ((379)) (
العيد : يوم الفرح و السرور، (لا ولنا) : لاول امتنا (و آخرنا) : لاخر امتنا، او لنا، و لمن بعدنا.
)و آية منك) اي دليلا، و حجة على قدرتك ، على كل شي ، و على اجابتك لدعوتي ، فيصدقوني فيما ابلغه عنك ،(و ارزقنا) اي من عندك رزقا هنيئا لا كلفة فيه ، و لا تعب ، (و انت خير الرازقين) اي خير من اعطى و رزق ، لانك الغني الحميد.
)قال اللّه اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين , ((380)) (اي (فمن يكفر)، اي يكذب بها من امتك يا عيسى ، و عاندها، فاني اعذبه عذابا ,لااعذبه احدا من عالمي زمانكم و هذا على سبيل الوعيد لهم ، و التهديد و ليس في الاية ما يدل على انهم كفروا، و لا على ان غيرهم قد كفر بها، و لا على انهم استعفوا من نزول المائدة ، و انما الذي دعا بعض المفسرين الى هذه الاقوال ، ما سمعت من الروايات الاسرائيلية ، و هانحن قد فسرنا الايات تفسيرا علميا صحيحا من غير حاجة ما الى ما روي ، مما يدل دلالة قاطعة على ان مفسر القرآن في غنية عن الاسرائيليات التي شوهت جمال القرآن و جلاله.

11ـ الاسرائيليات في ((سؤال موسى ربه الرؤية((

و من الاسرائيليات ما يذكره بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى : (و لما ج موسى لميقاتنا و كلمه ربه ، قال رب ارني انظر اليك قال لن تراني ، و لكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني ، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا،و خرموسى صعقا فلم ا افاق قال سبحانك تبت اليك و انا اول المؤمنين , ((381)) (فقد ذكر الثعلبي ، و البغوي ، و غيرهما عن وهب بن منبه ، و ابن اسحاق ، قالا :
))لما سال موسى ربه الرؤية ارسل اللّه الدواب ، و الصواعق ، و الظلمة ، و الرعد، و

البرق و احاط بالجبل الذي عليه موسى اربعة فراسخ من كل جانب ، و امر اللّه ملائكة السماوات ان يعترضوا على موسى ، فمرت به ملائكة السما الدنيا كثيران ((382)) البقر، تنبع افواههم بالتسبيح و التقديس باصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد، ثم امر اللّه ملائكة السما الثانية ان اهبطوا على موسى ، فاعترضوا عليه فهبطوا عليه امثال الاسود، لهم لجب ((383)) بالتسبيح و التقديس ، ففزع العبد الضعيف (ابن عمران) ممارای ، و سمع ، و اقشعرت كل شعرة في راسه و جسده ، ثم قال : لقد ندمت على مسالتي ، فهل ينجيني من مكاني الذي انا فيه ؟.
فقال له خير الملائكة((384)) و راسهم : يا موسى اصبر لما سالت ، فقليل من كثير ما رايت ، ثم امر ملائكة السما الثالثة ان اهبطوا على موسى ، فاعترضوا عليه فهبطوا امثال النسور، لهم قصف ، و رجف ، و لجب شديد، و افواههم تنبع بالتسبيح ،و التقديس كجلب الجيش العظيم ، الوانهم كلهب النار ففزع موسى ، و اشتد فزعه ، و ايس من الحياة ، فقال له خير الملائكة :مكانك حتى ترى ما لاتصبر عليه.
ثم امر اللّه ملائكة السما الرابعة ان اهبطوا، فاعترضوا على موسى بن عمران فهبطوا عليه , لايشبههم شي من الذين مروابه قبلهم ، الوانهم كلهب النار، و سائر خلقهم كالثلج الابيض ، اصواتهم عالية بالتقديس و التسبيح ، لايقاربهم شي من اصوات الذين مروا به من قبلهم ، فاصطكت ركبتاه ، و ارتعد قلبه ، و اشتد بكاؤه ، فقال له خير الملائكة و راسهم : يا ابن عمران اصبر لماسالت ، فقليل من كثير ما رايت.
ثم امر اللّه ملائكة السما الخامسة ان اهبطوا، فاعترضوا على موسى فهبطواعليه ، لهم سبعة الوان , فلم يستطع موسى ان يتبعهم بصره ، لم يرمثلهم ، و لم يسمع مثل اصواتهم ، فامتلا جوفه خوفا، و اشتد حزنه ، و كثر بكاؤه ، فقال له خير الملائكة و راسهم : يا ابن عمران مكانك ، حتى ترى بعض ما لاتصبر عليه.
ثم امر اللّه ملائكة السما السادسة ان اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه في يد كل ملك منهم مثل النخلة الطويلة نارا اشد ضؤا من الشمس ، و لباسهم كلهب النار، اذا سبحوا و قدسوا جاوبهم من كان قبلهم من ملائكة السماوات كلهم ، يقولون بشدة اصواتهم : سبوح قدوس ، رب الملائكة و الروح ، رب العزة ابدا لايموت و في راس كل ملك منهم اربعة اوجه فلما رآهم موسى رفع صوته ، يسبح معهم حين سبحوا، و هو يبكي و يقول : رب اذكرني و لاتنس عبدك ، لاادري اانفلت مما انا فيه ام لا؟ ان خرجت احترقت ، و ان مكثت مت ، فقال له كبير الملائكة و راسهم : قد اوشكت ((385)) يا ابن عمران ان يشتدخوفك ، و ينخلع قلبك ، فاصبر للذي سالت.
ثم امر اللّه ان يحمل عرشه ملائكة السما السابعة ، فلما بدا نور العرش ، انفرج الجبل من عظمة الرب جل جلاله و رفعت ملائكة السماوات اصواتهم جميعا، يقولون : سبحان الملك القدوس ، رب العزة ابدا لايموت ، بشدة اصواتهم فارتج الجبل ،و اندكت كل شجرة كانت فيه ، و خر العبد الضعيف موسى صعقا على وجهه ، ليس معه روحه ، فارسل اللّه برحمته الروح ،فتغشاه ، و قلب عليه الحجر الذي كان عليه موسى ، و جعله كهيئة القبة ، لئلايحترق موسى((386)) , فاقام موسى يسبح اللّه ،و يقول : آمنت بك ربي ، و صدقت انه لايراك احد، فيحيا، من نظر الى ملائكتك انخلع قلبه ، فما اعظمك و اعظم ملائكتك ،انت رب الارباب و اله الالهة و ملك الملوك ، و لا يعدلك شي ، و لايقوم لك شي ، رب تبت اليك ، الحمدللّه لا شريك لك ، مااعظمك ، و ما اجلك رب العالمين ، فذلك قوله تعالى) :فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا)، و بعد ان ذكر الاقوال الكثيرة فيماتبدى من نور اللّه ، قال : و وقع في بعض التفاسير : طارت لعظمته ستة اجبل ، وقعت ثلاثة بالمدينة : احد، و ودقان ، و رضوى ،و وقعت ثلاثة بمكة : ثور، و ثبير، و حرا((387)) .
و هذه المرويات و امثالها مما لانشك انها من اسرائيليات بني اسرائيل ، و كذبهم على اللّه ، و على الانبيا، و على الملائكة ، فلاتلق اليه بالا و ليس تفسير الاية في حاجة الى هذه المرويات ، و الاية ظاهرة واضحة.
و من ذلك ايضا : ما ذكره الثعلبي ، و البغوي ، و الزمخشري في تفاسيرهم عند قوله تعالى : (و خر موسى صعقا) اي مغشيا عليه ، و ليس المراد ميتا كما قال قتادة.
فقد قال البغوي ، في بعض الكتب : ان ملائكة السماوات اتوا موسى و هو مغشى

عليه ، فجعلوا و ذكر مثل هذا الزمخشري في تفسيره((389)) .
و هـذا و امـثاله مما لانشك انه من الاسرائيليات المكذوبة ، و موقف بني اسرائيل من موسى ، و من جميع انبيا اللّه معروف ، فهم يحاولون تنقيصهم ما استطاعوا الى ذلك سبيلا.
و قال الالوسي في تفسيره : ((ونقل بعض القصاصين ، ان الملائكة كانت تمرعليه حينئذ، فيلكزونه بارجلهم ، و يقولون : ياابن النسا الحيض ، اطمعت في رؤية رب العزة ؟)) و هو كلام ساقط لايعول عـلـيـه بـوجـه ، فان الملائكة (ع) مما يجب تبرئتهم من اهانة الكليم بالوكز بالرجل ، و الغض في الخطاب ((390)).

12ـ الاسرائيليات في الواح التوراة

و مـن الاسرائيليات ما ذكره الثعلبي و البغوي ، و الزمخشري ، و القرطبي و الالوسي و غيرهم ، عند تفسير قوله تعالى :(و كتبنا له في الا لواح من كل شي موعظة و تفصيلا لكل شي فخذها بقوة ، و امر قومك ياخذوا باحسنها ساوريكم دارالفاسقين ((391)) (.
فقد ذكر في الالواح : مم هي ؟ و ما عددها؟ اقوالا كثيرة عن بعض الصحابة و التابعين ، و عن كعب و وهـب ، مـن اهـل الـكـتاب الذين اسلموا، مما يشير الى منبع هذه الروايات ، و انها من اسرائيليات بني اسرائيل ، و فيها من المرويات ما يخالف المعقول و المنقول ، و اليك ما ذكره البغوي في هذا، قال. :
قـوله تعالى : (و كتبنا له)، يعني لموسى (في الا لواح)، قال ابن عباس : يريد الواح التوراة ، و في الحديث : ((كانت من سدر الجنة ، طول اللوح اثناعشر ذراعا))، و جا في الحديث : ((خلق اللّه آدم بيده ، و كتب التوراة بيده ، و غرس شجرة طوبى بيده)) ((392)) .
و قال الحسن : كانت الالواح من خشب ، و قال الكلبي : كانت من زبرجدة خضرا.
و قال سعيد بن جبير : كانت من ياقوت احمر، و قال الربيع : كانت الالواح من برد ((393)).
و قال ابن جريج : كانت من زمرد، امر اللّه جبريل حتى جا بها من عدن ، و كتبها بالقلم الذي كتب به الذكر، و استمد من نهر النور و قـال وهـب : امـر اللّه بقطع الالواح من صخرة صما، لينها اللّه له ، فقطعها بيده ، ثم شققها بيده ، و سـمـع مـوسـى صرير القلم بالكلمات العشر، و كان ذلك في اول يوم من ذي القعدة ، و كانت الالواح عشرة اذرع ، على طول موسى و قال مقاتل و وهب : (و كتبنا له في الا لواح) : كنقش الخاتم.
و قال الربيع بن انس : نزلت التوراة و هي سبعون وقر بعير، يقرا الجز منه في سنة ، لم يقراها الا اربعة نفر : موسى ،و يوشع ، و عزير، و عيسى((394)) .
فـكـل هذه الروايات المتضاربة التي يرد بعضها بعضا مما نحيل ان يكون مرجعها المعصوم (ص) و انما هي من اسرائيليات بني اسرائيل ، حملها عنهم بعض الصحابة و التابعين بحسن نية ، و ليس تفسير الاية متوقفا على كل هذا الذي رووه و من ذلك :ما يذكره بعض المفسرين في قوله تعالى : (من كل شـى مـوعظة و تفصيلا لكل شي)، فقد جعلوا التوراة مشتملة على كل ماكان و كل ما يكون ، و هذا مـمـا لايعقل ، و لايصدق ، فمن ذلك : ما ذكره الالوسي في تفسيره ، قال : و ما اخرجه الطبراني ،و البيهقي في ((الدلائل)) عن محمد بن يزيد الثقفي ، قال : اصطحب قيس بن خرشة ، و كعب الاحبار حـتـى اذا بـلغا صفين ، وقف كعب ، ثم نظر ساعة ، ثم قال : ليهراقن بهذه البقعة من دما المسلمين شي لايهراق ببقعة من الارض مثله.
فقال قيس : ما يدريك ؟ فان هذا من الغيب الذي استاثر اللّه تعالى به ؟ فقال كعب : ما من الارض شبر الا مكتوب في التوراة التي انزل اللّه تعالى على موسى ، مايكون عليه ، و مايخرج منه الى يوم القيامة و هو من المبالغات التي روي امثالها عن كعب و لانصدق ذلك ، و لعلها من الكذب الذي لاحظه عليه ,مـعاوية بن ابي سفيان على ما اسلفنا سابقا، و لايعقل قط ان يكون في التوراة كل احداث الدنيا الى يوم القيامة.

و الـمحققون من المفسرين سلفا و خلفا، على ان المراد ان فيها تفصيلا لكل شي ، مما يحتاجون اليه فـي الـحـلال و الحرام ،و المحاسن و القبائح مما يلائم شريعة موسى وعصره ، الا فقد جا القرآن الكريم باحكام و آداب ، و اخلاق ، لاتوجد في التوراة قط.
و قد ساق الالوسي هذا الخبر، للاستدلال به لمن يقول : ان كل شي عام ، و كانه استشعر بعده ، فقال عقبه : ((ولعل ذكرذلك من باب الرمز، كما ندعيه في القرآن)) ((395)) .
و لابـد ان نقول للالوسي و من لف لفه : ان هذا مردود و غير مقبول ، و نحن لانسلم بان في القرآن رموزا، و اشارات لاحداث ، و ان قاله البعض ، و الحق احق ان يتبع.

13ـ اسرائيلية مكذوبة في سبب غضب موسى لما القى الالواح

و مـن الاسـرائيـليات ما رواه ابن جرير في تفسيره ، و البغوي في تفسيره , و غيرهما، في سبب غـضـب سيدنا موسى (ع)حتى القى الالواح من يديه ، و ذلك في قوله تعالى : (و لما رجع موسى الى قـومـه غضبان اسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي اعجلتم امر ربكم ؟ و القى الا لواح((396)) و اخـذ براس اخيه يجره اليه قال ابن ام ان القوم استضعفوني و كادوا يقتلونني فلا تشمت بي الا عدآ و لا تجعلني مع القوم الظالمين. ((397)) (
فـقـد روي عن قتادة انه قال : نظر موسى في التوراة ، فقال : رب اني اجد في الالواح امة خير امة اخـرجت للناس ، يامرون بالمعروف و ينهون عن المنكر، اجعلهم امتي قال : تلك امة احمد، قال : رب انـي اجـد فـي الالـواح امـة هم الاخرون ـ اي آخرون في الخلق ـ سابقون في دخول الجنة ، رب اجـعـلـهـم امـتـي ، قـال : تلك امة احمد، قال : رب اني اجد في الالواح امة اناجيلهم في صدورهم , يقرؤونها، وكان من قبلهم يقرؤون كتابهم نظرا، حتى اذا رفعوها، لم يحفظوا شيئا، و لم يعرفوه ، و ان اللّه اعـطاهم من الحفظ شيئا لم يعطه احدا من الامم ، قال : رب اجعلهم امتي ، قال : تلك امة احمد , قـال : رب انـي اجـد فـي الالـواح امـة يؤمنون بالكتاب الاول ، و بالكتاب الاخر، و يقاتلون فصول الـضـلالة ، حتى ليقاتلون الاعور الكذاب ، فاجعلهم امتي ، قال :تلك امة احمد، قال : رب اني اجد في الالـواح امـة صـدقـاتهم ياكلونها في بطونهم و يؤجرون عليها، و كان من قبلهم اذا تصدق بصدقة , فـقـبـلت منه بعث اللّه نارا فاكلتها، و ان ردت عليه تركت ، فتاكلها السباع و الطير، و ان اللّه اخذ صـدقـاتـهم من غنيهم لفقيرهم ، قال : رب فاجعلهم امتي ، قال : تلك امة احمد، قال : رب اني اجد في الالـواح امـة ، اذا هم احدهم بحسنة ثم لم يعملهاكتبت له حسنة ، فان عملها كتبت له عشر امثالها الى سبعمائة ، رب اجعلهم امتي ، قال : تلك امة احمد، قال : رب اني اجد في الالواح امة هم المشفعون ، و المشفوع لهم ، فاجعلهم امتي ، قال : تلك امة احمد.
قال قتادة : فذكر لنا ان نبي اللّه موسى نبذ الالواح ، و قال : اللهم اجعلني من امة محمد.
لاشك ان آثار الوضع و الاختلاق بادية عليه ، و السند مطعون فيه ، و هي امور ماخوذة من القرآن , و الاحاديث ، ثم صيغت هذه الصياغة المريبة ، و جعلت على لسان موسى (ع) و الظاهر المتعين ان القا سيدنا موسى بالالواح انما كان غضبا و حمية لدين اللّه ، و غيرة لانتهاك حرمة توحيد اللّه تبارك و تعالى.
و الـيك ما قاله ابن كثير في تفسيره((398)) , قال : ثم ظاهر السياق انه ـ اي سيدنا موسى ـ القى الالواح غضبا على قومه ، و هذاقول جمهور العلما سلفا و خلفاو روى ابن جرير عن قتادة في هذا قـولا غـريـبـا، لايصح اسناده الى حكاية قتادة و قد رده ابن عطية ، و غير واحد من العلما، و هو جـديـر بالرد، و كانه تلقاه الناقل عن بعض اهل الكتاب ، و فيهم كذابون ، و وضاعون ،و افاكون ، و زنادقة.
و صـدق ابـن كـثـيـر فـيما قال ، و يرجح ان يكون من وضع زنادقتهم كي يظهروا الانبيا بمظهر المتحاسدين ، لا بمظهر الاخوان المتحابين.
و قال الامام القرطبي عند تفسير قوله تعالى : (و القى الا لواح) اي مما اعتراه من

الغضب و الاسف , حين اشرف على قومه ، و هم عاكفون على عبادة العجل ، و على اخيه في اهمال امرهم ، قاله سعيد بن جبير، و لذا قيل : ((ليس الخبر كالمعاينة))،و لا التفات لما روي عن قتادة ان صح ، و لايصح ، ان الـقـاه الالواح انما كان لما راى فيها من فضيلة امة محمد(ص) و لم يكن ذلك لامته ، و هذا قول ردي لاينبغي ان يضاف الى موسى (ع. ((399)) (

و مـمـا يـؤيد انه من وضع بعض الاسرائيليين الدهاة : ان نحوا من هذا المروي عن قتادة قد رواه الـثعلبي و تلميذه البغوي عن كعب الاحبار، و لا خلاف الا في تقديم بعض الفضائل و تاخير البعض الاخر، الا انه لم يذكر القا الالواح في آخره:

))فـلـمـا عـجب موسى من الخير الذي اعطى اللّه محمدا و امته قال : يا ليتني من اصحاب محمد ,فـاوحـى اللّه الـيه ثلاث آيات يرضيه بهن : (يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالا تى و بكلا مـي) الى قوله : (دار الفاسقين) : (و من قوم موسى امة يهدون بالحق و به يعدلون ((400)) (قال : فرضي موسى كل الرضا.

14ـ اسرائيليات و خرافات في بني اسرائيل

و مـن الاسـرائيـلـيات و الخرافات ما ذكره بعض المفسرين ، عند تفسير قوله تعالى : (و من قوم موسى امة يهدون بالحق و به يعدلون. ((401)) (

فـقد ذكر ابن جرير في تفسير((402)) هذه الاية خبرا عجيبا، فقال : حدثنا القاسم ، قال : حدثنا حجاج عن ابن جريج قوله :(و من قوم موسى امة يهدون بالحق و به يعدلون.(

قـال : بلغني ان بني اسرائيل لما قتلوا انبياهم ، و كفروا، و كانوا اثني عشر سبطا، تبرا سبط منهم مما صنعوا، و اعتذرواو سالوا اللّه ان يفرق بينهم ، و بينهم ، ففتح اللّه لهم نفقا في الارض ، فساروا ,حتى خرجوا من ورا الصين ، فهم هنالك حنفامسلمون ، يستقبلون قبلتنا.

قـال ابن جريج : قال ابن عباس : فذلك قوله : (و قلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الا رض فاذا ج وعد الا خرة جئنابكم لفيفا. ((403)) (

و وعد الاخرة : عيسى بن مريم.

قـال ابـن جريج : قال ابن عباس : ساروا في السرب سنة و نصفا، و قال ابن عيينة ، عن صدقة ، عن ابي الهذيل ، عن السدي :(و من قوم موسى امة يهدون بالحق و به يعدلون ((404)) (قال : قوم بينكم و بينهم نهر من شهد، و قد وصف ابن كثير ما رواه ابن جرير : بانه خبر عجيب و قال البغوي في تفسيره((405)) : قال الكلبي ، و الضحاك و الربيع : هم قوم خلف الصين ، باقصى الشرق ، على نهر مجرى الرمل ، يسمى نهر اردن ، ليس لاحد منهم مال دون صاحبه ، يمطرون بالليل , و يـسقون بالنهار، و يزرعون ، لايصل اليهم منا احد،و هم على دين الحق ، و ذكر : ان جبريل (ع (ذهب بالنبي (ص) ليلة اسري به اليهم ، فكلمهم ، فقال لهم جبريل : هل تعرفون من تكلمون ؟ قالوا : لا ,فـقـال لـهم : هذا محمد النبى الامى ، فمنوا به ، فقالوا : يا رسول اللّه ، ان موسى اوصانا ان من ادرك مـنكم احمد، فليقرا عليه مني السلام ، فرد النبي (ص) على موسى و عليهم ، ثم اقراهم عشر سور مـن الـقـرآن نـزلـت بـمـكـة ، و امـرهـم بالصلاة و الزكاة ، و امرهم ان يقيموا مكانهم ، و كانوا يـسـبتون((406)) , فامرهم ان يجمعوا، و يتركوا السبت و قيل : هم الذين اسلموا من اليهود في زمن النبى (ص) و الاول اصح و هي من خرافات بني اسرائيل و لامحالة ، و العجب من البغوي ان يجعل هذه الاكاذيب اصح من القول الاخـر الـذي هواجدر بالقبول و اولى بالصحة ، ونحن لانشك في ان ابن جريج و غيره ممن رووا ذلك ، انما اخذوه عن اهل الكتاب الذين اسلموا، و لايمكن ابدا ان يكون متلقيا عن المعصوم (ص.(

و قـال الالـوسـي ، بعد ذكر ما ذكرناه : ((و ضعف هذه الحكاية ابن الخازن ، و انا لااراها شيئا، و اظنك لاتجد لها سندا يعول عليه و لو ابتغيت نفقا في الارض ، او سلما في السما. ((407)) ((

التفسير الصحيح للاية

و الذي يترجح عندنا : ان المراد بهم اناس من قوم موسى (ع) اهتدوا الى الحق ، و دعوا الناس اليه ، و بالحق يعدلون فيمايعرض لهم من الاحكام و القضايا، و ان هؤلا الناس وجدوا في عهد موسى ، و بعده ، بل و في عهد نبينا(ص) و قد بين اللّه تبارك و تعالى بهذا : ان اليهود و ان كانت الكثرة الكاثرة فيهم تجحد الحق و تنكره ، و تجور في الاحكام ، و تعادي الانبيا،و تقتل بعضهم , و تكذب البعض الاخر، و فيهم من شكاسة الاخلاق و الطباع ، ما فيهم , فهنالك امة كثيرة منهم : يهدون بالحق ،و به يعدلون ، فهم لايتابون عن الحق ، ففيه شهادة و تزكية لهؤلا، و تعريض بالكثرة الغالبة منهم ، التي ليست كذلك ، و التي جحدت نبوة نبينا محمد(ص) فيمن جحدها من طوائف البشر ,و ناصبته العداوة و البغضا، و هو ما يشعر به قوله سبحانه قبل : (قل يا ايها الناس اني رسول اللّه اليكم جميعا الذي له ملك السماوات و الا رض لا اله الا هو يحيي و يميت فمنوا باللّه و رسوله النبى الا مى الذي يؤمن باللّه و كلماته و اتبعوه لعلكم تهتدون , ((408)) (و بذلك تظهر المناسبة بين هذه الاية و التي قبلها مباشرة ، و الايات التي قبل ذلك.

اما ما ذكروه فليس هناك ما يشهد له من عقل ، و لا نقل صحيح ، بل هو يخالف الواقع الملموس ، و المشاهد المتيقن ، و قداصبحت الصين و ما وراها معلوما كل شبر فيها، فاين هم ؟، ثم ما هذا النهر من الشهد؟ التمسك بهذه الروايات التي لا خطام لها، و لا زمام ؟ العصر الذي نعيش فيه ، اذا انتصر لمثل هذه المرويات الخرافية الباطلة ؟ صحت اسانيدها لكان لها بسبب مخالفتها للمعقول ، و المشاهد الملموس ما يجعلنا في حل من عدم قبولها، فكيف و اسانيدها ضعيفة واهية ؟ لاينافي كونها من الاسرائيليات.

15ـ الاسرائيليات في نسبة الشرك الى آدم و حوا.

و من الروايات التي لاتصح ، و مرجعها الى الاسرائيليات ما ذكره بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى : (هو الذي خلقكم من نفس واحدة ، و جعل منها زوجها ليسكن اليها((409)) فلما تغشاها((410)) حملت حملا خفيفا فمرت به فلمااثقلت دعوا اللّه ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا جعلا له شرك فيما آتاهما فتعالى اللّه عمايشركون. ((411)) (

و هذه الاية تعتبر من اشكل آيات القرآن الكريم ، لان ظاهرها يدل على نسبة الشرك لادم و حوا ,و ذلك على ما ذهب اليه جمهور المفسرين : من ان المراد بالنفس الواحدة : نفس آدم (ع) و بقوله) : و خلق منها زوجها) حوا و قد اول العلماالمحققون الاية تاويلا يتفق و عصمة الانبيا في عدم جواز اسناد الشرك اليهم (ع) كما سنبين ذلك.

الحديث المرفوع ، و الاثار الواردة في هذا

و قد زاد الطين بلة ما ورد من الحديث المرفوع ، و بعض الاثار عن بعض الصحابة و التابعين ، في تفسير قوله تعالى :(جعلا له شرك فيما آتاهما فتعالى اللّه عما يشركون).

و قد اغتر بهذه الروايات كثير من المفسرين ، كابن جرير((412)) , و الثعلبي ، و البغوي((413)) و القرطبي((414)) , و ان كان قد ضعف الروايات ، و لم تركن نفسه اليها، و اعتبرها من الاسرائيليات ، و صاحب ((الدر المنثور. ((415)) ((

و العجيب ان مفسرا معروفا له في رد الموضوعات و الاسرائيليات يد طولى ، و هو الالوسي قد انخدع بهذه المرويات ،فقال : ((و هذه الاية عندي من المشكلات ، و للعلما فيها كلام طويل ، و نزاع عريض ، و ما ذكرناه هو الذي يشير اليه الجبائي ،و هو مما لا باس به بعد اغضا العين عن مخالفته للمرويات)) ثم قال : ((و قد يقال : اخرج ابن جرير عن الحبر : ان الاية نزلت في تسمية آدم ، و حوا ولديهما بعبد الحارث ، و مثل ذلك لايكاد يقال من قبل الراي ، و هو ظاهر في كون الخبر تفسيرا للاية و انت

قد علمت انه اذا صح الحديث فهو مذهبي ، و اراه قد صح ، و لذلك احجم كميت قلمي عن الجري ، في ميدان التاويل ،كما جرى غيره ، و اللّه تعالى الموفق للصواب. ((416)) ((
و بعض المفسرين اعرض عن ذكر هذه المرويات ، وذلك كما صنع صاحب ((الكشاف))، و تابعه النسفي.
و بعض المفسرين عرض لها، ثم بين عدم ارتضائه لها، وذلك كما صنع القرطبي في تفسيره ، فقال : ونحو هذا مذكور في ضعيف الحديث ، و في الترمذي و غيره ، و في الاسرائيليات كثير ليس لها اثبات ، فلايعول عليها من له قلب ، فان آدم و حوا،و ان غرهما باللّه الغرور، فلايلدغ المؤمن من جحر مرتين ، على انه قد سطر، و كتب ، قال : قال رسول اللّه (ص) : ((خدعهمامرتين : خدعهما في الجنة ، و خدعهما في الارض)) ((417)) .
و لكن فارس هذه الحلبة و هو ابن كثير، فقد نقد المرويات نقدا علميا اصيلا، على مناهج المحدثين و طريقتهم في نقدالرواة ، و بين اصل هذه المرويات ، و ان مرجعها الى الاسرائيليات.
و لنذكر كلام ابن كثير بنصه ، و بطوله لنفاسته ، و شدة الحاجة اليه في هذا المقام ، قال : يذكر المفسرون هاهنا آثارا،و احاديث ، ساوردها و ابين ما فيها، ثم نتبع ذلك ببيان الصحيح في ذلك ـ ان شا اللّه ـ و به الثقة.
قال الامام احمد في مسنده : حدثنا عبدالصمد (قال : ((418)) (حدثنا عمر بن ابراهيم ، (قال : (حدثنا قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة عن النبي (ص) قال:))و لما ولدت حوا طاف بها ابليس ، و كان لايعيش لها ولد، فقال : سميه عبدالحارث ، فانه يعيش , فسمته عبدالحارث ،فعاش ، و كان ذلك من وحي الشيطان و امره))، و هكذا رواه ابن جرير عن محمد بن بشار بندار، عن عبدالصمد ابن عبدالوارث به((419))
,و رواه الترمذي في تفسير هذه الاية ، عن محمد بن المثنى ، عن عبدالصمد، به ، و قال : هذا حديث حسن غريب ـ يعني انفرد به ـ راويه لانعرفه الا من حديث عمر بن ابراهيم ، و رواه بعضهم عن عبدالصمد، و لم يرفعه ، يعني لم ينسبه الى النبي (ص.(
و رواه الحاكم في مستدركه ، من حديث عبدالصمد مرفوعا، ثم قال : هذا حديث صحيح الاسناد((420)) , و لم يخرجاه ،و رواه الامام ابومحمد، ابن ابي حاتم ، في تفسيره ، عن ابي زرعة الرازي ، عن هلال بن فياض ، عن عمر بن ابراهيم به ـ اي ببقية السند ـ مرفوعا، و كذا رواه الحافظ ابوبكر بن مردويه ، في تفسيره ، من حديث شاذ بن فياض ، عن عمر بن ابراهيم مرفوعا.
قلت : ـ اي ابن كثيرـ و شاذ هو : هلال ، و شاذ لقبه.
و الغرض : ان هذا الحديث معلول من ثلاثة اوجه:
احدها : ان عمر بن ابراهيم هذا هو البصري ، و قد وثقه ابن معين ، و قال ابوحاتم الرازي : لايحتج به ، و لكن رواه ابن مردويه من حديث المعتمر، عن ابيه ، عن الحسن ، عن سمرة مرفوعا.
الثاني : انه قد روى من قول سمرة نفسه ، ليس مرفوعا، كما قال ابن جرير : حدثنا ابن عبدالاعلى) , قال) : حدثنا المعتمرعن ابيه ، (قال) : حدثنا بكر بن عبداللّه ، عن سليمان التيمي ، عن ابي العلا بن الشخير عن سمرة بن جندب ، قال : ((سمى آدم ابنه عبدالحارث.((
و الثالث : ان الحسن نفسه فسر الاية بغير هذا، فلو كان هذا عنده عن سمرة مرفوعا لما عدل عنه , قال ابن جرير : حدثناابن وكيع (قال) : حدثنا سهل بن يوسف ، عن عمرو، عن الحسن : (جعلا له شركـ فيما آتاهما)، قال : كان هذا في بعض اهل الملل ، و لم يكن بدم و حدثنا((421)) محمد بن عبدالاعلى : (قال) : حدثنا محمد بن ثور، عن معمر قال : قال الحسن : عنى بها ذرية آدم ، و من اشرك منهم بعده ، يعني : (جعلا له شرك فيما آتاهما) و حدثنا((422)) بشر (قال) : حدثنا يزيد، (قال) :حدثنا سعيد عن قتادة ، قال : كان الحسن يقول : هم اليهود و النصارى ، رزقهم اللّه اولادا، فهودوا و نصروا((423)) .
و قال ابن كثير : و هذه اسانيد صحيحة عن الحسن (رض) انه فسر الاية بذلك ، و هو

من احسن التفاسير، و اولى ماحملت عليه الاية ، و لو كان هذا الحديث عنده محفوظا عن رسول اللّه (ص) لما عدل عنه هو، و لا غيره ، و لاسيما مع تقواه للّه ،و ورعه.
فهذا يدلك على انه موقوف على الصحابي ، و يحتمل انه تلقاه من بعض اهل الكتاب : من آمن منهم مثل كعب ،او وهب بن منبه و غيرهما، كما سياتي بيانه ، الا اننا برئنا من عهدة المرفوع ، و اللّه اعلم((424)) .
فاما الاثار فقال محمد بن اسحاق بن سيار، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال)) : كانت حوا تلدلادم (ع) اولادا فيعبدهم للّه ، و يسميهم عبداللّه ، و عبيداللّه و نحو ذلك ، فيصيبهم الموت ، فاتاهما ابليس ، فقال : انكما لوسميتماه بغير الذي تسميانه به لعاش ، قال : فولدت له رجلا ,فسماه عبدالحارث ، ففيه انزل اللّه يقول : (هو الذي خلقكم من نفس واحدة) الى آخر الاية ، و قال العوفي عن ابن عباس ، قوله في آدم : (هو الذي خلقكم من نفس واحدة)، الى قوله :(فمرت به : (شكت احملت ام لا؟ (فلما اثقلت دعوا اللّه ربهما) الاية ، فاتاهما الشيطان ، فقال : هل تدريان ما يولد لكما؟ ام هل تدريان ما يكون ابهيمة ، ام لا؟، و زين لهما الباطل ، انه غوى مبين ، و قد كانت قبل ذلك ولدت ولدين ، فماتا، فقال لهماالشيطان : انكما ان لم تسمياه بي ، لم يخرج سويا، و مات كما مات الاول , فسميا ولدهما عبدالحارث ، فذلك قوله :(فلماآتاهما صالحا جعلا له شرك فيما آتاهما) الاية.
و قال عبداللّه بن المبارك ، عن شريك ، عن خصيف ، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله تعالى : (فلما آتاهماصالحا جعلا له شرك فيما آتاهما) قال اللّه تعالى : (فلما تغشاها) آدم (حملت ,(اتاهما ابليس ـ لعنه اللّه ـ فقال : اني صاحبكما الذي اخرجتكما من الجنة ، لتطيعاني ، او لاجعلن له قرني ايل((425)) , فيخرج من بطنك ، فيشقه ، و لافعلن ،و لافعلن ، يخوفهما، فسمياه((426)) عبدالحارث ، فابيا ان يطيعاه ، فخرج ميتا، ثم حملت ، يعني الثانية فاتاهما، فقال لهما مثل الاول ، فابيا ان يطيعاه ، فخرج ميتا، ثم حملت الثالثة ، فاتاهما ايضا فذكر لهما، فادركهما حب الولد، فسمياه عبدالحارث ، فذلك قوله تعالى : (جعلا له شرك فيما آتاهما) رواه ابن ابي حاتم.
و قد نسب هذا الاثر الى ابن عباس و جماعة من اصحابه : كمجاهد، و سعيد بن جبير، و عكرمة و من الطبقة الثانية :قتادة ، و السدي ، و غير واحد من السلف ، و جماعة من الخلف و من المفسرين من المتاخرين : جماعات لايحصون كثرة و كان اصله ماخوذ من اهل الكتاب ، فانهم رووا عن ابن عباس عن ابي بن كعب ، كما رواه ابن ابي حاتم ، قال : حدثنا ابي ،(قال) : حدثنا ابوالجماهر، (قال) : حدثنا سعيد ـ يعني ابن بشير ـ عن عقبة ، عن قتادة ، عن مجاهد، عن ابن عباس ، عن ابي بن كعب ، قال:
لما حملت حوا اتاها الشيطان ، فقال لها : اتطيعيني و يسلم لك ولدك ؟ سميه عبدالحارث ، فلم تفعل فولدت ، فمات ، ثم حملت ، فقال لها مثل ذلك ، فلم تفعل ، ثم حملت الثالثة ، فجاها فقال : ان تطيعيني يسلم , و الا فانه يكون بهيمة ، فهيبهما،فاطاعا.
قال : و هذه الاثار يظهر عليها ـ و اللّه اعلم ـ انها من آثار اهل الكتاب ثم بين ان اخبار اهل الكتاب على ثلاثة اقسام:
1فمنها : ما علمنا صحته مما بايدينا من كتاب او سنة.
2و منها : ما علمنا كذبه بما دل على خلافه من الكتاب و السنة ايضا.
3و منها : ما هو مسكوت عنه ، فهو الماذون في روايته بقوله (ع) : ((حدثوا عن بني اسرائيل و لا حرج , ((427)) ((و هو الذي لايصدق ، و لايكذب ، قال : و هذا الاثر من الثاني او الثالث ، فيه نظر((428)) .
قال : فاما من حدث به من صحابي او تابعي ، فانه يراه من القسم الثالث ـ يعني ما يحتمل الصدق و الكذب ـ و اما نحن فعلى مذهب الحسن البصري في هذا، و انه ليس المراد من هذا السياق : آدم و حوا، و انما المراد من ذلك : المشركون من ذريته ، و لهذا قال اللّه تعالى : (فتعالى اللّه عما يشركون ((429)) (فذكر آدم و حوا اولا كالتوطئة لما بعدهما من الوالدين ، و هوكالاستطراد من الشخص الى الجنس و هذا الذي ذهب اليه ابن كثير في تخريج الحديث و الاثار، هو الذي يجب ان يصار اليه ،و هو الذي ندين اللّه عليه ، و لاسيما ان التفسير الحق للايتين لايتوقف على شي مما

روي.
و المحققون من المفسرين ، منهم من نحا منحى ابن كثير، فجعل الاية الاولى في آدم و حوا، و جعل قوله : (فلماآتاهما صالحا) الاية في المشركين من ذريتهما، اي جعلا اولادهما شركا للّه فيما آتاهما، و المراد بهم : الجنس ، اي جنس الذكر و الانثى ، فمن ثم حسن قوله : (فتعالى اللّه عما يشركون) بالجمع ، و يكون هذا الكلام من الموصول لفظا المفصول معنى و منهم من جعل الايتين في ذرية آدم و حوا، اي خلقكم من نفس واحدة ، و هي نفس الذكر، و جعل منها، اي من جنسهازوجها ,و هي الانثى ، فلما آتاهما صالحا، اي بشرا سويا كاملا، جعلا اي الزوجان الكافران للّه شركا فيما آتاهما، و بذلك ابدلاشكر اللّه كفرانا به و جحودا، و على هذا لايكون لادم و حوا ذكر ما في الايتين و هنالك تفاسير اخرى ، لسنا منها على ثلج ،و لا طمانينة((430)) .

16ـ الاسرائيليات في سفينة نوح

و من الاسرائيليات التي اشتملت عليها بعض كتب التفسير، كتفسير ابن جرير ,و ((الدر المنثور))، و غيرهما ما روي في سفينة نوح (ع) فقد احاطوها بهالة من العجائب و الغرائب ، من اي خشب صنعت ؟ و ما طولها؟ و ما عرضها؟ و ما ارتفاعها؟،و كيف كانت طبقاتها؟ و ذكروا خرافات في خلقة بعض الحيوانات من الاخرى ، و قد بلغ ببعض الرواة انهم نسبوا بعض هذا الى النبي (ص)، قال صاحب ((الدر)) : و اخرج ابوالشيخ ، و ابن مردويه ، عن ابن عباس)) عن النبي (ص) قال : ((كانت سفينة نوح (ع) لها اجنحة ، و تحت الاجنحة ايوان ,((اقول : قبح اللّه من نسب مثل هذا الى النبي (ص.(و اخرج ابن مردويه عن سمرة بن جندب (رض) ان رسول اللّه (ص) قال : ((سام ابوالعرب ، و حام ابوالحبش ، و يافث ابوالروم)) و ذكر : ان طول السفينة كان ثلاثمائة ذراع ، و عرضها خمسون ذراعا، و طولها في السما ثلاثون ذراعا، و بابها في عرضها، ثم ذكر عن ابن عباس مثل ذلك : في طولها، و ارتفاعها، ثم قال : و اخرج اسحاق بن بشر، و ابن عساكر، عن ابن عباس : ((ان نوحا لما امر ان يصنع الفلك ، قال : يا رب ، و اين الخشب ؟، قال : اغرس الشجر، فغرس الساج عشرين سنة ، الى ان قال : فجعل السفينة ستمائة ذراع طولها، و ستين ذراعا في الارض ـ يعني عمقها ، و عرضها ثلاثمائة و ثلاثة و ثلاثون((431)) و امر ان يطليها بالقار((432)) , و لم يكن في الارض قار، ففجر اللّه له عين القار، حيث تنحت السفينة ، تغلي غليانا، حتى طلاها،فلما فرغ منها جعل لها ثلاثة ابواب ، و اطبقها، و حمل فيها السباع ، و الدواب ، فالقى اللّه على الاسد الحمى ، و شغله بنفسه عن الدواب ، و جعل الوحش و الطير في الباب الثاني ، ثم اطبق عليهما.
و اخرج ابن جرير، و ابوالشيخ عن الحسن ، قال : ((كان طول سفينة نوح (ع) الف ذراع و مئتي ذراع ، و عرضها ستمائة ذراع)) و اليك ما ذكره بعد هذا من العجب العجاب ، قال:
و اخرج ابن جرير، عن ابن عباس)) قال : قال الحواريون لعيسى بن مريم (ع (لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة ، فحدثنا عنهافانطلق بهم ، حتى انتهى الى كثيب من تراب ، فاخذ كفا من ذلك التراب ، قال : اتدرون ما هذا؟ قالوا : اللّه و رسوله اعلم ، قال :هذا كعب حام بن نوح ، فضرب الكثيب بعصاه ، قال :قم باذن اللّه ، فاذا هو قائم ينفض التراب عن راسه ، قد شاب ، قال له عيسى (ع) : هكذا هلكت ؟ قال : لا، مت و انا شاب ، و لكنني ظننت انها الساعة ، فمن ثم شبت ، قال : حدثنا عن سفينة نوح ،قال : كان طولها الف ذراع ، و مئتي ذراع ، و عرضها ستمائة ذراع ، كانت ثلاث طبقات ، فطبقة فيها الدواب و الوحش ، و طبقة فيها الانس ، و طبقة فيها الطير فلما كثر ارواث الدواب اوحى اللّه الى نوح : ان اغمز ذنب الفيل ، فغمزه ، فوقع منه خنزيرو خنزيرة الفار جعل يخرب السفينة بقرضه اوحى اللّه الى نوح : ان اضرب بين عيني الاسد،فخرج من منخره سنور و سنورة ، فاقبلا على الفار فاكلاه.
و في رواية اخرى : ان الاسد عطس ، فخرج من منخره سنوران ، ذكر و انثى ، فاكلا الفار، و ان الفيل عطس ، فخرج من منخره خنزيران ، ذكر و انثى ، فاكلا اذي السفينة و

انه لما اراد الحمار ان يـدخـل الـسفينة اخذ نوح باذني الحمار، و اخذ ابليس بذنبه ، فجعل نوح (ع) يجذبه ، و جعل ابليس يجذبه ، فقال نوح : ادخل شيطان ـ و يريد به الحمارـ فدخل الحمار، و دخل معه ابليس فلما سارت السفينة جلس ابليس في اذنابها يتغنى ، فقال له نوح (ع) : ويلك من اذن لك ؟ قال :ان قلت للحمار : ادخل يا شيطان ، فدخلت باذنك .

و زعـمـوا ايـضـا : ان الـماعز لمااستصعبت على نوح ان تدخل السفينة فدفعها في ذنبها، فمن ثم انكسر، و بدا حياها،و مضت النعجة فدخلت من غير معاكسة ، فمسح على ذنبها، فستر اللّه حياها ـ يعني فرجهاـ و زعموا ايضا : ان سفينة نوح (ع)طافت بالبيت اسبوعا، بل رووا عن عبدالرحمان بن زيـد بن اسلم ، عن ابيه ، عن جده ، عن النبي (ص) : ((ان سفينة نوح طافت بالبيت سبعا، و صلت عند المقام ركعتين)) و هـذا مـن تـفاهات عبدالرحمان هذا، و قد ثبت عنه من طرق اخرى ، نقلها صاحب التهذيب (ج٦ ، ص (179 عن الساجي ،عن الربيع ، عن الشافعي ، قال : ((قيل لعبدالرحمان بن زيد بن اسلم : حدثك ابـوك عـن جـدك ، ان رسـول اللّه (ص) قـال : ((ان سـفـينة نوح طافت بالبيت ، و صلت خلف المقام ركعتين ؟)) قـال الـشـافـعـي فيما نقل في ((التهذيب)) ايضا : ((ذكر رجل لمالك حديثا منقطعا، فقال : اذهب الى عبدالرحمان بن زيد يحدثك عن ابيه ، عن نوح)) و ان لما رست السفينة على الجودي و كان يوم عاشورا صام نوح ، و امر جميع من معه من الوحش و الدواب فصامواشكرا للّه ، الى غير ذلك من التخريفات و الاباطيل((433)) التي لانزال نسمعها ,و امـثالها من العوام و العجائز، و هذا لايمكن ان يمت الى الاسلام بصلة ، و انا لننزه المعصوم (ص (مـن ان يـصـدر عنه ما نسبوه اليه ، و انما هي احاديث خرافة اختلقها اليهودو اضرابهم على توالي الـعـصـور، و كانت شائعة مشهورة في الجاهلية ، فلما جا الاسلام نشرها اهل الكتاب الذين اسلموا بـيـن الـمـسلمين ، و اوغل زنادقة اليهود و امثالهم في الكيد للاسلام و نبيه ، فزوروا بعضها على النبي (ص) و ماكنا نحب لابن جرير،و لا للسيوطي ، و لا لغيرهما ان يسودوا صحائف كتبهم بهذه الـخرافات و الاباطيل فاحذر منها ايها القارئ في اي كتاب من كتب التفسير وجدتها، و الق بها دبر اذنيك ، و كن عن الحق منافحا و للباطل مزيفا.

17ـ الاسرائيليات في قصة يوسف (ع(

و قـد وردت في قصة يوسف (ع) اسرائيليات و مرويات مختلقة مكذوبة ، فمن ذلك ما اخرجه ابن جرير في تفسيره ،و السيوطي في ((الدر المنثور)) وغيرهما، في قوله تعالى : (اذ قال يوسف لا بيه يا ابت اني رايت احدعشر كوكبا، و الشمس و القمر رايتهم لى ساجدين. ((434)) (
قال السيوطى : و اخرج سعيد بن منصور، و البزار، و ابويعلى ، و ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن ابي حاتم ، و العقيلي و ابن حبان في ((الضعفا))، و ابوالشيخ ، و الحاكم و صححه((435)) , و ابن مردويه ، و ابونعيم ، و البيهقي معا في ((الدلائل))، عن جابر بن عبداللّه (رض) قال:
))جـا بـسـتانة يهودي الى النبي (ص) فقال : يا محمد اخبرني عن الكواكب التي رآها يوسف (ع (سـاجـدة لـه ، ما اسماؤها؟فسكت النبي (ص) فلم يجبه بشي ، فنزل جبريل (ع) و اخبره باسمائها ,فبعث رسول اللّه (ص) الى البستاني اليهودي ، فقال :((هل انت مؤمن ان اخبرتك باسمائها؟ قال : نعم , قـال : جربان ، و الطارق ، و الذيال ، و ذوالكفتان ، و قابس ، و وثاب ،و عمودان ، و الفليق ، و المصبح , و الـضـروح ، و

ذوالـفـرغ ، و الـضـيـا، و النور((436)) , رآها في افق السما ساجدة له فلما قص يـوسـف على يعقوب ، قال : هذا امر مشتت يجمعه اللّه من بعد))، فقال اليهودي : اي واللّه انها لاسماؤها((437)) .
و الـذي يـظـهـر لي انه من الاسرائيليات ، و الصقت بالنبي زورا، ثم ان سيدنا يوسف راى كواكب بصورها لا باسمائها، ثم مادخل الاسم فيما ترمز اليه الرؤيا؟ و مـدار هـذه الـروايـة عـلـى الـحـكم بن ظهير، و قد ضعفه الائمة ,و تركه الاكثرون ، و قال الجوزجاني : ساقط((438)) .
و قال الامام الذهبي في ((ميزان الاعتدال : ((439)) ((قال ابن معين : ليس بثقة ، و قال مرة : ليس بـشـي ، و قـال الـبخاري : منكرالحديث ، و قال مرة : تركوه ، و لعله لروايته حديث : ((اذا رايتم معاوية على منبري فاقتلوه ((

18ـ الاسرائيليات في قوله تعالى

)و لقد همت به و هم بها لولا ان راى برهان ربه . ((440)) (و من الاسرائيليات المكذوبة التي لاتوافق عقلا و لا نقلا ما ذكر ابن جرير في تفسيره ، و صاحب))الـدر المنثور)) و غيرهمامن المفسرين ، في قوله تعالى : (و لقد همت به و هم بها لولا ان راى برهان ربه) فقد ذكروا في هم يوسف (ع) ما ينافي عصمة الانبيا و مايخجل القلم من تسطيره ، لولا ان الـمـقام مقام بيان و تحذير من الكذب على اللّه و على رسله ، و هو من اوجب الواجبات على اهل العلم.
فقد رووا عن ابن عباس ـ رضوان اللّه عليه ـ انه سئل عن هم يوسف (ع) ما بلغ ؟ قال : حل الهميان ـ يعنى السراويل ـ و جلس منها مجلس الخائن ، فصيح به ، يا يوسف لاتكن كالطير له ريش ، فاذا زنى قعد ليس له ريش و رووا مثل هذاعن علي (رض) و عن مجاهد، و عن سعيد بن جبير.
و رووا ايضا في البرهان الذي رآه ، و لولاه لوقع في الفاحشة بانه نودي : انت مكتوب في الانبيا، و تعمل عمل السفها،و قيل : راى صورة ابيه يعقوب في الحائط، و قيل : في سقف الحجرة ، و انه رآه عـاضـا عـلـى ابـهـامـه ، و انـه لم يتعظ بالندا، حتى راى اباه على هذه الحال بل اسرف واضعو هذه الاسرائيليات الباطلة ، فزعموا انه لما لم يرعو من رؤية صورة ابيه عاضا على اصابعه ، ضربه ابوه يـعقوب ، فخرجت شـهوته من انامله الافـتـرا،يزعمون ايضا : ان كل ابنا يعقوب قد ولد له اثناعشر ولدا ماعدا يوسف ، فانه نقص بتلك الـشـهـوة الـتـي خرجت من انامله ولدا،فلم يولد له غير احدعشر ولدا بل زعموا ايضا في تفسير الـبـرهان ، فيما روي عن ابن عباس : انه راى ثلاث آيات من كتاب اللّه :قوله تعالى : (و ان عليكم لـحافظين كراما كاتبين , ((441)) (و قوله تعالى : (و ما تكون في شان و ماتتلو منه من قرآن و لا تـعـملون من عمل الاكنا عليكم شـهودا اذ تفيضون فيه , ((442)) (و قوله تعالى : (افمن هو قئم عـلـى كـل نـفـس بـمـاكسبت , ((443)) (و قيل : راى (و لا تقربوا الزنا انه كان فاحشة و س ,و مـن البديهي ان هذه الايات بهذا اللفظالعربي لم تنزل على احد قبل نبينا مـحـمـد(ص) و ان كان الذين افتروا هذا لايعدمون جوابا، بان يقولوا : راى ما يدل على معاني هذه الايـات بـلـغـتهم التي يعرفونها، بل قيل في البرهان : انه اري تمثال الملك ، و هو العزيز، و قيل : خـيـاله((445)) و كل ذلك مرجعه الى اخبار بني اسرائيل و اكاذيبهم التي افتجروها على اللّه ، و على رسله ، و حمله الى بعض الصحابة و التابعين : كعب الاحبار، و وهب بن منبه ، و امثالهما.
و لـيس ادل على هذا، مما روي عن وهب بن منبه قال : ((لما خلا يوسف و امراة العزيز، خرجت كف بلا جسد بينهما،مكتوب عليها بالعبرانية : (افمن هو قئم على كل نفس بما كسبت)، ثم انصرفت الـكـف ، و قـامـا مقامهما، ثم رجعت الكف بينهما، مكتوب عليها بالعبرانية (ان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون)، ثم انصرفت الكف ، و قاما مقامهما،فعادت الكف الثالثة مكتوب عليها : (و لا تـقـربـوا الـزنـا انه كان فاحشة و س سبيلا) و انصرفت الكف ، و قاما مقامهما فعادت الكف الرابعة مـكـتوب عليها بالعبرانية : (و اتقوا يوما ترجعون فيه الى اللّه ثم توف ى كل نفس ما

كسبت و هم لا يظلمون , ((446)) (فولى يوسف (ع) هاربا((447)) .
و قد كان وهب او من نقل عنه وهب ذكيا بارعا، حينما زعم ان ذلك كان مكتوبا بالعبرانية ، و بذلك اجاب عما استشكلناه ،و لكن مع هذا لن يجوز هذا الكذب الا على الاغرار و السذج من اهل الحديث و لاندري اي معنى يبقى للعصمة بعد ان جلس بين فخذيها، و خلع سرواله ؟ على مروياتهم المفتراة الا و هو مقهور مغلوب ؟ و لو ان عربيدا راى صورة ابيه بعد مماته تحذره من معصية لكف عنها ,و انزجر، فاى فضل ليوسف اذا، و هو نبي من سلالة انبيا؟ بل اى فضل له فى عدم مقارفته الفاحشة ، بعد ما خرجت شهوته من انامل قدميه ؟ الا قسرى جبرى ثم ما هذا الاضطراب الفاحش في الروايات ؟ من العلل التي ردالمحدثون بسببها الكثير من المرويات ؟ ثم كيف يتفق ما حيك حول نبي اللّه يوسف (ع (و قول الحق تبارك و تعالى عقب ذكر الهم : (كذلك لنصرف عنه السوو الفحش انه من عبادنا المخلصين , ((448)) (فهل يستحق هذا الثنا من حل التكة ، و خلع السروال ، وجلس بين رجليها؟ بني اسرائيل و مخرفيهم ؟ بل كيف يتفق ما روى هو و ما حكاه اللّه عن زليخا بطلة المراودة ، حيث قالت : (انا راودته عن نفسه ، و انه لمن الصادقين ((449)) (و هو اعتراف صريح من البطلة التي اعيتها الحيل عن طريق التزين حينا، و التودد اليه بمعسول القول حيناآخر، و الارهاب و التخويف حينا ثالثا، فلم تفلح) : لئن لم يفعل ما آمره ليسجنن و ليكونا من الص اغرين. ((450)) (
و انظر ماذا كان جواب السيد العفيف ، الكريم ابن الكريم ، ابن الكريم ، ابن الكريم : يوسف بن يعقوب ، بن اسحاق ، بن ابراهيم (ع) : (قال رب السجن احب الى مما يدعونني اليه و الا تصرف عني كيدهن اصب اليهن و اكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم ((451)) (و قصده (ع) بقوله : (و الا تصرف عني كيدهن) :تبرؤ من الحول و الطول ، و ان الحول و القوة انما هما من اللّه ، و سؤال منه لربه ، و استعانة به على ان يصرف عنه كيدهن ،و هكذا شان الانبيا.
بل قد شهد الشيطان نفسه ليوسف (ع) في ضمن قوله ، كما حكاه اللّه سبحانه عنه بقوله : (قال فبعزتك لا غوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين , ((452)) (و يوسف بشهادة الحق السالفة من المخلصين.
و كذلك شهد ليوسف شاهد من اهلها((453)) , فقال : (ان كان قميصه قد من قبل فصدقت و هو من الكاذبين و ان كان قميصه قد من دبر فكذبت و هو من الصادقين فلما راى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم , ((454)) (و قداسفر التحقيق عن براة يوسف و ادانة زليخا، امراة العزيز.
فكيف تتفق كل هذه الشهادات الناصعة الصادقة ، و تلك الروايات المزورة ؟ هذه الروايات ابن جريرالطبري ، و الثعلبي ، و البغوي ، و ابن كثير، و السيوطي ، و قد مر بها ابن كثير بعد ان نقلها حاكيا من غير ان ينبه الى زيفها، و هذاغريب و من العجيب حقا ان ابن جرير يحاول ان يضعف في تفسيره مذهب الخلف الذين ينفون هذا الزور و البهتان ، و يفسرون الايات على حسب ما تقتضيه اللغة و قواعد الشرع ، و ما جا في القرآن و السنة الصحيحة الثابتة ، و يعتبر هذه المرويات التي سقنا لك زورا منها آنفا، هى قول جميع اهل العلم بتاويل القرآن الذين يؤخذ عنهم((455)) , و كذلك تابعه على مقالته تلك الثعلبي و البغوي في .و هذه المرويات الغثة المكذوبة التي ياباها النظم الكريم ، و يجزم العقل و النقل باستحالتها على الانبيا(ع) هي التي اعتبرها الطبري و من تبعه ((اقوال السلف)) بل يسير في خط اعتبار هذه المرويات ، فيورد على نفسه سؤالا، فيقول : فان قال قائل : و كيف يجوز ان يوصف يوسف بمثل هذا و هو للّه نبي ؟ الانبيا((457)) قاله الواحدي في تفسيره ((البسيط.((
و اعجب من ذلك ما ذهب اليه الواحدي في ((البسيط)) قال : قال المفسرون الموثوق بعلمهم , المرجوع الى روايتهم ،الاخذون للتاويل ، عمن شاهدوا التنزيل :هم يوسف (ع) بهذه المراة هما صحيحا، و جلس منها مجلس الرجل من المراة ، فلماراى البرهان من ربه زالت كل شهوة منه.
و هي غفلة شديدة من هؤلا الائمة لانرضاها، و لولا اننا ننزه لساننا و قلمنا عن الهجر من القول ، و انهم خلطوا في مؤلفاتهم عملا صالحا و آخر سيئا لقسونا عليهم ، و حق

لنا هذا، و العصمة للّه.
و هذه الاقوال التي اسرف في ذكرها هؤلا المفسرون : اما اسرائيليات و خرافات ، وضعها زنادقة اهل الكتاب القدما،الذي ارادوا بها النيل من الانبيا و المرسلين ، ثم حملها معهم اهل الكتاب الذين اسلموا، و تلقاها عنهم بعض الصحابة ،و التابعين.
و اما ان تكون مدسوسة على هؤلا الائمة ، دسها عليهم اعدا الاديان ، كي تروج تحت هذا الستار، و بذلك يصلون الى مايريدون من افساد العقائد، و تعكير صفو الثقافة الاسلامية الاصيلة الصحيحة.
الفرية على المعصوم (ص) في قول اللّه تعالى : (ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب (((458)) .
و لكي يؤيدوا باطلهم الذي ذكرناه آنفا، رووا عن الصحابة و التابعين ما لايليق بمقام الانبيا، و اختلقوا على النبي (ص)زورا، و قولوه ما لم يقله ، قال صاحب ((الدر: ((و اخرج الفريابي ، و ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن ابي حاتم ، و ابوالشيخ ، و البيهقي في ((شعب الايمان)) عن ابن عباس ـ رضوان اللّه عليه ـ قال : لما جمع الملك النسوة قال لهن : انتن راودتن يوسف عن نفسه ؟ قلن : (حاش للّه ماعلمنا عليه من سو قالت امراة العزيز الا ن حصحص الحق انا راودته عن نفسه و انه لمن الصادقين (((459))قال يوسف : (ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب ,(فغمزه جبريل (ع) فقال : و لا حين هممت بها؟ فقال : (و ما ابرئ نفسي ان النفس لا مارة بالسو ((460)) (.
قال : و اخرج ابن جرير عن مجاهد، و قتادة ، و الضحاك ، و ابن زيد، و السدي مثله ، و اخرج الحاكم في تاريخه ، و ابن مردويه و الديلمي عن انس (رض) : ان رسول اللّه (ص) قرا هذه الاية) : ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب)قال : لما قال يوسف ذلك قال له جبريل (ع) : و لا يوم هممت بما هممت به ؟ فقال : (و ما ابرئ نفسي ان النفس لا مارة بالسو)، قال : و اخرج ابن جرير عن عكرمة مثله.
و اخرج سعيد بن منصور، و ابن ابي حاتم عن حكيم بن جابر في قوله : (ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب) قال جبريل :و لا حين حللت السراويل ؟ الى غير ذلك من المرويات المكذوبة ، و الاسرائيليات الباطلة ، التي خرجها بعض المفسرين الذين كان منهجهم ذكر المرويات ، و جمع اكبر قدر منها، سوا منها ما صح و ما لم يصح و الاخباريون الذين لا تحقيق عندهم للمرويات ، وليس ادل على ذلك من انها لم يخرجها احد من اهل الكتب الصحيحة ، و لا اصحاب الكتب المعتمدة الذين يرجع اليهم في مثل هذا.

القرآن يرد هذه الاكاذيب

و قد فات هؤلا الدساسين الكذابين ان قوله تعالى : (ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب) الايتين((461)) , ليس من مقالة سيدنا يوسف (ع) و انما هو من مقالة امراة العزيز، و هو ما يتفق و سياق الاية ، ذلك : ان العزيز لما ارسل رسوله الى يوسف لاحضاره من السجن ، قال له : ارجع الى ربك ، فاساله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ؟ فاحضر النسوة ، و سالهن ، و شهدن ببراة يوسف , فلم تجد امراة العزيز بدا من الاعتراف ، فقالت : (الان حصحص الحق) الى قوله : (و ما ابرئ نفسي ان الن فس لا مارة بالسو) فكل ذلك من قولها، و لم يكن يوسف حاضرا ثم ، بل كان في السجن , فكيف يعقل ان يصدر منه ذلك في مجلس التحقيق الذي عقده العزيز؟.
و قد انتصر لهذا الراي الذي يوائم السياق و السباق الامام الشيخ محمد عبده ، في تفسير))المنار)) و هو آخر ما رقمه في تفسير القرآن.
و هكذا قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب: (تقول : انما اعترفت بهذا على نفسي ، ليعلم زوجي اني لم اخنه بالغيب في نفس الامر، و لا وقع المحذور الاكبر و انماراودت هذا الشاب مراودة ، فامتنع ، فلهذا اعترفت ليعلم اني بريئة ، (و ان اللّه لا يهدي كيد الخئنين و ما ابرئ نفسي) تقول المراة : و لست ابرئ نفسي ، فان النفس تتحدث ، و تتمنى ، و لهذا راودته ، لان (النفس لا

مارة بالسو الا ما رحم ربي) اي الا من عصمه اللّه تعالى (ان ربي غفور رحيم.(
قال : و هذا القول هو الاشهر و الاليق و الانسب بسياق القصة و معاني الكلام ، و قد حكاه الماوردي في تفسيره ، و جعله اول الوجهين في تفسير الاية.
و بعد ان ذكر بعض ما ذكره ابن جرير الذي ذكرناه آنفا عن ابن عباس ، و تلاميذه ، و غيره قال : و القول الاول اقوى و اظهر،لان سياق الكلام كله من كلام امراة العزيز بحضرة الملك ، و لم يكن يوسف (ع) عندهم ، بل بعد ذلك احضره الملك ((462)).
التفسير الصحيح لقوله تعالى : (و لقد همت به و هم بها.(
قال ابوشهبة : و الصحيح في تفسير قوله تعالى : (و لقد همت به و هم بها لولا ان راى برهان ربه (ان الكلام تم عند قوله تعالى : (و لقد همت به) و ليس من شك في ان همها كان بقصد الفاحشة ، (و هم بها لولا ان راى برهان ربه.(
الكلام من قبيل التقديم و التاخير، و التقدير : و لولا ان راى برهان ربه لهم بها، فقوله تعالى : (و هم بها)، جواب ((لولا))مقدم عليها، و معروف في العربية ان ((لولا)) حرف امتناع لوجود، اي امتناع الجواب لوجود الشرط، فيكون ((الهم)) ممتنعا،لوجود البرهان الذي ركزه اللّه في فطرته و المقدم اما الجواب ، او دليله ، على الخلاف في هذا بين النحويين ، و المراد بالبرهان :هو حجة اللّه الباهرة الدالة على قبح الزنى ، و هو شي مركوز في فطر الانبيا و معرفة ذلك عندهم وصل الى عين اليقين ، و هوما نعبر عنه بالعصمة ، و هي التي تحول بين الانبيا و المرسلين ، و بين وقوعهم في المعصية.
و يرحم اللّه الامام جعفر بن محمد الصادق (ع) حيث قال : البرهان : النبوة التي اودعها اللّه في صدره ، حالت بينه و بين مايسخط اللّه.
و هذا هو القول الجزل الذي يوافق ما دل عليه العقل من عصمة الانبيا، و يدعو اليه السابق و اللاحق و اما كون جواب ((لولا)) لايجوز ان يتقدم عليها، فهذا امر ليس ذاخطر، حتى نعدل عن هذا الراي الصواب ، الى التفسيرات الاخرى الباطلة ، لهم يوسف (ع)، و القرآن هو اصل اللغة , فورود اى اسلوب في القرآن يكفي في كونه اسلوبا عربيا فصيحا، و في تاصيل اى قاعدة من القواعد النحوية ، فلايجوز لاجل الاخذ بقاعدة نحوية ، ان نقع في محظور لايليق بالانبيا كهذاو الصحيح ان الجواب محذوف بقرينة المذكور، و هو ما تقدم على ((لولا))، ليكون ذلك قرينة على الجواب المحذوف.
و قيل : ان ما حصل من ((هم يوسف)) كان خطرة ، و حديث نفس بمقتضى الفطرة البشرية ، و لم يستقر، و لم يظهر له اثره قال البغوي في تفسيره : ((قال بعض اهل الحقائق : الهم همان : هم ثابت ، و هو اذا كان معه عزم ، و عقد، و رضا، مثل هم امراة العزيز، و العبد ماخوذ به و هم عارض , و هو الخطرة ، و حديث النفس من غير اختيار و لا عزم ، مثل هم يوسف (ع) و العبدغير ماخوذ به ، ما لم يتكلم به او يعمل , ((463)) ((و قيل : همت به هم شهوة و قصد للفاحشة ، و هم هو بضربهاو لاادري كيف يتفق هذا القول ، و قوله تعالى : (لولا ان راى برهان ربه.(
و القول الجزل الفحل هو ما ذكرناه اولا، و صرحت به الرواية الصحيحة عن الامام ابي عبداللّه جعفر بن محمدالصادق (ع) و السر في اظهاره في هذا الاسلوب ـ و اللّه اعلم ـ : تصوير المشهد المثير المغري العرم ، الذي هياته امراة العزيزلنبي اللّه يوسف ، و انه لولا عصمة اللّه له ، و فطرته النبوية الزكية ، لكانت الاستجابة لها، و الهم بها امرا محققا و في هذا تكريم ليوسف ، و شهادة له بالعفة البالغة ، و الطهارة الفائقة.

19ـ الاسرائيليات في سبب لبث يوسف في السجن

و من الاسرائيليات ما يذكره بعض المفسرين في مدة سجن يوسف (ع) و في سبب لبثه في السجن بضع سنين ، و ذلك عند تفسير قوله تعالى : (و قال للذي ظن ان ه ناج منهما اذكرني عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين(((464)) .
فقد ذكر ابن جرير، و الثعلبي ، و البغوي ، و غيرهم اقوالا كثيرة في هذا، فقد قال وهب بن منبه : اصاب ايوب البلا سبع سنين ، و ترك يوسف في السجن سبع سنين ، و عذب بختنصر يجول في السباع سبع سنين((465)) .

و قال مالك بن دينار : لما قال يوسف للساقي : اذكرني عند ربك قيل له : يا يوسف اتخذت من دوني وكيلا، لاطيلن حبسك ، فبكى يوسف ، و قال : يا رب انسى قلبي كثرة البلوى ، فقلت كلمة ، و لن اعود.
و قال الحسن البصري : دخل جبريل (ع) على يوسف في السجن ، فلم ا رآه يوسف عرفه ، فقال له : يا اخا المنذرين ، اني اراك بين الخاطئين السلام رب العالمين ، و يقول لك : اما استحيت مني ان استشفعت بالادميين ؟ لالبثنك في السجن بضع سنين ، فقال يوسف : و هو في ذلك عني راض ، قال : نعم ,قال : اذا لاابالي.
و قال كعب الاحبار : قال جبريل ليوسف : ان اللّه تعالى يقول : من خلقك ؟ قال : اللّه قال : فمن حببك الى ابيك ؟ قال :اللّه ، قال : فمن نجاك من كرب البئر؟ قال : اللّه ، قال فمن علمك تاويل الرؤيا؟ قال اللّه ، قال : فمن صرف عنك السؤ،و الفحشا؟ قال : اللّه ، قال : فكيف استشفعت بدمي مثلك ؟((466)) فلما انقضت سبع سنين ـ قال الكلبي : و هذه السبع سوى الخمسة((467)) التي قبل ذلك ـ جاه الفرج من اللّه ، فراى الملك ما راى من الرؤيا العجيبة ، و عجز الملا عن تفسيرها ,تذكر الساقي يوسف ، و صدق تعبيره للرؤى ، فذهب الى يوسف ، فعبرها له خير تعبير، فكان ذلك سبب نجاته من السجن ، و قول امراة العزيز : (الئن حصحص الحق انا راودته عن نفسه و انه لمن الصادقين.(
و اغلب الظن عندنا ان هذا من الاسرائيليات ، فقد صورت سجن يوسف على انه عقوبة من اللّه لاجل الكلمة التي قالها، مع انه (ع) لم يقل هجرا، و لا منكرا، فالاخذ في اسباب النجاة العادية ، و في اسباب اظهار البراة و الحق ، لاينافي قط التوكل على اللّه تعالى و البلا للانبيا ليس عقوبة ، و انما هو لرفع درجاتهم ، و ليكونوا اسوة و قدوة لغيرهم ، في باب الابتلا و في الحديث الصحيح عن النبي (ص)) : (اشد الناس بلا الانبيا، ثم الامثل فالامثل.((
و قد روى ابن جرير هاهنا حديثا مرفوعا، فقال : حدثنا ابن وكيع قال : حدثنا عمرو بن محمد، عن ابراهيم بن يزيد، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة ، عن ابن عباس مرفوعا، قال : قال النبي (ص)) : (لو لم يقل ـ يعني يوسف ـ الكلمة التي قالها، مالبث في السجن طول مالبث ، حيث يبتغي الفرج من عند غير اللّه.((
و لو ان هذا الحديث كان صحيحا او حسنا، لكان للمتمسكين بمثل هذه الاسرائيليات التي اظهرت سيدنا يوسف بمظهرالرجل المذنب المدان وجهة ، و لكن الحديث شديد الضعف ، لايجوز الاحتجاج به ابدا.
قال الحافظ ابن كثير : ((و هذا الحديث ضعيف جدا((468)) , لان سفيان بن وكيع ـ الراوي عنه ابن جرير ـ ضعيف ،و ابراهيم بن يزيد اضعف منه ايضا، و قد روى عن الحسن و قتادة مرسلا عن كل منهما، و هذه المرسلات هاهنا لاتقبل((469)) , و لو قبل المرسل من حيث هو في غير هذا الموطن ، و اللّه اعلم ((470)) ((و قد تكلف بعض المفسرين للاجابة عما يدل عليه هذاالحديث و حاله كما سمعت بل تكلف بعضهم ، فجعل الضمير في ((فانساه)) ليوسف ، و هو غير صحيح ، لان الضمير يعود الى الذي نجا منهما، بدليل قوله تعالى بعد ذلك : (و ادكر بعد امة) فالذي تذكر هو الذي انساه الشيطان ، و الذي يجب ان نعتقده ان يوسف (ع) مكث في السجن ـ كما قال اللّه تعالى ـ بضع سنين.
و البضع : من الثلاث الى التسع ، او الى العشر، من غير تحديد للمدة ، فجائز ان تكون سبعا، و جائز ان تكون تسعا، و جائزان تكون خمسا، مادام ليس هناك نقل صحيح عن المعصوم (ص)، وكذلك نعتقد انه لم يكن عقوبة على كلمة ، وانما هو بلاو رفعة درجة.

20ـ الاسرائيليات في شجرة طوبى

و من الاسرائيليات ما ذكره بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى : (الذين آمنوا و عملوا الصالحات طوبى لهم و حسن مب. ((471)) (
فمن ذلك ما رواه ابن جرير بسنده ، عن وهب ، قال : ان في الجنة شجرة يقال لها : طوبى ، يسير الراكب في ظلها مائة عام لايقطعها، زهرتها رياض ، و ورقها برود، و

قضبانها عنبر، و بطحاؤها ياقوت ، و ترابها كافور، و وحلها مسك ، يخرج من اصلهاانهار الخمر، و اللبن ، و العسل ، و هي مجلس لاهل الجنة ، فبينما هم في مجلسهم اذ اتتهم ملائكة من ربهم ، يقودون نجبا((472)) مزمومة بسلاسل من ذهب ، وجوهها كالمصابيح حسنا، و وبرها كخز المرعزي من لينه ، عليها رحال ((473)) الواحها من ياقوت ،و دفوفها من ذهب ، و ثيابها من سندس ، و استبرق , فينيخونها، و يقولون : ان ربنا ارسلنا اليكم لتزوروه ، و تسلموا عليه قال :فيركبونها في اسرع من الطائر، و اوطا من الفراش ، نجبا من غير مهنة ، يسير الرجل الى جنب اخيه ، و هو يكلمه ، و يناجيه ،لاتصيب اذن راحلة منها اذن الاخرى ، و لا برك ((474)) راحلة برك الاخرى ، حتى ان الشجرة لتتنحى عن طريقهم ، لئلا تفرق بين الرجل و اخيه قال : فياتون الى الرحمان الرحيم , فيسفر لهم عن وجهه الكريم ، حتى ينظروا اليه ، فاذا راوه قالوا : ((اللهم انت السلام ، و منك السلام ، و حق لك الجلال و الاكرام قال : فيقول تعالى عند ذلك : انا السلام ، و مني السلام ، و عليكم السلام ،حقت رحمتي ، ومحبتي ، مرحبا بعبادي الذين خشوني بغيب ، و اطاعوا امري قال : فيقولون :ربنا لم نعبدك حق عبادتك ،و لم نقدرك حق قدرك ، فاذن لنا في السجود قدامك قال : فيقول اللّه : انها ليست بدار نصب ، و لا عبادة ، و لكنها دار ملك و نعيم ، و اني قد رفعت عنكم نصب العبادة فسلوني ما شئتم ، فان لكل رجل منكم امنيته فيسالونه ، حتى ان اقصرهم امنية ليقول : ربي تنافس اهل الدنيا في دنياهم ، فتضايقوا فيها، رب فتني كل شي كانوا فيه ، من يوم خلقتها الى ان انتهت الدنيا،فيقول اللّه تعالى : لقد قصرت بك امنيتك ، و لقد سالت دون منزلتك ، هذا لك مني و ساتحفك بمنزلتي ، لانه ليس في عطائى نكد، و لا قصر يد قال : ثم يقول : اعرضوا على عبادي ما لم يبلغ امانيهم و لم يخطر لهم على بال قال : فيعرضون عليهم حتى يقضوهم امانيهم التي في انفسهم ، فيكون فيما يعرضون عليهم براذين مقرنة ، على كل اربعة منها سرير من ياقوتة واحدة ، على كل سرير منها قبة من ذهب مفرغة ، في كل قبة منها فرش من فرش الجنة ، متظاهرة ، في كل قبة منها جاريتان من الحور العين ،على كل جارية منهن ثوبان من ثياب الجنة و ليس في الجنة لون الا و هو فيهما، و لا ريح و لا طيب الا قد عبق بهما، ينفذ ضؤوجوههما غلظ القبة ، حتى يظن من يراهما انهما دون القبة ، يرى مخهما من فوق سوقهما كالسلك الابيض من ياقوتة حمرا،تريان له من الفضل على صاحبته كفضل الشمس على الحجارة او افضل ، و يرى هو لهما مثل ذلك ثم يدخل اليهما فتحييانه و تقب لانه ، و تعانقانه ، و تقولان له : و اللّه ماظننا ان اللّه يخلق مثلك ثم يامر اللّه تعالى الملائكة فيسيرون بهم صفا في الجنة ،حتى ينتهي كل رجل منهم الى منزلته التي اعدت له((475)) .

و قد وصف ابن كثير في تفسيره هذا الاثر بانه غريب عجيب و ساقه و قد روى هذا الاثر ابن ابي حاتم بسنده ، عن وهب ايضا، و زاد زيادات اخرى((476)) .

21ـ الاسرائيليات في افساد بني اسرائيل

و من الاسرائيليات في كتب التفسير ما يذكره بعض المفسرين عند قوله تعالى : (و قضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الا رض مرتين و لتعلن علوا كبيرا فاذا ج وعد اولا هما بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد فجاسوا خلا ل الديار و كان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم و امددناكم باموال و بنين و جعلناكم اكثر نفيرا، ان احسنتم احسنتم لا نفسكم و ان اساتم فلها فاذا جا وعد الا خرة ليسووا وجوهكم و ليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة و ليتبروا ما علواتتبيرا عسى ربكم ان يرحمكم و ان عدتم عدنا و جعلنا جهنم للكافرين حصيرا. ((477)) (

و ليس من قصدنا هنا تحقيق مرتي افسادهم ، و من سلط عليهم في كلتا المرتين ، فلذلك موضع آخر((478)) .

و انما الذي يتصل ببحثنا بيان ما روي من الاسرائيليات في هاتين المرتين ، و اسم من سلط عليهم , وصفته و كيف كان ،و الى م صار امره ، و قد كانت معظم الروايات في بيان العباد ذوى الباس الشديد الذين سلطوا عليهم ، تدور حول ((بختنصر))البابلي و قد

احاطوه بهالة من العجائب و الغرائب ، و المبالغات التي لاتصدق و قد اخرج هذه الروايات ابن جرير في تفسيره ـ و اكثر منها جدا((479)) ـ و ابن ابي حاتم و البغوي ((480)) , و غيرهم ، عن ابن عباس ، و ابن مسعود، و عن سعيد بن جبير،و سعيد بن المسيب ، و عن السدي ، و عن وهب بن منبه ، و ابن اسحاق ، و غيرهم و خرجها من غير ذكر اسانيدها، مع عزوهاالى مخرجيها السيوطي في ((الدر المنثور)) ((481)) .

و فيها ـ و لا شك ـ الكثير من اكاذيب بني اسرائيل التي اختلقها اسلافهم ، و تنوقلت عليهم ، و رواه اخلافهم من مسلمة اهل الكتاب الذين اسلموا، و اخذها عنهم بعض الصحابة و التابعين تحسينا للظن بهم ، و رواها من غير تنبيه الى ما فيها.

و في هذه الاخبار الاسرائيلية ما يحتمل الصدق و الكذب ، و لكن الاولى عدم الاشتغال به ، و ان لانفسر القرآن به ، و ان نقف عند ما قصه اللّه علينا، من غير ان نفسد جمال القرآن و جلاله ، بمثل هذه الاسرائيليات.

و قد اكثر ابن جرير هنا من النقل عن ابن اسحاق ، و في بعضها روى عن ابن اسحاق عمن لايتهم , عن وهب بن منبه((482)) , و في بعضها بسنده عن وهب بن منبه في ذكر ابن اسحاق ، و بذلك وقفنا على من كان المصدر الحقيقي لهذه المرويات ، و انه وهب ، و امثاله ، من مسلمة اهل الكتاب.

و قد سود ابن جرير بضع صفحات من كتابه في النقل عن ابن اسحاق و عن وهب ، و لااحب ان انقل هذا بنصه ، فان في ذلك تسويدا للصفحات ، و لكني ساذكر البعض ، ليكون القارئ لهذا التفسير على حذر من مثل ذلك.

قال ابن جرير : حدثنا ابن حميد قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابن اسحاق قال : ((كان مما انزل اللّه على موسى((483)) في خبره عن بني اسرائيل ، و في احداثهم ، ما هم فاعلون بعده ، فقال : (و قضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الا رض مرتين و لتعلن علوا كبيرا ((484)) (الى قوله : (و جعلنا جهنم للكافرين حصيرا.(فكانت بنواسرائيل و فيهم الاحداث و الذنوب ، و كان اللّه في ذلك متجاوزا عنهم متعطفا عليهم , محسنا اليهم ، فكان ممانزل بهم في ذنوبهم ما كان قدم اليهم في الخبر على لسان موسى ، مما انزل بهم في ذنوبهم ، فكان اول ما انزل بهم من تلك الوقائع : ان ملكا منهم كان يدعى صديقة ، و كان اللّه اذا ملك الملك عليهم بعث نبيا يسدده ، و يرشده ، و يكون فيما بينه و بين اللّه ، و يحدث اليه في امرهم لاينزل عليهم الكتب ، انما يؤمرون باتباع التوراة ، و الاحكام التي فيها، و ينهونهم عن المعصية ،و يدعونهم الى ما تركوا من الطاعة فلما ملك ذلك الملك بعث اللّه معه شعيا بن امصيا، و ذلك قبل مبعث زكريا، و يحيى و عيسى ، و شعيا الذي بشر بعيسى ، و محمد، فملك ذلك الملك بني اسرائيل ، و بيت المقدس زمانا، فلما انقضى ملكه ،عظمت فيهم الاحداث ، و شعيا معه ، بعث اللّه عليهم ((سنجاريب ((ملك بابل ، و معه ستمائة الف راية((485)) , فاقبل سائرا، حتى نزل نحو بيت المقدس ، و الملك مريض ، في ساقه قرحة ، فجا النبي شعيا، فقال له : يا ملك بني اسرائيل ان ((سنجاريب)) ملك بابل قد نزل بك هو و جنوده ، ستمائة الف راية ، و قد هابهم الناس ، و فرقوا((486)) منهم فكبر ذلك على الملك ، فقال : يا نبي اللّه ،هل اتاك وحي من اللّه فيما حدث فتخبرنا به ؟ كيف يفعل اللّه بنا، و بسنجاريب و جنوده ؟ فقال له النبي (ع) : لم ياتني وحي ،احدث الى في شانك ، فبينما هم على ذلك اوحى اللّه الى شعيا النبي ان ائت ملك بني اسرائيل فمره ان يوصي وصيته ،و يستخلف على ملكه من شا من اهل بيته ، فانك ميت.

ثم استرسل ابن جرير في الرواية ، حتى استغرق ذلك اربع صفحات كبار من كتابه ((487)) , لايشك الناظر فيها انها من اخاربني اسرائيل ، و فيما ذكره ابن جرير عن ابن اسحاق الصدق ، و الكذب ، و الحق ، و الباطل و لسنا في حاجة اليه في تفسيرالايات.

و في الافساد الثاني ـ و من سلط عليهم ـ روى ابن جرير ايضا، قال : حدثني محمد بن سهل بن عسكر، و محمد بن عبدالملك بن زنجويه ، قالا : حدثنا اسماعيل بن عبدالكريم ، قال : حدثنا ابن عبدالصمد بن معقل ، عن وهب بن منبه و حدثناابن

حميد، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن اسحاق ، عمن لايتهم ، عن وهب بن منبه اليماني ـ و اللفظ لحديث ابن حميد انه كان يقول ـ يعني وهب بن منبه.
قال اللّه تبارك و تعالى لارميا حين بعثه نبيا الى بني اسرائيل : يا ارميا من قبل ان اخلقك اخترتك و لا مر عظيم اختباتك ،فبعث اللّه ((ارميا)) الى ذلك الملك من بني اسرائيل ، يسدده ، و يرشده و ياتيه بالخبر من اللّه فيما بينه ، و بين اللّه ، قال : ثم عظمت الاحداث في بني اسرائيل ، و ركبوا المعاصي , و استحلوا المحارم ، و نسوا ما كان اللّه سبحانه و تعالى صنع بهم ، و مانجاهم من عدوهم))سنجاريب)) و جنوده ، فاوحى اللّه الى ارميا : انت ائت قومك من بني اسرائيل ، و اقصص عليهم ما آمرك به ، و ذكرهم نعمتي عليهم ، و عرفهم احداثهم.
و استرسل وهب بن منبه فيما يذكره من اخبار بني اسرائيل ، حتى استغرق ذلك من تفسير ابن جرير ثلاث صفحات كبار((488)) الى غير ذلك ، مما ذكره ابن جرير، و ابن ابي حاتم ، و غيرهما، من قصص عجيب غريب في ((بختنصر)) هذا، و ماخرب من البلاد و ماقتل من العباد.

الكذب على رسول اللّه بنسبة هذه الاسرائيليات اليه

و لو ان هذه الاسرائيليات و الاباطيل وقف بها عند رواتها من اهل الكتاب الذين اسلموا، او عند من رواها عنهم من الصحابة و التابعين لهان الامر ,و لكن عظم الاثم ان تنسب هذه الاسرائيليات الى المعصوم (ص) صراحة ، و لااشك ان هذاالدس من عمل زنادقة اليهود.
روى ابن جرير في تفسيره ، قال : حدثنا عصام بن داود بن الجراح ، قال : حدثنا ابي ، قال : حدثنا سفيان بن سعيد الثوري ،قال : حدثنا منصور بن المعتمر، عن ربعي بن حراش ، قال : سمعت حذيفة بن اليمان يقول : قال رسول اللّه (ص : (

))ان بني اسرائيل لمااعتدوا، و علوا، و قتلوا الانبيا، بعث اللّه عليهم ملك فارس (بختنصر)، و كان اللّه ملكه سبعمائة سنة((489)) , فسار اليهم ، حتى دخل بيت المقدس ، فحاصرها، و فتح ، و قتل على دم زكريا سبعين الفا، ثم سبى اهلها، و بني الانبيا، و سلب حلي بيت المقدس ، و استخرج منها سبعين الفا، و مائة الف عجلة من حلي ، حتى اوردها بابل ((
, ((490))قال حذيفة : فقلت يا رسول اللّه لقد كان بيت المقدس عظيما عنداللّه ، قال : اجل ، بناه سليمان بن داود من ذهب ، و در، و ياقوت ،و زبرجد، و كان بلاطة من ذهب ، و بلاطة من فضة ، و عمده ذهبا، اعطاه اللّه ذلك ، و سخر له الشياطين ياتونه بهذه الاشيا في طرفة عين ، فسار (بختنصر) بهذه الاشيا، حتى دخل بها بابل ، فاقام بنواسرائيل في يديه مائة سنة ، تعذبهم المجوس ، و ابناالمجوس ، فيهم الانبيا، و ابنا الانبيا، ثم ان اللّه رحمهم فاوحى الى ملك من ملوك فارس ـ يقال له : (كورش) و كان مؤمنا ـ ان سر الى بقايا بني اسرائيل حتى تستنقذهم ، فسار (كورش) ببني اسرائيل ، و حلي بيت المقدس ، حتى رده اليه.
فاقام بنواسرائيل مطيعين اللّه مائة سنة ، ثم انهم عادوا في المعاصي ، فسلط اللّه عليهم)بطيانموس)، فغزا بابنا من غزا مع بختنصر، فغزا بني اسرائيل ، حتى اتاهم بيت المقدس ، فسبى اهلها، و احرق بيت المقدس ، و قال لهم : يا بني اسرائيل ، ان عدتم في المعاصي عدنا عليكم بالسبا ,فعادوا في المعاصي ، فسير اللّه عليهم السبا الثالث ، ملك رومية ، يقال له : (فاقس بن اسبايوس ((491)) (فغزاهم في البر و البحر

فسباهم ، و سبى حلي بيت المقدس ، و احرق بيت المقدس بالنيران ، فقال رسول اللّه (ص) : هذا من صنعة حلي بيت المقدس ، و يرده المهدي الى بيت المقدس ، و هو الف سفينة ، و سبعمائة سفينة ، يرسي بها على ((يافا))، حتى تنقل الى بيت المقدس ، و بها يجمع اللّه الاولين و الاخرين و الغريب من ابن جرير، كيف استجاز ان يذكرهذا الهراء، و هذه التخريفات عن المعصوم (ص)، و كان عليه ان يصون كتابه عن ان يسوده بامثال هذه المرويات الباطلة((492)) .

قال الامام الحافظ ابن كثير:

))و قد روى ابن جرير في هذا المكان حديثا اسنده عن حذيفة مرفوعا مطولا، و هو حديث موضوع لامحالة ، لايستريب في ذلك من عنده ادنى معرفة بالحديث ، و العجب كل العجب كيف راج عليه مع جلالة قدره ، و امامته ، و قد صرح شيخنا ابوالحجاج المزي بانه موضوع مكذوب ، و كتب ذلك على حاشية الكتاب ـ يعني كتاب تفسير ابن جرير ـ و قد وردت في هذا آثاركثيرة اسرائيلية , لم ار تطويل الكتاب بذكرها، لان منها ما هو موضوع من وضع بعض زنادقتهم ، و منها ما قد يحتمل ان يكون صحيحا، و نحن في غنية عنها و للّه الحمد، و فيما قص اللّه علينا في كتابه غنية عما سواه من بقية الكتب قبله ، و لم يحوجنا اللّه ،و لا رسوله اليهم ، و قد اخبر اللّه عنهم انهم لماطغوا و بغوا ,سلط اللّه عليهم عدوهم ، فاستباح بيضتهم ، و سلك خلال بيوتهم ،و اذلهم ، و قهرهم جزا وفاقا، و ما ربك بظلا م للعبيد، فانهم كانوا قد تمردوا و قتلوا خلقا كثيرا من الانبيا و العلما((493)) .

قال ابوشهبة : و هذا هو الحق الذي ينبغي ان يصار اليه في الاية ، و القصص القرآني لايعني بذكر الاشخاص ، و لا الاماكن ،لان الغرض منه العبرة ، و التذكير، و التعليم و التاويل و الذي دلت عليه الاية انهم افسدوا مرتين في الزمن الاول ، و ظلمواو بغوا، فسلط اللّه عليهم في الاولى من اذلهم و سباهم ، و لايعنينا ان يكون هذا (سنجاريب) او (بختنصر) و جيشه ، اذلايترتب على العلم به فائدة تذكر، و سلط اللّه عليهم في الثانية من اذلهم ، و سا وجوههم ، و دخل المسجد الاقصى ، فافسدفيه , و دمر، و لايعنينا ان يكون هذا الذي نكل بهم هو (طيطوس) الروماني او غيره ، لان المراد من سياق قصته : ما قضاه اللّه على بني اسرائيل انهم اهل فساد، و بطر، و ظلم ، و بغي ، و انهم لماافسدوا و طغوا، و تجبروا سلط اللّه عليهم من عباده من نكل بهم ، و اذلهم ، و سباهم ، و شردهم , ثم ان الايات دلت ايضا على ان بني اسرائيل لايقف طغيانهم ، و بغيهم ، و افسادهم عند المرتين الاوليين ، بل الاية توحي بان ذلك مستمر الى ما شا اللّه ، و ان اللّه سيسلط عليهم من يسومهم العذاب , و يبطش بهم ، و يرد ظلمهم و عدوانهم ، قال عز شانه : (عسى ربكم ان يرحمكم و ان عدتم ((494))بلى .

اليس في قوله هذا انذارو وعيد لهم الى يوم القيامة ؟ و ما يؤكد هذا الانذار و الوعيد قوله تعالى : (و اذ تاذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سو العذاب ان ربك لسريع العقاب و انه لغفور رحيم ((495)) (

فهل يسلط اللّه عليهم اليوم من يرد ظلمهم و بغيهم ، و طردهم اهل فلسطين من ديارهم ، و اغتصاب الديار، و استذلال العباد، و استهانتهم بالقيم الخلقية ، و الحقوق الانسانية ؟.

ذلك ما نرجو، و ما ذلك على المسلمين بعزيز، لو وحدوا الكلمة ، و جمعوا الصفوف ، و اخذوا الحذر و الاهبة ، و اعدوالهم العدة ، فاللهم حقق و اعن.

22ـ الاسرائيليات في قصة اصحاب الكهف

و من قصص الماضين التي اكثر فيها المفسرون من ذكر الاسرائيليات قصة اصحاب الكهف ، فقد ذكر ابن جرير، و ابن مردويه ، و غيرهما الكثير من اخبارهم التي لايدل

عليها كتاب اللّه تعالى ، و لايتوقف فهم القرآن و تدبره عليها.
فمن ذلك ما ذكره ابن جرير في تفسيره ، عن ابن اسحق ، صاحب السيرة في قصتهم ، فقد ذكر نحو ثلاث ورقات ، و ذكر عن وهب بن منبه ، و ابن عباس ومجاهد اخبارا كثيرة اخرى((496)) , و كذلك ذكر السيوطي في ((الدر المنثور , ((497)) ((الكثير مما ذكره المفسرون عن اصحاب الكهف ، عن هويتهم ، و من كانوا؟ و في اي زمان و مكان وجدوا؟ و اسمائهم ؟ و اسم كلبهم ؟ و اهوقطمير ام غيره ؟ و عن لونه اهو اصفر ام احمر؟ بل روى ابن ابي حاتم من طريق سفيان ، قال : رجل بالكوفة يقال له :عبيد ـ و كان لايتهم بالكذب ـ قال : رايت كلب اصحاب الكهف احمر، كانه كسا انبجاني ((498)) , و لاادري كيف كان لايتهم بالكذب ، و ما زعم كذب لا شك فيه ، فهل بقي كلب اصحاب الكهف حتى الاسلام ؟ قرية ، و روى ذلك عن كعب الاحبار، و من قائل : انه واد بفلسطين ، بقرب ايلة ، و قيل : اسم جبل اصحاب الكهف الى غير ذلك مع ان الظاهر انه كما قال كثير من السلف : انه الكتاب او الحجر الذي دون فيه قصتهم و اخبارهم ، او غيرذلك ، مما اللّه اعلم به ، فهو فعيل بمعنى مفعول ، اي مرقوم ، و في الكتاب الكريم : (و ما ادراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون) ((499)) (و ما ادراك ما سجين كتاب مرقوم. ((500)) (
و في هذه الاخبار : الحق و الباطل ، و الصدق و الكذب ، و فيها ما هو محتمل للصدق و الكذب ، و لكن فيما عندنا غنية عنه ، و لا فائدة من الاشتغال بمعرفته و تفسير القرآن به ، كما اسلفنا، بل الاولى و الاحسن ان نضرب عنه صفحا، و قد ادبنا اللّه بذلك ، حيث قال لنبيه بعد ذكر اختلاف اهل الكتاب في عدد اصحاب الكهف : (قل ربي اعلم بعدتهم مايعلمهم الا قليل فلا تمار فيهم الا مرآ ظاهرا و لا تستفت فيهم منهم احدا. ((501)) (
و غالب ذلك ما اشرنا اليه و غيره متلقى عن اهل الكتاب الذين اسلمواو حمله عنهم بعض الصحابة و التابعين لغرابته و العجب منه ، قال ابن كثير في تفسيره : ((و في تسميتهم بهذه الاسما، و اسم كلبهم ، نظر في صحته و اللّه اعلم ـ، فان غالب ذلك متلقى من اهل الكتاب ، و قد قال تعالى : (فلا تمار فيهم الا مرآ ظاهرا) اي سهلا هينا لينا، فان الامر في معرفة ذلك لايترتب عليه كبير فائدة (و لا تستفت فيهم منهم احدا) اي فانهم لا علم لهم بذلك الا ما يقولونه من تلقا انفسهم ، رجمابالغيب ، اي من غير استناد الى كلام معصوم ، و قد جاك اللّه يا محمد بالحق الذي لا شك فيه و لا مرية فيه ، فهو المقدم على كل ما تقدمه من الكتب و الاقوال. ((502)) ((

23ـ الاسرائيليات في قصة ذي القرنين

و من الاسرائيليات التي طفحت بها بعض كتب التفسير ما يذكرونه في تفاسيرهم , عند تفسير قوله تعالى : (و يسالونك عن ذي القرنين قل ساتلوا عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الا رض و آتيناه من كل شى سببا فاتبع سببا. ((503)) (
و قد ذكر ابن جرير في تفسيره بسنده ، عن وهب بن منبه اليماني ـ و كان له علم بالاحاديث الاولى ـ انه كان يقول :((ذوالقرنين رجل من الروم ، ابن عجوز من عجائزهم ، ليس لها ولد غيره ، و كان اسمه الاسكندر، و انما سمي ذاالقرنين ، ان((504)) صفحتي راسه كانتا من نحاس ، فلما بلغ و كان عبدا صالحا، قال اللّه له : يا ذاالقرنين اني باعثك الى امم الارض ، و هي امم مختلفة السنتهم ، و هم جميع اهل الارض ، و منهم امتان بينهما طول الارض كله ، و منهم امتان بينهما عرض الارض كله , و امم في وسط الارض منهم الجن و الانس ، و ياجوج و ماجوج ثم استرسل في ذكر اوصافه ، و ما وهبه اللّه من العلم و الحكمة ،و اوصاف الاقوام الذين لقيهم ، و ما قال لهم ، و ما قالوا له ، و في اثنا ذلك يذكر ما لايشهد له عقل و لا نقل و قد سود بهذه الاخبار نحو اربعة صحائف من كتابه((505)) , و كذلك ذكر روايات اخرى في سبب تسميته بذي القرنين ، بما لايخلو عن تخليطو تخبط و قد ذكر ذلك ـ عن غير ابن جرير ـ السيوطي في ((الدر))، قال : ((و اخرج ابن اسحاق ، و ابن المنذر، و ابن ابي حاتم ،و الشيرازي في الالقاب ، و ابوالشيخ ، عن وهب بن منبه اليماني ـ و كان له علم

بالاحاديث الاولى ـ انه كان يقول : كان ذوالقرنين رجلا من الروم ، ابن عجوز من عجائزهم ، ليس لها ولد غيره ، و كان اسمه الاسكندر، و انما سمي ذاالقرنين ، ان صفحتي راسه كانتا من نحاس ((506)) ((و انا لااشك في ان ذلك مما تلقاه وهب عن كتبهم ، و فيها ما فيها من الباطل و الكذب ،ثم حملها عنه بعض التابعين ، و اخذها عنهم ابن اسحق و غيره من اصحاب كتب التفسير و السير و الاخبار و لقد اجاد و افادالامام الحافظ ابن كثير، حيث قال في تفسيره : ((و قد ذكر ابن جرير هاهنا عن وهب بن منبه اثرا طويلا، عجيبا في سيرذي القرنين ، و بنائه السد، و كيفية ما جرى له ، و فيه طول ، و غرابة ، و نكارة ، في اشكالهم ، و صفاتهم و طولهم ، و قصربعضهم ، و آذانهم و روى ابن ابي حاتم عن ابيه في ذلك احاديث غريبة ، لاتصح اسانيدها، و اللّه اعلم ((507)) ((و حتى لو صح الاسناد فيها، فلا شك في انها من الاسرائيليات ، لانه لا تنافي بين الامرين ، فهي صحيحة الى من رويت عنه ، لكنها في نفسها من قصص بني اسرائيل الباطل ، و اخبارهم الكاذبة.

و لو ان هذه الاسرائيليات وقف بها عند منابعها، او من حملها عنهم من الصحابة و التابعين ، لكان الامر محتملا، و لكن الاثم ، و كبر الكذب ان تنسب هذه الاخبار الى النبي (ص) و لو انها كما اسلفنا كانت صحيحة في معناها و مبناها لماحل نسبتهاالى رسول اللّه ابدا، فما بالك و هي اكاذيب ملفقة ، و اخبار باطلة ؟ و قد روى ابن جرير و غيره عند تفسير قوله تعالى : (و يسالونك عن ذي القرنين) حديثا مرفوعا الى النبي (ص) قال:

))حدثنا ابوكريب قال : حدثنا زيد بن حباب ، عن ابن لهيعة ، قال : حدثني عبدالرحمان بن زياد بن انعم ، عن شيخين من تجيب ، انهما انطلقا الى عقبة بن عامر، فقالا له : جئنا لتحدثنا، فقال : كنت يوما اخدم رسول اللّه (ص)، فخرجت من عنده ،فلقيني قوم من اهل الكتاب ، فقالوا : نريد ان نسال رسول اللّه (ص) فاستاذن لنا عليه ، فدخلت عليه فاخبرته ، فقال : ما لي و مالهم ، ما لي علم الا ما علمني اللّه , ثم قال : اسكب لي ما، فتوضا، ثم صلى ، قال : فمافرغ حتى عرفت السرور على وجهه ، ثم قال : ادخلهم على ، و من رايت من اصحابي ، فدخلوا، فقاموا بين يديه ، فقال : ان شئتم سالتم فاخبرتكم عما تجدونه في كتابكم مكتوباو ان شئتم اخبرتكم ، قالوا : بلى ، اخبرنا، قال : جئتم تسالون عن ذي القرنين ، و ما تجدونه في كتابكم : كان شابامن الروم ، فجا، فبنى مدينة مصر الاسكندرية ، فلما فرغ جاه ملك فعلا به في السما، فقال له : ما ترى ؟ فقال : ارى مدينتي ،و مدائن ، ثم علا به ، فقال : ما ترى ؟ فقال : ارى مدينتي ، ثم علا به ، فقال : ما ترى ؟ قال : ارى الارض ، قال : فهذا اليم محيطبالدنيا، ان اللّه بعثني اليك تعلم الجاهل ، و تثبت العالم ، فاتى به السد، و هو جبلان لينان يزلق عنهما كل شي ، ثم مضى به حتى جاوز ياجوج و ماجوج ، ثم مضى به الى امة اخرى ، وجوههم وجوه الكلاب ، يقاتلون ياجوج و ماجوج ، ثم مضى به حتى قطع به امة اخرى يقاتلون هؤلا الذين وجوههم وجوه الكلاب ، ثم مضى حتى قطع به هؤلا الى امة اخرى قد سماهم , ((508)) ((ثم عقب ذلك بسرد المرويات في سبب تسميته بذي القرنين.

و ذكر السيوطي في ((الدر المنثور ((509)) ((مثل ذلك ، و قال : انه اخرجه ابن عبدالحكم في))تاريخ مصر))، و ابن ابي حاتم ،و ابوالشيخ ، و البيهقي في ((الدلائل)).

و كل هذا من الاسرائيليات التي دست على النبي (ص) و لو شئت ان اقسم بين الركن و المقام ان رسول اللّه (ص) ماقال هذا، لاقسمت ، و ابن لهيعة ضعيف في الحديث.

و قد كشف لنا الامام الحافظ ابن كثير عن حقيقة هذه الرواية في تفسيره ، و انحى باللائمة على ما رواها، فقال : ((و قد اوردابن جرير هاهنا، و الاموي في مغازيه ، حديثا اسنده ـ و هو ضعيف ـ عن عقبة بن عامر : ان نفرا من اليهود جاوا يسالون النبي (ص) عن ذي القرنين ، فاخبرهم بما جاوا له ابتدا، فكان فيما اخبرهم به : انه كان شابا من الروم ، و انه بنى الاسكندرية ،و انه علا به ملك في السما و ذهب به الى السد، و راى اقواما وجوههم مثل وجوه الكلاب)) و فيه طول و نكارة ، و رفعه لايصح ، و

اكثر ما فيه انه من اخبار بني اسرائيل.
و العجب ان ابازرعة الرازي مع جلالة قدره ساقه بتمامه في كتاب ((دلائل النبوة))، و ذلك غريب منه ، فيه من النكارة انه من الروم ، و انما الذي كان من الروم الاسكندر الثاني ، و هو ابن فيلبس المقدوني ، الذي تؤرخ به الروم ، و كان وزيره ارسطاطاليس ،الفيلسوف المشهور، و اللّه اعلم((510)) .

و من هو ذوالقرنين ؟

قال ابوشهبة : و الذي نقطع به انه ليس الاسكندر المقدوني ، لان ما ذكره المؤرخون في تاريخه لايتفق و ما حكاه القرآن الكريم عن ذي القرنين ، و الذي نقطع به ايضا انه كان رجلا مؤمنا صالحا، ملك شرق الارض و غربها، و كان من امره ما قصه اللّه تعالى في كتابه ، و هذا ماينبغي ان نؤمن به ، و نصدقه اما معرفة هويته ، و ما اسمه ؟، و اين ، و في اي زمان كان ؟ فليس في القرآن ، و لا في السنة الصحيحة ما يدل عليه ، على ان الاعتبار بقصته ، و الانتفاع بها ,لايتوقف على شي من ذلك ، و تلك سمة من سمات القصص القرآني ، و خصيصة من خصائصه انه لايعني بالاشخاص ، و الزمان ، و المكان ، مثل ما يعني بانتزاع العبرة منها، و الاستفادة منها، فيما سيقت له.

24ـ الاسرائيليات في قصة ياجوج و ماجوج

من الاسرائيليات التي اتسمت بالغرابة ، و الخروج عن سنة اللّه في الفطرة , و خلق بني آدم ما ذكره بعض المفسرين في تفاسيرهم ، عند قوله تعالى) : قالوا يا ذاالقرنين ان ياجوج و ماجوج مفسدون في الا رض فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا و بينهم سدا. ((511)) (
فقد ذكروا عن ياجوج و ماجوج الشي الكثير من العجائب و الغرائب ، قال السيوطي في ((الدر المنثور : ((512)) ((اخرج ابن ابي حاتم ، و ابن مردويه ، و ابن عدي ، و ابن عساكر، و ابن النجار، عن حذيفة قال : سالت رسول اللّه (ص) عن ياجوج ،و ماجوج ، فقال : ((ياجوج و ماجوج امة ، كل امة اربعمائة الف امة ، لايموت احدهم حتى ينظر الى الف رجل من صلبه ، كل حمل السلاح)) قلت : يا رسول اللّه ، صفهم لنا، قال : ((هم ثلاثة اصناف : صنف منهم امثال الارز)) قلت : و ما الارز؟ قال :
((شجربالشام طول الشجرة عشرون و مائة ذراع في السما قال رسول اللّه (ص) : هؤلا الذين لايقوم لهم جبل ، و لا حديد و صنف منهم يفترش احدى اذنيه ، و يلتحف بالاخرى ، لايمرون بفيل ، و لا وحش ، و لا جمل ، و لا خنزير الا اكلوه ، و من مات منهم اكلوه , مقدمتهم بالشام و ساقتهم يشربون انهار المشرق ، و بحيرة طبرية.((
و قد ذكر ابن جرير في تفسيره هذه الرواية و غيرها من الروايات الموقوفة ، و كذلك صنع القرطبي في تفسيره و اذا كان بعض الزنادقة استباحوا لانفسهم نسبة هذا الى رسول اللّه (ص) فكيف استباح هؤلا الائمة ذكر هذه المرويات المختلقة المكذوبة على رسول اللّه في كتبهم ؟ و هذا الحديث المرفوع نص الامام ابوالفرج ابن الجوزي ـ في موضوعاته و غيره ـ على انه ((٥١٣ .((فكيف يذكره في تفسيره و لايعقب عليه ؟ و حق له ان يكون موضوعا، فالمعصوم (ص) اجل من ان يروى عنه مثل هذه الخرافات و في كتب التفسير من هذا الخلطو احاديث الخرافة شي كثير، و رووا في هذا عن عبداللّه بن عمرو، و عبداللّه بن عمر، و عبداللّه بن مسعود، و عن كعب الاحبار و لكي تتاكد ان ما رفع الى رسول اللّه انما هي اسرائيليات ، و قد نسبت الى النبي زورا و كذبا، نذكر لك ما روي عن كعب ، قال : ((خلق ياجوج و ماجوج ، ثلاثة اصناف : صنف كالارز، و صنف اربعة اذرع طول ، و اربعة اذرع عرض ، و صنف يفترشون آذانهم ، و يلتحفون بالاخرى ، ياكلون مشائم((514)) نسائهم.((
و على حين نراهم يذكرون من هول و عظم خلقهم ما سمعت ، اذ هم يروون عن ابن عباس)) انه قال : ((ان ياجوج و ماجوج شبر، و شبران ، و اطولهم ثلاثة اشبار، و هم من ولد آدم))، بل رووا عنه انه قال : قال رسول اللّه (ص) : ((بعثني اللّه ليلة اسري

بي الى ياجوج و ماجوج ، فدعوتهم الى دين اللّه و عبادته فابوا ان يجيبوني ، فهم في النار، مع من عصى من ولد آدم و ابليس.((
و العجب ان السيوطي قال عن هذا الحديث : ان سنده واه و لاادري لم ذكره مع وها سنده ؟ تفسيره : و اخرج عبد بن حميد، و ابن المنذر، و الطبراني و البيهقي في البعث ، و ابن مردويه ، و ابن عساكر عن ابن عمر، عن النبي)ص) قال :((ان ياجوج و ماجوج من ولد آدم ، و لو ارسلوا لافسدوا على الناس معايشهم ، و لايموت رجل منهم الا ترك من ذريته الفافصاعدا، و ان من ورائهم ثلاث امم : تاويل ، و تاريس ، و منسك.((
قال : و اخرج احمد، و الترمذي ـ و حسنه ـ و ابن ماجه ، و ابن حبان ، و الحاكم ـ و صححه ـ، و ابن مردويه و البيهقي في البعث ، عن ابي هريرة ، عن رسول اللّه (ص) قال : ((ان ياجوج و ماجوج يحفرون السد كل يوم ، حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس ، قال الذي عليهم : ارجعوا، فستفتحونه غدا، و لايستثنى ، فاذا اصبحوا وجدوه قد رجع كما كان ، فاذا اراد اللّه بخروجهم على الناس قال الذي عليهم : ارجعوا، فستفتحونه ان شا اللّه و يستثنى((515)) , فيعودون اليه ، و هو كهيئته حين تركوه ، فيحفرونه ، و يخرجون على الناس ، فيستقون المياه ، و يتحصن الناس منهم في حصونهم ، فيرمون بسهامهم الى السما،فترجع مخضبة بالدما، فيقولون : قهرنا من في الارض ، و علونا من في السما، قسوا، و علوا، فيبعث اللّه عليهم نغفا((516)) في اعناقهم فيهلكون))، قال رسول اللّه (ص) : ((فوالذي نفس محمد بيده ان دواب الارض لتسمن ، و تبطر، و تشكر شكرا((517)) من لحومهم. ((518)) ((
و مهما كان سند مثل هذا فهو من الاسرائيليات عن كعب و امثاله ، و قد يكون رفعها الى النبي غلطا و خطا من بعض الرواة ، او كيدا يكيد به الزنادقة اليهود للاسلام و اظهار رسوله بمظهر من يروي ما يخالف القرآن ، فالقرآن قد نص بما لايحتمل الشك على انهم لم يستطيعوا ان يعلوا السد، و لا ان ينقبوه ، قال تعالى : (فمااسطاعوا ان يظهروه و ما استطاعوا له نقبا. ((519)) (
و اليك ما ذكره ابن كثير هنا في تفسيره ، قال بعد ان ذكر من رواه : و اخرجه الترمذي من حديث ابي عوانة ، عن قتادة ، ثم قال : غريب لايعرف الا من هذا الوجه ، و اسناده جيد قوى ، و لكن متنه في رفعه نكارة ، لان ظاهر الاية يقتضي انهم لم يتمكنوامن ارتقائه ، و لا من نقبه ، لاحكام بنائه و صلابته و شدته و لكن هذا قد روي عن كعب الاحبار، انهم قبل خروجهم ياتونه ،فيلحسونه ، حتى لايبقى منه الا القليل ، فيقولون : غدا نفتحه فياتون من الغد و قد عاد كما كان ، فيلحسونه حتى لايبقى منه الا القليل ، فيقولون كذلك ، فيصبحون ، و هو كما كان ، فيلحسونه ، و يقولون : غدا نفتحه , و يلهمون ان يقولوا : ان شا اللّه ،فيصبحون ، و هو كما فارقوه ، فيفتحونه ، و هذا متجه و لعل اباهريرة تلقاه من كعب ، فانه كان كثيرا ما كان يجالسه ، و يحدثه ،فحدث به ابوهريرة ، فتوهم بعض الرواة عنه انه مرفوع ، فرفعه ، و اللّه اعلم((520)) .
و من الاسرائيليات المستنكرة في هذا ما روي ان ياجوج و ماجوج خلقا من مني خرج من آدم , فاختلط بالتراب ،و زعموا : ان آدم كان نائما فاحتلم ، فمن ثم اختلط منيه بالتراب و معروف ان الانبيا لايحتلمون ، لان الاحتلام من الشيطان.
قال ابن كثير : و هذا قول غريب جدا، لا دليل عليه ، لا من عقل و لا من نقل ، و لايجوز الاعتماد هاهنا على ما يحكيه بعض اهل الكتاب ، لما عندهم من الاحاديث المفتعلة ، و اللّه اعلم((521)) .
و الخلاصة:
ان اصحاب الكهف ، و ذاالقرنين ، و ياجوج و ماجوج ، حقائق ثابتة لاشك ، و كيف لا؟ و قد اخبر بها الكتاب الذي لاياتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه و لكن الذي ننكره اشد الانكار هذه الخرافات و الاساطير التي حيكت حولهم ، و تدسست الى المرويات الاسلامية ، و اللّه و رسوله بريئان منها، و انما هي من اخبار بني اسرائيل و اكاذيبهم ، و تحريفاتهم.

25ـ الاسرائيليات في قصة بلقيس ملكة سبا

و من الاسرائيليات ما ذكره بعض المفسرين ، عند تفسير قوله تعالى : (قيل لها ادخلي الصرح فلما راته حسبته لجة و كشفت عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير قالت رب اني ظلمت نفسي و اسلمت مع سليمان للّه رب العالمين. ((522)) (
فقد ذكر ابن جرير، و الثعلبي ، و البغوي ، و الخازن ، و غيرهم ((ان سليمان اراد ان يتزوجها ,فقيل له : ان رجليها كحافرالحمار، و هي شعرا الساقين ، فامرهم ، فبنوا له هذا القصر على هذه الصفة ، فلما راته حسبته لجة ، و كشفت عن ساقيهالتخوضه ، فنظر سليمان ، فاذا هي احسن الناس قدما و ساقا، الا انها كانت شعرا الساقين ، فكره ذلك ، فسال الانس ، ما يذهب هذا؟ قالوا : الموسى((523)) , فقالت بلقيس : لم تمسني حديدة قط، و كره سليمان ذلك ، خشية ان تقطع ساقيها، فسال الجن ،فقالوا : لاندري ، ثم سال الشياطين فقالوا : انا نحتال لك حتى تكون كالفضة البيضا، فاتخذوا لها النورة((524)) و الحمام ، فكانت النورة و الحمام من يومئذ ((525)) .
و قد روي هذا عن ابن عباس ـ رضوان اللّه عليه ـ و مجاهد، و عكرمة ، و محمد بن كعب القرظي ، و السدي ، و ابن جريج و غيرهم.
و روي ايضا انها سالت سيدنا سليمان عن امرين ، قالت له : اريد ما ليس من ارض و لا من سما فسال سليمان الانس ،ثم الجن ، ثم الشياطين ، فقالت الشياطين : هذا هين ، اجر الخيل ، ثم خذ عرقها، ثم املا منه الانية ، فامر بالخيل فاجريت ، ثم اخذالعرق ، فملا منه الانية و سالته عن لون اللّه فوثب سليمان عن سريره ، و فزع من السؤال ، و قال : لقد سالتني يا رب عن امر، انه ليتعاظم في قلبي ان اذكره لك ، و لكن اللّه انساه ، و انساهم ما سالته عنه.
و ان الشياطين خافوا لو تزوجها سليمان ، و جات بولد، ان يبقوا في عبوديته ، فصنعوا له هذا الصرح الممرد((526)) , فظنته ما، فكشفت عن ساقيها لتعبره ، فاذا هي شعرا، فاستشارهم سليمان ، ما يذهبه ؟ فجعلت له الشياطين النورة((527)) .
قال ابن كثير في تفسيره ، بعد ان ذكر بعض المرويات : و الاقرب في مثل هذه السياقات انها متلقاة عن اهل الكتاب ، مماوجد في صحفهم ، كرواية كعب ، و وهب ، فيما نقلاه الى هذه الامة من اخبار بني اسرائيل من الاوابد((528)) , و الغرائب ،و العجائب مما كان ، و ما لم يكن ، و مما حرف ، و بدل , و نسخ و قد اغنانا اللّه عن ذلك بما هو اصح منه ، و انفع ، و اوضح ،و ابلغ ، و للّه الحمد و المنة.
و الحق ان سليمان (ع) اراد ببنائه الصرح ان يريها عظمة ملكه ، و سلطانه ، و ان اللّه ـ سبحانه و تعالى ـ اعطاه من الملك ، و من اسباب العمران و الحضارة ما لم يعطها، فضلا عن النبوة التي هي فوق الملك ، و التي دونها اية نعمة ، و حاشالسليمان (ع) و هو الذي سال اللّه ان يعطيه حكما يوافق حكمه ـ اي اللّه ـ ، فاوتيه ان يتحايل هذا التحايل ، حتى ينظر الى ما حرم اللّه عليه ، و هما ساقاها، و هو اجل من ذلك و اسمى.
و لولا انها رات من سليمان ما كان عليه من الدين المتين ، و الخلق الرفيع ، لمااذعنت اليه لم ا دعاها الى اللّه الواحد الحق ،و لماندمت على ما فرط منها من عبادة الكواكب و الشمس ، و اسلمت مع سليمان للّه رب العالمين.

26ـ الاسرائيليات في هدية ملكة سبا لسيدنا سليمان

و من الاسرائيليات ما ذكره كثير من المفسرين ، كابن جرير، و الثعلبي , و البغوي ، و صاحب ((الدر))، في الهدية التي ارسلتهابلقيس الى سيدنا سليمان (ع)، و اليك ما ذكره البغوي في تفسيره ، و ذلك عند تفسير قوله تعالى : (و اني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون. ((529)) (
قال البغوي:
فاهدت اليه وصفا و وصائف قال ابن عباس : البستهم لباسا واحدا كي لايعرف الذكر من الانثى و قال مجاهد : البس الغلمان لباس الجواري ، و البس الجواري البسة الغلمان و اختلفوا في عددهم ، فقال ابن عباس : مائة وصيف ، و مائة وصيفة((530)) و قال

مجاهد و مقاتل : مئتا غلام ، و مئتا جارية و قال قتادة و سعيد بن جبير و غيرهما : ارسلت اليه بلبنة من ذهب في حرير، و ديباج.
و قال وهب و غيره : عمدت بلقيس الى خمسمائة غلام ، و خمسمائة جارية ، فالبست الغلمان لباس الجواري ، و جعلت في سواعدهم اساور من ذهب ، و في اعناقهم اطواقا من ذهب ، و في آذانهم اقراطا، و شتوفا مرصعات بانواع الجواهرو البست الجواري لباس الغلمان : الاقبية و المناطق ، و حملت الجواري على خمسمائة رمكة((531)) , و الغلمان على خمسمائة برذون((532)) , على كل فرس لجام من ذهب مرصع بالجواهر، و غواشيها من الديباج الملون و بعثت اليه خمسمائة لبنة من ذهب و خمسمائة لبنة من فضة ، و تاجا مكللا بالدر و الياقوت و ارسلت اليه المسك و العنبر و العود، و عمدت الى حقة ،فجعلت فيها درة ثمينة غيرمثقوبة ، و خرزة مثقوبة معوجة الثقب و ارسلت مع الهدية رجالا من عقلا قومها، و كتبت معهم كتابا الى سليمان بالهدية و قالت : ان كنت نبيا فميز لي بين الوصائف و الوصفا، و اخبرني بما في الحقة قبل ان تفتحها،و اثقب الدر ثقبا مستويا، و ادخل خيطا في الخرزة المثقوبة من غير علاج انس و لا جن.
و رووا ايضا : ان سليمان (ع) امر الجن ان يضربوا لبنات الذهب و لبنات الفضة ، ففعلوا، ثم امرهم ان يفرشوا الطريق من موضعه الذي هو فيه الى تسعة فراسخ ميدانا واحدا، بلبنات الذهب و الفضة و ان يعدوا في الميدان اعجب دواب البرو البحر، فاعدوها ثم قعد على سريره ، و امر الشياطين ان يصطفوا صفوفا فراسخ ، و امر الانس فاصطفوا فراسخ ، و امرالوحوش و السباع و الهوام و الطير، فاصطفوا فراسخ عن يمينه و عن يساره ، فلما دنا القوم من الميدان ، و نظروا الى ملك سليمان ، و راوا الدواب التي لم تر اعينهم مثلها تروث على لبن الذهب و الفضة ، تقاصرت انفسهم ، و رموا بما معهم من الهداياثم كان ان استعان سليمان بجبريل و الشياطين ، و الارضة في الاجابة عما سالته عنه((533)) .
و معظم ذلك مما لانشك انه من الاسرائيليات المكذوبة((534)) , و اي ملك في الدنيا يتسع لفرش تسعة فراسخ بلبنات الذهب و الفضة ؟ المرويات و ان من روى ذلك من السلف فانمااخذه عن مسلمة اهل الكتاب و ماكان اجدر بكتب التفسير ان تنزه عن مثل هذا اللغو و الخرافات التي تدسست الى الرواية الاسلامية فاسات اليها.

27ـ الاسرائيليات في قصة الذبيح و انه اسحاق

و من الاسرائيليات ما يذكره كثير من المفسرين ، عند تفسير قوله تعالى) : و قال اني ذاهب الى ربي سيهدين رب هب لى من الصالحين فبشرناه بغلا م حليم ، فلما بلغ معه السعى قال يا بنى اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال يابت افعل ما تؤمر ستجدني ان ش اللّه من الصابرين فلما اسلما و تله للجبين ((535)) و ناديناه ان ي ابراهيم قد صدقت الرؤيا اناكذلك نجزي المحسنين ان هذا لهو البلا المبين و فديناه بذبح عظيم و تركنا عليه في الا خرين سلا م على ابراهيم كذلك نجزي المحسنين ان ه من عبادنا المؤمنين و بشرناه باسحاق نبيا من الصالحين و باركنا عليه و على اسحاق و من ذريتهمامحسن و ظالم لنفسه مبين. ((536)) (
فقد روى كثير من المفسرين ، منهم ابن جرير((537)) , و البغوي((538)) , و صاحب))الدر ((539)) ((في هذا روايات كثيرة ، عن بعض الصحابة و التابعين و كعب الاحبار : ان الذبيح هو اسحاق.
و لم يقف الامر عند الموقوف على الصحابة و التابعين ، بل رفعوا ذلك زورا الى النبي (ص.(
روى ابن جرير، عن ابي كريب ، عن زيد بن حباب ، عن الحسن بن دينار، عن علي بن زيد بن جدعان ، عن الحسن ، عن الاحنف بن قيس عن العباس بن عبدالمطلب ، عن النبي (ص) قال : ((الذبيح اسحاق.((
و هو حديث ضعيف ساقط لايصح الاحتجاج به ، فالحسن بن دينار متروك ، و شيخه علي بن زيد بن جدعان منكرالحديث ((540)).

و اخـرج الـديـلمي في مسـند الفردوس بسنده عن ابي سعيد الخدري ، قال : قال رسول اللّه (ص)) : (ان داود سـال ربـه مسالة ،فقال : اجعلني مثل ابراهيم ، واسحاق ، ويعقوب ، فاوحى اللّه اليه : اني ابتليت ابراهيم بالنار فصبر، و ابتليت اسحاق بالذبح فصبر، و ابتليت يعقوب فصبر.((
و بما اخرجه الدارقطني ، و الديلمي في مسند الفردوس بسندهما عن ابن مسعود، قال : قال رسول اللّه (ص) : ((الذبيح اسحاق.((
و هي احاديث لاتصح و لاتثبت ، و احاديث الديلمي في مسند الفردوس شانها معروف ، و الدارقطني ربما يخرج في سننه ما هو موضوع((541)) .
و اخـرج الـطبراني في ((الاوسط))، و ابن ابي حاتم في تفسيره ، من طريق الوليد ابن مسلم ، عن عبدالرحمان بن زيد بن اسلم ، عن ابيه عن عطا بن يسار، عن ابي هريرة ، قال : قال رسول اللّه (ص)) : (ان اللّه تـعالى خيرني بين ان يغفر لنصف امتي او شـفاعتي ، فاخترت شـفاعتي و رجوت ان تكون اعـم لامـتي ، و لولا الذي سبقني اليه العبد الصالح لعجلت دعوتي ، ان اللّه تعالى لما فرج عن اسحاق كـرب الـذبـح قيل له يا اسحاق : سل تعطه قال : اما واللّه لاتعجلنها قبل نزغات الشيطان ، اللهم من مات لايشرك باللّه شيئا قد احسن فاغفر له. ((542)) ((
و عبدالرحمان بن زيد، بن اسلم ، ضعيف ، و يروي المنكرات ، و الغرائب فلايحتج بمروياته و قال ابـن كـثير : الحديث غريب منكر، و اخشى ان يكون فيه زيادة مدرجة ، و هو قوله : ((ان اللّه لما فـرج)) و ان كان محفوظا، فالاشبه انه اسماعيل ،و حرفوه باسحاق ، الى غير ذلك من الاخبار، و فـيـهـا مـن الموقوف و الضعيف ، و الموضوع كثير و متى صح حديث مرفوع في ان الذبيح اسحاق قبلناه ، و وضعناه على العين و الراس ، و لكنها كما رايت لم يصح منها شـي.
و الحق ان المرويات في ان الذبيح اسحاق هي من اسرائيليات اهل الكتاب ، و قد نقلها من اسلم منهم , كـكعب الاحبارو حملها عنهم بعض الصحابة و التابعين تحسينا للظن بهم ، فذهبوا اليه و جا بعدهم الـعـلـمـا فاغتروا بها، و ذهبوا الى ان الذبيح اسحاق((543)) و ما من كتاب من كتب التفسير، و السير، و التواريخ الا و يذكر فيه الخلاف بين السلف في هذا، الا ان منهم من يعقب ببيان وجه الحق في هذا، و منهم من لايعقب اقتناعا بها، او تسليما لها.
و حـقـيـقة هذه المرويات انها من وضع اهل الكتاب ، لعداوتهم المتاصلة من قديم الزمان للنبي الامي الـعـربي ، فقد ارادوا ان لايكون لاسماعيل الجد الاعلى للنبي فضل انه الذبيح حتى لاينجر ذلك الى النبي (ص)، و الى المسلمين.

تحريفهم للتوراة

و لاجـل ان يكون هذا الفضل لجدهم اسحاق (ع) لا لاخيه اسماعيل حرفوا التوراة في هذا، و لكن اللّه ابـى الا ان يغفلوا عمايدل على هذه الجريمة النكرا، و الجاني غالبا يترك من الاثار ما يدل على جـريـمته ، و الحق يبقى له شعاع ، و لو خافت , يدل عليه ، مهما حاول المبطلون اخفا نوره ، و طمس مـعالمه فقد حذفوا من التوراة لفظ ((اسماعيل))، و وضعوا بدله لفظ ((اسحاق))،و لكنهم غفلوا عن كلمة كشفت عن هذا التزوير، و ذاك الدس المشين.

نص التوراة

ففي التوراة (الاصحاح الثاني و العشرون ـ فقره ٢) : ((فقال الرب : خذ ابنك وحيدك الذي تحبه اسـحـاق ، و اذهـب الـى ارض الـمـريـا، و اصـعـده هناك محرقة على احد الجبال الذي اقول لك. ((544)) ((
و لـيـس ادل عـلـى كذب هذا، من كلمة ((وحيدك))، و اسحاق (ع) لم يكن وحيدا قط لاسماعيل نحو اربع عشرة سنة ، كما هو صريح توراتهم في هذا و قد بقي اسماعيل (ع) حتى مات ابوه الخليل ، و حضر وفاته ، و دفنه ، و اليك ما ورد في هذا:

ففي سفر التكوين (الاصحاح السادس عشر الفقرة ١٦) ما نصه:
))و كان ابرام ـ يعني ابراهيم ـ ابن ست و ثمانين سنة ، لما ولدت هاجر اسماعيل لابرام))، و في سفر التكوين : (الاصحاح الحادي و العشرون فقرة ٥) ما نصه : ((و كان ابراهيم ابن مائة سنة , حين ولد له اسحاق ابنه.((
و في الفقرة (٩) و ما بعدها ما نصه:
(9)ورات سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لابراهيم يمرح (١٠) فقالت لابراهيم : اطرد هذه الجارية و ابنها، لان ابن هذه الجارية لايرث مع ابني اسحاق (١١) فقبح الكلام جدا في عيني ابراهيم لسبب ابنه (١٢) فقال اللّه لابراهيم : لايقبح في عينيك من اجل الغلام ، و من اجل جاريتك , في كل ما تقول سارة اسمع لقولها، لانه باسحاق يدعى لك نسل (١٣) و ابن الجارية ايضا ساجعله امة ، لانه نسلك ((545)) ((الى آخر القصة.
فما قولكم يا ايها اليهود المحرفون ؟ هي من توراتكم التي تعتقدون صحتها ,و تزعمون انها ليست محرفة بروايات ان الذبيح اسحاق ، بعد ما تاكدتم تحريف التوراة في هذا؟.
و قد دل القرآن الكريم ، و دلت التوراة ، و رواية البخاري و غيره على ان الخليل ابراهيم (ع (اسكن هاجر و ابنها عند مكان البيت المحرم ، حيث بنى فيما بعد، و قامت مكة بجواره و قد عبرت التوراة بانهما كانا في برية فاران ، و فاران هي مكة ، كما يعبرعنها في العهد القديم و هذا هو الحق في ان قصة الذبح كان مسرحها بمكة و منى ، و فيها يذبح الحجاج ذبائحهم اليوم و قدحرف اليهود النص الاول و جعلوه ((جبل المريا))، و هو الذي تقع عليه مدينة اورشليم القديمة ـ مدينة القدس اليوم ـ ليتم لهم ما ارادوا، فابى الحق الا ان يظهر تحريفهم و قد ذكر ابن كثير : ان في بعض نسخ التوراة ((بكرك ((546)) ((بدل ((وحيدك)) و هو اظهر في البطلان ، و ادل على التحريف ، اذلم يكن اسحاق بكرا للخليل بنص التوراة ، كما ذكرنا آنفا .

الذبيح هو اسماعيل (ع(

و الحق ان الذبيح هو اسماعيل (ع)، و هو الذي يدل عليه ظواهر الايات القرآنية ، و الاثار عن الصحابة و التابعين ، و منها ماله حكم الرفع بتقرير النبي (ص (له .

فلا عجب ان ذهب اليه جمهرة الصحابة ، و التابعين ,و من بعدهم ، و ائمة العلم و الحديث ، منهم الصحابة النجبا،و السادة العلما : الامام اميرالمؤمنين علي (ع)، سعيد بن جبير، و مجاهد، و الشعبي ,و الحسن البصري ، و محمد بن كعب القرظي ، و سعيد بن المسيب ، و الامام ابوجعفر محمد الباقر(ع)، و ابوصالح ، و الربيع بن انس ، و ابو عمرو ابن العلا،و احمد بن حنبل و غيرهم ، و هو احدى الروايتين ، و اقواهما عن ابن عباس.
و في ((زاد المعاد))، لابن القيم : انه الصواب عند علما الصحابة و التابعين فمن بعدهم.
و هذا الراي هو المشهور عند العرب قبل البعثة ، نقلوه بالتواتر جيلا عن جيل ، و ذكره امية بن ابي الصلت في شعر له.
قال : و لا خلاف بين النسابين ان عدنان من ولد اسماعيل (ع)، و اسماعيل هو القول الصواب عند علما الصحابة و التابعين و من بعدهم و اما القول بانه اسحاق فباطل من عشرين وجها قال ابن تيمية : هذا القول متلقى عن اهل الكتاب ، مع انه باطل بنص كتابهم ، فان فيه : ((ان اللّه امر ابراهيم بذبح ابنه بكره))، و في لفظ ((وحيده)) و لايشك اهل الكتاب مع المسلمين ان اسماعيل هو بكر اولاده , و الذي غر هؤلا انه في التوراة التي بايديهم :

((اذبح ابنك اسحاق)) قال : و هذه الزيادة من تحريفهم و كذبهم ، لانها تناقض قوله : ((اذبح بكرك و وحيدك))، و لكن اليهود حسدت بني اسماعيل على هذا الشرف ، و احبوا ان يكون لهم ، و ان يسوقوه اليهم ، و يختاروه لانفسهم دون المسلمين ، و يابى اللّه الا ان يجعل فضله لاهله.
و كيف يسوغ ان يقال : ان الذبيح اسحاق ؟ و اللّه تعالى قد بشر ام اسحاق به ، و بابنه يعقوب ، قال تعالى : (فبشرناهاباسحاق و من ورآ اسحاق يعقوب. ((547)) (
فمحال ان يبشرها بان يكون لها ولد، و للولد ولد، ثم يامر بذبحه و لا ريب ان يعقوب (ع) داخل في البشارة ، و يدل عليه ايضا ان اللّه ذكر قصة ابراهيم و ابنه الذبيح في سورة الصافات ، ثم قال ـ بعدها ـ : (و بشرناه باسحاق نبيا من الصالحين ((548)) (و هذا ظاهر جدا في ان المبشر به غير الاول ، بل هو كالنص فيه ، و غير معقول في افصح الكلام و ابلغه ان يبشر باسحاق بعد قصة يكون فيها هو الذبيح ، فتعين ان يكون الذبيح غيره.
و ايضا فلا ريب ان الذبيح كان بمكة ، و لذلك جعلت القرابين يوم النحر بها، كما جعل السعي بين الصفا و المروة ، و رمي الجمار تذكيرا لشان اسماعيل و امه ، و اقامته لذكر اللّه ، و معلوم ان اسماعيل و امه هما اللذان كانا بمكة دون اسحاق و امه.
و لو كان الذبح بالشام كما يزعم اهل الكتاب ، لكانت القرابين و النحر بالشام ، لا بمكة ، و ايضا فان اللّه سبحانه سمى الذبيح حليما، لانه لا احلم ممن اسلم نفسه للذبح طاعة لربه ، و لما ذكر اسحاق سماه عليما : (قالوا لا تخف و بشروه بغلا م عليم ((549)) (و هذا اسحاق بلا ريب ، لانه من امراته و هي المبشرة به ، و اما اسماعيل فمن السرية((550)) , و ايضا فلانهما بشرابه على الكبر و الياس من الولد، فكان ابتلاؤهما بذبحه امرا بعيدا، و اما اسماعيل فانه ولد قبل ذلك الى آخر ما قال((551)) .

و شهد شاهد من اهلها

و روى ابن اسحاق ، عن محمد بن كعب القرظي ، انه ذكر ذلك لعمر بن عبدالعزيز و هو خليفة ، فقال له عمر : ان هذالشي ما كنت انظر فيه ، و اني لاراه كما قلت ثم ارسل الى رجل كان يهوديا، فاسلم و حسن اسلامه ، و كان من علمائهم , فساله :اى ابني ابراهيم امر بذبحه ؟، فقال : اسماعيل ـ واللّه ـ يا اميرالمؤمنين ، و ان يهود لتعلم بذلك ، و لكنهم يحسدونكم و هذا هوالحق الذي يجب ان يصار اليه قال ابن كثير في تفسيره : ((و الذي استدل به محمد بن كعب القرظي على انه اسماعيل اثبت ،و اصح ، و اقوى ، و اللّه اعلم. ((552)) ((
قال ابوشهبة : و بعد هذا التحقيق و البحث ، يتبين لنا ان الصحيح ان الذبيح اسماعيل (ع)، و ان ما روي من انه اسحاق ،المرفوع منه اما موضوع ، و اما ضعيف لايصح الاحتجاج به ، و الموقوف منه على الصحابة او على التابعين ان صح سنده اليهم هو من الاسرائيليات التي رواها اهل الكتاب الذين اسلموا، و انها في اصلها من دس اليهود، و كذبهم ، و تحريفهم للنصوص حسدا منهم فقاتلهم اللّه انى يؤفكون.
و قد جاز هذا الدس اليهودي على بعض كبار العلما كابن جرير((553)) , و القاضي عياض ، و السهيلي ، فذهبوا الى انه اسحاق ، و تحير بعضهم في الروايات فتوقف ، كالسيوطي و ابن الاثير((554)) و حاول بعضهم الجمع بينها فزعم ان الذبح وقع مرتين ، و الحق : ما وضحناه لك ، فلاتجوز، و لاتتوقف و لاتقل بالتكرار، و اللّه الهادي الى الحق.

28ـ الاسرائيليات في قصة الياس (ع(

و من الاسرائيليات التي اشتملت عليها بعض كتب التفسير ما ذكروه في قصة الياس)ع) عند تفسير قوله تعالى : (و ان الياس لمن المرسلين اذ قال لقومه الا تتقون اتدعون بعلا و تذرون احسن الخالقين اللّه ربكم و رب آبائكم الا ولين فكذبوه فانهم لمحضرون الا عباد اللّه المخلصين و تركنا عليه في الا خرين سلا م على ال ياسين ، انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين. ((555)) (
فقد روى البغوي ، و الخازن ، و صاحب ((الدر))، و غيرهم ، عن ابن عباس ، و الحسن ، و كعب الاحبار، و وهب بن منبه ،مرويات تتعلق بالياس (ع.(
قال صاحب ((الدر المنثور)) : اخرج ابن عساكر، عن الحسن (رض) في قوله : (و ان الياس لمن المرسلين)، قال : ان اللّه تعالى بعث الياس الى بعلبك ، و كانوا قوما يعبدون الاصنام ، و كانت ملوك بني اسرائيل متفرقة على العامة ، كل ملك على ناحية ياكلها، و كان الملك الذي كان الياس معه يقوم له امره ، و يقتدي برايه ، و هو على هدى من بين اصحابه ، حتى وقع اليهم قوم من عبدة الاصنام ، فقالوا له : ما يدعوك الا الى الضلالة و الباطل ، و جعلوا يقولون له : اعبد هذه الاوثان التي تعبد الملوك ، و هم على ما نحن عليه ، ياكلون ، و يشربون ، و هم في ملكهم يتقلبون ، و ماتنقص دنياهم من ربهم الذي تزعم انه باطل ، و ما لناعليهم من فضل فاسترجع الياس ، فقام شعر راسه ، و جلده ، فخرج عليه الياس.
قال الحسن : و ان الذي زين لذلك الملك امراته ، و كانت قبله تحت ملك جبار، و كان من الكنعانيين في طول و جسم و حسن ، فمات زوجها فاتخذت تمثالا على صورة بعلها من الذهب ، و جعلت له حدقتين من ياقوتتين ، و توجته بتاج مكلل بالدر و الجوهر، ثم اقعدته على سرير، تدخل عليه , فتدخنه ، و تطيبه ، و تسجد له ، ثم تخرج عنه فتزوجت بعد ذلك هذاالملك الذي كان الياس معه و كانت فاجرة قد قهرت زوجها، و وضعت البعل في ذلك البيت ، و جعلت سبعين سادنا((556)) , فعبدوا البعل فدعاهم الياس الى اللّه فلم يزدهم ذلك الا بعدا، فقال الياس : اللهم ان بني اسرائيل قد ابوا الا الكفر بك ، و عبادة غيرك ، فغير ما بهم من نعمتك فاوحى اللّه اليه : اني قد جعلت ارزاقهم بيدك ، فقال : اللهم امسك عنهم القطر ثلاث سنين ،فامسك اللّه عنهم القطر و ارسل الى الملك فتاه اليسع ، فقال : قل له : ان الياس يقول لك : انك اخترت عبادة البعل على عبادة اللّه ، و اتبعت هوى امراتك ، فاستعد للعذاب و البلا فانطلق اليسع ، فبلغ رسالته للملك ، فعصمه اللّه تعالى من شر الملك ،و امسك اللّه عنهم القطر، حتى هلكت الماشية و الدواب ، و جهد الناس جهدا شديدا و خرج الياس الى ذروة جبل ، فكان اللّه ياتيه برزق ، و فجر له عينا معينا لشرابه و طهوره حتى اصاب الناس الجهد، فارسل الملك الى السبعين ، فقال لهم : سلوا البعل ان يفرج ما بنا، فاخرجوا اصنامهم ، فقربوا لها الذبائح ، و عطفوا عليها، و جعلوا يدعون , حتى طال ذلك بهم ، فقال لهم الملك :ان اله الياس كان اسرع اجابة من هؤلا فبعثوا في طلب الياس ، فاتى ، فقال : اتحبون ان يفرج عنكم ؟ قالوا : نعم ، قال : فاخرجواوثانكم فدعا الياس (ع) ربه ان يفرج عنهم ، فارتفعت سحابة مثل الترس ((557)) , و هم ينظرون ، ثم ارسل اللّه عليهم المطر، فتابواو رجعوا.
قال : و اخرج ابن عساكر، عن كعب ، قال : ((اربعة انبيا اليوم احيا، اثنان في الدنيا : الياس و الخضر، و اثنان في السما :عيسى و ادريس.((
قال : و اخرج ابن عساكر، عن وهب ، قال : دعا الياس (ع) ربه ، ان يريحه من قومه ، فقيل له : انظر يوم كذا و كذا، فاذا رايت دابة لونها مثل لون النار فاركبها فجعل يتوقع ذلك اليوم ، فاذا هو بشي قد اقبل على صورة فرس ، لونه كلون النار، حتى وقف بين يديه ، فوثب عليه ، فانطلق به ، فكان آخر العهد به ، فكساه اللّه الريش ، و كساه النور، و قطع عنه لذة المطعم و المشرب ، فصار في الملائكة (ع.(
قال : و اخرج ابن عساكر، عن الحسن (رض) قال : الياس (ع) موكل بالفيافي و الخضر(ع (بالجبال ، و قد اعطيا الخلد في الدنيا الى الصيحة الاولى((558)) , و انهما يجتمعان كل عام بالموسم.
قال : و اخرج الحاكم ، عن كعب ، قال : كان الياس صاحب جبال و برية يخلو فيها، يعبد ربه ، و كان ضخم الراس ،خميص البطن ، دقيق الساقين ، في صدره شامة حمرا، و

انما رفعه اللّه الى ارض الشام ، لم يصعد به الى السما، و هو الذي سماه اللّه ذاالنون ((559)).
و كل هذا من اخبار بني اسرائيل و تزيداتهم ، و اختلاقاتهم ، و ما روي منها عن بعض الصحابة و التابعين ، فمرجعه الى مسلمة اهل الكتاب ككعب ، و وهب و غيرهما، و قد رايت كيف تضارب و تناقض كعب و وهب ، فكعب يقول : لم يصعد به الى السما، و يزعم انه ذوالنون ، و وهب يقول : انه رفعه الى السما، و صار في عداد الملائكة (ع) و ان بعض الروايات تقول :انه الخضر، و البعض الاخر يقول : انه غير الخضر، الى غير ذلك من الاضطرابات و الاباطيل ، كزعم مختلق الروايات الاولى :((ان اللّه اوحى الى الياس اني قد جعلت ارزاقهم بيدك))بينما في بعض الروايات الاخرى :ان اللّه ابى عليه ذلك مرتين ، و اجابه في الثالثة ، و هكذا الباطل يكون مضطربا لجلجا، و اما الحق فهو ثابت ابلج.
و لم يقف الامر عند نقل هذه الاسرائيليات عمن ذكرنا، بل بلغ الافترا ببعض الزنادقة و الكذابين الى نسبة ذلك الى النبي (ص) كي يؤيد به اكاذيب بني اسرائيل و خرافاتهم ، و كي يعود ذلك بالطعن على صاحب الرسالة العامة الخالدة (ص.(
قال السيوطي في ((الدر)) : و اخرج ابن مردويه عن ابن عباس (رض) قال : قال رسول اللّه (ص) : ((الخضر هو الياس.((
و اخرج الحاكم و صححه و البيهقي في ((الدلائل)) و ضعفه عن انس (رض) قال : كنا مع رسول اللّه (ص) في سفر، فنزلنا منزلا، فاذا رجل في الوادي يقول : اللهم اجعلني من امة محمد المرحومة ، المغفورة ، المثاب لها، فاشرفت على الوادي ، فاذارجل طوله ثلاثمائة ذراع و اكثر ,فقال : من انت ؟ قلت : انس ، خادم رسول اللّه (ص)، فقال : اين هو؟ قلت : هو ذا يسمع كلامك ، قال : فاته و اقرئه مني السلام ، و قل له : اخوك الياس يقرئك السلام فاتيت النبي (ص) فاخبرته ، فجا حتى عانقه ،و قعدا يتحدثان ، فقال له : يا رسول اللّه ، اني انما آكل في كل سنة يوما، و هذا يوم فطري فكل انت و انا، فنزلت عليهما مائدة من السما، و خبز و حوت و كرفس ، فاكلا، و اطعماني , و صليا العصر، ثم ودعني و ودعته ، ثم رايته مر على السحاب نحوالسما.
قال الحاكم : صحيح الاسناد، و قال الامام الذهبي : بل هو موضوع ، قبح اللّه من وضعه ، قال ـ اي الذهبي ـ : و ماكنت احسب و لااجوز ان الجهل يبلغ بالحاكم ان يصحح مثل هذا.
و اخلق بهذا ان يكون موضوعا، كما قاله الامام الحافظ الناقد الذهبي.

29ـ الاسرائيليات في قصة داود(ع(

و من الاسرائيليات التي تخل بمقام الانبيا، و تنافي عصمتهم ، ما ذكره بعض المفسرين في قصة سيدنا داود(ع) عندتفسير قوله تعالى:
)و هل اتاك نبا الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق و لا تشطط و اهدنا الى سوآ الصراط ان هذا اخي له تسع و تسعون نعجة و لى نعجة واحدة فقال اكفلنيها((560)) و عزني ((561)) في الخطاب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه و ان كثيرا من الخلط ليبغي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا و عملوا الصالحات و قليل ما هم و ظن داود انما فتناه فاستغفر ربه و خر راكعا و اناب فغفرنا له ذلك و ان له عندنا لزلفى و حسن مب. ((562)) (
فقد ذكر ابن جرير، و ابن ابي حاتم ، و البغوي ، و السيوطي في ((الدر المنثور((
((563))من الاخبار ما تقشعر منه الابدان ،و لايوافق عقلا، و لا نقلا، عن ابن عباس ، و مجاهد، و وهب بن منبه ، و كعب الاحبار، و السدي ، و غيرهم ما محصلها : ان داود(ع) حدث نفسه ، ان ابتلي ان يعتصم ، فقيل له : انك ستبتلي و ستعلم اليوم الذي تبتلي فيه ، فخذ حذرك ، فقيل له : هذااليوم الذي تبتلي فيه ، فاخذ الزبور ((564)) , و دخل المحراب ، و اغلق بابه ، و اقعد خادمه على الباب ، و قال : لاتاذن لاحداليوم فبينما هو يقرا الزبور، اذ جا طائر مذهب يدرج بين يديه ، فدنا منه ، فامكن ان

ياخذه ، فطار فوقع على كوة المحراب ، فدنامنه لياخذه ، فطار، فاشرف عليه لينظر اين وقع ، فاذا هـو بـامراة عند بركتها تغتسل من الحيض ، فلما رات ظله نفضت شعرها،فغطت جسدها به ، و كان زوجها غازيا في سبيل اللّه ، فكتب داود الى راس الغزاة : ان اجعله في حملة التابوت ((565)) , و كـان حملة التابوت اما ان يفتح عليهم ، و اما ان يقتلوا، فقدمه في حملة التابوت ، فقتل و في بعض هذه الـروايـات الـبـاطـلـة : انه فعل ذلك ثلاث مرات ، حتى قتل في الثالثة ، فلما انقضت عدتها، خطبها داود(ع)، فتسور عليه الملكان ، و كان ما كان ، مما حكاه اللّه تعالى.

و لم يقف الامر عند هذه الروايات الموقوفة عن بعض الصحابة و التابعين ، و مسلمة اهل الكتاب ، بل جا بعضها مرفوعاالى النبي (ص.(

قـال صـاحـب ((الدر)) : و اخرج الحكيم الترمذي في ((نوادر الاصول))، و ابن جرير، و ابن ابـي حـاتـم بسند ضعيف ، عن انس (رض) قال : سمعت رسول اللّه (ص) يقول : ((ان داود(ع) حين نظر الى المراة ، قطع((566)) على بني اسرائيل ، و اوصى صاحب الجيش ، فقال : اذا حضر العدو فقرب فلانا بين يدي التابوت))، و كان التابوت في ذلك الزمان يستنصر به من قدم بين يدي التابوت , لـم يـرجـع حـتى يقتل او ينهزم معه الجيش ، فقتل ، و تزوج المراة ، و نزل الملكان على داود(ع (فـسجد، فمكث اربعين ليلة ساجدا، حتى نبت الزرع من دموعه على راسه ، فاكلت الارض جبينه ، و هـو يقول في سجوده : ((رب زل داود زلة ابعد مما بين المشرق و المغرب ، رب ان لم ترحم ضعف داود، و تغفر ذنوبه جعلت ذنبه حديثا في المخلوق من بعده فجاجبريل (ع) من بعد اربعين ليلة ، فقال :يا داود ان اللّه قد غفر لك ، و قد عرفت ان اللّه عدل لايميل ، فكيف بفلان اذا جا يوم القيامة ، فقال : يـا رب دمي الذي عند داود، قال جبريل : ماسالت ربك عن ذلك ، فان شئت لافعلن ، فقال : نعم ، ففرح جبريل ،و سجد داود(ع)، فمكث ما شا اللّه ، ثم نزل ، فقال : قد سالت اللّه يا داود عن الذي ارسلتني فـيه ، فقال : قل لداود : ان اللّه يجمعكما يوم القيامة ، فيقول له : هب لي دمك الذي عند داود، فيقول : هـو لـك يا رب ، فيقول : فان لك في الجنة ما شئت ، و مااشتهيت عوضا و قد رواها البغوي ايضا عن طـريق الثعلبي((567)) , و الرواية منكرة مختلقة على الرسول و في سند هذه الرواية المختلقة على رسول اللّه (ص) ابن لهيعة ، و هو مضعف في الحديث ، و في سندها ايضا يزيد بن ابان الرقاشي , كان ضعيفا في الحديث.

و قال فيه النسائي ، و الحاكم ابواحمد : انه متروك ، و قال فيه ابن حبان : كان من خيار عباداللّه ، من البكائين بالليل ، غفل عن حفظ الحديث شغلا بالعبادة ، حتى كان يقلب كلام الحسن يجعله عن انس عن النبي (ص)، فلاتحل الرواية عنه الا على جهة التعجب ((568)).

و قـال الـعـلامـة ابن كثير في تفسيره((569)))) : و قد ذكر المفسرون هاهنا قصة ، اكثرها مـاخـوذ من الاسرائيليات ، و لم يثبت فيهاعن المعصوم حديث يجب اتباعه ، و لكن روى ابن ابي حاتم هـنـا حـديـثـا لايصح سنده ، لانه من رواية يزيد الرقاشي ، عن انس (رض)، و يزيد و ان كان من الصالحين ، لكنه ضعيف الحديث عند الائمة.((

و من ثم يتبين لنا كذب رفع هذه الرواية المنكرة الى رسول اللّه (ص)، و لانكاد نصدق ورود هذا عـن الـمعصوم ، و انما هي اختلاقات ، و اكاذيب من اسرائيليات اهل الكتاب ، و هل يشك مؤمن عاقل يقر بعصمة الانبيا، في استحالة صدور هذا عن داود(ع)، ثم يكون على لسان من ؟ على لسان من كان حـريصا على تنزيه اخوانه الانبيا عما لايليق بعصمتهم ، و هو نبينامحمد(ص) و مثل هذا التدبير الـسـيـئ ، و الاسـتـرسال فيه على ما رووا، لو صدر من رجل من سوقة الناس و عامتهم ، لاعتبر هـذاامـرا مـسـتـهـجـنا مستقبحا، فكيف يصدر من رسول جا لهداية الناس ، زكت نفسه ، و طهرت سـريـرتـه ، و عـصـمه اللّه من الفواحش ماظهر منها و ما بطن ، و هو الاسوة الحسنة لمن ارسل اليهم ؟ و لـو ان الـقصة كانت صحيحة لذهبت بعصمة داود، و لنفرت منه الناس ، و لكان لهم العذر في عدم الايمان به ، فلايحصل المقصد الذي من اجله ارسل الرسل ، و كيف يكون على هذه الحال من قال اللّه تـعـالـى في شانه : (و ان له عندنا لزلفى و حسن مب)؟ قال ابن كثير في تفسيرها : ((و ان له يوم الـقيامة لقربة

يقربه اللّه بها و حسن مرجع ، و هو الدرجات العالية في الجنة لنبوته و عدله التام في ملكه ، كما جا في الصحيح : ((المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن ، و كلتا يديه يمين , الذين يقسطون في اهليهم ، و ماولوا))، و قال رسول اللّه (ص) : ((ان احب الناس الى يوم القيامة و اقربهم مني مجلسا امام عادل ، و ان ابغض الناس الي يوم القيامة ، و اشدهم عذابا امام جائر)) رواه احمد، و الترمذي((570)) .
و لكي يستقيم هذا الباطل قالوا : ان المراد بالنعجة هي المراة ، و ان القصة خرجت مخرج الرمز و الاشارة ، و رووا : ان الملكين لما سمعا حكم داود، و قضاه بظلم صاحب التسع و التسعين نعجة لصاحب النعجة ، قالا له : و ما جزا من فعل ذلك ؟ قال : يقطع هذا، و اشار الى عنقه و في رواية)) : يضرب من هاهنا، و هاهنا، و هاهنا)) و اشار الى جبهته ، و انفه ، و ماتحته ، فضحكا، و قالا)) ,انت احق بذلك منه ، ثم صعدا.((
و ذكر البغوي في تفسيره و غيره ، عن وهب بن منبه : ان داود لما تاب اللّه عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة ، لايرقا دمعه ليلا و لا نهارا، و كان اصاب الخطيئة ، و هو ابن سبعين سنة ، فقسم الدهر بعد الخطيئة على اربعة ايام : يوم للقضا بين بني اسرائيل ، و يوم لنسائه ، و يوم يسيح في الفيافي ، و الجبال ، و السواحل ، و يوم يخلو في دار له فيها اربعة آلاف محراب ،فيجتمع اليه الرهبان فينوح معهم على نفسه ، فيساعدونه على ذلك فاذا كان يوم نياحته يخرج في الفيافي ، فيرفع صوته بالمزامير، فيبكي ، و يبكي معه الشجر، و الرمال ، و الطير، و الوحش ، حتى يسيل من دموعهم مثل الانهار، ثم يجي الى الجبال فيرفع صوته بالمزامير، فيبكي ، و تبكي معه الجبال ، و الحجارة ، و الدواب ، و الطير، حتى تسيل من بكائهم الاودية ، ثم يجي الى الساحل فيرفع صوته بالمزامير، فيبكي ، و تبكي معه الحيتان ، و دواب البحر و طير الما و السباع((571)) و الحق : ان الايات ليس فيها شي مما ذكروا، و ليس هذا في شي من كتب الحديث المعتمدة ، و هي التي عليها المعول ، و ليس هناك ما يصرف لفظ النعجة من حقيقته الى مجازه ، و لا ما يصرف القصة عن ظاهرها الى الرمز و الاشارة.
و ما احسن ما قال الامام القاضي عياض : ((لاتلتفت الى ما سطره الاخباريون من اهل الكتاب ، الذين بدلوا، و غيروا، و نقله بعض المفسرين ، و لم ينص اللّه تعالى على شي من ذلك في كتابه ، و لا ورد في حديث صحيح ، و الذي نص عليه في قصة داود : (و ظن داود انما فتناه) و ليس في قصة داود ,و اوريا خبر ثابت ((572)).
و المحققون ذهبوا الى ما ذهب اليه القاضي ، قال الداودي : ليس في قصة داود و اوريا خبر يثبت ، و لايظن بنبي محبة قتل مسلم ، و قد روي عن الامام اميرالمؤمنين (ع) انه قال : من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة و ستين جلدة ، و ذلك حد الفرية على الانبيا((573)) , و هو كلام مقبول و مروى عن الامام الصادق (ع) ايضا((574)) .

التفسير الصحيح للايات

و اذا كان ما روي من الاسرائيليات الباطلة التي لايجوز ان تفسر بها الايات ، فما التفسير الصحيح لها اذا؟.
و الجواب : ان داود(ع) كان قد وزع مهام اعماله ، و مسؤولياته نحو نفسه ، و نحو الرعية على الايام ، و خص كل يوم بعمل ،فجعل يوما للعبادة ، و يوما للقضا و فصل الخصومات ، و يوما للاشتغال بشؤون نفسه و اهله ، و يوما لوعظ بني اسرائيل.
ففي يوم العبادة بينما كان مشتغلا بعبادة ربه في محرابه ، اذ دخل عليه خصمان تسورا عليه من السور، و لم يدخلا من المدخل المعتاد، فارتاع منهما، و فزع فزعا لايليق بمثله من المؤمنين ، فضلا عن الانبيا المتوكلين على اللّه غاية التوكل ، الواثقين بحفظه ، و رعايته ، و ظن بهما سؤا، و انهما جاا ليقتلاه ، او يبغيا به شرا، و لكن تبين له ان الامر على خلاف ما ظن ، و انهماخصمان جاا يحتكمان اليه فلما قضى بينهما، و تبين له انهما بريئان مما ظنه بهما، استغفر ربه ، و خر ساجدا للّه تعالى تحقيقالصدق توبته و الاخلاص له ، و اناب الى اللّه غاية الانابة.

و مـثل الانبيا في علو شانهم ، و قوة ثقتهم باللّه و التوكل عليه ان لا تعلق نفوسهم بمثل هذه الظنون بـالابـريا، و مثل هذاالظن و ان لم يكن ذنبا في العادة ، الا انه بالنسبة للانبيا يعتبر خلاف الاولى و الالـيق بهم ، و قديما قيل : ((حسنات الابرار سيت المقربين))، فالرجلان خصمان حقيقة ، و ليسا مـلـكـين كما زعموا، و النعاج على حقيقتها، و ليس ثمة رموز و لا اشارات و هذاالتاويل هو الذي يـوافق نظم القرآن و يتفق و عصمة الانبيا، فالواجب الاخذ به ، و نبذ الخرافات و الاباطيل ، التي هـي مـن صـنع بني اسرائيل ، و تلقفها القصاص و امثالهم ممن لا علم عندهم ، و لا تمييز بين الغث و السمين.

30ـ الاسرائيليات في قصة سليمان (ع(

و مـن الاسرائيليات ما يذكره بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى : (و لقد فتنا سليمان و القينا على كرسيه جسدا ثم اناب. ((575)) (
و قد ذكر الكثير منها في تفاسيرهم ، ابن جرير، و ابن ابي حاتم ، و الثعلبي ، و البغوي ، و غيرهم و ذكـر كل ما روي من ذلك من غير تمييز بين الصحيح و الضعيف ، و الغث و السمين ، السيوطي ، في))الـدر الـمـنـثـور)) و لـيته اذ فعل نقد كل رواية ، و بين منزلتها من القبول و الرد، و ما هو من الاسـرائيـلـيـات ، و مـا لـيس منها قال السيوطي في ((الدر)) : اخرج النسائي ، و ابن جرير، و ابن ابي حاتم ، بسند قوي عن ابن عباس قال:
اراد سـلـيـمان (ع) ان يدخل الخلا((576)) , فاعطى الجرادة خاتمه ، و كانت جرادة امراته ، و كـانت احب نسائه اليه ، فجاالشيطان في صورة سليمان ، فقال لها : هاتي خاتمي ، فاعطته ، فلما لبسه , دانت له الجن ، و الانس ، و الشياطين ، فلما خرج سليمان (ع) من الخلا، قال لها : هاتي خاتمي ، فقالت :قـد اعـطيته سليمان ، قال : انا سليمان ، قالت : كذبت ، لست سليمان ،فجعل لاياتي احدا يقول له : انا سـلـيمان الا كذبه ، حتى جعل الصبيان يرمونه بالحجارة ، فلما راى ذلك عرف انه من امراللّه و قام الشيطان يحكم بين الناس ، فلما اراد اللّه تعالى ان يرد على سليمان (ع) سلطانه القى في قلوب الناس انكار ذلك الشيطان ، فارسلوا الى نسا سليمان (ع) فقالوا لهن : ايكون من سليمان شي ؟ قلن : نعم ، انه ((577))فلما راى الشيطان انه قد فطن له ظن ان و نحن حيض ،و ماكان ياتينا قبل ذلك امره قـد انـقـطـع ، فـكـتـبـوا كـتـبـا فـيـها سحر، و مكر، فدفنوها تحت كرسي سليمان ، ثم اثـاروهـا((578)) , و قـراوهـا على الناس ، قالوا : بهذا كان يظهر سليمان على الناس ، و يغلبهم فـاكفر الناس سليمان ، فلم يزالوا يكفرونه ، و بعث ذلك الشيطان بالخاتم ، فطرحه في البحر، فتلقته سمكة ، فاخذته ، و كان سليمان (ع) يعمل على شط البحر بالاجر فجا رجل ، فاشترى سمكا، فيه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم ، فدعا سليمان (ع) فقال له : تحمل لي هذا السمك ، ثم انطلق الى منزله , فلما انتهى الرجل الى باب داره اعطاه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم ، فاخذهاسليمان (ع)، فشق بـطنها، فاذا الخاتم في جوفها، فاخذه ، فلبسه ، فلما لبسه دانت له الانس و الجن و الشياطين ، و عاد الـى حاله ،و هرب الشيطان حتى لحق بجزيرة من جزائر البحر، فارسل سليمان (ع) في طلبه ، و كـان شـيـطانا مريدا يطلبونه و لايقدرون عليه حتى وجدوه يوما نائما، فجاوا فبنوا عليه بنيانا من رصـاص ، فـاسـتـيقظ، فوثب ، فجعل لايثبت في مكان من البيت الا ان دار معه الرصاص ، فاخذوه ، و اوثقوه ، و جاوا به الى سليمان (ع)، فامر به ، فنقر له في رخام ، ثم ادخل في جوفه ، ثم سد بالنحاس , ثـم امـر به ، فطرح في البحر، فذلك قوله : (و لقد فتنا سليمان و القينا على كرسيه جسدا)، يعني الشيطان الذي كان تسلط عليه.
و قد روى السيوطي في ((الدر)) روايات اخرى ، عن ابن عباس و قتادة ، في ان هذا الشيطان كان يـسـمـى صخرا و روي عن مجاهد : ان اسمه آصف ، و ان سليمان ساله : كيف تفتنون الناس ؟ الشيطان : ارني خاتمك اخبرك ، فلما اعطاه اياه نبذه آصف في البحر، فساح سليمان ، و ذهب ملكه ، و قـعـد آصـف عـلـى كرسيه ,حتى كان ما كان

من امر السمكة ، و العثور على الخاتم ، و رجوع ملك سليمان اليه.
غير ان في رواية قتادة ، و مجاهد ان الشيطان لم يسلط على نسا سليمان ، و منعهن اللّه منه , فلم يقربهن ، و لم يقربنه((579)) .
و نحن لانشك في ان هذه الخرافات من اكاذيب بني اسرائيل ، و اباطيلهم ، و ما نسب الى ابن عباس و غيره انما تلقوها عن مسلمة اهل الكتاب و ليس ادل على هذا مما ذكره السيوطي في ((الدر ((بالاسناد الى ابن عباس قال : اربع آيات من كتاب اللّه لم ادر ما هي ؟، حتى سالت عنهن كعب الاحبار ـ و حاشاه ان يساله ـ و ذكر منها : و سالته عن قوله تعالى : (و القينا على كرسيه جسدا ثم اناب) قال :الشيطان اخذ خاتم سليمان (ع) الذي فيه ملكه ، فقذف به في البحر، فوقع في بطن سمكة ،فانطلق سليمان يطوف اذ تصدق عليه بتلك السمكة فاشتواها، فاكلها، فاذا فيها خاتمه ، فرجع اليه ملكه((580)) .
و كذا ذكرها مطولة جدا : البغوي في تفسيره ، عن محمد بن اسحاق ـ و حاشاه ـ عن وهب بن منبه((581)) .
قال الامام القاضي عياض في ((((الشفا)) : ((و لايصح ما نقله الاخباريون من تشبه الشيطان به ، و تسلطه على ملكه ، و تصرفه في امته بالجور في حكمه ، لان الشياطين لايسلطون على مثل هذا، و قد عصم الانبيا من مثله ((582)) ((و كذلك الحافظ ابن كثيرفي تفسيره((583)) , قال بعد ان ذكر الكثير منها:
و هذه كلها من الاسرائيليات ، و من انكرها ما قال ابن ابي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، قال : حدثنا محمد بن العلا،و عثمان بن ابي شيبة ، و على بن محمد، قالوا : حدثنا ابومعاوية قال : اخبرنا الاعمش ، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله تعالى : (و لقد فتنا سليمان و القينا على كرسيه جسدا ثم اناب) قال : اراد سليمان (ع) ان يدخل الخلا ثم ذكر الرواية التي ذكرناها اولا، قال : لكنه حديث مفترى و الظاهر انه من افترات اهل الكتاب ، و فيهم طائفة لايعتقدون نبوة سليمان (ع)، فالظاهر انهم يكذبون عليه ، و لهذا كان في هذا السياق منكرات , من اشدها ذكر النسا فان المشهورعن مجاهد و غير واحد من ائمة السلف ان ذلك الجني لم يسل ط على نسا سليمان ، بل عصمهن اللّه منه ، تشريفا، و تكريمالنبيه (ع) و قد رويت هذه القصة مطولة عن جماعة من السلف كسعيد بن المسيب و زيد بن اسلم ، و جماعة آخرين ، و كلهامتلقاة عن اهل الكتاب ، و اللّه سبحانه و تعالى اعلم بالصواب.
قال ابوشهبة : و هذه الاحاديث كلها اكاذيب ، و تلفيقات و لكن بعض الكذبة من بني اسرائيل كان احرص ، و ابعد غورامن البعض الاخر، فلم يتورط فيما تورط فيه البعض ، من ذكر تسلط الشيطان على نسا داود(ع) و ذلك حتى يكون لما لفقه ،و افتراه ، بعض القبول عند الناس اما البعض الاخر فكان ساذجا في كذبه ، مغفلا في تلفيقه ، فترك آثار الجريمة بينة واضحة ،و بذلك اشتمل ما لفقه على دليل كذبه.
و من العجيب ان الامام السيوطي نبه في كتابه ((تخريج احاديث الشفا)) انها اسرائيليات ، تلقاها اهل الحديث عن اهل الكتاب و ليته نبه الى ذلك في التفسير.
و الحق ان نسج القصة مهلهل ، عليه اثر الصنعة و الاختلاق ، و يصادم العقل السليم ، و النقل الصحيح في هذا.
و اذا جاز للشيطان ان يتمثل برسول اللّه سليمان (ع)، فاي ثقة بالشرائع تبقى بعد هذا؟ يسلط اللّه الشيطان على نسا نبيه سليمان ، و هو اكرم على اللّه من ذلك ؟ و اى ملك او نبوة يتوقف امرهما على خاتم يدومان بدوامه ,و يزولان بزواله ؟ التاريخ البشري شيئا من ذلك.
و اذا كان خاتم سليمان (ع) بهذه المثابة ، فكيف يغفل اللّه شانه في كتابه الشاهد على الكتب السماوية ، و لم يذكره بكلمة ؟ اعرف الناس به ,و هي زوجته جرادة ؟ الحق ان نسج القصة مهلهل ، لايصمد امام النقد، و ان آثار الكذب و الاختلاق بادية عليها.

نسبة بعض هذه الاكاذيب الى رسول اللّه (ص(

و قد تجرا بعض الرواة ، او غلط، فرفع بعض هذه الاسرائيليات الى رسول اللّه (ص)، قال السيوطي في ((الدر المنثور))،و اخرج الطبراني في))الاوسط , ((584)) ((و ابن مردويه بسند ضعيف ، عن ابي هريرة قال : قال رسول اللّه (ص: ( ))ولد لسليمان ولد، فقال للشيطان : تواريه من الموت ، قالوا : نذهب به الى المشرق ، فقال : يصل اليه الموت ، قالوا : فالى المغرب ، قال : يصل اليه الموت ، قالوا : الى البحار، قال : يصل اليه الموت , قالوا : نضعه بين السما و الارض ، قال : نعم ،و نزل عليه ملك الموت ، فقال : اني امرت بقبض نسمة طلبتها في البحار، و طلبتها في تخوم الارض فلم اصبها، فبينا انا قاعداصبتها، فقبضتها، و جا جسده , حتى وقع على كرسي سليمان ، فهو قول اللّه : (و لقد فتنا سليمان و القينا على كرسيه جسداثم اناب.(((

و هذا الحديث موضوع على رسول اللّه (ص)، و قد يكون ذلك من عمل بعض الزنادقة ، او غل ط بعض الرواة ، و قد نبه على وضعه الحافظ ابوالفرج ابن الجوزي ، و قال : يحيى ـ يعني ابن كثير- يروي عن الثقات ما ليس من حديثهم ، و لاينسب الى نبي اللّه سليمان ذلك ، و وافقه السيوطي على وضعه((585)) , و لايشك في وضع هذا الا من يشك في عصمة الانبيا عن مثله ،و احر بمثل هذا ان يكون مختلقا على نبينا(ص)، و على نبي اللّه سليمان (ع)، و انما هو من اسرائيليات بني اسرائيل و اكاذيبهم.

و الصحيح في تفسير الفتنة هنا حسبما ذكرناه في التمهيد، ج٣ ، ص ٤٤٣ و ٤٤٤ ان سليمان (ع (قال يوما لاصحابه :لاطوفن الليلة على نسائي لتلد كل واحدة غلاما يضرب بالسيف في سبيل اللّه قال ذلك قاطعا بالامر، فقد تمنى ما لم يكن في استطاعته الا ان يشا اللّه فاراد اللّه تنبيهه على بادرته تلك ، فطاف عليهن كلهن لم تحمل منهن سوى واحدة ، و جات بسقطميت ((586)).

31ـ الاسرائيليات في قصة ايوب (ع(

و من القصص التي تزيد فيها المتزيدون ، و استغلها القصاصون ، و اطلقوا فيها لخيالهم العنان : قصة سيدنا ايوب (ع)، فقدرووا فيها ما عصم اللّه انبياه عنه و صوروه بصورة لايرضاها اللّه لرسول من رسله.

فقد ذكر بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى : (و اذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه اني مسني الشيطان بنصب و عذاب اركض برجلك هذا مغتسل بارد و شراب و وهبنا له اهله و مثلهم معهم رحمة منا و ذكرى لا ولي الا لباب و خذ بيدك ضغثافاضرب به و لا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب ((587)) (ذكر السيوطي في ((الدر المنثور)) و غيره ، عن قتادة (رض)في قوله تعالى : (و اذكر عبدنا ايوب)، قال : ذهاب الاهل و المال ، و الضر الذي اصابه في جسده ، قال :ابتلى سبع سنين و اشهرا، فالقي على كناسة بني اسرائيل ، تختلف الدواب في جسده ، ففرج اللّه عنه ، و اعظم له الاجر، و احسن.

قال : و اخرج احمد في الزهد، و ابن ابي حاتم ، وابن عساكر عن ابن عباس))، قال : ان الشيطان عرج الى السما فقال :يا رب سلطني على ايوب (ع)، قال اللّه : قد سلطتك على ماله ، و ولده ، و لم اسلطك على جسده ، فنزل ، فجمع جنوده ، فقال لهم : قد سلطت على ايوب (ع) فاروني سلطانكم , فصاروا نيرانا، ثم صاروا ما، فبينما هم بالمشرق اذا هم بالمغرب ، و بينما هم بالمغرب اذا هم بالمشرق ، فارسل طائفة منهم الى زرعه ، و طائفة الى اهله ، و طائفة الى بقره ، و طائفة الى غنمه , و قال : انه لايعتصم منكم الا بالمعروف ، فاتوه بالمصائب ، بعضها على بعض ، فجا صاحب الزرع ، فقال :يا ايوب ، الم تر الى ربك ، ارسل على زرعك عدوا، فذهب به و جا صاحب الابل ، و قال : الم تر الى ربك ، ارسل على ابلك عدوا، فذهب بها ثم جا صاحب البقر، فقال : الم تر الى ربك ارسل على بقرك عدوا، فذهب بها و تفرد هو ببنيه ، جمعهم في بيت اكبرهم ، فبينما هم ياكلون ،و يشربون ، اذ هبت ريح ، فاخذت باركان البيت ، فالقته عليهم ، فجا الشيطان الى ايوب بصورة غلام ، فقال : يا ايوب ، الم تر الى ربك جمع بنيك في بيت اكبرهم ، فبينما هم ياكلون ، و يشربون ، اذ هبت

ريح ، فاخذت باركان البيت ، فالقته عليهم فلو رايتهم حين اختلطت دماؤهم و لحومهم بطعامهم ، و شرابهم فقال له ايوب : انت الشيطان ، ثم قال له : انا اليوم كيوم ولدتني امي ،فقام ، فحلق راسه ، و قام يصلي ، فرن ابليس رنة سمع بها اهل السما، و اهل الارض ، ثم خرج الى السما، فقال : اي رب ، انه قد اعتصم ، فسلطني عليه ، فاني لااستطيعه الا بسلطانك ، قال : قد سلطتك على جسده ، و لم اسلطك على قلبه ، فنزل , فنفخ تحت قدمه نفخة ، قرح ما بين قدميه الى قرنه ، فصار قرحة واحدة ، و القى على الرماد، حتى بدا حجاب قلبه ، فكانت امراته تسعى اليه ، حتى قالت له : اما ترى يا ايوب قد نزل بي واللّه من الجهد و الفاقة ما ان بعت قروني برغيف ، فاطعمك ، فادع اللّه ان يشفيك ، و يريحك ، قال : ويحك ، كنا في النعيم سبعين عاما، فاصبري حتى نكون في الضرسبعين عاما، فكان في البلا سبع سنين ، و دعا، فجا جبريل (ع) يوما فاخذ بيده ، ثم قال : قم ، فقام ، فنح اه عن مكانه ، و قال : اركض برجلك ، هذا مغتسل باردو شراب ، فركض برجله ، فنبعت عين ، فقال : اغتسل ، فاغتسل منها، ثم جا ايضا، فقال : اركض برجلك فنبعت عين اخرى ،فقال له : اشرب منها، و هو قوله : (اركض برجلك هذا مغتسل بارد و شراب)، و البسه اللّه حلة من الجنة.
فتنحى ايوب ، فجلس في ناحية ، و جات امراته ، فلم تعرفه ، فقالت : يا عبداللّه ، اين المبتلى الذي كان هنا؟ لعل الكلاب ذهبت به ، او الذئاب ,و جعلت تكلمه ساعة ، فقال : ويحك ،انا ايوب على جسدي ، و رد اللّه عليه ماله ، و ولده عيانا و مثلهم معهم ((588)) .

قال : و اخرج احمد في الزهد، عن عبدالرحمان بن جبير(رض)، قال : ابتلى ايوب بماله ، و ولده ، و جسده ، و طرح في المزبلة ، فجات امراته تخرج ، فتكتسب عليه ما تطعمه ، فحسده الشيطان بذلك ، فكان ياتي اصحاب الخير و الغنى ، فيقول :اطردوا هذه المراة التي تغشاكم ، فانها تعالج صاحبها، و تلمسه بيدها، فالناس يتقذرون طعامكم من اجلها، فجعلوا لايدنونهامنهم ، و يقولون : تباعدي و نحن نطعمك , و لاتقربينا.
و قد ذكر ابن جرير، و ابن ابي حاتم الكثير من هذه الروايات في تفسيريهما، منها : ما هو موقوف , و بعضها مرفوع الى النبي (ص)، و كذلك ذكر ابن جرير، و البغوي ، و غيرهما، عند تفسير قوله تعالى : (و ايوب اذ نادى ربه اني مسني الضرو انت ارحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر و آتيناه اهله و مثلهم معهم رحمة من عندنا و ذكرى للعابدين ((589)) (الكثير من الاسرائيليات.
فقد روبا قصة ايوب و بلائه عن وهب بن منبه ، في بضع صحائف ، و قد التبس فيها الحق بالباطل ، و الصدق بالكذب ((590)).
و قال ابن كثير في تفسيره عند هذه الاية : ((و قد روي عن وهب بن منبه في خبره ـ يعني ايوب ـ قصة طويلة ، ساقها ابن جرير، و ابن ابي حاتم بالسند عنه ، و ذكرها غير واحد من متاخري المفسرين ، و فيها غرابة ، تركناها لحال الطول.
و من العجيب ان الحافظ ابن كثير وقع فيما وقع فيه غيره في قصة ايوب ، من ذكر الكثير من الاسرائيليات و لم يعقب عليه((591)) , مع ان عهدنا به انه لايذكر شيئا من ذلك الا و ينبه على مصدره ، و من اين دخل في الرواية الاسلامية ، و لاظن انه يرى في هذا انه مما تباح روايته فقد ذكر انه يقال : انه اصيب بالجذام في سائر بدنه ، و لم يبق منه سليم سوى قلبه و لسانه ، يذكر بهما اللّه حتى عافه الجليس ، و صار منبوذا في ناحية من البلد، و لم

يبق احد من الناس يحنو عليه غـيـر زوجـته ، و تحملت في بلائه ما تحملت ،حتى صارت تخدم الناس ، بل قد باعت شعرها بسبب ذلـك , ثـم قـال : و قد روي ، انه مكث في البلا مدة طويلة ، ثم اختلفوا في السبب المهيج له على هذا الدعاء، فقال الحسن ـ يعني البصري ـ و قتادة : ابتلي ايوب (ع) سبع سنين و اشهرا، ملقى على كناسة بـني اسرائيل ، تختلف الدواب في جسده ، ففرج اللّه عنه ، و اعظم له الاجر، و احسن عليه الثنا و قـال وهب بن منبه :مكث في البلا ثلاث سنين ، لايزيد و لاينقص و قال السدي : تساقط لحم ايوب ، حتى لم يبق الا العصب و العظام ثم ذكر قصة طويلة.
ثم ذكر ما رواه ابن ابي حاتم بسنده ، عن الزهري ، عن انس بن مالك : ان النبى (ص) قال:
))ان نـبـي اللّه ايـوب لـبـث به بلاؤه ثماني عشرة سنة ، فرفضه القريب و البعيد، الا رجلين من اخوانه ، كانا من اخص اخوانه له ،كانا يغدوان اليه و يروحان ، فقال احدهما لصاحبه : تعلم ـ واللّه ـ لـقد اذنب ايوب ذنبا مااذنبه احد من العالمين ، فقال له صاحبه : و ما ذاك ؟ قال : منذ ثماني عشرة سنة لـم يـرحـمـه اللّه ، فيكشف ما به فلما راحا اليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له ،فقال ايوب (ع : (مـادري ما تقول ، غير ان اللّه يعلم اني كنت امر على الرجلين يتنازعان ، فيذكران اللّه ، فارجع الى بـيـتـي ، فاكفرعنهما كراهية ان يذكرا اللّه الا في حق قال : و كان يخرج في حاجته ، فاذا قضاها امـسكت امراته بيده ، حتى يبلغ ، فلما كان ذات يوم ابطات عليه ، فاوحى اللّه الى ايوب في مكانه : ان اركض برجلك هذا مغتسل بارد و شراب.((
و قال ابن كثير : رفع هذا الحديث غريب جدا((592)) , و قال الحافظ ابن حجر : و اصح ما ورد فـي قـصته ما اخرجه ابن ابي حاتم و ابن جرير، و صححه ابن حبان و الحاكم ، بسند عن انس : ان ايوب ثم ذكر مثل ذلك.
و الـمـحـقـقـون من العلما على ان نسبة هذا الى المعصوم (ص) اما من عمل بعض الوضاعين الذين يـركـبـون الاسـانـيـد للمتون ،او من غلط بعض الرواة ، و ان ذلك من اسرائيليات بني اسرائيل و افـتـرااتهم على الانبيا على ان صحة السند في مصطلحهم لاتنافي ان اصله من الاسرائيليات ، و ابن حجر على مكانته في الحديث ربما يوافق على تصحيح ما يخالف الادلة العقلية و النقلية ، كما فعل في قصة الغرانيق ، و هاروت و ماروت ، و كل ما روي موقوفا او مرفوعا لايخرج عما ذكره وهب بن منبه ، في قصة ايوب ، التي اشرنا اليها آنفا، و ما روي عن ابن اسحاق ايضا، فهو مما اخذ عن وهب ، و غيره.
و هذا يدل اعظم الدلالة على ان معظم ما روي في قصة ايوب مما اخذ عن اهل الكتاب الذين اسلموا ,و جا القصاصون المولعون بالغرائب ، فزادوا في قصة ايوب ، و اذاعوها، حتى اتخذ منها الشحاذون , و المتسولون وسيلة لاسترقاق قلوب الناس ،و استدرار العطف عليهم.

الحق في هذه القصة

و قـد دل كـتـاب اللّه الصادق ، على لسان نبيه محمد الصادق ، على ان اللّه تبارك و تعالى ابتلى نبيه ايـوب (ع) في جسده ،و اهله ، و ماله ، و انه صبر حتى صار مضرب الامثال في ذلك ، و قد اثنى اللّه عليه هذا الثنا المستطاب ، قال عز شانه : (اناوجدناه صابرا نعم العبد انه اواب)، فالبلا مما لايجوز ان يـشـك فـيـه ابدا، و الواجب على المسلم ان يقف عند كتاب اللّه ،و لايتزيد في القصة كما تزيد زنـادقـة اهـل الـكـتـاب ، و الـصـقـوا بـالانبيا ما لايليق بهم ، و ليس هذا بعجيب من بني اسرائيل الـذيـن لم يتجراوا على انبيا اللّه و رسله فحسب ، بل تجراوا على اللّه تبارك و تعالى و نالوا منه , و فـحشوا عليه ، و نسبوا اليه ما قامت الادلة العقلية و النقلية المتواترة على استحالته عليه سبحانه و تـعالى من قولهم : (ان اللّه فقير و نحن اغني , ((593))(و

قولهم :(يد اللّه مغلولة غلت ايديهم و لعنوا بما قالوا , ((594)) (عليهم لعنة اللّه.
و الذي يجب ان نعتقده انه ابتلي ، و لكن بلاه لم يصل الى حد هذه الاكاذيب ، من انه اصيب بالجذام((595)) , و ان جسمه اصبح قرحة ، و انه القي على كناسة بني اسرائيل ، يرعى في جسده الدود، و تعبث به دواب بني اسرائيل ، او انه اصيب بمرض الجدري.
و ايوب (ع) اكرم على اللّه من ان يلقى على مزبلة ، و ان يصاب بمرض ينفر الناس من دعوته ، و يقززهم منه ، و اي فائدة تحصل من الرسالة ، و هو على هذه الحال المزرية ، التي لايرضاها اللّه لانبيائه و رسله ؟.
((596))بدل ان قومهم ، فاين كانت عشيرته فتواريه ، و تطعمه ؟ تخدم امراته الناس , بل و تبيع ضفيرتيها في سبيل اطعامه بل اين كان اتباعه ، و المؤمنون منه , فهل تخلوا عنه في بلائه ؟ الحق ان نسج القصة مهلهل ، لايثبت امام النقد ,و لايؤيده عقل سليم ، و لا نقل صحيح ، و ان ما اصيب به ايوب من المرض انما كان من النوع غير المنفر، و المقزز، و انه من الامراض التي لايظهر اثرها على البشرة ، كالروماتيزم ، و امراض المفاصل ، و العظام و نحوها و يؤيد ذلك ان اللّه لما امره ان يضرب الارض بقدمه ، فضرب فنبعت عين , فاغتسل منها و شرب ،فبرا باذن اللّه.
قال العلا مة الطبرسي : قال اهل اتحقيق : انه لايجوز ان يكون بصفة يستقذره الناس عليها، لان في ذلك تنفيرا فاما المرض والفقر و ذهاب الاهل ، فيجوز ان يمتحنه اللّه بذلك ((597)).

32ـ الاسرائيليات في قصة (ارم ذات العماد(

و من الاسرائيليات ما يذكره بعض المفسرين كالطبري ، و الثعلبي ، و الزمخشري ، و غيرهم في تفسير قوله تعالى : (الم تركيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلا د. ((598)) (
فقد زعموا ان ((ارم)) مدينة ، و ذكروا في بنائها و زخارفها ما هو من قبيل الخيال ، و رووا في ذلك انه كان لعاد ابنان : شداد،شديد، فملكا و قهرا، ثم مات شديد و خلص الامر لشداد فملك الدنيا ,فسمع بذكر الجنة ، فقال : ابني مثلها، فبنى)) ارم)) في بعض صحاري عدن ، في ثلاثمائة سنة ، و كان عمره تسعمائة سنة ، و هي مدينة عظيمة ، و سورها من الذهب و الفضة ،و اساطينها من الزبرجد و الياقوت و لما تم بناؤها سار اليها باهب ((599)) مملكته ، فلما كان منها مسيرة يوم و ليلة بعث اللّه تعالى صيحة من السما، فهلكوا.
و روى وهب بن منبه عن عبداللّه بن قلابة : انه خرج في طلب ابل له ، فوقع عليها ـ يعني مدينة))ارم)) ـ، فحمل منها ما قدرعليه ، و بلغ خبره معاوية ، فاستحضره ، و قص عليه ، فبعث الى كعب الاحبار، فساله عنها فقال : هي ارم ذات العماد،و سيدخلها رجل من المسلمين في زمانه احمر ,اشقر، قصير، على حاجبه خال ، ثم التفت ، فابصر ابن قلابة ، فقال : هذا و اللّه ذاك الرجل((600)) .
و هذه القصة موضوعة ، كما نبه الى ذلك الحفاظ، و آثار الوضع لائحة عليه ، و كذلك ما روي : ان))ارم)) مدينة دمشق ،و قيل : مدينة الاسكندرية قال السيوطي في ((الدر المنثور)) : و اخرج عبد بن حميد، و ابن ابي حاتم ، عن عكرمة ، قال : ((ارم))هى دمشق ، و اخرج ابن جرير، و عبد بن حميد، و ابن عساكر عن سعيد المقبري مثله ، و اخرج ابن عساكر، عن سعيد بن المسيب ، مثله , قال : و اخرج ابن جرير، و ابن المنذر، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : ((ارم)) هي الاسكندرية((601)) .
و كل ذلك من خرافات بني اسرائيل ، و من وضع زنادقتهم ، ثم رواها مسلمة اهل الكتاب فيما رووا ,و حملها عنهم بعض الصحابة و التابعين ، و الصقت بتفسير القرآن الكريم.
قال ابن كثير في تفسيره : و من زعم ان المراد بقوله : (ارم ذات العماد) : مدينة اما دمشق ، او اسكندرية ، او غيرهما،ففيه نظر، فانه كيف يلتئم الكلام على هذا (الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد) ان جعل بدلا او عطف بيان ؟((602)) , فانه لايتسق

الكلام حينئذ، ثم المراد : انما هو الاخبار عن اهلاك القبيلة المسماة بعاد، و مااحل اللّه بهم من باسه الذي لايرد، لاان المراد : الاخبار عن مدينة او اقليم ، و انما نبهت على ذلك لئلايغتر بكثير مما ذكره جماعة من المفسرين عن هذه الاية ، من ذكر مدينة يقال لها : ارم ذات العماد، مبنية بلبن الذهب و الفضة ، و ان حصباها لالئ و جواهر، و ترابها بنادق المسك فان هذاكله من خرافات الاسرائيليين ، من وضع بعض زنادقتهم , ليختبروا بذلك القول الجهلة من الناس ان تصدقهم في جميع ذلك و قال فيما روي عن ابن قلابة : فهذه الحكاية ليس يصح اسنادها، و لو صح الى ذلك الاعرابي فقد يكون اختلق ذلك ، او اصابه نوع من الهوس ، و الخيال ، فاعتقد ان ذلك له حقيقة في الخارج ، و هذا ما يقطع بعدم صحته((603)) و هذا قريب مما يخبر به كثير من الجهلة ، و الطامعين ، و المتحيلين من وجود مطالب تحت الارض فيها قناطير الذهب و الفضة ، فيحتالون على اموال الاغنيا و الضعفة ، و السفها، فياكلونها بالباطل ، في صرفها في بخاخير، و عقاقير، و نحو ذلك من الهذيانات ، و يطنزون بهم.
و الصحيح في تفسير الاية ، ان المراد (بعاد، ارم ذات العماد) قبيلة عاد المشهورة ، التي كانت تسكن الاحقاف ، شمالي حضرموت ، و هي عاد الاولى ، التي ذكرها اللّه سبحانه في سورة النجم ، قال سبحانه : (و انه اهلك عادا الا ولى)، و يقال لمن بعدهم : عاد الاخرة ، و هم ولد عاد بن ارم بن عوص ، بن سام ، بن نوح قاله ابن اسحاق و غيره ، و هم الذين بعث فيهم رسول اللّه هودا(ع (فكذبوه ، و خالفوه ، فانجاه اللّه من بين اظهرهم ، و من آمن معه منهم ، و اهلكهم (بريح صرصر عاتية ، سخرهاعليهم سبع ليال و ثمانية ايام حسوما فترى القوم فيها صرعى كانهم اعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية ؟. ((604)) (
و قد ذكر اللّه قصتهم في القرآن في غير ما موضع ، ليعتبر بمصرعهم المؤمنون ، فقوله تعالى) : ارم ذات العماد)، بدل من ((عاد)) او عطف بيان زيادة تعريف بهم ، و قوله تعالى : (ذات العماد ,(لانهم كانوا في زمانهم اشد الناس خلقة ، و اعظمهم اجساما، و اقواهم بطشا و قيل : ذات الابنية التي بنوها، و الدور، و المصانع التي شادوها و قيل : لانهم كانوا يسكنون بيوت الشعر التي ترفع بالاعمدة الغلاظ الشدادو الاول اصح و اولى ، فقد ذكرهم نبيهم هود بهذه النعمة ، و ارشدهم الى ان يستعملوها في طاعة اللّه ـ تبارك و تعالى ـ الذي خلقهم و منحهم هذه القوة ، فقال : (و اذكروا اذ جعلكم خلف من بعد قوم نوح و زادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلا اللّه لعلكم تفلحون , ((605)) (و قال تعالى : (فاما عاد فاستكبروا في الا رض بغيرالحق و قالوا من اشد منا قوة او لم يروا ان اللّه الذي خلقهم هو اشدمنهم قوة , ((606)) (و قوله هنا : (التي لم يخلق مثلها في البلا د) اي القبيلة المعروفة المشهورة التي لم يخلق مثلها في بلادهم ، و في زمانهم ، لقوتهم ، و شدتهم ، و عظم تركيبهم.
و مهما يكن من تفسير ذات العماد : فالمراد القبيلة ، و ليس المراد مدينة ، فالحديث في السورة انما هو عمن مضى من الاقوام الذين مكن اللّه لهم في الارض ، و لما لم يشكروا نعم اللّه عليهم ، و لم يؤمنوا به و برسله ، بطش بهم ، و اخذهم اخذ عزيزمقتدر ففيه تخويف لكفار مكة ، الذين هم دون هؤلا في كل شي ، و تحذيرهم ان يصيبهم مثل ما اصاب هؤلا.

ما روي في عظم طولهم

و ليس معنى قوتهم ، و عظم خلقهم ، و شدة بطشهم انهم خارجون عن المالوف في الفطرة , فمن ثم لانكاد نصدق ما روي في عظم اجسامهم ، و خروج طولهم عن المالوف المعروف ، حتى في هذه الازمنة ، فقد روى ابن جرير في تفسيره ، و ابن ابي حاتم و غيرهما عن قتادة ، قال : كنا نحدث ان ((ارم)) قبيلة من عاد، كان يقال لهم : ذات العماد، كانوا اهل عمود، (التي لم يخلق مثلها في البلا د ,(قال : ذكر لنا انهم كانوا اثني عشر ذراعا((607)) طولا في السما، و هذا من جنس ما روي في العماليق و اغلب الظن عندنا ان من ذكر لهم ذلك هم اهل الكتاب الذين اسلموا، و انه من الاسرائيليات المختلقة.

و ايضا لانكاد نصدق ، ما روي عن المعصوم (ص) في هذا، فقد روى ابن ابي حاتم ، قال : حدثنا ابي , قال : حدثنا ابوصالح كاتب الليث ، قال : حدثني معاوية ابن صالح ، عمن حدثه ، عن المقدام بن معديكرب , عـن الـنبي (ص) : انه ذكر (ارم ذات العماد) فقال : ((كان الرجل منهم ياتي الى الصخرة ، فيحملها عـلـى كـاهـلـه ، فـيلقيها على اي حي اراد فيهلكهم ((608)) ((و لعل البلا، و الاختلاق فيه من المجهول ، و روى مثله ابن مردويه((609)) .
و اخزى اللّه من نسب مثل هذا الباطل الى النبي (ص)، و لانشك ان هذا من عمل زنادقة اهل الكتاب و غيرهم ، الذين عجزوا ان يقاوموا سلطان الاسلام ، فسلكوا في محاربته مسلك الدس ، و الاختلاق , بـنـسـبة امثال هذه الخرافات الى المعصوم (ص)، و انا لنعجب لمسلم يقبل امثال هذه المرويات التي تـزري بالاسلام ، و تنفر منه ، و لاسيما في هذا العصر الذي تقدمت فيه العلوم ، و المعارف ، و اصبح ذكر مثل هذا يثير السخرية ، و الاستنكار و الاستهزا.
الاسـرائيـليات و الخرافات فيما يتعلق بعمر الدنيا و بد الخلق ، و اسرار الوجود، و تعليل بعض الظواهر الكونية.
و من الاسرائيليات و الموضوعات التي اشتملت عليها كتب التفسير و غيرها كثير مما يتعلق بعمر الـدنـيـا و بـد الخلق ،و اسرار الوجود، و اسباب الكائنات ، و تعليل بعض الظواهر الكونية تعليلا بـاطـلا غـيـر صـحيح ، و قد جا معظمه موقوفا على الصحابة و التابعين ، و جا بعضه مرفوعا الى الـنـبي (ص)، و هنا تكون الطامة ، لان هذه الروايات متهافتة باطلة ، فنسبتها الى المعصوم (ص) من الخطورة بمكان.
و كـان هـؤلا الذين وضعوها و الصقوها بالنبي (ص) زورا، كانوا يدركون ببعد نظرهم انه سياتي اليوم الذي تتكشف فيه الحقائق العلمية لهذه الامور الكونية ، و معرفة التعليلات الصحيحة لسنن اللّه فـي الـكـون ، فـنـسبوا اليه هذه الخرافات ، كي يشككوافي عصمة النبي (ص)، و انه ما ينطق عن الـهوى ، و يقللوا الثقة بالانبيا، و هم قوم من الزنادقة الذين جمعوا بين الزندقة ،و العلم ، و المعرفة بـبـعـض الـظواهر، و العلوم الكونية ، و هم اعظم الطوائف كيدا للاسلام ، لخبث نياتهم ، و احكام كيدهم.
و لاندري ماذا يكون موقف الداعي الى اللّه في المجتمعات العلمية ، و البيئات المتحضرة اذا ووجه بمثل هذه الروايات الباطلة التي تغض من شان الاسلام ، و هو منها برا؟.
و لـو ان هذه المرويات صحت اسانيدها لربما كان للمتمسكين بها، و المنتصرين لها بعض المعذرة , اما و هي ضعيفة اسانيدها، واهية مخارجها، فالواجب ردها و لا كرامة نعم ، ان معظم هذه المرويات فـي الامـور الـكـونـيـة تخالف مخالفة ظاهرة ،المقررات و الحقائق العلمية التي اصبحت في حكم البديهيات و المسلمات ككروية الارض ، و دورانها، و سبب حدوث الخسوف و الكسوف و نحوها ,و الانـتـصـار لهذه المرويات التي تصادم الحقائق العلمية الثابتة ، مما يعود على الاسلام بالضررو الـنقص ، و ينفر منه المفكرون و ذووالعلم ، و المعرفة ، بل هي اضر على الاسلام من طعن اعدائه فيه.

ما يتعلق بعمر الدنيا

فـقـد ذكروا في عمر الدنيا انه سبعة آلاف سنة ، و ان النبي محمدا(ص)، بعث في آخر السادسة ,فـقـد ورد ذلـك مـرفـوعـا الـى الـنـبـي (ص)، و حـكـم عـلـيه ابن الجوزي بالوضع في كتابه ((الموضوعات))، و احر به ان يكون مختلقا مكذوبا على رسول اللّه (ص.(
و كـذلك جا بعض هذه الاخبار موقوفا على ابن عباس)) ورد ذكر ذلك في كتب التفسير، و بعض كتب الحديث ، و كتب التواريخ و نحوها، و قد قال السيوطي : انها صحيحة و لاندري ماذا يقول المنتصرون لمثل هذه الاباطيل ، فيما هو ثابت من ان عمر الدنيا اضعاف اضعاف ذلـك ، حتى اصبح ذلك من البديهيات المسلمات ، و ان التمسك بمثل هذه الروايات اضر على الدين من طعن اعدائه.

و لو ان النبي (ص) بعث ـ كما يقولون ـ في آخر المائة السادسة ، لقامت القيامة من زمن مضى ، فظهر ان الواقع و المشاهدة يكذبان ذلك ايضا، و يردانه.

ما يتعلق بخلق الشمس و القمر

و من ذلك ايضا : ما ذكره ابن جرير، و ابن ابي حاتم ، و ابن مردويه و الثعلبي ، و غيرهم من المفسرين ، عند تفسير قوله تعالى : (و جعلنا الليل و النهار آيتين فمحونا آية الليل و جعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم و لتعلموا عددالسنين و الحساب و كل شي فصلناه تفصيلا. ((610)) (
فقد رووا عن ابن عباس انه قال : سمعت رسول اللّه (ص) يقول : ((ان اللّه لما ابرم خلقه ، فلم يبق من خلقه غير آدم (ع)، خلق شمسا من نور عرشه ، فاما ما كان في سابق علم اللّه ان يدعها شمسا ,فانه خلقها مثل الدنيا، ما بين مشارقها و مغاربها، و اما ماكان في سابق علمه ان يطمسها و يحولها قمرا، فانه خلقها مثل الشمس في الضؤ، و انما يرى الناس صغرهما لشدة ارتفاعهما،و لو تركهما اللّه كما خلقهما في بد الامر لم يعرف الليل من النهار، و لا النهار من الليل ، و لكان الاجير ليس له وقت يستريح فيه ،و لكان الصائم لايدري الى متى يصوم ، و متى يفطر، الى ان قال : فارسل جبريل , فامر جناحه على وجه القمر ثلاث مرات ،و هو يومئذ شمس فمحا عنه الضؤ، و بقي فيه النور ,فذلك قوله تعالى : (و جعلنا الليل و النهار آيتين) فالسواد الذي ترونه في القمر هو اثر ذلك المحو.((
و كذلك روى هذا الباطل ابن ابي حاتم ، و ابن مردويه ، و سنده واه ، لان فيه نوح بن ابي مريم ، و هو وضاع دجال ، و قدحكم عليه ابن الجوزي بالوضع و الاختلاق ((611)) , و منشؤه من الاسرائيليات التي الصقت بالنبي زورا، و فيه من الركاكة اللفظية ،و المعنوية ما يشهد بوضعه على النبي ، و ليس عليه شي من نور النبوة.
و ماكان رسول اللّه (ص) يتعرض للكونيات بهذا التفصيل ، و لما سئل عن الهلال لم يبدو صغيرا ثم يكبر، حتى يصير بدرا،ثم يصغر؟، اجاب بالفائدة ، فقال : (هي مواقيت للناس و الحج) لان بالاهلة تعرف السنون ، و الشهور، و عليها تتوقف مصالح الناس الدينية و الدنيوية ، فبها يعرفون حجهم ، و صومهم ، و اخراج زكاتهم ، و حلول آجال ديونهم و نحوها، و ليس من الحكمة التعرض لمثل هذه الكونيات بالتفصيل ، فتركها لعقول الناس ، و ادراكاتهم اولى ، و لاسيما انه لايتوقف على معرفة الامة لمثل هذه الامور فائدة دينية ، و القرآن و السنة النبوية حينما يعرضان للحديث عن الكونيات يكون غرضهما انتزاع العبرة ،و الاستدلال بما اودع فيهما على وجود اللّه ـ جل و علا، و وحدانيته ، و قدرته ، و علمه ، و سائر صفاته ، و لذلك لانقف فيماصح و ثبت من الاحاديث على مثل هذه التفصيلات التي نجدها في الاثار الضعيفة ، و الاسرائيليات الباطلة.

ما يتعلق بتعليل بعض الظواهر الكونية

و من ذلك ما يذكره بعض المفسرين ، و ما يوجد في بعض كتب الحديث في غروب الشمس ، و انها اذا غربت ابتلعهاحوت ، و ما يتعلق بالسماوات ، و الاجرام السماوية ، و من اي الجواهر هي ، و الارض و علام استقرت ، و انها على ظهر حوت ،و ما يذكرونه في تعليل برودة الابار في الصيف ، و سخونتها في الشتا، و عن منشا الرعد و البرق ، و عن منشا السحاب ، الى نحو ذلك مما لانصدق وروده عن المعصوم (ص) و ما ورد منه موقوفا، فمرجعه الى الاسرائيليات الباطلة ، او الى الزنادقة الذين ارادوا ان يظهروا الاسلام بمظهر الدين الخرافي الذي ينافي العلم ، و السنن الكونية.
فقد روي عن ابي امامة الباهلي : ان رسول اللّه (ص) قال : ((وكل بالشمس تسعة املاك ، يرمونها بالثلج كل يوم ، لولا ذلك ماتت على شي الا احرقته)) رواه الطبراني.
و من احد رواته عقير بن معدان ، و هو ضعيف جدا، و لو ان الحديث صحيح السند، او ثابت ، لتمحلنا ,و قلنا : انه من قبيل التمثيل ، اما و هو بهذا الضعف فلتلق به دبر آذاننا.

و عـن ابن عمر، قال : ((سئل النبي (ص) فقيل : ارايت الارض على ما هي ؟ قال : ((الارض على الما)) قيل : الما على ماهو؟ قال : ((على صخرة)) فقيل : الصخرة على ما هي ؟ قال : ((هي على ظهر حوت يلتقي طرفاه بالعرش)) الهوا)) رواه البزار عن شيخه عبداللّه بن احمد، يعني ابن شبيب ، و هو ضعيف و عن الربيع بن انس قـال : ((الـسـمـا الـدنـيا موج مكفوف ، و الثانية : صخرة ، و الثالثة : حديد، و الرابعة : نحاس ، و الـخامسة : فضة ،و السادسة : ذهب ، و السابعة : ياقوت)) رواه الطبراني في ((الاوسط)) هكذا مـوقـوفـا عـلـى الـربـيـع ، و فـيه ابوجعفر الرازي ، وثقه ابوحاتم و غيره ، و ضعفه النسائي و غيره((612)) .

و روى الطبراني في ((الاوسط)) بسنده ، فقال : حدثنا محمد بن يعقوب الاهوازي الخطيب ، قال : حدثنا محمد بن عبدالرحمان بن عبدالصمد السلمي ، قال : حدثنا ابوعمران الحراني ، قال : حدثنا ابن جـريج عن عطا، عن جابر بن عبداللّه ،ان خزيمة بن ثابت ـ و هو ليس بالانصاري المشـهور ـ كان فـي عـير لخديجة ، و ان النبي (ص) كان معه في تلك العير، فقال له : يامحمد، ارى فيك خصالا، و اشـهـد انـك الـنـبـي الـذي يـخـرج من تهامة ، و قد آمنت بك ، فاذا سمعت بخروجك اتيتك فابطا عن النبي (ص)، حتى كان يوم فتح مكة اتاه ، فلما رآه قال : ((مرحبا بالمهاجر الاول)) و.

ثم قال : يا رسول اللّه ، اخبرني عن ضؤ النهار، و ظلمة الليل ، و عن حر الما في الشتا، و عن برده في الصيف ، و عن البلد الامين ، و عن منشا السحاب ، و عن مخرج الجراد، و عن الرعد و البرق ، و عن ما للرجل من الولد، و ما للمراة ؟.

فـقال رسول اللّه (ص) : اما ظلمة الليل ، و ضؤ النهار، فان الشمس اذا سـقطت تحت الارض ، فاظلم الـلـيل لذلك ، و اذا اضاالصبح ، ابتدرها سبعون الف ملك ، و هي تقاعس كراهية ان تعبد من دون اللّه , حتى تطلع ، فتضي ، فيطول الليل بطول مكثها،فيسخن الما لذلك و اذا كان الصيف ، قل مكثها، فبرد الما لـذلـك و امـا الـجـراد، فانه نثرة حوت في البحر، يقال له : ((الابوات))،و فيه يهلك و اما منشا الـسـحـاب ، فـانـه ينشا من قبل الخافقين ، و من بين الخافقين تلجمه الصبا و الجنوب ، و يستدبره الـشمال و الدبور و اما الرعد، فانه ملك بيده مخراق((613)) يدني القاصية ، و يؤخر الدانية ، فاذا رفع برقت ، و اذا زجر رعدت ، و اذاضرب صعقت و اما ما للرجل من الولد، و ما للمراة ، فان للرجل العظام ، و العروق ، و العصب ، و للمراة اللحم ، و الدم ،و الشعر و اما البلد الامين ، فمكة.((

و قـال الـهـيـثـمـي في ((زوائده)) : رواه الطبراني في ((الاوسط))، و فيه يوسف بن يعقوب ابوعمران ، ذكر الذهبي هذا الحديث في ترجمته ، و لم يذكر تضعيفه عن احد((614)).

و الـحق ان الذهبي حكم ببطلان هذا الخبر، و قال : ان راويه عن يوسف بن يعقوب مجهول ، و هو مـحـمـد بـن عـبدالرحمان السلمي المذكور، و احر به ان يكون باطلا، و لقد صدق الامام الحافظ ابوعبداللّه الذهبي ، الذي ابان لنا قيمة هذه المرويات الباطلة ، منذ بضعة قرون.

و الـيك ما قاله الذهبي بنصه ، قال يوسف بن يعقوب ابوعمران عن ابن جريج ، بخبر باطل طويل ، و عـنه انسان مجهول و اسمه عبدالرحمان السلمي ، قال الطبراني : حدثنا محمد بن يعقوب الاهوازى الخطيب.

ثم ذكر الاسناد الذي ذكرته آنفا، و بعض المتن الا انه قال : ((ان خزيمة بن ثابت الانصارى))، و قال : ذكره ابوموسى في الطوالات ، و روى بعضه عبدان الاهوازي ، عن السلمي هذا((615)).

فـكـيـف يقول الهيثمي : ذكر الذهبي هذا الحديث في ترجمته ، و لم ينقل تضعيفه عن احد؟ واللّه ـ الـعـجـب الميزان , ((616)) ((فقد ذكر ما ذكره الذهبي ، غير انه قال ، عن جابر بن عبداللّه : ان خزيمة بن ثابت ـ و ليس بالانصاري ـ ، كان في عير لخديجة ، و ذكر القصة السابقة.

و مـا ذكـره الـحـافظ ابن حجر في ((لسان الميزان)) من انه ليس بالانصاري هو الصحيح ، فهو خزيمة بن حكيم السلمي ، و يقال له : ابن ثابت ايضا، كان صهر خديجة ام المؤمنين ، فهو غير خزيمة بن ثابت الانصاري ، المشهور بانه ذوالشهادتين قطعا

((617)).
و مما يروى في مثل هذا، ما روي عن صباح بن اشرس ، قال : ((سئل ابن عباس عن المد و الجزر ,فقال : ان ملكا موكلابناموس البحر، فاذا وضع رجله فاضت ، و اذا رفعها غاضت))، قال الهيثمي : رواه احمد، و فيه من لم اعرفه ، اقول : و البلاغالبا، انما يكون من المجاهيل.
و عن معاذ بن جبل ، عن النبي (ص) قال : ((المجرة التي في السما هي عرق حية تحت العرش ,((رواه الطبراني في ((المعجم الكبير)) و ((الاوسط))، و قال : لايروى عن النبي (ص) الا بهذا الاسناد، و فيه : عبدالاعلى بن ابي سحرة ، و لم اعرفه ،و بقية رجاله ثقات ، اقول : و البلا من هذا الذي لايعرف.
و عن جابر بن عبداللّه ـ رضوان اللّه عليه ـ قال : قال رسول اللّه (ص) : ((يا معاذ، اني مرسلك الى قوم اهل عناد، فاذا سئلت عن المجرة التي في السما فقل : هي لعاب حية تحت العرش)) رواه الطبراني ، و فيه الفضل بن المختار و هو ضعيف ((618)) ,اقول : و احر بمثل هذا ان لايروى الا من طريق ضعيف.
و كل هذا الذي ذكرناه ، و امثاله مما لانصدق وروده عن المعصوم (ص) و انما هو من اكاذيب بني اسرائيل و خرافاتهم ،او من وضع الزنادقة الخبثا، و الصق بالنبي زورا، و ماكان رسول اللّه (ص) ليتكلم في الكونيات ، و الفلكيات ، و اسباب الكائنات بهذا التفصيل ، كما حققنا لك آنفا و في هذه المرويات من السذاجة العلمية ، و التفاهات ، ما لايليق بعاقل ، فضلا عن اعقل العقلا، الذي ماكان ينطق عن الهوى.
و ايضا فهذه التعليلات لاتتفق هي و المقررات العلمية المستقرة الثابتة ، التي اصبحت في حكم اليقينيات اليوم و لاندري ،كيف يكون حال الداعية الى الاسلام اليوم في البلاد المتقدمة في العلم و المعرفة اذا لهج بمثل هذه الاباطيل التي تضربالدين اكثر مما ينال منه اعداؤه ؟ و لو ان هذه المروى ات كانت في كتب معتمدة من كتب الحديث ، و الرواية التي تعنى بذكرالاحاديث الصحيحة و الحسنة ، لكان للمنتصرين لها بعض العذر اما و هي كما علمت غير معتد بها لضعف اسانيدها،و مخالفتها للعقل ، و العلم اليقيني ، فاضرب بها عرض الحائط و لا كرامة.

ما ذكره المفسرون في الرعد و البرق في كتبهم

و معظم كتب التفاسير بالماثور و غيره ذكرت : ان الرعد اسم ملك يسوق السحاب ، و ان الصوت المسموع صوت زجره السحاب ، او صوت تسبيحه ، و ان البرق اثر من المخراق الذي يزجر به السحاب ، او لهب ينبعث منه ، على ان المخراق من نار،و ذلك عند تفسير قوله تعالى : (و يسبح الرعد بحمده و الملا ئكة من خيفته ((619)) (الاية ، و يكاد لم يسلم من ذلك احدمنهم ، الا ان منهم من يحاول ان يوفق بين ظاهر الاية و ما قاله الفلاسفة الطبيعيون في الرعد و البرق ، فيؤول الاية , و منهم من يبقي الاية على ظاهرها، و ينحى باللائمة على الفلاسفة و اضرابهم ، الذين قاربوا ان يصلوا الى ما وصل اليه العلما في العصرالحديث ففي تفسير الخازن((620)) قال اكثر المفسرين : على ان الرعد اسم للملك الذي يسوق السحاب ، و الصوت المسموع منه تسبيحه ، ثم اورد على هذا القول ان ما عطف عليه ، و هو قوله تعالى : (و الملا ئكة من خيفته) يقتضي ان يكون المعطوف عليه مغايرا للمعطوف ، لانه الاصل ، ثم اجاب : بانه من قبيل ذكر الخاص قبل العام تشريفا و قد بسط الالوسي في تفسيره ـ كما هي عادته ـ الاقوال في الاية ,و ذكر ان للعلما في اسناد التسبيح الى الرعد قولين :ان في الكلام حذفا، اي سامعو الرعد، او ان الاسناد مجازي من قبيل الاسناد الى السبب و الحامل عليه ، و البا في ((بحمده))للملابسة ، اي يسبح السامعون لذلك الصوت متلبسين بحمداللّه ، فيقولون : سبحان اللّه ، و الحمدللّه.
و من العلما من قال : ان تسبيح الرعد بلسان الحال لا بلسان المقال ، حيث شبه دلالة الرعد على قدرة اللّه و عظمته ،و احكام صنعته ، و تنزيهه عن الشريك و العجز، بالتسبيح و التنزيه ، و التحميد اللفظي ، ثم استعار لفظ يسبح لهذاالمعنى و قالوا : ان هذا المعنى انسب.

و كـل هـذا من العلما في الحقيقة تخلص من حمل الاية على ظاهرها، و ان المراد بالرعد : الملك الـمـوكـل بالسحاب ثم قال الالوسـي : و الذي اختاره اكثر المحدثين ان الاسناد حقيقي ، بنا على ان الرعد اسم للملك الذي يسوق السحاب فقد روى احمد، و الترمذي و صححه ، و النسائي ، و آخرون عـن ابـن عـبـاس ـ رضوان اللّه عليه ـ : ان اليهود سالوا رسول اللّه (ص)،فقالوا : اخبرنا ما هذا الـرعـد؟ فـقـال (ع) : ((مـلـك من ملائكة اللّه موكل بالسحاب ، بيديه مخراق من نار، يزجر به الـسـحاب ، يسوقه حيث امره اللّه تعالى))، قالوا : فما ذلك الصوت الذي نسمعه ؟ قال : ((صوته ((قالوا : ((صدقت.((
و هـذا الحديث ان صح يمكن حمله على التمثيل ، و لكن لايطمئن القلب اليه ، و لايكاد يصدق وروده عن المعصوم (ص) و انما هو من اسرائيليات بني اسرائيل الصقت بالنبي (ص) زورا، ثم كيف يتلام ما روي مع قوله قبل : (هوالذي يريكم البرق خوفا و طمعا و ينشئ السحاب الثقال)، و قوله بعد : (و يـرسـل الصواعق فيصيب بها من يش (, ((621))فالاية في بيان قدرة اللّه و عظمته في احداث هذه الايـات الـكونية ، على حسب ما خلقه اللّه في الكون من نواميس ، و اسباب عادية نـفـسـر تـسـبـيح))الرعد)) بلسان الحال ، و عطف الملائكة على ((الرعد)) يقتضي ان يكون))الـرعـد)) غـيـرهـالما ذكرنا، و كان السر في الجمع بينهما بيان انه تواطا على تعظيم اللّه و تـنـزيـهه الجمادات و العقلا، و ان ما لايعقل منقاد للّه و خاضع كانقياد العقلا سوا بسوا، و لاسيما الملائكة الذين هم مفطورون على الطاعة و الانقياد.
و مـن الـحـق ان نذكر : ان بعض المفسرين كانت لهم محاولات جادة ، بنا على ما كان من العلم بهذه الـظواهر الكونية في عصرهم ، في تفسير : الرعد و البرق ، كابن عطية (ره) فقد قال : و قيل : ان))الرعد)) ريح تخفق بين السحاب و روى ذلك عن ابن عباس ، و اعترض عليه ابوحيان ، و اعتبر ذلـك مـن نزغات الطبيعيين ، مع ان قول ابن عطية اقرب الى الصواب من تفسير ((الرعد))بصوت))الـمـلـك)) الذي يسوق السحاب ، و البرق بضؤ مخراقه و قد حاول الامام الرازي التوفيق بين ما قاله المحققون من الحكما، و ما ورد في هذه الاحاديث و الاثار، و قد انكر عليه ابوحيان هذا ايضا.
ثـم ذكـر الالـوسـي آرا الفلاسفة في حدوث الرعد، و البرق ، و تكون السحاب ، و انه عبارة عن ابـخرة متصاعدة قد بلغت في صعودها الى الطبقة الباردة من الهوا، ثم تكثفت بسبب البرد، و لم يقدر الهوا على حملها، فاجتمعت و تقاطرت ، و يقال لها :مطر.
هذا، و قد اصابوا في تكون السحاب و نزول المطر، فخر ما وصل اليه العلم اليوم هو هذا و اما في تكون الرعد، و البرق ،فقد حاولوا، و قاربوا، و ان لم يصلوا الى الحقيقة العلمية المعروفة اليوم.
و بـعـد ان ذكـر الالـوسـي الردود و الاعتراضات على ما قاله الفلاسفة ، و هي ـ و الحق يقال ـ لاتنهض ان تكون ادلة في ردكلامهم ، قال : و قال بعض المحققين : لايبعد ان يكون في تكون ما ذكر اسـباب عادية ، كما في الكثير من افعاله تعالى ، و ذلك لاينافي نسبته الى المحدث الحكيم ـ جل شانه ـ، و مـن انـصـف لـم يـسعه انكار الاسباب بالكلية ، فان بعضها كالمعلوم بالضرورة ،قال : و بهذا انا اقـول((622)) و نـحـن ايـضـا بهذا نقول ، و كون الظواهر الكونية قد جعل اللّه نواميس خاصة لحدوثها، لاينافي قط انه سبحانه الخالق للكون ، و المدبر له سبحانه ، فهو ـ تعالى ـ هو الموجد لهذه الـنـوامـيـس ، و هـو الموجد لهذه السنن التي يسير عليهاالكون ، فان بعض هذه النواميس و السنن اصـبـحت معلومة فانكارها باسم الدين ، او التشكيك فيها ـ و منها تكون السحب ،و حدوث الرعد، و البرق ، و الصواعق ـ انما يعود على الدين بالضعف ، و يضره اكثر من طعن اعدائه فيه.

اقوال الرسول عند سماع الرعد و رؤية البرق

و قـد وردت احـاديـث اخرى صحاح و حسان ، تبين ما كان يقوله (ص) عند حدوث هذه الظواهر الـكـونية ، و هي تدل على كمال المعرفة باللّه ، و انه سبحانه هو المحدث

لها، و انها تدل على تنزيه اللّه ، و تعظيمه ، و حمده ، فقد اخرج احمد و البخاري في الادب المفرد، و الترمذي ، و النسائي ، و غيرهم , عن ابن عمر قال : ((كان رسول اللّه (ص) اذا سمع صوت الرعد،و الصواعق قال :اللهم لاتقتلنا بغضبك ، و لاتهلكنا بعذابك ، و عافنا قبل ذلك ,((لان احتمال الاهلاك و التعذيب بهذه الايات الكونية امر قريب ممكن.
و اخرج ابوداود في مراسيله ، عن عبداللّه بن ابي جعفر : ان قوما سمعوا الرعد فكبروا، فقال رسول اللّه (ص) : ((اذا سمعتم الرعد فسبحوا، و لاتكبروا))، و ذلك لما فيه من التادب بادب القرآن ، و اسلوبه ، في قوله تعالى : (و يسبح الرعد بحمده)،و لان دلالته على تنزيه اللّه من النقص و الشريك اولى من دلالته على التعظيم و اخرج ابن ابي شيبة ، عن ابن عباس انه (ع) كان يقول اذا سمع الرعد : ((سبحان اللّه و بحمده ، سبحان اللّه العظيم)) و اخرج ابن ابي شيبة ، و ابن جرير عن ابي هريرة قال :كان (ص) اذا سمع الرعد قال : ((سبحان من يسبح الرعد بحمده.((
فهذا هو اللائق برسول اللّه (ص) و بعصمته ، لا ما روي من ان الرعد ملك او صوت زجره للسحاب ، و ان البرق اثر سوطه الذي يزجر به السحاب.

راي العلم في حدوث الرعد، و البرق ، و الصواعق

و اكمالا للفائدة : سنذكر ما وصل اليه العلم في حدوث هذه الظواهر الكونية ، فنقول ، و باللّه التوفيق : يقول الدكتور محمداحمد الغمراوي في كتابه ((سنن اللّه الكونية: ((

الرياح ، و الكهربائية الجوية

ان الكهربائية التي تتولد في الهوا ـ و التي ذكرنا لك بعض مصادرها ـ يكتسبها السحاب عند تكونه على الايونات التي تحملها تلك الكهربائية في الطبقات العليا الجوية ، و لايدرى الان ، كيف يفصل اللّه الايونات السالبة ، من الايونات الموجبة ، قبل تكاثف البخار عليها، ان كان هناك فصل لهما؟ ام كيف يكون السحاب عظيم التكهرب اما بنوع من الكهربا، و اما بالنوع الاخر،اذا حدث التكاثف على الايونات ، و هي مختلطة و مهما يكن من سر ذلك ، فان السحاب مكهرب من غير شك ، كما اثبت ذلك فرانكلن لاول مرة في عام (١٧٥٢م) و كما اثبت غيره ، عظم تكهربه بشتى الطرق بعده ، و انت تعرف ان نوعي الكهربائية يتجاذبان ، و ان الموجب و الموجب ، او السالب و السالب يتدافعان ، او يتنافران ، كما تشا ان تقول.
هذا التدافع او التنافر من شانه تفريق الكهربائية ، ثم اذا شا اللّه ساق السحاب بالريح ، حتى يقترب السحاب الموجب ، من السحاب السالب قربا كافيا، في اتجاه افقي ، او في اتجاه راسي او فيما شا اللّه من الاتجاهات ، فاذا اقتربا تجاذبا و من شان اقترابهما هذا ان يزيد في كهربائية مجموع السحاب بالتاثير، و لايزالان يتجاذبان ، و يتقاربان ، حتى لايكون محيص من اختلاطهما و اتحاد كهربائيتهما او من اتحاد كهربائيتهما من بعد، و عندئذ تحدث شبه شرارة عظمى كهربائية ، هي البرق الذي كثيرا ما يرى في البلاد الكثيرة الامطار.
و ((المطر)) نتيجة لازمة لحدوث ذلك الاتحاد الكهربائي ، سوا حدث في هدؤ او بالابراق ، فاذا حدث بهدؤ، حدث بين القطيرات المختلفة في السحابتين ، فتجذب كل منها قرينتها او قريناتها، حتى تتحد، و تكون قطرة فيها ثقل ، فتنزل ، و تكبر اثنانزولها بما تكتسب من كهربائية ، و ما تجتذب من قطيرات ، اثنا اختراقها السحاب المكهرب ،

الذي يكون بعضه فوق بعض في السحاب الركام ، اما اذا حدث الاتحاد الكهربائي في شدة البرق ، و عنفه ، فانه يحدث لا بين القطيرات ، و لكن بين الكتل من السحاب ، و يسهل حدوثه تخلخل الهوا، اي قلة ضغطه في تلك الطبقات.
و ((البرق)) يمثل قوة كهربائية هائلة ، تستطيع ان تكون فكرة عنها اذا عرفت ان شرارته قد تبلغ ثلاثة اميال ، في طولهااو تزيد، و ان اكبر شرارة كهربائية احدثها الانسان لاتزيد عن بضعة امتار.
فالحرارة الناشئة عن البرق لا شك هائلة ، فهي تمدد الهوا بشدة ، و تحدث مناطق جوية عظيمة مخلخلة ، الضغط داخلهايعادل الضغط خارجها، مادام الهوا داخل المنطقة ساخنا، حتى اذا تشععت حرارته و بردت تلك المناطق برودة كافية ، و مااسرع ما تبرد، خف منها الضغط، و صار اقل كثيرا من ضغط الطبقات الهوائية السحابية المحيطة بها، فهجمت عليها فجاة بحكم الفرق العظيم بين الضغطين و تمددت فيها، وحدث لذلك صوت شديد، هو صوت الرعد و هزيمه ، هذا الصوت قد يكون له صدى بين كتل السحاب ، يتردد، فنسميه قعقعة الرعد، اما صوت الشرارة الكهربائية البرقية ، فهو بد الرعد، و يكون ضعيفابالنسبة لهزيمه و قعقعته ، لذلك تسمع الرعد ضعيفا في الاول ثم يزداد، كانما اوله ايذان بتضخمه ، كما قد تؤذن الطلقة الفردة بانطلاق بطاريات برمتها، من المدافع الضخمة في الحروب فالرعد يحدث لا عند اتحاد الكهربائيتين حين يحدث البرق فقط،و لكن يحدث اكثره بعد ذلك عند تمدد الكتل الهوائية الهاجمة في المنطقة المفرغة ، و هي اذا تمددت بردت برودة شديدة ،فيتكاثف ما فيها من البخار، و من كتل السحاب ، فينزل على الارض اما مطرا، و اما بردا، حسب مقدار البرودة الحادثة في تلك المناطق ، و هذا هو السبب في ان الرعد و البرق يعقبهما في الغالب مطرات شديدة ، سوا اكانت المطرة مائية ، ام بردية ،و قطرات الما او حبات البرد تنمو بعد ذلك باختراقها كتل السحاب المتراكم ، تحت المنطقة التي حدث فيها التفريغ((623)) .
الصواعق.
و قد يحدث التفريغ الكهربائي بين السحاب و الارض ، بدلا من بين السحاب و السحاب ، و هذا يكون عادة اذا كان السحاب عظيم الكهربائية ، قريبا من الارض ، فاذا حدث التفريغ ظهر له كالعادة ضؤ و صوت ، نسمي مجموعهما بالصاعقة ، اي ان الصاعقة : تفريغ كهربائي بين السحاب و الارض , اذا اصاب حيوانا او نباتا احرقه ، و هو يحدث اكثر ما يحدث بين الاجسام المدببة على سطح الارض من شجر او نحوه ، و بين السحاب ، و لذا كان من الخطا الاستظلال بالشجر، او المظلات في العواصف ذات البرق ، على ان الانسان قد استخدم سهولة حدوث التفريغ بين الاجسام المدببة ، و السحاب لوقاية الابنية من الصواعق ، و ذلك باقامته على سطوحها قضبانا حديدية او نحاسية ، مدببة الاطراف ، بحيث يكون طرف القضيب المدبب اعلى قليلا من اعلى نقطة في البنا، و الطرف الاخر متصلا بلوح فلزي مدفون في ارض رطبة ، و من شان الاطراف المدببة ان يكون كل منها بابا تخرج منه الكهربائية المتجمعة على السطح تدريجا الى السحاب الذي يظله ، فيحدث التفريغ ، اي الاتحادبين كهربائية الارض ، و كهربائية السحاب تدريجا، فيمتنع ذلك التفريغ الفجائي المعروف بالصاعقة ، على انه اذا نزلت الصاعقة بالبنا رغم ذلك فالارجح جدا انها تصيب القضيب المدب ب اول ما تصيب ، و تنصرف الكهربائية الى الارض ، بدلا من ان تدك البنا، و لذا يسمى مثل هذا القضيب المدبب الواصل الى الارض بصارفة الصواعق ، و قد وجدوا ان السطح الخارجي للقضيب هو الطريق الذي تمر به الكهربائية الى الارض ، لذلك كلما كان هذا السطح اكبر كان الصرف اعظم ، و البنا احصن ،و لذا كانت الصفائح افعل في حفظ الابنية ، من مثل كتلتها من الاسلاك ((624)).

جبل ((قاف)) المزعوم ، و حدوث الزلازل .

و من ذلك ما ذكره بعضهم في تفسير قوله تعالى : (ق و القرآن المجيد : ((625)) (فقد ذكر صاحب ((الدر المنثور)) و غيره ،روايات كثيرة عن ابن عباس ـ رضوان الله تعالى عليه ـ قال)) : خلق الله من ورا هذه الارض بحرا محيطا بها، ثم خلق من وراذلك

البحر جبلا يقال له : (قاف ,(سما الدنيا مرفوعة عليه ، ثم خلق اللّه ـ تعالى ـ من ورا ذلك الجبل ايضا مثل تلك الارض سبع مرات , و استمر على هذا حتى عد سبع ارضين ، و سبعة ابحر، و سبعة اجبل ، و سبع سماوات.((
و هذا الاثر لايصح سنده عن ابن عباس ، و فيه انقطاع ، و لعل البلا فيه من المحذوف.
و اخرج ابن ابي الدنيا، و ابوالشيخ عنه ايضا، قال : خلق اللّه تعالى جبلا يقال له : قاف ، محيط بالعالم , و عروقه الى الصخرة التي عليها الارض ، فاذا اراد اللّه تعالى ان يزلزل قرية امر ذلك الجبل فيحرك العرق الذي يلي تلك القرية ، فيزلزلها،و يحركها، ثم تحرك القرية دون القرية.
و كل ذلك كما قال القرافي لا وجود له ، و لايجوز اعتماد ما لا دليل عليه ، و هو من خرافات بني اسرائيل الذين يقع في كلامهم الكذب ، و التغيير، و التبديل ، دست على السذج من المفسرين ، او تقبلوها بحسن نية و رووها لغرابتها، لا اعتقادابصحتها، و نحمد اللّه ان وجد في علما الامة من رد هذا الباطل ، و تنبه له قبل ان تتقدم العلوم الكونية ، كما هي عليه اليوم و من العجيب ان يتعقب كلام القرافي ابن حجر الهيثمي ، فقال : ما جا عن ابن عباس مروي من طرق خرجها الحفاظ و جماعة , ممن التزموا تخريج الصحيح ، و قول الصحابي فيما لا مجال للراي فيه ، حكمه حكم المرفوع الى النبي.
و لكن نقول للشيخ الهيثمي : ان تخريج من التزم الصحة ليس بحجة ، و كم من ملتزم شيئا لم يف به ، و الشخص قد يسهوو يغلط مع عدالته ، و انظار العلما تختلف ، و الحاكم صحح احاديث ، حكم عليها الذهبي و غيره بالوضع ، و كذلك ابن جريراخرج روايات في تفسيره ، حكم عليها الحافظ بالوضع , و الكذب و لو سلمنا اسنادها الى ابن عباس ، فلاينافي ذلك ان تكون من الاسرائيليات الباطلة , الموضوعة عنه.
ثم انا نقول للهيثمي و من يرى رايه : اي فائدة نجنيها من ورا هذه المرويات التي لاتتقبلها عقول تلاميذ المدارس ، فضلاعن العلما؟ النبي (ص)، و اذا جاز هذا في عصور الجهل و الخرافات فلايجوز اليوم ، و قد اصبح رواد الفضا يطوفون حول الارض ، و يرونها معلقة في الفضا بلا عمد، و لا جبال ، و لا بحار، و لاصخرة استقرت عليها الارض ، فهذه الاسرائيليات مخالفة للحس و المشاهدة قطعا، فكيف نتعلق بها؟ قال الالوسي :و الذي اذهب اليه ما ذهب اليه القرافي ، من انه لا وجود لهذا الجبل بشهادة الحس ، فقد قطعوا هذه الارض ،برها و بحرها، على مدار السرطان مرات ,فلم يشاهدوا ذلك ، و الطعن في صحة الاخبار ـ و ان كان جماعة من رواتها ممن التزم تخريج الصحيح ـ اهون من تكذيب الحس ، و امر الزلازل لايتوقف امرها على ذلك الجبل ، بل هي من الابخرة ، المتولدة من شدة حرارة جوف الارض ، طلبها الخروج ، مع صلابة الارض ، فيحصل هذا الاهتزاز، و انكار ذلك مكابرة عند من له عرق من الانصاف ((626)) , و لاندري لو ان الالوسي عاش في عصرنا هذا، و وقف على ما وقفنا عليه من عجائب الرحلات الفضائية ، ماذاكان يقول ؟، ان كل مسلم ينبغي ان يكون له من العقل الواعي المتفتح ، و النظر الثاقب البعيد.
و اليك ما قاله عالم ناقد، سبق الالوسي بنحو خمسة قرون((627)) : فقد قال في تفسيره عند هذه الاية : و قد روى عن السلف انهم قالوا : (ق) : جبل محيط بجميع الارض يقال له : جبل قاف ، و كان هذا ـ و اللّه اعلم ـ من خرافات بني اسرائيل التي اخذها عنهم بعض الناس ، لما راى من جواز الرواية عنهم ، مما لايصدق ، و لايكذب و عندي : ان هذا، و امثاله ، و اشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم ، يلبسون به على الناس امر دينهم ، كما افتري في هذه الامة ـ مع جلالة قدر علمائها، و حفاظها،و ائمتهاـ احاديث عن النبي (ص)، و ما بالعهد من قدم ، فكيف بامة بني اسرائيل مع طول المدى ، و قلة الحفاظ النقاد فيهم ،و شربهم الخمور، و تحريف علمائهم الكلم عن مواضعه ، و تبديل كتب اللّه و آياته((628)) .
قال : و قد اكثر كثير من السلف من المفسرين ، و كذا طائفة كثيرة من الخلف ، من الحكاية عن كتب اهل الكتاب ، في تفسيرالقرآن المجيد، و ليس بهم احتياج الى اخبارهم ـ و للّه الحمد و المنة ـ ,حتى ان ابامحمد عبدالرحمان بن ابي حاتم الرازي (ره)اورد هنا اثرا غريبا، لايصح سنده عن ابن عباس ، ثم ساق السند، و المتن الذي

ذكرناه آنفا.
ثـم قال : فاسـناد هذا الاثر فيه انقطاع ـ اي راو سقط من رواته ـ و الذي رواه علي بن ابي طلحة , عـن ابـن عباس)) في قوله (ق) : هو اسم من اسما اللّه ، و الذي ثبت عن مجاهد ـ و هو من تلاميذ ابـن عباس الملازمين له ، الناشرين لعلمه ـ انه حرف من حروف الهجا، كقوله تعالي : (ص)، (ن) ,(حم)، (طس)، (الم)، فهذه تبعد ما تقدم عن ابن عباس ـ رضوان اللّه عليه ـ((629)) .

الاسرائيليات في تفسير (ن و القلم(

و من ذلك ما يذكر كثير من المفسرين في قوله تعالى : (ن و القلم) من انه الحوت الذي على ظهره الارض ، و يـسمى ((اليهموت))، و قد ذكر ابن جرير، و السيوطي روايات عن ابن عباس ، منها : ((اول مـا خـلق اللّه القلم ، فجرى بما هو كائن ، ثم رفع بخار الماء، و خلقت منه السماوات ، ثم خلق الـنـون , فـبـسطت الارض عليه ، فاضطرب النون ، فمادت الارض ((630)) , فاثبتت بالجبال و قد روي عـن ابـن عـباس ايضا : انه الدواة ، و لعل هذا هو الاقرب ، و المناسب لذكر القلم و قد انكر الزمخشري ورود((نون)) بمعنى الدواة ، في اللغة ، و روي عنه ايضا : انه الحرف الذي في آخر كلمة (الرحمن)، و ان هذا الاسم الجليل فرق في (الر) و (حم) و (ن.(
و اضـطـراب الـنقل عنه يقلل الثقة بما روي عنه ، و لاسيما الاثر الاول عنه ، و الظاهر انه افترا عليه ، او هو من الاسرائيليات الصق به.
و الـيـك مـا قـاله الامام ابن قيم الجوزية ، قال في اثنا كلامه على الاحاديث الموضوعة :
و من هذا حـديـث ان قـاف : جـبل من زمردة خضرا، محيط بالدنيا كاحاطة الحائط بالبستان ، و السما واضعة اكنافها عليه.
و مـن هـذا حـديـث : ان الارض عـلى صخرة ، والصخرة على قرن ثور، فاذا حرك الثور قرنه , تحركت الصخرة ، فهذا من وضع اهل الكتاب الذين قصدوا الاستهزا بالرسل و قال الامام ابوحيان في تفسيره : لايصح من ذلك شي ماعدا كونه اسما من اسما حروف الهجا((631)) .

اشهر كتب التفسير بالماثور

اهـم كـتـب تفسير القدما تعتمد الماثور في تفسير القرآن ، فيذكرون الاية و يعقبونها بذكر اقوال السلف من الائمة و الصحابة و التابعين ، و احيانا مع شي من ترجيح بعض الاقوال ، او زيادة استشهاد بـية او رواية او انشاد شعر و هذا ديدنهم في التفسير، لايتجاوزونه الا القليل اما التعرض بمعاني الـفلسفة او الكلام او الادب ، فشي حصل مع تاخير عن العهد الاول ، و من ثم فجل تفاسير القدما هي من نمط التفسير بالماثور، و اليك اشهرها:

1ـ جامع البيان للطبري

مـؤلـف هـذا التفسير هو ابو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري ، نسبة الى طـبـرسـتان ، هو من اهل آمل ،من بلاد مازندران ـ ايران ـ ولد بها سنة (224), و رحل في طلب العلم و هو شاب ، و طوف الاقاليم ، فسمع بمصر والشام و العراق ، ثم القى رحله و استقر ببغداد، و نشر علمه هناك ، الى ان توفي بها سنة (٣١٠).
كـان الـرجـل خبيرا بالتاريخ و باقوال السلف ، عالما فاضلا و ناقدا بصيرا و له بعض الاجتهاد في تـفسيره ، و ترجيح بعض الاقوال على بعض و قد اعتبر الطبري ابا للتفسير كما اعتبر ابا للتاريخ , و ذلك باعتبار جامعية تفسيره و سعته و شموله و يذكراقوال السلف بالاسانيد مما يستدعي الثقة به فـي نقله لكنه قد اكثر في النقل عن الضعفا و المجاهيل ، و لفيف من المعروفين بالكذب و الاختلاق , و لاسـيما جانب

اكثاره من نقل الاسرائيليات ، بما افسد و شوه وجه التفسير الامر الذي اخذ على تـفسيرابن جرير، حيث يذكر الروايات من غير تمييز بين صحيحها و سقيمها، و لا تعرض لبيان ضـعـيـفها عن قويها، و لعله حسب ان ذكر السند ـ و لو لم ينص على درجة الرواية قوة و ضعفا ـ يرفع المؤاخذة و التبعات عن المؤلف في حين ان تفسيره هذامشحون بالروايات الواهية و المنكرة , و الـموضوعات و الاسرائيليات ، و لاسيما عندما يتعرض لذكر الملاحم و الفتن ،و قصص الانبيا بالذات.
نـعم كان ابن جرير من المحدثين المكثرين ، و من الحشوية الذين يحشون حقائبهم بالغث و السمين , و مـمـن وصـفهم الامام الشيخ محمد عبده بجنون التحديث قال في ذيل آية البشارة لزكريا بيحيى)) : و لـولا الـجـنون بالروايات مهما هزلت و سمجت لما كان لمؤمن ان يكتب مثل هذا الهز و السخف الـذي يـنبذه العقل ، و ليس في الكتاب ما يشير اليه و لو لم يكن لمن يروي مثل هذه الروايات الا هذا لكفى في جرحه ، و ان يضرب بروايته على وجهه فعفا اللّه عن ابن جرير اذ جعل هذه الرواية مما ينشر((((632)) .
و مـن ثـم فـان تـفسير ابن جرير بحاجة الى نقد فاحص و تمحيص شامل ، كاحتياج كثير من كتب التفسير المشتملة على الموضوع و القصص الاسرائيلي و ليس ذكر السند بعاذر له ، و لايجري هنا قـولهم : من اسند لك فقد حملك البحث عن رجال السند، كما زعمه الاستاذ الذهبي((633)) , لان تجويز نشر مثل هذا الخضم من الموضوعات و الاسرائيليات ، لعله ذنب لايغفر، كمانوه عنه الامام عبده.
و عـلى اي تقدير، فان مثل تفسير ابن جرير يعد اليوم من خير كتب التفسير الجامعة لارا السلف و اقوالهم ، و لولاه لربماضاعت اكثر هذه الارا، فهو من امهات التفاسير المعتمدة في النقل و التفسير بـالماثور و نحن نعتمد صحة نقله ، و ان كان في المنقول على يديه كثير من الغث و الفاسد، مما الزم علينا النقد و التمحيص.

منهجه في التفسير و نقد الارا

انـه يـذكر الاية اولا، ثم يعقبها بتفسير غريب اللغة فيها، او اعراب مشكلها ,اذا دعت الحاجة الى ذلـك ، و ربـمـا يـستشـهدباشعار العرب و امثالهم و بعد ذلك ياتي الى تاويل الاية ، اي تفسيرها على الوجه الراجح ، فياتي بحديث او قول ماثور ان كان هناك راي واحد اما اذا ازدحمت الاقوال و الارا، فعند ذلك يذكر كل تاويل على حده ، و ربما رجح لدى تضارب الارا احدهاو اتى بمرجحاته ان لغة او اعتبارا، و ربما فصل الكلام في اللغة و الاعراب ، و استشـهاده بالشعر و الادب.
مثلا نراه عند قوله تعالى : (سوا عليهم اانذرتهم ام لم تنذرهم لايؤمنون ((634)) (يقول : و تاويل))سوا)) : معتدل ،ماخوذ من التساوي ، كقولك : متساو هذان الامران عندي ، و هما عندي سوا، اي هما متعادلان عندي و منه قول اللّه ـ جل ثناؤه ـ : (فانبذ اليهم على سوا ((635)) (يعني : اعلمهم و آذنهم بالحرب حتى يستوي علمك و علمهم ، بما عليه كل فريق منهم للفريق الاخر فكذلك قوله) : سـوا عـلـيـهـم) مـعتدل عندهم اي الامرين كان منك اليهم : الانذار ام ترك الانذار،لانهم كانوا لايؤمنون ، و قد ختمت على قلوبهم و سمعهم و من ذلك قول عبد اللّه بن قيس الرقيات:
تعذبني الشهبا نحو ابن جعفر ـــ سوا عليها ليلها و نهارها.
يعني بذلك : معتدل عندها في السير الليل و النهار، لانه لافتور فيه.
و منه قول الاخر:
و ليل يقول المر من ظلماته ـــ سوا صحيحات العيون و عورها.
لان الصحيح لايبصر فيه الا بصرا ضعيفا من ظلمته.
و امـا قـوله : (اانذرتهم ام لم تنذرهم لايؤمنون) فانه ظهر به الكلام ظهور الاستفهام ، و هو خبر ,لانه وقع موقع ((اي))، كماتقول : لانبالي اقمت ام قعدت ، و انت مخبر لامستفهم ، لوقوع ذلك موقع))اى))، و ذلـك ان مـعناه ـ اذا قلت ذلك ـ : مانبالي اى هذين كان منك ، فكذلك ذلك في قوله : (سوا عـلـيهم اانذرتهم ام لم تنذرهم) لما كان معنى الكلام : سوا عليهم اى هذين كان منك اليهم ، حسن في مـوضـعـه مع سوا

افعلت ام لم تفعل و قد كان بعض نحويي اهل البصرة يزعم ان حرف الاستفهام ان مادخل مع ((سوا)) و ليس باستفهام ، لان المستفهم اذا استفهم غيره فقال : ازيد عندك ام عمرو ,مستثبت صاحبه ايهما عنده ،فليس احدهما احق بالاستفهام من الاخر، فلما كان قوله : (سوا عليهم اانذرتهم ام لم تنذرهم) بمعنى التسوية ، اشبه ذلك الاستفهام ، اذ اشبهه في التسوية ، و قد بينا الصواب في ذلك.
فتاويل الكلام : اذا معتدل يا محمد على هؤلا الذين جحدوا نبوتك من احبار يهود المدينة ، بعد علمهم بها، و كتموا بيان امرك للناس بانك رسولي الى خلقي ، و قد اخذت عليهم العهد و الميثاق ان لايكتموا ذلك و ان يبينوه للناس ، و يخبروهم انهم يجدون صفتك في كتبهم ، اانذرتهم ام لم تنذرهم فانهم لايؤمنون و لايرجعون الى الحق ، و لايصدقون بك و بما جئتهم به.
كما حدثنا محمد بن حميد، قال : حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحاق عن محمد بن ابي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة ، او عن سعيد بن جبير عن ابن عباس : (سوا عليهم اانذرتهم ام لم تنذرهم لايؤمنون) اي انهم قد كفروا بماعندهم من العلم من ذكر، و جحدوا ما اخذ عليهم من الميثاق لك ، فقد كفروا بما جاك و بما عندهم مما جاهم به غيرك ،فكيف يسمعون منك انذارا و تحذيرا، و قد كفروا بما عندهم من علمك ((636)).
انظر الى هذا التفصيل في مجال الادب ، الذي ينبؤك عن سعة اضطلاعه بالادب و باقوال النحاة.
و نراه يقول في تاويل قوله ـ جل ثناؤه ـ :(ختم اللّه على قلوبهم و على سمعهم (((637))و اصل الختم : الطبع ،و الخاتم : الطابع ، يقال : منه ختمت الكتاب ، اذا طبعته .
فان قال لنا قائل : و كيف يختم على القلوب ، و انما الختم طبع على الاوعية و الظروف و الغلف ؟.
قيل : فان قلوب العباد اوعية لما اودعت من العلوم ، و ظروف لما جعل فيها من المعارف بالامور ,فمعنى الختم عليهاو على الاسماع التي بها تدرك المسموعات ، و من قبلها يوصل الى معرفة حقائق الانبا عن المغيبات ، نظير معنى الختم على سائر الاوعية و الظروف.
فان قال : فهل لذلك من صفة تصفها لنا فنفهمها، اهي مثل الختم الذي يعرف لما ظهر للابصار ام هي بخلاف ذلك ؟ قيل :قد اختلف اهل التاويل في صفة ذلك ، و سنخبر بصفته بعد ذكرنا قولهم.
ثم ذكر قول مجاهد، باسناده عن الاعمش ، قال : ارانا مجاهد بيده فقال : كانوا يرون ان القلب في مثل هذا، يعني الكف فاذااذنب العبد ذنبا ضم منه ، و قال باصبعه الخنصر هكذا فاذا اذنب ضم ، و قال باصبع اخرى فاذا اذنب ضم ، و قال باصبع اخرى هكذا، حتى ضم اصابعه كلها، قال : ثم يطبع بطابع قال مجاهد : و كانوا يرون ان ذلك الرين.
و ذكر قولا آخر لبعضهم : ان ((الختم)) هنا كناية عن تكبرهم و اعراضهم عن الاستماع لما دعوا اليه من الحق ، كما يقال : ان فلانا لاصم عن هذا الكلام ، اذا امتنع من سماعه و رفع نفسه عن تفهمه تكبرا.
قال : و الحق في ذلك عندي ما صح بنظيره الخبر عن رسول اللّه (ص) و هو ما رواه ابوهريرة , قال : قال رسول اللّه (ص) :ان المؤمن اذا اذنب ذنبا كان نكتة سودا في قلبه ، فان تاب و نزع و استغفر، صقل قلبه ، فان زاد زادت حتى يغلف قلبه ، فذلك ((الران)) الذي قال اللّه ـ جل ثنائه ـ) : كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون (((638)) .
فاخبر(ص) ان الذنوب اذا تتابعت على القلوب اغلفتها، و اذا اغلفتها اتاها حينئذ الختم من قبل اللّه و الطبع ، فلايكون للايمان اليها مسلك ، و لا للكفر منها مخلص ثم اخذ في مناقشة القول الثاني ، و فصل الكلام فيه على عادته في مناقشة الاقوال((639)) .
هذا منهجه في التفسير، و هو من خير المناهج المعروفة في التفسير بالماثور، و

مناقشة الارا المتضاربة في التفسير و حقاانه طويل الباع في هذا المجال ، سوا في النقل ام في النقاش.

موقفه تجاه اهل الراي في التفسير

انـه يقف في وجه اهل الراي في التفسير موقفا عنيفا، ويرى من اعمال الراي في تفسير كلام اللّه مـخـالفة بينة لظاهر دلائل الشرع ، و يشدد في ضرورة الرجوع الى العلم الماثور عن الصحابة و التابعين ، و ان ذلك وحده هو علامة التفسير الصحيح فمثلاعند ما تكلم عن قوله تعالى : (ثم ياتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس و فيه يعصرون ((640)) (نجده يذكر ما ورد في تفسيرها عن السلف , مـع توجيهه للاقوال و تعرضه للقرات ، بقدر ما يحتاج اليه تفسير الاية ، ثم يعرج بعد ذلك على من يـفـسرالقرآن برايه ، و بدون اعتماد منه على شي الا على مجرد اللغة ، فيفند قوله و يحاول ابطال رايـه فـيقول ما نصه : ((و كان بعض من لا علم له باقوال السلف من اهل التاويل ، ممن يفسر القرآن برايه على مذهب كلام العرب ، يوجه معنى قوله : (و فيه يعصرون) الى : و فيه ينجون من الجدب و القحط بالغيث ، و يزعم انه من العصر بمعنى المنجاة ، كما جا في قول ابي زبيدالطائي:
صاديا يستغيث غير مغاث ـــ و لقد كان عصرة المنجود.
اي المقهور.
و قول لبيد:
فبات و اسرى القوم آخر ليلهم ـــ و ما كان وقافا بغير معصر.
قال : و ذلك تاويل يكفي من الشهادة على خطئه ، خلافه قول جميع اهل العلم من الصحابة و التابعين.
قـال : و اما القول الذي روى الفرج بن فضالة عن علي بن ابي طلحة ـ ان يعصرون بمعنى يحلبون ـ فـقـول لا معنى له ، لانه خلاف المعروف من كلام العرب ، و خلاف ما يعرف من قول ابن عباس : انه عصر الاعناب و الثمرات ((641)).

نزعته التعصبية .

هـو بـالرغم من ادعا ابن اخته محمد بن العباس ابى بكر الخوارزمي انه شيعى ((642)) نراه يقف عند دلائل الايات الكريمة على فضيلة من فضائل آل الرسول (ص) موقف اهل النصب ، محاولا اخفا تلك الفضيلة.
مـن ذلـك تاويله آية المودة في القربى((643)) في قريش ، لتحمي النبى و تمنعه شر الاعدا، و نفى بشدة ان يكون المقصود هم اهل بيته الاطيبين.
قـال : الايـة خـطـاب مـع قريش لتحفظ قرابته فيهم فتحميه و تمنعه شر الاعدا، فقد طلب اليهم الموادة لكونهم ذوي رحم له ، حتى و ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا فقد كان لرسول اللّه (ص) قرابة فـي جـميع قريش ، فلما كذبوه و ابوا ان يبايعوه ، قال : ياقوم اذا ابيتم ان تبايعوني فاحفظوا قرابتي فيكم ، لايكن غيركم من العرب اولى بحفظي و نصرتي منكم.
ثـم ذكـر وجوها ثلاثة اخر : طلب الموادة مع قرابته اهل بيته ، و طلب القربى الى اللّه و الزلفى لـديـه تعالى ، و صلة الارحام بعضهم مع بعض ثم يحاول ترجيح الوجه الذي ذكره على هذه الوجوه الثلاثة ، و يستند في ترجيحه الى موضع ((في)) في قوله :(الموودة في القربى) يقول : اذ لاوجه مـعـروفـا لدخول ((في)) في هذا الموضع و كان ينبغى على سائر الوجوه ان يكون التنزيل ((الا مودة القربى)) او ((المودة بالقربى)) او ((ذا القربى)) على الترتيب.
قـال : و اولـى الاقوال في ذلك بالصواب و اشبهها بظاهر التنزيل ، قول من قال : معناه قل لااسالكم عليه اجرا ـ يا معشرقريش ـ الا ان تودوني في قرابتي منكم و تصلوا الرحم التي بيني و بينكم ، و انـما قلت : هذا التاويل اولى بتاويل الاية ، لدخول ((في)) في قوله : (الا المودة في القربى) و لو كـان معنى ذلك على ما قاله من قال : الا

ان تودوا قرابتي او تقربوا الى اللّه ، لم يكن لدخول ((في ((فـي الـكلام في هذا الموضع وجه معروف ، و لكان التنزيل ((الا مودة القربى)) ان عنى به الامر بـمودة قربى الرسول ،او ((الا المودة بالقربى)) او ((ذا القربى)) ان عنى به التودد و التقرب و فـي دخول ((في)) في الكلام اوضح دليل على ان معناه : الا مودتي في قرابتي منكم ، و ان الالف و الـلام فـي الـمودة ادخلتا بدلا من الاضافة و قوله ((الا)) في هذا الموضع استثنا منقطع ،و معنى الكلام : ((قل لااسالكم عليه اجرا، لكني اسالكم المودة في القربى. ((644)) ((

لـكنها محاولة فاشلة ، و في نفس الوقت فاضحة ، اذ كيف يخفى على ذي لب ان مثل هكذا مواجهة مما يـمتنع مع قوم ناكرين و مستهزئين بموقف النبي الكريم ، انهم رفضوا دعوته و لجوا في معاندته ، و حـاولوا بكل جهدهم في تقويض دعائم الدعوة و الكسر من شوكتها ثم جا يطالبهم الاجر عليها، او يرغبهم في نصرته عليها ان هذا الا احتمال موهون ، و ازرابمقامه (ص) المنيع.

انـه (ص) لايـمد يد الوداد الى اعدا اللّه ، حتى و لو كانوا ذوي قرابته ، فكيف يطالبهم الموادة في قرباه اوليا تلقون اليهم بالمودة. ((645)) (

و امـا الـذي ذكـره دلـيـلا على اختياره ، فليته لم يذكره ، اذ يتنافى ذلك تنافيا كليا مع ما لمسناه في الرجل من براعة في الادب هذا الامام جار اللّه الزمخشري يصرح بنقيض اختيار الطبري و يسلك مسلكا نزيها مشرفا، و تبعه على ذلك عامة اهل النظرو الاختيار في التفسير.

قال : ما معنى قوله : (الا المودة في القربى)؟ فاجاب بقوله:

قـلت : جعلوا مكانا للمودة و مقرا لها، كقولك : لي في آل فلان مودة ، و لي فيهم هوى و حب شديد ,تريد : احبهم و هم مكان حبي و محله.

قـال : و لـيـست ((في)) بصلة ـ اي متعلقة ـ للمودة ، كاللا م اذا قلت : الا المودة للقربى ، انما هي متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به في قولك : المال في الكيس ، و تقديره : الا المودة ثابتة في القربى و متمكنة فيها و القربى : مصدر كالزلفى و البشرى ،بمعنى : قرابة و المراد : اهل القربى.

قال : روي انها لما نزلت قيل : يا رسول اللّه (ص) من قرابتك ، هؤلا الذين وجبت علينا مودتهم ؟ قال :عـلـي و فـاطـمـة و ابناهما و اتبعها بروايات اخر في هذا الشان ، جزاه اللّه عن آل محمد خير الجزا((646)) .

2ـ تفسير العياشي

تاليف ابي النضر محمد بن مسعود بن محمد بن عياش السلمي السمرقندي المتوفى سنة (٣٢٠) كان مـن اعلام المحدثين ، سمع جماعة من شيوخ الكوفيين و البغداديين و القميين كانت داره معهد علم و دراسـة ، و كانت محل روادالحديث بين ناسخ او مقابل او قار او معلق و قد انفق جميع تركة ابيه ـ ثلاثمئة الف دينار ـ في طلب العلم و تحصيله و بثه و نشره قالوا : و كان اكثر اهل المشرق علما و ادبا و فضلا و فهما و نبلا في زمانه و كان له مجلسان : مجلس للخواص ،و مجلس للعوام.

قال ابن النديم : انه من بني تميم ، من فقها الشيعة الامامية ، اوحد دهره و زمانه في غزارة العلم.

و لـكـتـبـه بـنواحي خراسان شان من الشان و هو شيخ ابي عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الـكـشـي ، صاحب كتاب الرجال و كتبه ما ينوف على مئتي كتاب و رسالة كان في حداثة سنه عامي المذهب ، ثم استبصر و خدم الاسلام في مصنفاته الكثيرة ، و علمه الغزير.

و له كتاب ((التفسير))، جمع فيه الماثور من ائمة اهل البيت (ع) في تفسير القرآن ، و لقد اجاد و افاد، و ذكر الروايات باسانيدها في دقة و اعتبار.

غـير ان هذا التفسير لم يصل الينا الا مبتورا فقد بتره اولا ناسخه ، حيث اسقط الاسانيد، و اقتصر عـلى متون الاحاديث ،معتذرا بانه لم يجد في دياره من يكون عنده سماع او اجازة من المؤلف ، فلذلك حـذف الاسانيد و اكتفى بالباقي و من ثم قال

المولى المجلسي بشانه : ان اعتذاره هذا اشنع من فعلته بحذف الاسانيد.
و الجهة الاخرى في بتر الكتاب ، عدم العثور على الجز الثاني من جزئي التفسير، فان هذا الموجود ينتهي الى نهاية سورة الكهف ، و لم توجد بقيته.
نعم هناك بعض المتقدمين ، نقلوا منه احاديث باسانيد كاملة ، كانت عندهم منه نسخة كاملة ، منهم الحافظ الكبير عبيداللّه بن عبد اللّه الحاكم الحسكاني النيسابوري ، من اعلام القرن الخامس ، و من شيوخ مشايخ العلا مة الطبرسي ، صاحب التفسيرالاثري القيم ((مجمع البيان)) و ينقل عنه في تفسيره كثيرا ففي ((شواهد التنزيل)) للحاكم الحسكاني كثير من روايات العياشي ،ينقلها فيه بالاسانيد التامة((647)) .
منهجه في التفسير.
انه يسترسل في ذكر الايات ، في ضمن احاديث ماثورة ، عن اهل البيت (ع) تفسيرا و تاويلا للايات الكريمة و لايتعرض لنقدها جرحا او تعديلا، تاركا ذلك الى عهدة الاسناد التي حذفت مع الاسف و يتعرض لبعض القرات الشاذة المنسوبة الى ائمة اهل البيت ، مما جات في سائر الكتب باسانيد ضعاف ، او مرسلة لا حجية فيها، و القرآن لايثبت بغير التواتر باتفاق الامة.
نراه عندما يتعرض لقوله تعالى : (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى و قوموا للّه قانتين ((648)) (يسند الى الامام ابي جعفر الباقر(ع) انه قراها : ((حافظوا على الصلوات و الصلاة الوسطى و صلاة العصر)) ثم قال : و كذلك كان يقرؤها رسول اللّه (ص.(
و في رواية زرارة عنه (ع) : هي اول صلاة صلا ها رسول اللّه (ص) و هي وسط صلاتين بالنهار :صلاة الغداة ، و صلاة العصر.
و قال (ع) في قوله تعالى : (و قوموا للّه قانتين) : في الصلاة الوسطى ، قال : نزلت هذه الاية يوم الجمعة و رسول اللّه (ص)في سفر، فقنت فيها، و تركها على حالها في السفر و الحضر.
و عن زرارة و محمد بن مسلم ، انهما سالا ابا جعفر(ع) عن هذه الاية ، فقال : صلاة الظهر و فيها فرض اللّه الجمعة ، و فيهاالساعة التي لايوافقها عبد مسلم ، فيسال خيرا الا اعطاه اللّه اياه.
و عن الامام الصادق (ع) قال : الصلاة الوسطى الظهر، (و قوموا للّه قانتين) : اقبال الرجل على صلاته ، و محافظته على وقتها، حتى لايلهيه عنها و لايشغله شي.
و اخيرا يذكر تاويلا للاية : ان الصلوات التي يجب المحافظة عليها هم : رسول اللّه ، و علي ، و فاطمة ، و ابناهما،(و قوموا للّه قانتين) : طائعين للائمة (ع. ((649)) (
كما انه عندما يروي عن الصادق (ع) تفسير ((السبع المثاني)) بسورة الحمد، يعرج الى نقل روايات تفسر باطن الاية الى الائمة قال : ان ظاهرها : الحمد، و باطنها : ولد الولد و السابع منها : القائم (ع. ((650)) (
و من ثم فانه عندما يرد في التاويل ، نراه غير مراع لضوابط التاويل الصحيح ، على ما اسلفنا بيانه , من كونه مفهوما عامامنتزعا من الاية بعد الغا الخصوصيات ليكون متناسبا مع ظاهر اللفظ، و ان كانت دلالته عليه غير بينة.

3ـ تفسير القمي

منسوب الى ابي الحسن علي بن ابراهيم بن هاشم القمي المتوفى سنة (٣٢٩) من مشايخ الحديث ، روى عنه الكليني و كان من مشايخه ، واسع العلم ، كثير التصانيف ، و كان معتمد الاصحاب قال النجاشي : ثقة ثبت معتمد صحيح المذهب و اكثر رواياته عن ابيه ابراهيم بن هاشم ، اصله من الكوفة و انتقل الى قم يقال : انه اول من نشر حديث الكوفيين بقم ، و هوايضا ثقة على الارجح ، حسن الحال.
و هذا التفسير، المنسوب الى علي بن ابراهيم القمي ، هو من صنع تلميذه ابي الفضل العباس بن محمد بن القاسم بن حمزة بن الامام موسى بن جعفر(ع) و هو تلفيق من املات القمي ، و قسط وافر من تفسير ابي الجارود زياد بن المنذرالسرحوب

المتوفى سنة (١٥٠) كان من اصحاب الامام ابي جعفر الباقر(ع) و هو راس الجارودية من الزيدية.
فكان ما اورده ابوالفضل في هذا التفسير من احاديث الامام الباقر، فهو من طريق ابي الجارود، و ما اورده من احاديث الامام الصادق (ع) فمن طريق علي بن ابراهيم ، و اضاف اليهما باسانيد عن غير طريقهما فهو مؤلف ثلاثي الماخذ، و على اى حال فهو من صنع ابي الفضل ، و نسب الى شيخه ، لان اكثر رواياته عنه ، و لعله كان الاصل فاضاف اليه احاديث ابي الجارودو غيره ، لغرض التكميل.
و ابوالفضل هذا مجهول الحال ، لايعرف الا انه علوى ، و ربما كان من تلاميذ علي بن ابراهيم ، اذ لم يثبت ذلك يقينا، من غير روايته في هذا التفسير عن شيخه القمي.
كما ان الاسناد اليه ايضا مجهول ، لم يعرف من الراوي لهذا التفسير عن ابي الفضل هذا.
و من ثم فانتساب هذا التفسير الى علي بن ابراهيم امر مشهور لا مستند له اما الشيخ محمد بن يعقوب الكليني ، فيروي احاديث التفسير عن شيخه علي بن ابراهيم من غير هذا التفسير، و لم نجد من المشايخ العظام من اعتمد هذا التفسير او نقل منه.
منهجه في التفسير.
يبدا هذا التفسير بذكر مقدمة يبين فيها صنوف انواع الايات الكريمة ، من ناسخ و منسوخ ، و محكم و متشابه ، و خاص و عام ، و مقدم و مؤخر، و ما هو لفظه جمع و معناه مفرد، او مفرد معناه الجمع , او ماض معناه مستقبل ، او مستقبل معناه ماض ، و ما الى ذلك من انواع الايات و ليست بحاصرة.
و بعد ذلك يبدا بالتفسير مرتبا حسب ترتيب السور و الايات آية فية ، فيذكر الاية و يعقبها بما رواه علي بن ابراهيم ،و يستمر على هذا النمط حتى نهاية سورة البقرة و من بدايات سورة آل عمران نراه يمزجه بما رواه عن ابي الجارود، و كذا عن غيره من سائر الرواة ، و يستمر حتى نهاية القرآن .

و هذا التفسير في ذات نفسه تفسير لاباس به , يعتمد ظواهر القرآن و يجري على ما يبدو من ظاهر اللفظ، في ايجازو اختصار بديع ، و يتعرض لبعض اللغة و الشواهد التاريخية لدى المناسبة ، او اقتضا الضرورة لكنه مع ذلك لايغفل الاحاديث الماثورة عن ائمة اهل البيت ، مهما بلغ الاسناد من ضعف و وهن ، او اضطراب في المتن ، و بذلك قد يخرج عن اسلوبه الذاتي فنراه يذكر بعض المناكير مما ترفضه العقول ، و يتحاشاه ائمة اهل البيت الاطهار لكنه قليل بالنسبة الى سائر موارد تفسيره فالتفسير في مجموعه تفسير نفيس لولا وجود هذه القلة من المناكير و قد اشرنا الى طرف من ذلك ، عند الكلام عن التفاسيرالمعزوة الى ائمة اهل البيت.

4ـ تفسير الحويزي (نور الثقلين(

تاليف عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي ، من محدثي القرن الحادي عشر، المتوفى سنة (١١١٢) كان على مشرب الاخبارية ، كان محدثا فقيها، و شاعرا اديبا جامعا سكن شيراز و حدث بها، و تتلمذ على يديه جماعة ، منهم السيد نعمة اللّه الجزائري ، و غيره.
انه جمع ما عثر عليه من روايات معزوة الى ائمة اهل البيت (ع) مما يرتبط نحو ارتباط بي الذكر الحكيم ، تفسيرا او تاويلا،او استشهادا او تاييدا و في الاغلب لا مساس ذاتيا للحديث مع الاية في صلب مفهومها او دلالتها، و انما تعرض لها بالعرض لغرض

الاستشهاد، و نحو ذلك ، هذا فضلا عن ضعف الاسانيد او ارسالها الا القليل المنقول من المجامع الحديثية المعتبرة.
و هو لايستوعب جمع آي القرآن ، كما انه لايذكر النص القرآني ، سوى سرده للروايات تباعا ,حسب ترتيب الايات و السورو لايتعرض لنقد الروايات و لاعلاج معارضاتها.
يقول المؤلف في المقدمة : ((و اما ما نقلت مما ظاهره يخالف لاجماع الطائفة فلم اقصد به بيان اعتقاد و لا عمل ، و انمااوردته ليعلم الناظر المطلع كيف نقل و عمن نقل ، ليطلب له من التوجيه ما يخرجه من ذلك ، مع اني لم اخل موضعا من تلك المواضع عن نقل ما يضاده ، و يكون عليه المعول في الكشف و الابدا. ((651)) ((
و بذلك يتخلص بنفسه عن مازق تبعات ما اورده في كتابه من مناقضات و مخالفات صريحة ، مع اسس قواعد المذهب الحنيف ، و يوكل النظر و التحقيق في ذلك الى عاتق القارئ.
و نحن نرى انه قصر في ذلك ، اذ كان من وظيفته الاعلام و البيان لمواضع الابهام و الاجمال ، كما فعله المجلسي العظيم في بحار انواره ، اذ رب رواية اوهنت من شان الدين فلا ينبغي السكوت عليها و المرور عليها مرور الكرام ، مما فيه اغراالجاهلين احيانا، او ضعضعة عقيدة بالنسبة الى مقام ائمة اهل البيت (ع) فلم يكن ينبغي نقل الرواية و تركها على عواهنها،الامر الذي اوجب مشاكل في عقائد المسلمين.
من ذلك انه يذكر في ذيل قوله تعالى : (ان اللّه لايستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها ((652)) (رواية مشوهة موهونة ، و ينسبه الى الامام الصادق (ع) : ((فالبعوضة : اميرالمؤمنين ، و ما فوقها : رسول اللّه. ((653)) ((
كما انه ينقل اخبارا مشتملة على الغلو و الوهن بشان الائمة و يسترسل في نقل الاسرائيليات و الموضوعات كما في قصة هاروت و ماروت ، و ان الزهرة كانت امراة فمسخت ، و ان الملكين زنيا بها و نحو ذلك من الاساطير الاسرائيلية و الاكاذيب الفاضحة((654)) , ملا بها كتابه ، و شحنه شحنا بلا هوادة.
منهجه في التفسير.
نعم انه يسرد الروايات سردا تباعا من غير هوادة ، يذكر الرواية تلو الاخرى ايا كان نمطها، و في اى بنية كانت صيغتها، انمايذكرها لانها رواية تعرضت لجانب من جوانب الاية باى اشكال التعرض.
مثلا ـ في سورة النسا ـ يبدا بذكر ثواب قراتها، فيذكر رواية مرسلة عن النبي (ص) ان من قراها فكانما تصدق على كل من ورث ميراثا، و لعل المناسبة ان السورة تعرضت لاحكام المواريث ، ثم ياتي لتفسير قوله تعالى : (يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ((655)) (فيذكر رواية :انهم قرابة الرسول و سيدهم اميرالمؤمنين ، امروا بمودتهم فخالفوا ماامروا به لم نعرف وجه المناسبة بين هذا الكلام و الاية الكريمة .
ثم يروي : ان حوا انما سميت حوا، لانها خلقت من حي فلو صح ، لكان الاولى ان يقال لها : حيا و هكذا يروي ان المراة سميت بذلك ، لانها مخلوقة من المر، اي الرجل ، لانها خلقت من ضلع آدم ثم يناقض ذلك بذكر رواية تنفي ان تكون خلقت من ضلع آدم ، بل انها خلقت من فاضل طينته.
في حين ان الصحيح في فهم الاية : ان حوا خلقت من جنس آدم ليسكن اليها، كما في قوله تعالى) : خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها. ((656)) (
و يذكر : ان النسا انما سمين نسا، لان آدم انس بحوا، فلو كان كذلك لكان الاولى ان يقال لهن)) : انسا.((
و يتعرض بعد ذلك لكيفية تزاوج ولد آدم ، و ينفي ان يكون قد تزوج الذكر من كل بطن مع الانثى من بطن آخر، لان ذلك مستنكر حتى عند البهائم و بلغه ان بهيمة تنكرت له اخته فنزا عليها، فلما كشف عنها انها اختها قطع غرموله((657)) باسنانه و خرمى تا.
و هكذا يذكر الروايات تباعا من غير نظر في الاسناد و المتون ، و لا مقارنتها مع اصول المذهب او دلالة العقول.
و نحن نجل مقام الائمة المعصومين عن الافادة بمثل هذه التافهات الصبيانية ، التي تحط من مقامهم الرفيع ، فضلا عن منافاتها مع رفعة شان القرآن الكريم.

نعم قد يوجد خلال هذه التافهات بعض الكلام المتين ، اذ قد يوجد في الاسقاط ما لايوجد في الاسفاط، لكنه من خلطالسليم بالسقيم ، الذي يتحاشاه ائمة اهل البيت (ع.(

5ـ تفسير البحراني (البرهان(

هو السيد هاشم بن سليمان بن اسماعيل الحسينى البحراني الكتكاني و هي قرية من قرى توبلى من اعمال البحرين توفي سنة (١١٠٧) كان من المحدثين الافاضل متتبعا للاخبار جماعا للاحاديث ، من غير ان يتكلم فيها بجرح او تعديل , او تاويل مايخالف العقل او النقل الصريح ، كما هو داب اكثر الاخباريين المتطرفين.
و في تفسيره هذا يعتمد كتبا لا اعتبار بها امثال : التفسير المنسوب الى الامام العسكري (ع) الذي هو من صنع ابي يعقوب يوسف بن محمد بن زياد، و ابي الحسن على بن محمد بن سيار، الاستراباديين و لم يعلم وجه انتسابه الى الامام الحسن العسكري (ع) و التفسير المنسوب الى علي بن ابراهيم بن هاشم القمي و هو من صنع ابي الفضل العباس بن محمد العلوي ،و نسب الى القمي من غير وجه وجيه و كتاب ((الاحتجاج)) المنسوب الى الطبرسي و لم يعرف لحد الان و كتاب ((سليم بن قيس الهلالي))، المدسوس فيه ، و غير ذلك من كتب لا اعتبار فيها، فضلا عن ضعف الاسناد او الارسال في اكثر الاحاديث التي ينقلها من هذه الكتب.
و مما يؤخذ على هذا التفسير انه يسند القول في التفسير الى الامام المعصوم ، اسنادا راسا، في حين انه وجده في كتاب منسوب اليه صرفا، مثلا يقول : قال الامام ابومحمد العسكري في تفسير الاية كذا و كذا، الامر الذي ترفضه شريعة الاحتياط في الدين((658)) .
و هذا التفسير غير جامع للايات ، و انما تعرض لايات جا في ذيلها حديث ، و لو في شطر كلمة و من ثم فهو تفسير غيركامل ، فضلا عن ضعف الاسانيد و ارسالها، و وهن غالبية الكتب التي اعتمدها، كما هو خال عن اى ترجيح او تاويل ، عندمختلف الروايات ، ولدى تعارض بعضها مع بعض .
منهجه في التفسير.
بدا المؤلف بمقدمة يذكر فيها فضل العلم و المتعلم ، و فضل القرآن ، و حديث الثقلين ، و النهي عن تفسير القرآن بالراي ،و ان للقرآن ظاهرا و باطنا، و انه مشتمل على اقسام من الكلام ، و ما الى ذلك .
و يبدا التفسير بعد المقدمات بمطلع جا في مقدمة التفسير المنسوب الى علي بن ابراهيم القمي ، من ذكر انواع الايات و صنوفها، حسبما جا في التفسير المنسوب الى محمد بن ابراهيم النعماني ، و هى رسالة مجهولة النسب لم يعرف مؤلفها لحدالان.
و بعد ذلك يرد في تفسير الايات حسب ترتيب السور فيذكر الاية اولا ثم يعقبها بما ورد في شانها من حديث ماثور عن احد الائمة المعصومين ، من غير ملاحظة ضعف السند او قوته ، او صحة المتن او سقمه.
نعم لا يعني ذلك ان الكتاب ساقط كله ، بل فيه من الاحاديث الغرر و الكلمات الدرر، الصادرة عن اهل بيت الهدى و مصابيح الدجى ، مايروي الغليل و يشفي العليل و الكتاب بحاجة الى تمحيص و نقد و تحقيق ، ليمتاز سليمه عن السقيم ،و الصحيح المقبول عن الضعيف الموهون.
فالكتاب بمجموعته موسوعة فريدة ، جمعت في طيها الاثار الكريمة التي زخرت بها ينابيع العلم و الهدى ، يجدها الباحث اللبيب عند البحث و التنقيب ، في هذا التاليف الذي جمع بين الغث و السمين.

6ـ الدر المنثور في التفسير بالماثور

لجلال الدين ابي الفضل ، عبد الرحمان بن ابي بكر بن محمد السيوطي المتوفى سنة (٩١١) انحدر من اسرة كان مقرهامدينة اسيوط قيل : كانت الاسرة من اصل فارسي

، كانت تعيش في بغداد، ثم ارتحلت الى مصر.
كـان جلال الدين من اكبر الحفاظ و الرواة ، جماعا للاحاديث ، مولعا بمطالعة الكتب و النقل عنها، و بـذلـك اصـبـح راسـا في التاليف و التصنيف ، و جل تليفه ذات فوائد جمة شـريفة ، مما يشـهد بتبحره وسعة اطلاعه.
و قـد الـف السـيوطي تفسـيرا مبسـطا جمع فيه من الاثار باسـانيد الكتب المخرجة منها، ثم اختصره بحذف الاسـانيد، و هوالمعروف اليوم ب((الدر المنثور في التفسـير بالماثور)) يقول هو:
فلما الفت كتاب ((ترجمان القرآن)) و هو التفسـير المسـند عن رسـول اللّه (ص) و اصحابه ، و تم بحمداللّه في مجلدات فكان ما اوردته فيه من الاثار باسـانيد الكتب المخرجة منها، رايت قصور اكثر الـهمم عن تحصيله ، و رغبتهم في الاقتصار على متون الاحاديث ، دون الاسـناد و تطويله ، فلخصت مـنه هذا المختصر، مقتصرا فيه على متن الاثر، مصدرا بالعزو و التخريج الى كل كتاب معتبر، و سـميته ب((الدر المنثور في التفسـير بالماثور. ((659)) ((
و كـان قـد شـرع في تفسـير ابسـط و اوسـع ، جامع بين فنون الكلام و انواع التفسـير، لكنه لم يعرف اتمامه يقول عنه : و قدشـرعت في تفسـير جامع لجميع ما يحتاج اليه من التفاسـير المنقولة ، و الاقوال الـمقولة و الاسـتنباطات و الاشـارات و الاعاريب و اللغات و نكت البلاغة و محاسـن البدائع و غير ذلك ، بحيث لايحتاج معه الى غيره اصلا، و سـميته ب((مجمع البحرين و مطلع البدرين)) و هو الذي جعلت هذا الكتاب ((الاتقان)) مقدمة له و اللّه اسـال ان يعين على اكماله بمحمد و آله((660)) .
و قـد اقتصر المؤلف في الدر المنثور على مجرد ذكر الروايات ذيل كل آية ، بلا ان يتكلم فيها او يـرجح او ينقد او يمحص فهذا التفسـير فريد في باب ، من حيث الاقتصار على نقل الاثار، و توسعه فـي ذلـك و مـع ذلـك فانه لم يتحر الصحة ، و انما جمع بين الغث و السـمين ، و اورد فيه الكثير من الاسـرائيـلـيات و الاحاديث الموضوعة ، عن لسـان الائمة السـلف و من ثم فان الاخذمنه يحتاج الى امعان نظر و دقة و تمييز.

7ـ تفسير البرغاني (بحر العرفان(

للمولى صالح بن آغا محمد البرغاني القزويني الحائري المتوفى حدود سـنة .(1270)
لـه ثـلاثـة تفاسـير : كبير في سـبعة عشـر مجلدا، مخطوط، محفوظ في خزانة كتبه ، لدى ورثته بقزوين و وسـيط في تسـعة مجلدات و صغير في مجلد واحد.
اسـتـقصى فيه الاحاديث المروية عن الائمة الاطهار في التفسـير، و رتبها حسـب ترتيب الايات و الـسـور، و لكنه انما ذكرالروايات التي زعمها صالحة ، و ترك ما زعمه باطلا، صادرا من جراب النورة حسـب تعبيره.
فنراه عند سـرد روايات بد النسـل ، يقتصر على رواية التزاوج بالحورية و الجنية ، زاعما صحتها ,و يترك رواية تزاوج الذكرمن حمل و الانثى من حمل آخر، لزعم بطلانه.
فهو تفسـير بالماثور مع اعمال النظر في الاخذ و الترك فحسـب.

نمط آخر من التفسير بالماثور

هـنـاك نـمـط آخر من التفسـير بالماثور، يفسـر القرآن تفسـيرا حسـب المتعارف ، آية فية و جملة فـجـملة ، و كلمة فكلمة ، حسـبمايساعده اللغة و الفهم العرفي , لكنه يعتمد في حل معضلاته و رفع مـبـهماته على الماثور من الروايات فحسـب , لا غيرهن من ادوات التفسـير، بل و ربما غلب الاعتماد عـلـى النقل على الاعتماد على العقل و ا عمال النظر و الراي و الاجتهاد، فيظهربمظهر التفسـير النقلي اكثر من ظهوره بمظهر التفسـير النظري الاجتهادي.
و هـذا كـتفسـير المولى الفيض الكاشـاني ، و تفسـير الميرزا محمد المشـهدي ، و تفسـير شـب ر، مما كتب في عـهد متقارب ،بعد سـنة الالف من الهجرة.
و تفسـير السـمرقندي ، و الثعلبي ، و الثعالبي ، و البغوي ، و ابن كثير، و المحرر الوجيز،

من تفاسير اهل السنة ، كتبت في القرون الوسطى من الهجرة.
اذ كـل ذلك يعد من التفسير بالماثور، نظرا لكثرة الاعتماد على النقل في التفسير، و قلة النظر و الاجتهاد و اليك بعض الكلام عنها:

8ـ تفسير الصافي

للمولى محسن محمد بن المرتضى المعروف بالفيض الكاشاني ، المتوفى (١٠٩١) هو المحدث الفقيه و الفيلسوف العارف ، ولد بكاشان و نشا بها نشاة علمية راقية له تفسير كبير و متوسط و موجز، و سميت على الترتيب ب((الصافي و الاصفى و المصفى.((
يعتبر تفسيره هذا مزجا من الرواية و الدراية ، تفسيرا شاملا لجميع آي القرآن ، و قد اعتمد المؤلف في نقل عباراته على تفسير البيضاوي ، ثم على نصوص الاحاديث المروية عن ائمة اهل البيت.
و قدم لتفسيره مقدمة تشتمل على اثني عشر فصلا، بحث فيها عن مختلف شؤون القرآن وفضله و تلاوته و تفسيره و تاويله.
و تعتبر هذه المقدمة من احسن المقدمات التفسيرية ، التي اوضح فيها المولف مواضع اهل التفسير في النقل و الاعتمادعلى الراي ، و ما يجب توفره لدى المفسر عند تفسيره للقرآن ، من مؤهلات ضرورية.
و هذه الفصول سماهن مقدمات : كانت المقدمة الاولى ـ بعد الديباجة ـ في نقل ما جا في فضل القرآن ، و الوصية بالتمسك به و الثانية في ان علم القرآن كله عند اهل البيت (ع)، هم يعلمون ظاهر القرآن و باطنه ، علما شاملا لجميع آي القرآن الكريم و الثالثة في ان جل القرآن وارد بشان اوليا اللّه و معاداة اعدا اللّه و الرابعة في بيان وجوه معاني الايات من التفسيرو التاويل ، و الظهر و البطن ، و المحكم و المتشابه ، و الناسخ و المنسوخ ، و غير ذلك و الخامسة في المنع من التفسير بالراي و بيان المراد منه و السادسة في صيانة القرآن من التحريف و السابعة في ان القران تبيان لكل شي ، فيه اصول معارف الدين ،و قواعد الشرع المبين و الثامنة في القرآات و اعتبارها و التاسعة في نزول القرآن الدفعي و التدريجي و العاشرة في شفاعة القرآن و ثواب تلاوته و حفظه و الحادية عشرة في التلاوة و آدابها و الثانية عشرة في بيان مصطلحات تفسيرية اعتمدهاالمؤلف في الكتاب.
و هذا التفسير ـ على جملته ـ من نفائس التفاسير الجامعة لجل المرويات عن ائمة اهل البيت ان تفسيرا او تاويلا و ان كان فيه بعض الخلط بين الغث و السمين.
منهجه في التفسير.
يعتمد اللغة اولا، ثم الاعاريب احيانا، و بعد ذلك يتعرض للماثور من روايات اهل البيت (ع)، معتمدا على تفسير القمي و العياشي ، و غيرها من كتب الحديث المعروفة لكنه لايتحرى الصحة في النقل , و يتخلى بنفسه لمجرد ذكر مصدر الحديث ،الامر الذي يؤخذ عليه ، حيث في بعض الاحيان نراه يذكر الحديث ، و كان ظاهره الاعتماد عليه ، مما يوجب اغرا الجاهل ،فيظنه تفسيرا قطعيا للاية الكريمة ، و فيه من الاسرائيليات و الروايات الضعاف الشي الكثير.
و له في بعض الاحيان بيانات عرفانية قد تشبه تاويلات غير متلائمة مع ظاهر النص ، بل و مع دليل العقل و الفطرة.
مثلا نراه عندما يذكر قصة هاروت و ماروت ـ حسب الروايات الاسرائيلية ـ و تبعا لما ذكره البيضاوي في تفسيره : انهماشربا الخمر و سجدا للصنم و زنيا، نراه يؤول ذلك تاويلا غريبا ,يقول : لعل المراد بالملكين : الروح و القلب ، فانهما من العالم الروحاني ، اهبطا الى العالم الجسماني , لاقامة الحق ، فافتتنا بزهرة الحياة الدنيا، و وقعا في شبكة الشهوة ، فشربا خمر الغفلة ،و عبدا صنم الهوى ، و قتلا عقلهما الناصح لهما، بمنع تغذيته بالعلم و التقوى ، و محو اثر نصحه عن انفسهما، و تهي للزنى ببغي الدنيا الدنية التي تلي تربية النشاط و الطرب فيها الكوكب المسمى بزهرة ، فهربت الدنيا منهما و فاتتهما، لما كان من عاداتها ان تهرب من طالبيها، لانها متاع الغرور، و

بقي اشراق حسنها في موضع مرتفع ، بحيث لاتنالها ايدي طلا بها، مادامت الزهرة باقية في السما و حملهما حبها في قلبهما الى ان وضعا طرائق من السحر، و هو ما لطف ماخذه و دق ، فخيرا للتخلص منهما ,فاختارا بعد التنبه و عود العقل اليهما اهون العذابين ، ثم رفعا الى البرزخ معذبين ، و راسهما بعدالى اسفل ،الى يوم القيامة ((661)).

و لقد كان الاجدر به ـ و هو الفقيه النابه المحقق ـ ان ينبذ تلكم الروايات الاسرائيلية المشوهة , حتى و لو كانت بصورة الرواية عن اهل البيت افترا عليهم ، كان الاجدر به ان يتركها دون ارتكاب التاويل.

9ـ تفسير المشهدي (كنز الدقائق و بحر الغرائب(

للميرزا محمد بن محمد رضا بن اسماعيل بن جمال الدين القمي المعروف بالمشهدي ، لانه نشا بمشهد الامام علي بن موسى الرضا(ع) توفي حدود سنة (1125)و تتلمذ على يد المولى محسن الفيض الكاشاني ، و سار على منهجه في التفسير.

و تفسيره هذا هو حصيلة ما سبقه من امهات تفاسير اصحابنا الامامية ، جمع فيه لباب البيان و عباب التعبير اينما وجده ،طي الكتب و التليف السابقة عليه فقد اختار حسن تعبير ابي سعيد الشيرازي البيضاوي ـ كما فعله استاذه و شيخه المقدم المولى الفيض الكاشاني من قبل ـ كما انتخب من اسلوب الطبرسي في ((المجمع)) ترتيبه و تبويبه ، مضيفا اليه ما استحسنه من ((كشاف)) الزمخشري و))حواشي)) العلامة الشيخ البهائي ، فصار تاليفه مجموعة من خير الاقوال و احسن الاثار كما صرح هو في مقدمة تفسيره ، و حسبما جا في تقريظ العلامة المجلسي ، و المحقق الخوانساري على الكتاب ، و راجع مقدمتنا على التفسير.

و هذا التفسير جمع بين العقل و النقل ، فاعتمد الماثور من روايات معزوة الى ائمة اهل البيت (ع (مردفا لها بما سنح له خاطره من راي و نظر، او وجده في تاليف او اثر، و لم يدع مناسبة ادبية او كلامية او عرفانية الا اتى فيها ببيان ، منتهجا اثرشيخه الفيض في تفسير ((الصافي.((

و اما موقفه من الاسرائيليات و الموضوعات فهو موضع الرد و الاجتناب عنها، دون ذكر التفصيل , مثلا يذكر في قصة هاروت و ماروت ما يفندها، حيث يقول : و ما روي انهما مثلا بشرين و ركب فيهما الشهوة فمحكي عن اليهود.

و الخلاصة : كان لهذا التفسير مكانته في الجمع بين الرواية و الدراية ، و اعطا صورة واضحة للتفسير عند الامامية ،و يشتمل على ما في كتب التفسير من اللغة و الاعراب و البيان ، بشكل موجز رائع.

فهو تفسير جامع شامل لجوانب عدة من الكلام ، حول تفسير آي القرآن ، الامر الذي جعله فذا في بابه ، و فردا في اسلوبه ،و ممتازا على تفاسير جات الى عرصة الوجود، ذلك العهد.

و قد طبع عدة طبعات انيقه في مفتتح هذا القرن ـ الخامس عشر للهجرة ـ احسنها طبعة مؤسسة دار النشر التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة.

10ـ تفسير ابن كثير

للحافظ عماد الدين ، ابي الفدا، اسماعيل بن عمرو بن كثير، الدمشقي الفقيه المؤرخ الشافعي اخذ عن ابن تيمية ،و شغف بحبه ، و امتحن بسببه قال ابن شهبة في طبقاته : انه كانت له خصوصية بابن تيمية ، و مناضلة عنه ، و اتباع له في كثيرمن آرائه و كان يفتي برايه في مسالة الطلاق ، و امتحن بسبب ذلك و اوذي توفي سنة (٧٧٤)، و دفن بمقبرة الصوفية عندشيخه ابن تيمية و كان قد كف بصره في آخر عمره الذي ناهز السبعين.

و هو صاحب التاريخ الذي سماه : ((البداية و النهاية)) فكان مؤرخا مفسرا كابن جرير

الطبري.
و تفسيره هذا من اشهر ما دون في التفسير الماثور، بل من اجوده ، حيث اعتنى فيه مؤلفه بالرواية عن مفسري السلف ،ففسر كلام اللّه تعالى بالاحاديث و الاثار مسندة الى اصحابها، مع الكلام عما يحتاج اليه جرحا و تعديلا، و نقدا و تحليلا،و قدم له بمقدمة طويلة ، تعرض فيها لكثير من الامور التي لها تعلق و اتصال بالقرآن و تفسيره و لكن اغلب هذه المقدمة ماخوذبنصه من كلام شيخه ابن تيمية الذي ذكره في مقدمته ، في اصول التفسير.
و يمتاز في طريقته في التفسير بان يذكر الاية ، ثم يفسرها بعبارة سهلة جزلة ، و ان امكن توضيح الاية بية او آيات اخرى ذكرها، و قارن بينهما حتى يتبين المعنى و يظهر المراد، و هو شديد العناية و كثير الاحاطة بهذا الجانب من تفسير القرآن بالقرآن ، و لعل هذا الكتاب من اكثر ما عرف من كتب التفسير سردا للايات المتناسبة ، و مقارنة بعضها مع البعض ، لكشف المعنى المراد.
و بعد ذلك يشرع في سرد الاحاديث المرفوعة التي لها تعلق بالاية ، و يبين ما يحتج به و ما لايحتج به منها، ثم يردفهاباقوال الصحابة و التابعين ، و من يليهم من علما السلف .
و نجده احيانا يرجح بعض الاقوال على بعض ، و يضعف بعض الروايات ، و يصحح بعضا آخر منها ,و يعدل بعض الرواة ،و يجرح بعضا آخر، و هذا يرجع الى ما كان عليه من المعرفة باصول نقد الحديث ، و معرفة احوال الرجال.
و مما يمتاز به انه ينبه بين حين و آخر الى ما في التفسير الماثور من منكرات الاسرائيليات و الموضوعات ، و يحذر منهاعلى وجه الاجمال تارة ، و على وجه التعيين و البيان لبعض منكراتها تارة اخرى.
مثلا، هو في قصة هاروت و ماروت ، يراها متصادمة مع ما ورد من الدلائل على عصمة الملائكة , فان كان و لابد فهوتخصيص ، كما في شان ابليس على القول بانه من الملائكة ، ثم يذكر القصة نقلا عن الامام احمد في مسنده ، يرفعها الى النبي ،لكنه يشكك في صحة السند و رفعه و اخيرا يستغربها و يذكرها ايضا بطريقين آخرين و يستغربهما، و في نهاية الامر يقول :و اقرب ما يكون في هذا انه من رواية عبداللّه بن عمر عن كعب الاحبار، لا عن النبي ، اذن فدار الحديث و رجع الى نقل كعب الاحبار، عن كتب بني اسرائيل.
ثم يذكر الاثار الواردة في ذلك عن الصحابة و التابعين و يذكر عن علي (ع) انه لعن الزهرة ، لانها فتنت الملكين و يعقبه بقوله : و هذا ايضا لايصح و هو منكر جدا.
و يذكر عن ابن مسعود و ابن عباس و عن مجاهد ايضا، ثم يقول : و هذا اسناد جيد الى عبداللّه بن عمر، و اضاف : و قدتقدم انه من روايته عن كعب الاحبار.
و في النهاية يقول : و قد روي في قصة هاروت و ماروت عن جماعة من التابعين و قصها خلق من المفسرين من المتقدمين و المتاخرين ، و حاصلها راجع في تفصيلها الى اخبار بني اسرائيل ، اذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح ، متصل الاسناد الى الصادق المصدق المعصوم الذي لاينطق عن الهوى((662)) .
انظر الى هذا التحقيق الانيق بشان خرافة اسرائيلية غفل عنها اكثر المفسرين.
و كذا في قصة البقرة ، نراه يقص علينا قصة طويلة مسهبة و غريبة على ما ذكره المفسرون و يعقبها بقوله : و هذه السياقات عن عبيدة و ابي العالية و السدي و غيرهم ، فيها اختلاف ، و الظاهر انها ماخوذة من كتب بني اسرائيل ، و هي مما يجوز نقلها،و لكن لاتصدق و لاتكذب ، فلهذا لايعتمد عليها الا ما وافق الحق عندنا((663)) .
قوله : ((و هي مما يجوز نقلها)) هذا انما تبع في ذلك شيخه ابن تيمية في تجويز الحديث عن بني اسرائيل ، و لكن من غيرتكذيب و لا تصديق و قد تكلمنا في ذلك عند الكلام عن الاسرائيليات , و انه يجب نبذها و عدم نقلها، و لاسيما اذا كانت من الشائعات عندهم ، غير مثبتة في كتبهم ، و الاكثر هو من ذلك.
و هكذا في تفسير سورة ((ق))، يذكر عن بعض السلف انه جبل محيط بالارض ، ثم يعقبه بقوله : و كان هذا ـ و اللّه اعلم ـ من خرافات بني اسرائيل التي اخذها عنهم ، مما لايصدق و لايكذب ، و عندي ان هذا و امثاله و اشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم

، يلبسون به على الناس امر دينهم كما افتري في هذه الامة ـ مع جلالة قدر علمائها و حفاظها و ائمتها ـ احاديث عن النبي و ما بالعهد من قدم ، فكيف بامة بني اسرائيل مع طول المدى و قلة الحفاظ النقاد فيهم ، و شربهم للخمور، و تحريف علمائهم الكلم عن مواضعه ، و تبديل كتب اللّه و آياته و انما اباح الشارع الرواية عنهم في قوله : ((حدثوا عن بني اسرائيل و لاحرج)) فيما قد يجوزه العقل ، فاما فيما تحيله العقول و يحكم فيه بالبطلان و يغلب على الظنون كذبه ، فليس من هذاالقبيل((664)) .

11ـ تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز(

هو ابومحمد عبد الحق بن غالب بن عطية الاندلسي المغربى القرناطي كان عالما شغوفا باقتنا الكتب ، فكان فقيها عارفابالاحكام و الحديث و التفسير ,نحويا اديبا بارعا في الادب و النظم و النثر توفي سنة (٤٨١.(
و تفسيره هذا من اعظم التفاسير بالماثور، حيث ملؤه النقد و التحقيق و التمحيص فكانت له قيمته العلمية بين كتب التفسير، حيث اضفى مؤلفه عليه من روحه العلمية الفياضة ، ما اكسبه دقة و رواجا و قبولا.
يقول ابن خلدون عندما يتعرض لكتب التفسير بالماثور : فكتب الكثير من ذلك و نقلت الاثار الواردة فيه عن الصحابة و التابعين ، و انتهى ذلك الى الطبري و الواقدي و الثعالبي و امثال ذلك من المفسرين ، فكتبوا فيه ما شااللّه ان يكتبوه من الاثارو قد جمع المتقدمون في ذلك و اوعوا، الا ان كتبهم و منقولاتهم تشتمل على الغث و السمين و المقبول و المردود فامتلات التفاسير من المنقولات عندهم (مسلمة اليهود) في امثال هذه الاغراض (اسباب المكونات) اخبار موقوفة عليهم ، و ليست ممايرجع الى الاحكام ، فتتحرى في الصحة التي يجب بها العمل.
و تساهل المفسرون في مثل ذلك ، و ملاوا كتب التفسير بهذه المنقولات ، و اصلها ـ كما قلنا ـ عن اهل التوراة الذين يسكنون البادية ، و لاتحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك ، الا انهم بعد صيتهم و عظمت اقدارهم ، لما كانوا عليه من المقامات في الدين و الملة ، فتلقيت بالقبول من يومئذ.
فلما رجع الناس الى التحقيق و التمحيص ، و جا ابومحمد بن عطية من المتاخرين بالمغرب ، فلخص تلك التفاسير كلها،و تحرى ما هو اقرب الى الصحة منها، و وضع ذلك في كتاب متداول بين اهل المغرب و الاندلس ، حسن المنحى و تبعه القرطبي في تلك الطريقة على منهاج واحد، في كتاب آخر مشهور بالمشرق((665)) .
و بحق هو تفسير محرر من اقاصيص مشوهة اسرائيلية ، كانت دارجة لحد ذاك الحين فهو من خير التفاسير بالماثور، و قدطبع اخيرا، و خرجت منه مجلدات لحد الان.
و نجد اباحيان ـ في مقدمة تفسيره ـ يعقد مقارنة بين تفسير ابن عطية و تفسير الزمخشري ، فيقول :و كتاب ابن عطية انقل و اجمع و اخلص و كتاب الزمخشري الخص و اغوص ((666)).
و لهذا التفسير مقدمة جامعة نافعة تحتوي على مسائل ذات اهمية ، طبعت مستقلة عن التفسير، مع مقدمة كتاب ((المباني))قام بنشرهما المستشرق آرثر جفرى ، و طبعتا عدة طبعات.

12ـ تفسير الثعلبي (الكشف و البيان(

هو ابواسحاق احمد بن ابراهيم الثعلبي النيسابوري توفي سنة (٤٢٧) كان راسا في التفسير و العربية قال ابن خلكان : كان اوحد زمانه في علم التفسير، و صنف التفسير الكبير الذي فاق غيره من التفاسير((667)) و قال ياقوت : صاحب التصانيف الجليلة ،من التفسير الحاوي انواع الفرائد ,من المعاني و الاشارات ، و كلمات ارباب الحقائق ، و وجوه الاعراب و القرات ((668)) و هوصاحب كتاب ((العرائس)) في قصص الانبيا.
من ميزات هذا التفسير : توسعه في اللغة و الادب و الوجوه و القرات ، و الاحاطة بكلام

السلف ، و الاجادة في نقلهاو بسطها فقد كان مفسرنا كثير الشيوخ كثير الحديث صحيح النقل موثوق به((669)) , غير انه لم يتحر الصحة فيما ينقله من تفاسيرالسلف ، و من وقع فيما وقع فيه كثير من المفسرين المكثرين من النقل و قد جر على نفسه و على تفسيره ، بسبب هذه الكثرة من الاسرائيليات و الموضوعات ، ما جره اكثر المفسرين السلف من اللوم و النقد اللاذع و قد اعتمد روايات الشيعة ايضا في تفسيره ، الامر الذي اثار العتاب عليه بالخصوص ، و الا فهو و سائر اصحاب التفسير بالماثور سوا.

13ـ تفسير الثعالبي (الجواهر الحسان(

هو ابو زيد عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف الثعالبي ، توفي سنة (٨٧٦)كان من الائمة الرحالين في طلب العلم و طارصيته بالفضل و الزهد عن الدنيا و اصبح آية في علم الحديث ، و خلف كتبا كثيرا الفها على نمط اهل الحديث المكثرين.
انه يتعرض للقرات احيانا، و يدخل في الصناعة النحوية نقلا عن غيره ، و يذكر الروايات الماثور في التفسير، يذكرها بلااسناد، و يخوض الاسرائيليات خوضا بلاهوادة ، و فيه من آثار التعصب الشي الكثير و الخلاصة : ان تفسيره هذا لايوازن نظائره من تفاسير سالفة.

14ـ منهج الصادقين

للمولى فتح اللّه الكاشاني ، فقيه متكلم صاحب نظر و اختيار في التفسير، من علما العهد الصفوي له تفسير باللغة العربية باسم ((زبدة التفاسير)) و هذا التفسير وضعه باللغة الفارسية خدمة لابنا بلاده و هو اول تفسير فارسي اشتهر و طبع عدة مرات في عشر مجلدات ثم ظهر تفسير ابي الفتوح الرازي في عهد متاخر و الذي سبقه بقرون و قد اعتمد المفسر على اشهر التفاسيرالمعتمدة ، منها تفسير ابي الفتوح و مجمع البيان و البيضاوي و الكشاف و قد اعتنى بالروايات اعتنا البالغ و هو تفسير جيدلطيف.

النمط الثاني التفسير الاجتهادي

التفسير الفقهي (آيات الاحكام). التفاسير الجامعة.
التفسير في العصر الحديث.
التفاسير الادبية.
التفاسير اللغوية.
التفاسير الموجزة.
التفاسير العرفانية (التفسير الرمزي.
و الاشاري.(
النمط الثاني التفسير الاجتهادي.
و التفسير الاجتهادي يعتمد العقل و النظر اكثر مما يعتمد النقل و الاثر، ليكون المناط في النقد و التمحيص هو دلالة العقل الرشيد و الراي السديد، دون مجرد الاعتماد على المنقول من الاثار و الاخبار نعم لاننكر ان مزال الاقدام في هذا المجال كثيرة ،و عواقبه وخيمة ، و من ثم تجب الحيطة و الحذر و امعان النظر، بعد التوكل على اللّه و الاستعانة به ، الامر الذي يحصل عندحسن النية و الاخلاص في العمل المستمر، و اللّه من ورا القصد.
و العمل الاجتهادي في التفسير شي حصل في وقت مبكر، في عهد التابعين ، حيث انفتح باب الاجتهاد و اعمال الراي و النظر في التفسير، و شاع النقد و التمحيص في المنقول من الاثار و الاخبار و لم يزل يتوسع دائرة ذلك مع تقادم الزمان ، و مع تنوع العلوم و المعارف التي ما زالت تتوفر في الاوساط الاسلامية حينذاك.

و قد اسبقنا ان من ميزات تفسير التابعين ، فتح باب الاجتهاد و التوسع فيه ، و هكذا داب من جا بعدهم على التوسع في النظر،و التنوع في ابعاده و مراميه.
نعم كانت آفة ذلك ـ لدى الخروج عن دائرة التوقيف ، و ولوج باب النظر و اعمال الراي ـ هو خشية ان ينخرط التفسير في سلك التفسير بالراي الممقوت عقلا، و الممنوع شرعا، حيث لايؤمن من عاقبة ذلك ان تزل قدم او تهوي الى مكان سحيق ، و بالفعل قد سقط اناس كثير.
و من ثم تجب معرفة حدود ((التفسير بالراي)) و الوقوف على ثغوره ، و جوانبه و ابعاده ، لغاية الاجتناب عنه.
و نحن قد اوفينا الكلام حول مسالة ((التفسير بالراي ((670)) ((و يتلخص في ان الممنوع منه هو ما كان باحد وجهين:
1ـ الاستبداد بالراي في تفسير كلامه تعالى ، فيعتمد ما حانت له نظرته الخاصة ، غير مبال بما قاله العلما من قبله ، فيعمد الى تفسير آية ، اعتمادا على ما فهمه من لغة و ادب مجر د، من غير مراجعة لاقوال السلف و نظراتهم و توجيهاتهم ، و المسالك التي سلكوها في فهم الاية ، و ربما كانت قرائن و دلائل حافة ، لاينبغي التغافل عنهامن ذلك معرفة اسباب النزول ، و شرح الحوادث المقارنة لنزول الاية ، و المناسبة التي استدعت نزولها، و كذا الماثور من كلام النبي و الصحابة الاولين ، مما يعين على فهم كلام اللّه النازل على رسوله و انما يعرف القرآن من خوطب به ، فاغفال ذلك و اعفا الاثار و الدلائل المكتنفة ، حياد عن طريقة العقلا في فهم الكلام ، فضلا عن كلامه تعالى ، و من استبد برايه هلك ، كما قال الامام اميرالمؤمنين (ع.(
و ايضا فان علم التفسير، علم انحدر من نقطة اولى ثم توسع و تنوع ، كسائر العلوم التي ورثتها البشرية من اسلافها العلماو لاينبغي لعالم ان يعفي ما حققه الاسلاف ، و ليس له ان يبدا بما بدا به الاولون ، و الا لم تكن العلوم لتزدهر و تتوسع مع اطرادالزمان.
و الخلاصة : ان مراجعة الدلائل و الشواهد القرآنية ، الى جنب اقوال السلف و آرائهم ، شرط اساسي في معرفة كلام اللّه ، فمن استبد برايه من دون مراجعة ذلك ، هلك و اهلك.
و هذا معنى الحديث الوارد : ((من فسر القرآن برايه فاصاب فقد اخطا)) فلو فرض انه ربما اصاب الواقع صدفة ، لكنه قد اخطاالطريق التي تؤمن عليه الاصابة لدى العقلا.
2ـ ان يعمد الى آية فيحاول تطبيقها على رايه ـ مذهب او عقيدة او سلوك ـ ليبرر موضعه من ذلك , او يجعل ذلك داعية لعقيدته او سلوكه ، و هو ـ في الاغلب ـ يعلم ان لامساس للاية بذلك ، و انما هو تحميل عليها.
و العمدة : انه لم يرم فهم معنى الاية و تفسيرها الواقعي ، و انما رام دعم مذهبه و عقيدته باي وسيلة كانت ، و منها الاية ان وافق التقدير.
فهذا تحميل على الاية ، و ليس تفسيرا لها، و من ثم فليتبوا مقعده من النار.
روى ابوجعفر الصدوق باسناده الى الامام اميرالمؤمنين (ع) قال : قال رسول اللّه (ص) : قال اللّه)) : ما آمن بي من فسر برايه كلامي. ((671)) ((
و روى ابوجعفر الطبري باسناده عن ابن عباس عن النبي (ص) قال : ((من قال في القرآن برايه فليتبوا مقعده من النار. ((672)) ((
اذن فمن سلك طريقة العقلا في فهم الكلام ، و اعتمد الدلائل و الشواهد، و راجع اقوال السلف الصالح ، ثم اعمل نظره في فهم كلام اللّه ، لم يكن مفسرا بالراي ، لا مستبدا برايه و لا محملا برايه على القرآن الكريم ، و العصمة باللّه سبحانه.

تنوع التفسير الاجتهادي

و مما يجدر التنبه له ، ان التفسير الاجتهادي المبتني على اعمال الراي و النظر، يتنوع تنوعا حسب مواهب المفسرين و قدراتهم العلمية و الادبية ، و معطياتهم في العلوم و المعارف ، اذ كل صاحب فن و علم انما يجعل من صناعته العلمية وسيلة لفهم القرآن ، و ينظر اليه من الزاوية التي كانت مقدرته متركزة عليها، و من ثم تختلف براعة كل

مفسر عن غيره ، في الجهة التي كانت قدرته العلمية ابرع و امـتـن فـصاحب الادب الرفيع ، انما يفوق غيره في براعته الادبية في التفسير، و هكذا صاحب الفلسفة و الكلام و الفقه و اللغة ، و حتى صاحب العلوم الطبيعية و الرياضيات و الافلاك ، و نحو ذلك فـكل صاحب مهنة انما يبرع في عمله ، اذا خاض التفسير من جهة صناعته ، و من زاوية اختصاصه ، الامر الذي جعل من التفسير متنوعا، حسب معطيات اصحاب التفاسير .

و مـن ثم نستطيع ان ننوع الوان التفسير الى : ادبي و لغوي ، كلامي و فلسفي و عرفاني ، اجتماعي و عـلـمي ، و جامع بين امرين او امور من ذلك ، ليكون من النوع الجامع ، الذي يغلب اكثر التفاسير و لـيس معنى ذلك ان الاديب يتمحض تفسيره في الادب و اللغة محضا او الفقيه في الفقه محضا، و كذا الـمـتكلم و الفيلسوف و العارف و غيرهم ، بل انما يغلب على تفسيرالاديب صياغته الادبية ، و على تـفـسير الفقيه صياغته الفقهية , و هكذا و ان كان لايخلو سائر انواع التفسير مما كان في بعضهامن اختصاص.
امـا تـفاسير اصحاب المذاهب كالمعتزلة و الخوارج و الصوفية و امثالهم ، فهي اما داخلة في النوع الـكلامي او العرفاني ،وليس بخارج عن هذين اللونين ، و لذلك كان تنويعنا للتفسير يختلف عن تنويع الاخرين بعض الشي.
و عـليه فينقسم التفسير الاجتهادي الى : ادبي ، و فقهي ، و كلامي ، و فلسفي ، و عرفاني رمزي ، و صوفي اشاري ،و اجتماعي ، و علمي ، و جامع.
تـلـك اقـسـام لـلتفسير الغالبة عليه ، حسب الوان الاجتهاد فيه و لنتعرض للاهم من كتب التفسير المدونة على هذه الالوان.

التفسير الفقهي (آيات الاحكام(

و هـي الـتـفـاسير التي تتعرض للايات التي تتعلق بالاحكام التكليفية و الوضعية المرتبطة باعمال الـمكلفين ، و من ثم فهو من التفسير الموضوعي الذي له تعرض لجانب من الايات القرآنية قالوا : و يـقرب من نحو خمسمئة آية((673)) , لها تعلق مباشر باعمال المكلفين من عبادات و معاملات ، و الا فجميع آي القرآن هي دستورات عملية يجب على المسلمين ان يطبقوا حياتهم الفكرية و العملية عليها، دستورا عاما شاملا لمناحي الحياة كلها.
عـلـى ان الارجـح ان الايـات الـمـرتـبطة باعمال المكلفين ارتباطا تكليفيا في حياتهم ، تزيد على الخمسمئة ، بكثير، و هي الى الالفين آية اقرب منها الى الخمسمئة ، ذلك انا لو امعنا النظر في سائر الايـات ، و حققنا من فحواها العام ، مثلا : كان قوله تعالى ـ بشان المراة ـ : (اومن ينشا في الحلية و هو في الخصام غير مبين ((674)) (ناظرا الى جانب نفسيتها الخاصة الرقيقة الفارهة ، و قصورها الـذاتـي عن الخوض في خضم معارك الحياة ، و هي نظرة علمية بشان نفسية المراة ابداها القرآن الكريم.
لـكـن يـستفاد من ذلك ـ فقهيا ـ انها لاتصلح لتصدي الشؤون الادارية الشائكة من ذوات التشابك و الـتـصـادم العنيف ،و منها : امور القضا، التي هي بحاجة الى حدة و شدة ، من ورائهما تعقل و اختيار حـر، حيث المراة بطبيعتها اسيرة عاطفتهاو احاسيسها الرقيقة العاطفية الحادة ، مما تجرف بها عن امكان الخوض في معركة قضايا ذوات شجون ، و هي بحاجة الى صلابة و صمود و وعي ، و اختيار فكري تام.
المراة تنظر الى الحياة كمظاهر للزينة ، و تبهرها زبرجتها، و من ثم فجل اهتمامها التبرج بمباهج الـحياة الناعمة اما هي في خضم معاركها فضعيفة ، خائرة القوى ،

لاتستطيع ابدا ما في ضميرها ابدا كاملا لدى خصامها هي مع غيرها، فكيف بها و هي تريد الفصل في خصومات الاخرين.
و قد استفدنا من هذه الاية ، عدم جواز تصديها لمنصب القضا، و هي من المئات الايات التي اغفلت في كتب آيات الاحكام المعروفة.

اهم كتب آيات الاحكام

لا شك ان السنة الى جنب القرآن ، تفسير لجانب آيات احكامه ، فما صدر عن الرسول (ص) و بينته الصحابة الخيار و الائمة الاطهار، هي تفاسير فقهية ، ورثته الامة كابرا عن كابر، و لكن بشكل غير مدون و قد كان الصحابة و التابعون ، و كذا من بعدهم من علما و فقها، يراجعون القرآن فيما اشكل عليهم من احكام و تكاليف و فرائض و كانت الخلافات بين الصحابة و كذا بين التابعين و هكذا غيرهم من العلما، كانت ترجع الى كيفية فهم النص القرآني في الفرائض و غيرها، و الشواهد على ذلك كثير.
و ظل الامر على ذلك الى عهد ظهور ائمة المذاهب و الفقها المستنبطين من الكتاب و السنة و فيه وجدت حوادث للمسلمين لم يسبق لمن تقدم عليهم حكم عليها، حيث لم تكن في عهدهم و لم تكن مورد ابتلائهم حينذاك ، و هي التي اصطلحوا على تسميتها ب((المسائل المستحدثة)) و لاتزال تتجدد مسائل هي تمس حياة المسلمين ، في مختلف شؤونهم الفردية و الاجتماعية ، السياسية و الادارية و غيرها و هي كثير في كثير.
فكان كل فقيه ينظر في القرآن قبل كل شي ليحل تلك المشاكل ، و يجيب على تلكم المسائل ، في ظل توجيهاته الكريمة ،و يحكم عليها بالحكم الذي ينقدح في ذهنه ، و يعتقد انه الصحيح في رايه ، و يدعمه بما لديه من ادلة و براهين و هذه الاستنباطات كان منها ما يتفق فيه آرا الفقها، و كان منها ما تختلف و لكن من غير ان تظهر منهم بادرة تعصب في هذاالاختلاف ، و انما هو مجرد اختلاف نظر ,قابل للتفاهم و التشاور احيانا، لان الكل كانوا ينشدون الحق و يطلبون حكم اللّه الصحيح ، و ليس بعزيز على الواحد منهم ـ و هم جميعا يخلصون العمل للّه ـ ان يرجع الى راي مخالفه ان ظهر له الحق في جانبه.
و كان من نتيجة تلكم الخلافات في استنباط مباني الاحكام من القرآن الكريم ، ان دونت كتب مخصصة لعرض الخلاف و الوفاق ، في فهم معاني آيات الاحكام.

احكام القرآن ـ للجصاص الحنفي

هو ابوبكر احمد بن علي الرازي المشهور بالجصاص ، توفي سنة (٣٧٠) كان امام الحنفية في وقته و اليه انتهت رئاسة الاصحاب صاحب التليف الكثيرة , منها : احكام القرآن ، كتبه على مباني مذهب ابي حنيفة ، و يعد من اهم الكتب المدونة في الموضوع ، و لعله ابسط الكتب في ذلك ، و قد تعرض فيه لجوانب كثيرة من معاني آيات الاحكام في صورة مسهبة ، و مستوعبة كل جوانب الكلام ، بعيدا عن التعصب المذهبي في غالب ما يكتبه ، و ان كان الاستاذ الذهبي قد رماه بالتعصب لمذهب ابي حنيفة ، و تحامله على سائر الائمة لكنا لم نر تحاملا منه و لا تعصبا اعمى و انما هو بيان الحق ، حسبما يراه.
مثلا عند ما تعرض لقوله تعالى : (ثم اتموا الصيام الى الليل ((675)) (نجده يحاول ان يجعل الاية دالة على ان من دخل في صوم التطوع لزم اتمامه((676)) .
و قد عد الذهبي ذلك منه تعسفا و تعصبا لراي ابي حنيفة في ذلك ((677)).
قلت : لا تعسف و لا تعصب ، بعد ظهور الاية في ذلك ، نظرا لاطلاق لفظها، و هو مذهب المالكية ايضا و عند الشافعي و احمد الاتمام مسنون((678)) .
و الاختلاف في قضا صوم التطوع اذا لم يكن عن عذر، ناشئ عن اختلاف الاحاديث في ذلك ((679)) و الجصاص رجح القضا استنادا الى ظاهر اطلاق الاية ، فلم يكن هناك تعسف ، لانه استناد الى ظاهر الدليل ، كما لم يكن تعصبا لمذهب ابي

حنيفة بعد ذهاب مالك اليه ايضا.
و اما عند الشيعة الامامية فهو بالخيار في صوم التطوع ما بينه و بين الزوال ، و يكره بعد الزوال((680)) .
و عندما تعرض لقوله تعالى : (و اذا طلقتم النسا فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن ((681)) (قال الذهبي : نجده يحاول ان يستدل بالاية من عدة وجوه ، على ان للمراة ان تعقد نفسها بغير الولي و بغير اذنه((682)) .
و هذا ايضا استظهار لطيف من الاية الكريمة ، و لعل الاخرين غفلوها، على ان مسالة الولاية انما تكون على الابكار غيرالمتزوجات ، و ذلك على القول به ، و المشهور عدم الولاية اطلاقا نعم هو مندوب اليه.
و عندما تعر ض لقوله تعالى : (و آتوا اليتامى اموالهم و لا تتبدلوا الخبيث بالطيب ((683))و قوله : (و ابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم ((684)) (قال الذهبي : نجده يحاول ان ياخذ من مجموع الايتين دليلا لمذهب ابي حنيفة , القائل بوجوب دفع المال لليتيم اذا بلغ خمسا و عشرين سنة ، و ان لم يؤنس منه الرشد((685)) .
نعم هنا تعسف في الراي ، لانه اخذ باطلاق الاية الاولى و حملها على ما بعد هذا السن ، و ذلك لاتفاق الفقها على الاشتراط بايناس الرشد قبل ذلك ، فما لم يبلغ خمسا و عشرين ، لايدفع اليه ما لم يؤنس منه الرشد، و اما اذا بلغها فيدفع اليه مطلقا، و ذلك عملا بالايتين.
و هذا تعسف في الاستدلال ، لانه حمل للظاهر على بعض صوره من غير دليل ، على ان الاطلاق في الاية الاولى يجب تقييده بالاية الثانية ، و حمل المطلق على المقيد ليس ابطالا للمطلق ، كما زعمه الجصاص.
و مما اخذ عليه الذهبي حملته على مخالفيه ، بحيث لايعف لسانه عنهم قال : ثم ان الجصاص مع تعصبه لمذهبه و تعسفه في التاويل ، ليس عف اللسان مع الامام الشافعي ، و لا مع غيره من الائمة.
و كثيرا مانراه يرمي الشافعي و غيره من مخالفي الحنفية بعبارات شديدة ، لاتليق من مثل الجصاص , فمثلا عندما تعرض لاية المحرمات من النسا نجده يعرض الخلاف الذي بين الحنفية و الشافعية ، في حكم من زنى بامراة ، هل يجوز التزويج ببنتهااو لا؟.
و تمسك الشافعي بان الحرام لايحرم الحلال ، ثم ذكر مناظرة له مع سائل ساله : كيف تحرم بنت المنكوحة و لاتحرم بنت المزني بها؟ فاجابه الشافعي بان ذاك حلال و هذا حرام ، و لم يزد في الفرق بينهما على ذلك و هنا يقول الجصاص : فقد بان ان ما قاله الشافعي و ما سلمه له السائل كلام فارغ لا معنى تحته في حكم ما سئل عنه ثم يقول : ما ظننت ان احدا ممن ينتدب لمناظرة خصم ، يبلغ به الافلاس من الحجاج ، الى ان يلجا الى مثل هذا، مع سخافة عقل السائل و غباوته((686)) .
و في هذا الكلام اهانة بموضع الشافعي ، و فرضه فيمن لايعتد بشانهم.
قلت : لا شك ان استدلال الشافعي هنا ضعيف ، اذ كثير من المحرمات حرمن المحلا ت ، كما في مسالة اللواط يحرم اخته و امه و بنته على اللاطي ، و كالعقد على المعتدة و الدخول بها، و الزنى بذات البعل.
و حديث ((الحرام لايحرم الحلال)) وارد فيمن احل له فرج ثم زنى بامها او بنتها ((687)) فهو ناظر الى السابق ، اي الحلال الفعلي لا الحلال الشاني و من الغريب ان الشافعي هنا اخذ بالقياس مع الفارق.
و هكذا اخذ عليه الذهبي ميله الى مذهب الاعتزال ، و كذا تحامله على معاوية.
اما ميله الى الاعتزال فلانه نفى امكان رؤيته تعالى ، و حمله اخبار الرؤية على العلم لو صحت ((688)).
قلت : و هذا من كمال فضله ، حيث حكم العقل على النقل ، و هو داب المحصلين.
و اما تحامله على معاوية فمن ثبات عقيدته و صلابته في دينه ان معاوية بغى على امام زمانه و خرج عليه بالسيف ، فعلى كل مسلم منابذته و التحامل عليه بالسيف ، فضلا عن اللسان و سكوت بعض السلف في ذلك مراوغة خبيثة.
يقول الذهبي : اننا نلاحظ على الجصاص انه تبدو منه البغضا لمعاوية ، و يتاثر بذلك

في تفسيره , فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى : (اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا و ان اللّه على نصرهم لقدير الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق ـ الى قوله ـ الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلاة و آتوا الزكاة و امروا بالمعروف و نهوا عن المنكر و للّه عاقبة الامور ((689)) (يقول :و هذه صفة الخلفا الراشدين الذين مكنهم اللّه في الارض و فيه الدلالة الواضحة على صحة امامتهم ، لاخبار اللّه تعالى بانهم اذامكنوا في الارض اقاموا بفروض اللّه عليهم ، و قد مكنوا في الارض ، فوجب ان يكونوا ائمة قائمين باوامر اللّه ، منتهين عن زواجره و نواهيه و لايدخل معاوية في هؤلا، لان اللّه انما وصف بذلك المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم ، و ليس معاوية من المهاجرين ، بل هو من الطلقا((690)) .

و عند قوله تعالى : (وعد اللّه الذين آمنوا منكم و عملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض ((691)) (يقول : و فيه الدلالة على امامة الخلفا الاربعة ايضا، لان اللّه استخلفهم في الارض و مكن لهم كما جا الوعد، و لايدخل فيهم معاوية ، لانه لم يكن مؤمنا في ذلك الوقت ((692)).

و عند قوله : (و ان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفئ الى امر اللّه ((693)) (نجده يجعل عليا(ع) هو المحق في قتاله ، و معه كبرا الصحابة و اهل بدر من قد علم مكانهم ، و كان معاوية من الفئة الباغية ، لحديث عمار، و لم ينكره معاوية ، بل حاول تاويله((694))

قال الذهبي : فجعل عليا هو المحق و امامعاوية و من معه فهم الفئة الباغية ، و كذلك كل من خرج على علي (ع.(

قال : و ما كان اولى بصاحبنا ان يترك هذا التحامل على معاوية الصحابي ، و يفوض امره الى اللّه ، و لايلوي مثل هذه الايات الى ميوله و هواه((695)) .

قلت : و لعل نحوسة الدفاع عن معاوية قد اخذت صاحبنا الذهبي فانجرفت به الى مهاوي الضلال ، و اخيرا الى شر قتلة ،حشره اللّه مع مواليه((696)) .

احكام القرآن (المنسوب الى الشافعي المتوفى سنة٢٠٤ .(

جمعه الحافظ الكبير ابوبكر احمد بن الحسين بن علي البيهقي النيسابوري الشافعي ، صاحب السنن الكبري ، المتوفى سنة (٤٥٨.(

و الكتاب يشتمل على ما جا في كلام محمد بن ادريس الشافعي امام الشافعية ، من استناد و استشهاد بيات قرآنية ، في عامة ابواب الفقه ، فعمد البيهقي الى جمعه و ترتيبه و ابدائه في صورة تاليف مستقل قال البيهقي : فرايت من دلت الدلالة على صحة قوله ـ اباعبداللّه محمد بن ادريس الشافعي المطلبي ابن عم محمد رسول اللّه (ص) ـ قد اتى على بيان ما يجب علينامعرفته من احكام القرآن ، و كان ذلك مفرقا في كتبه المصنفة في الاصول و الاحكام ، فميزته و جمعته في هذه الاجزا على ترتيب المختصر، ليكون طلب ذلك منه على من اراد ايسر، و اقتصرت في حكاية كلامه على ما يتبين منه المراد دون الاطناب ،و نقلت من كلامه في اصول الفقه ، و استشهاده بالايات التي احتاج اليه من الكتاب ، على غاية الاختصار، ما يليق بهذا الكتاب.

و مما استند اليه الشافعي في مسائل العقيدة ، قوله تعالى : (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ((697)) (قال : فلماحجبهم في السخط، كان في هذا دليل على انهم يرونه في الرضا.

و هكذا استدل على ان المشيئة للّه بقوله تعالى : (و ما تشاؤون الا ان يشا اللّه (((698))قال : فاعلم خلقه ان المشيئة له((699)) .

و في مسائل اصول الفقه ، استند في حجية خبر الواحد بيات بعث الرسل ، الى كل امة برسول واحد ,ثم جعل يسردالايات في ذلك : (انا ارسلنا نوحا الى قومه ( ) ((700))و الى عاد اخاهم هودا) ((701)) (و الى ثمود اخاهم صالحا ((702)) (و غير ذلك من آيات قال : قاقام ـ جل ثناؤه ـ حجته على خلقه في انبيائه بالاعلام التي باينوا بها خلقه سواهم ، و كانت الحجة على من شاهد امور الانبيا دلائلهم التي باينوا بها

غيرهم ، و على من بعدهم ـ و كان الواحد في ذلك و اكثر منه سوا ـ تقوم الحجة بالواحد منهم قيامها بالاكثر و كذا اقام الحجة على الامم بواحد.
قال البيهقي : و احتج الشافعي بالايات التي وردت في القرآن في فرض طاعة رسول اللّه (ص) و من بعده الى يوم القيامة واحدا واحدا، في ان على كل واحد طاعته ، و لم يكن احد غاب عن رؤية رسول اللّه ، يعلم امره الا بالخبر عنه ، و بسط الكلام فيه ((703)).
و مما استدل به في مسائل الاحكام وهي الكثرة الكثيرة ما حدث الشافعي باسناده الى مجاهد، قال : اقرب ما يكون العبدمن اللّه ـ او الى اللّه ـ اذا كان ساجدا، الم تر الى قوله تعالى : (و اسجد و اقترب ((704)) (يعنى : افعل و اقرب قال الشافعي :و يشبه ما قال مجاهد، و اللّه اعلم ما قال ، اي ما قاله النبي (ص. ((705)) (
و في رواية حرملة عنه في قوله تعالى : (يخرون للاذقان سجدا ((706)) (قال الشافعي : و احتمل السجود : ان يخر،و ذقنه ـ اذا خر ـ تلى الارض ، ثم يكون سجوده على غير الذقن.
و استدل بية (ان اللّه و ملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه و سلموا تسليما ((707)) (بوجوب الصلاة عليه (ص) في الصلوات الفرائض قال : فلم يكن فرض الصلاة عليه في موضع ، اولى منه في الصلاة((708)) .
و من غريب استدلاله : انه فهم من قوله تعالى : (و بدا خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من مامهين ((709)) (ان المني طاهر، حيث كان اصل الانسان من ما و تراب ، و هما طاهران ، فخلق النسل من ما يدل على طهارته ايضا قال : بدا اللّه خلق آدم من ما و طين ، و جعلهما معا طهارة ، و بدا خلق ولده من ما دافق فكان في ابتدا خلق آدم من الطاهرين اللذين هما الطهارة دلالة لابتدا خلق غيره انه من ما طاهر لا نجس قال : المني ليس بنجس ، لان اللّه اكرم من ان يبتدئ خلق من كرمه من نجس قال : و لو لم يكن في هذا ـ اي طهارة المني ـ خبر عن النبي ، لكان ينبغي ان تكون العقول تعلم ان اللّه لايبتدئ خلق من كرمه و اسكنه جنته من نجس ثم ذكر الخبر الوارد في ان النبي (ص) لم يغسل ثوبه من مني اصابه((710)) .
و الكتاب مطبوع جزاين في مجلد واحد.

احكام القرآن لكياالهراسي الشافعي ايضا

هو عماد الدين ابوالحسن علي بن محمد بن علي الطبري المعروف بالكيا((711)) الهراسي فقيه شافعي ، اصله من خراسان ثم رحل الى نيسابور، و تفقه على امام الحرمين الجويني مدة حتى برع ، ثم خرج الى بيهق ثم الى العراق ، و تولى التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد، الى ان توفي سنة (٥٠٤. (
يعتبر كتابه هذا من اهم المؤلفات في احكام القرآن عند الشافعية ، ذلك لتعصب المؤلف فيه لمذهب الشافعي ، محاولا بكل جهده تفسير الايات في صالح مذهبه يقول في مقدمته : ((ان مذهب الشافعي اسد المذاهب و اقومها و ارشدها و احكمها،و ان نظر الشافعي في اكثر آرائه و معظم ابحاثه ، يترقى عن حد الظن و التخمين الى درجة الحق و اليقين و ان اللّه فتح له من ابوابه ، ويس ر عليه من اسبابه , و رفع له من حجابه ، ما لم يسهل لمن سواه ، و لم يتات لمن عداه)) هكذا يتعصب لمذهب الشافعي ، و يحاول ترجيحه على سائر المذاهب.
قال الذهبي : ان تقديم الكتاب بمثل هذا الكلام ناطق بان الرجل متعصب لمذهبه ، و شاهد عليه بانه سوف يسلك في كتابه مسلك الدفاع عن قواعد الشافعي و فروع مذهبه ، و ان اداه ذلك الى التعسف و التاويل قال : و دونك الكتاب ، لتقف على مبلغ تعصب صاحبه و تعسفه((712)) .
و له حملات عنيفة على الجصاص ، مقابلة له بالمثل ، فراجع الكتاب و الكتاب مطبوع اربعة اجزا في مجلدين.

احكام القرآن لابن العربي المالكي

هـو ابـوبكر محمد بن عبداللّه بن محمد المعافري الاندلسـي ، ختام علما الاندلس و آخر ائمتها و حفاظها، توفي سنة (٥٤٣) كان من اهل التفنن في العلوم و التبحر فيها، متكلما في انواعها، نافذا في جمعها، حريصا في طلبها.
و يـعـتـبـر هذا الكتاب مرجعا مهما للتفسير الفقهي عند المالكية ، حيث مؤلفه مالكي متاثر بمذهبه , فـظهرت عليه في تفسيره روح التعصب و الدفاع عنه ، و ربما حمل على مخالفيه حملة عشوا، بما لايتناسب و مقام الفقها العظام.
و عـلـى اي حـال ، فـهـو كـتاب حافل بالادب و اللغة مضافا الى عرض مذاهب السلف في الفتيا، و الاسـتـظـهار من كتاب اللّه تراه قد يطيل البحث بالقيل و القال ، وردا على مخالفي راي اصحابه ، من غـيـر جـدوى نـجده عند آية الوضؤ((713)) يتعرض لاصحاب الشافعي في اعتبارهم النية في الوضؤ، يقول : ظن ظانون من اصحاب الشافعي الذين يوجبون النية في الوضؤ، انه لما اوجب الوضؤ عند القيام الى الصلاة دل على انه اوجبه لاجله ، و انه اوجب به النية.
و هذا لايصح ، فان ايجاب اللّه سبحانه الوضؤ لاجل الحدث لايدل على انه يجب عليه ان ينوي ذلك , بـل يـجـوز ان يجب لاجله ، و يحصل دون قصد تعليق الطهارة بالصلاة و بنيتها لاجله و يسهب في الكلام هنا، و ينتهي الى قوله : فركب على هذاسفاسفة المفتين ، و اوردوا فيها نصا عمن لايفرق بين الظن و اليقين.
و يـنتقل بعد ذلك الى الكلام حول (و ايديكم)، فيقول : اليد عبارة عما بين المنكب و الظفر، و هي ذات اجـزاو اسـمـا، مـنـها المنكب و منها الكف و الاصابع ، و هو محل البطش و التصرف العام في المنافع ، و هو معنى اليدو غسلهما في الوضؤ مرتين : احداهما عند اول محاولة الوضؤ و هو سنة ، و الثانية في اثنا الوضؤ و هو فرض.
قوله : (الى المرافق) و ذكر اهل التاويل في ذلك ثلاثة اقاويل:
الاول : ان ((الـى)) بـمعنى ((مع))، كما قال تعالى : (و لاتاكلوا اموالهم الى اموالكم(((714))معناه : مع اموالكم.
الثاني : ان ((الى)) حد، و الحد اذا كان من جنس المحدود دخل فيه.
الثالث : ان المرافق حد الساقط لا حد المفروض قاله القاضي عبد الوهاب ، و ما رايته لغيره.
و تـحـقـيقه ان قوله : ((و ايديكم)) يقتضي بمطلقه من الظفر الى المنكب ، فلما قال : الى المرافق اسقط ما بين المنكب و المرافق ، و بقيت المرافق مغسولة الى الظفر و هذا كلام صحيح يجري على الاصول ، لغة و معنى.
و امـا قولهم : ان ((الى)) بمعنى ((مع)) فلا سبيل الى وضع حرف موضع حرف ، و انما يكون كل حـرف بـمـعـناه ، و تتصرف معاني الافعال ، و يكون التاويل فيها لا في الحروف و معنى قوله : (الى الـمـرافـق) على التاويل الاول : فاغسلوا ايديكم مضافة الى المرافق و كذلك قوله : (و لاتاكلوا اموالهم الى اموالكم) معناه : مضافة الى اموالكم.
و قـد روى الـدارقـطـنـي و غيره ، عن جابر بن عبداللّه : ان النبي (ص) لما توضا ادار الما على مرفقيه((715)) .
و مـمـا يـمـتاز به هذا الكتاب ، كراهته للاسرائيليات ، كما انه شديد النفرة من الخوض فيها، فهو عـنـدمـا تعرض لقوله تعالى : (ان اللّه يامركم ان تذبحوا بقرة ((716)) (نجده يقول : ((المسالة الـثانية)) في الحديث عن بني اسرائيل ، كثر استرسال العلما في الحديث عنهم في كل طريق و قد ثـبـت عن النبي انه قال : ((حدثوا عن بني اسرائيل و لا حرج)) و معنى هذا الخبر :الحديث عنهم بـمـا يخبرون به عن انفسهم و قصصهم ، لا بما يخبرون به عن غيرهم ، لان اخبارهم عن غيرهم مـفـتـقرة الى العدالة و الثبوت الى منتهى الخبر، و ما يخبرون به عن انفسهم فيكون من باب اقرار الـمر على نفسه او قومه ، فهو اعلم بذلك و اذااخبروا عن شرع لم يلزم قبوله ففي رواية مالك عن عـمر، انه قال : رآني رسول اللّه (ص) و انا امسك مصحفا قد تشرمت حواشيه((717)) فقال : ما هذا؟ قلت : جز من التوراة ((718)).
و الكتاب مطبوع في اربع مجلدات ، طبعة انيقة.

احكام القرآن ـ للراوندي (فقه القرآن(

تاليف الفقيه المحدث المفسر الاديب ، قطب الدين ابي الحسين سعيد بن هبة اللّه الراوندي ، المتوفى سنة (٥٧٣) كان فاضلا و عالما جامعا لانواع العلوم ، له مصنفات في مختلف العلوم الاسلامية ، فيما يقرب من ستين مؤلفا، من اجملها : منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، و عليه اعتمد ابن ابي الحديد في شرح النهج و منها هذا الكتاب الذي نحن بصدده ، و هو من خيركتب احكام القرآن و اقدمها و اجلها و هو مرتب حسب ترتيب ابواب الفقه ، حاويا في كل باب على آيات متناسبة مع فروع المسائل في ذلك الباب و من ثم فهو اشبه بالتفسير الموضوعي للايات المرتبطة بالاحكام و هو غاية في الايجاز و الاختصاربما اوجب ابهاما، في اكثر الاحيان.
مثلا يذكر قوله تعالى : (يسبح له فيها بالغدو و الاصال ، رجال لاتلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر اللّه و اقام الصلاة ((719)) (و يروي عن ابن عباس : كل تسبيح في القرآن صلاة.
و عن ابي جعفر و ابي عبداللّه (ع) : ان اللّه مدح قوما بانهم اذا دخل وقت الصلاة تركوا تجارتهم و بيعهم و اشتغلوا بالصلاة.
قال : و هذان الوقتان من اصعب ما يكون على المتبايعين ، و هما : الغداة و العشي ؟
ثم ذكر قوله تعالى : (قل ان صلاتي و نسكي و محياي و مماتي للّه رب العالمين لا شريك له. ((720)) (
قال : انما اضاف الصلاة الى اصل الواجبات من التوحيد و العدل ، لان فيها التعظيم للّه عند التكبير، و فيها تلاوة القرآن التي تدعو الى كل بر، و فيها الركوع و السجود، و هما غاية خضوع للّه ، و فيها التسبيح الذي هو تنزيه اللّه تعالى.
و انما جمع بين صلاته و حياته و احداهما من فعله والاخرى من فعل اللّه ، لانهما جميعا بتدبير اللّه ؟ و الكيفيات المفروضة في اول كل ركعة ثمانية عشر و في اصحابنا من يزيد في العدد و ان كانت الواجبات بحالها في القولين((721)) .
قلت : لايخفى مواضع الابهام و الاجمال في هذا الوجيز من الكلام.
و الكتاب مطبوع في مجلدين ، بتحقيق السيد احمد الحسيني ـ قم ـ.

احكام القرآن ـ للسيوري (كنز العرفان في فقه القرآن(

هو جمال الدين ابوعبداللّه المقداد بن عبداللّه بن محمد بن الحسين بن محمد السيوري الحلي الاسدي ، المعروف بالفاضل المقداد كان من اجلا الاصحاب و عظما المشايخ ، عالما فاضلا متكلما محققا فقيها توفي سنة (٨٢٦ ,(و دفن في النجف الاشرف.
و هو صاحب مؤلفات جليلة و قيمة ، منها هذا الكتاب ، و منها : التنقيح الرائع في شرح المختصر النافع ، في الفقه و منها :اللوامع في المباحث الكلامية و كتابه : ((النافع في شرح الباب الحادي عشر))، معروف.
و كتابه هذا ـ كنز العرفان ـ مرتب حسب ترتيب ابواب الفقه ايضا و قد طبع الكتاب جزاين في مجلد واحد، و هو كثيرالفائدة ، متوسع في البحث على اختصاره و يتعرض للمباحث اللغوية و الادبية المتناسبة ، في غاية الوجازة و الايفا، الامرالذي يدل على سعة باع المؤلف ، و تضلعه في الادب و اللغة و البيان ، مضافا الى قوة الاستدلال ، و صلابته في اقامة البرهان.

زبدة البيان في احكام القرآن للمقدس الاردبيلي

هو المولى الفقيه المحقق احمد بن محمد الاردبيلي المتوفى سنة (٩٩٣) كان اعلم اهل زمانه في الفقه و الكلام ، عظيم المنزلة رفيع الشان ، صاحب كتاب))مجمع الفائدة)) في شرح الارشاد.

و هـذا الـكـتـاب ايضا مرتب حسب ترتيب ابواب الفقه ، و لايتجاوز في البحث عن مسائل الاحكام الـعملية ، على غرار متون الكتب الفقهية البحتة و اكثر كتب آيات الاحكام التي الفها الاصحاب ، على ذلك ، لم يتجاوزوا حدود الاحكام و هو كتاب جيدحسـن الترتيب ، متين الاسـتدلال ، قوي البرهان.
مسالك الافهام ـ الى آيات الاحكام للفاضل الجواد الكاظمي هـو شـمـس الـدين ابوعبداللّه محمد الجواد بن سعد بن الجواد الكاظمي ، من اعلام القرن الحادي عشر و هو ايضا مرتب حسب ترتيب الفقه , مطبوع اربعة اجزا في مجلدين و هو من ابسط التفاسير الفقهية ، على مشرب اصحابنا الامامية ، و من اتقنها.

قلائد الدرر في بيان آيات الاحكام بالاثر

لاحـمـد بـن اسـمـاعيل بن عبدالنبي الجزائري ، المتوفى سنة (١١٥١) و هو من اجل كتب آيات الاحكام و انفعها، و اشـملهالفروع المسائل ، و هو مطبوع طبعة انيقة.

آيات الاحكام ـ للسيد الطباطبائي اليزدي

هـو الـسيد محمد الحسين اليزدي المتوفى (١٣٨٦) و هو مرتب حسب ترتيب السور، مع مقدمة وجيزة نافعة.

التفاسير الجامعة

و هو ثالث انواع التفسير التي ظهرت الى الوجود : التفسير النقلي (التفسير بالماثور)، ثم التفسير الـفـقـهـي (آيات الاحكام)،و ثالثا التفاسير الاجتهادية الجامعة ,و التي تعرضت لجوانب من الكلام النظري حول تفسير القرآن.
و هذه التفاسير الاجتهادية الجامعة من اقدم انواع التفسير بعد التفسير بالماثور، و تشمل الكلام في جـوانـب مـخـتلفة من التفسير، لغة و ادبا و فقها و كلاما، حسب تنوع العلوم و المعارف التي كانت دارجـة ذلـك العهد نعم كان قد يغلب على بعض هذه التفاسير لون التخصص الذي كان يتخصص فيه صاحب التفسير، من براعة في ادب او فقه او كلام غير ان ذلك لم يكديخرج بالتفسير عن كونه من التفسير الاجتهادي الجامع ، و ليس في طابع ذي لون واحد.
و نـحن ذاكرون الاهم من هذه التفاسير التي احتلت المحل الارفع في الاوساط العلمية ، طول عـهد الاسـلام ، و نضعها موضع دراسـتنا، بحثا ورا معرفة قيمتها في عالم التفسير :

التبيان ـ في تفسير القرآن لابي جعفر الطوسـي (٤٦٠ .(

هـو الـشيخ ابوجعفر محمد بن الحسـن بن علي بن الحسـن الطوسـي ، نسـبة الى))طوس)) من بلاد خراسـان ، الاهلة بالعلم و الثقافة و العمران ، و لاتزال معهدا للدراسـات الاسـلامية ، حيث مثوى الامام علي بن موسـى الرضا(ع)، و تعد اليوم من اكبرمدن ايران الاسـلامية المزدهرة.
و شيخنا العلامة الطوسـي ، يعد علما من اعلام الطائفة و شيخها المقدم و امامها الاسـبق ، سـباق العلوم و الـمـعارف الاسـلامية ، و القدوة العليا لمن كتب و الف في شـتى شـؤون العلوم الاسـلامية ، من فقه و تفسير و كلام ، فضلا عن الاصول و الرجال و الحديث.
و لقب بشيخ الطائفة ، لانه زعيمها و قائدها و سـائقها و معلمها الاول في مختلف العلوم.
ولـد بـطـوس فـي شـهر رمضان سـنة (٣٨٥) و هاجر الى بغداد سـنة (٤٠٨) ايام زعامة

عميد الطائفة محمد بن محمد بن النعمان المشتهر بالشيخ المفيد فلازمه ملازمة الظل ، و عكف على الاستفادة منه ، و ادرك ابن الغضائري و شارك النجاشي و بعد وفاة شيخه المفيد سنة (٤١٣) و انتقال الزعامة الى علم الهدى السيد المرتضى ، انحاز الشيخ اليه و لازم الحضور تحت منبره ، و عنى به المرتضى و بالغ في توجيهه و تلقينه و بقي ملازما له طيلة (٢٣) سنة ، حتى توفي السيد سنة (436)فاستقل شيخ الطائفة باعبا الامامة ، و ظهوره على منصة الزعامة ، و اصبح علما من اعلام الشيعة و منارا للشريعة ، و كانت داره في الكرخ ماوى الامة و مقصد الوفاد، ياتونه من كل صوب و مكان و تصدر كرسي الكلام في بغداد، بطلب من الخليفة القادر باللّه العباسي ، حيث لم يكن في بغداد يومذاك من يفوقه قدرا او يفضل عليه علما و معرفة ، بمباني الشريعة و اصول الكلام فيها.
و لم يزل شيخنا المعظم امام عصره و عزيز مصره ، حتى ثارت القلاقل و حدثت الفتن في بغداد، و اتسع ذلك على عهدطغرل بيك اول ملوك السلاجقة ، فانه ورد بغداد و كان اول ما فعل ان شن الاغارة على الكرخ ، و احرق مكتبة الشيعة هناك ،و التي انشاها ابونصر سابور بن اردشير، وزير بها الدولة البويهي و كان قد جمع فيها من كتب فارس و العراق ، و استجلب من بلاد الهند و الصين و الروم فكانت مكتبة ضخمة ثرية ، ربما تنوف كتبها على عشرات الالوف ، و اكثرها نسخ الاصل بخطوطالمؤلفين.
و من ثم اضطر شيخنا ابوجعفر الى الهجرة الى النجف الاشرف سنة (٤٤٩)، و استفرغ للعكوف على التاليف و التصنيف ،و فيها خرجت امهات كتبه و تليفه ، امثال : المبسوط، و الخلاف ، و النهاية في الفقه ، و التبيان في التفسير، و التهذيب ،و الاستبصار في الحديث ، و الاقتصاد، و التمهيد في الكلام ، و سائر كتبه الرجالية و غيرها.
فيا له من منبع علم و مدخر فضيلة ، ازدهر به العالم الاسلامي ، نورا و علما و حياة نابضة ، فقد بارك اللّه فيه و في عمره (٣٨٥ ـ ٤٦٠) ٧٥.
التعريف بهذا التفسير.
هو تفسير حافل جامع ، و شامل لمختلف ابعاد الكلام حول القرآن ، لغة و ادبا، قراة و نحوا، تفسيرا و تاويلا، فقها و كلامابحيث لم يترك جانبا من جوانب هذا الكلام الالهي الخالد، الا و بحث عنه بحثا وافيا، في وجازة و ايفا بيان.
يبدو من ارجاعات الشيخ في تفسيره الى كتبه الفقهية و الاصولية و الكلامية ، انه كتب التفسير متاخرا عن سائر كتبه في سائر العلوم ، و من ثم فان هذا الكتاب يحظى بقوة و متانة و قدرة علمية فائقة ، شان اي كتاب جا تاليفه في سنين عالية من حياة المؤلف.
و بحق فان هذا التفسير حاز قصب السبق من بين سائر التفاسير التي كانت دارجة لحد ذاك الوقت , و التي كانت اكثرهامختصرات ، تعالج جانبا من التفسير دون جميع جوانبه ، مما اوجب ان يكون هذا التفسير جامعا لكل ما ذكره المفسرون من قبل ، و حاويا لجميع ما بحثه السابقون عليه.
قال الشيخ في مقدمة تفسيره : فان الذي حملني على الشروع في عمل هذا الكتاب ، اني لم اجد احدا من اصحابنا قديماو حديثا من عمل كتابا يحتوي على تفسير جميع القرآن ، و يشتمل على فنون معانيه ، و انما سلك جماعة منهم في جمع مارواه و نقله و انتهى اليه في الكتب المروية في الحديث , و لم يتعرض احد منهم لاستيفا ذلك و تفسير ما يحتاج اليه ، فوجدت من شرع في تفسير القرآن من علما الامة ، بين مطيل في جميع معانيه ، و استيعاب ما قيل فيه من فنونه ـ كالطبري و غيره ـ و بين مقصر اقتصر على ذكر غريبه ، و معاني الفاظه و سلك الباقون المتوسطون في ذلك مسلك ما قويت فيه منتهم((722)) , و تركوا ما لا معرفة لهم به قال : و انا ان شا اللّه تعالى اشرع في ذلك على وجه الايجاز و الاختصار لكل فن من فنونه ، و لااطيل فيمله الناظر فيه ، و لا اختصر اختصارا يقصر فهمه عن معانيه.
فهو تفسير وسط جامع شامل ، حاويا لمحاسن من تقدمه ، تاركا فضول الكلام فيه مما يمل قارئيه , فجا في احسن ترتيب و اجمل تاليف ، فللّه دره و عليه اجره.
منهجه في التفسير.

اما المنهج الذي سلكه في تفسير القرآن ، فهو المنهج ا لصحيح الذي مشى عليه اكثر المفسرين المتقنين ، فيبدا بذكرمقدمات تمهيدية ، تقع نافعة في معرفة اساليب القرآن ، و مناهج بيانه و سائر شؤونه ، مما يرتبط بالتفسير و التاويل ، و المحكم و المتشابه ، و الناسخ و المنسوخ ، و معرفة وجوه اعجاز القرآن ، و احكام تلاوته و قراته ، و انه نزل بحرف واحد، و الكلام عن الحديث المعروف : نزل القرآن على سبعة احرف و التعرض لاسامي القرآن و اسامي سوره و آياته ، و ما الى ذلك.
اما صلب التفسير، فيبدا بذكر الاية ، و يتعرض لغريب لغتها، و اختلاف القراة فيها، ثم التعرض لمختلف الاقوال و الاراو ينتهي الى تفسير الاية تفسيرا معنويا في غاية الوجازة و الايفا و هكذا يذكر اسباب النزول ، و المسائل الكلامية المستفادة من ظاهر الاية ، حسب امكان اللغة و الادب الرفيع ، كما يتعرض للمسائل الخلافية في الفقه و الاحكام ، و مسائل الاعتقادو نحوها كل ذلك مع عف اللسان و حسن الادب في التعبير.
و مما يجدر التنبه له ، ان هذا التفسير يتعرض لمسائل علم الكلام ، في صبغة ادبية رفيعة ، و لايترك موضعا من الايات الكريمة التي جات فيها الاشارة الى جانب من مسائل العقيدة ، الا و تعرض لها، و اكثر في تفصيل و بسط كلام و هذا من اختصاص هذا التفسير.
يقول المؤلف في المقدمة : و سمعت جماعة من اصحابنا قديما و حديثا يرغبون في كتاب مقتصد ,يجتمع على جميع فنون علم القرآن : من القراة ، و المعاني ، و الاعراب ، و الكلام على المتشابه ، و الجواب عن مطاعن الملحدين فيه ، و انواع المبطلين ، كالمجبرة و المشبهة و المجسمة و غيرهم , و ذكر ما يختص اصحابنا به من الاستدلال بمواضع كثيرة منه ، على صحة مذهبهم في اصول الديانات و فروعها و انا ان شا اللّه تعالى اشرع في ذلك على وجه الايجاز و الاختصار لكل فن من فنونه ، و لاطيل ، فيمله الناظر فيه ، و لا اختصر اختصارا يقصر فهمه عن معانيه.
و لنذكر امثلة على ذلك:
مثلا عند تفسير قوله تعالى : (انما وليكم اللّه و رسوله و الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة و هم راكعون ((723)) (يقول:
و اعلم ان هذه الاية من الادلة الواضحة على امامة اميرالمؤمنين (ع) بعد النبي بلا فصل وجه الدلالة فيها انه قد ثبت ان الولي في الاية بمعنى الاولى و الاحق ، و ثبت ايضا ان المعنى بقوله : ((و الذين آمنوا)) اميرالمؤمنين فاذا ثبت هذان الاصلان ،دل على امامته.
ثم اخذ في بيان كون المراد من ((الولي)) في الاية هو الاولى بالامر، لانه المتبادر من اللفظ و استشهد بقول العرب ، و بايات و اشعار، و شواهد اخر و اخذ في بيان دلالة ((انما)) على الحصر ,كما اثبت من رواية اكثر المفسرين على نزولها في علي (ع(((724)) .

و عند قوله تعالى : (و لو ردوه الى الرسول و الى اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ((725)) (يروي عن الامام ابي جعفر(ع) : انهم الائمة المعصومون ، و قيل : هم امرا السرايا و الولاة ، و قيل : هم اهل العلم و الفقه الملازمين للنبي (ص)قال الجبائي : هذا لايجوز ,لان ((اولى الامر))، من لهم الامر على الناس بولاية قال الشيخ : و الاول اقوى ، لانه تعالى بين انهم متى ردوه الى اولي العلم علموه ، و الرد الى من ليس بمعصوم ، لايوجب العلم ، لجواز الخطا عليه بلا خلاف ، سوا اكانوا امراالسرايا، او العلما((726)) .
و عند قوله تعالى : (الا تنصروه فقد نصره اللّه اذ اخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما في الغار ,اذ يقول لصاحبه لاتحزن ان اللّه معنا، فانزل اللّه سكينته عليه و ايده بجنود لم تروها و جعل كلمة الذين كفروا السفلى و

كلمة اللّه هى العليا و اللّه عزيز حكيم. ((727)) (
قال : فيمن تعود ((الها)) اليه قولان : احدهما : قال الزجاج : انها تعود الى النبي (ص) و الثاني : قال الجبائي : تعود الى ابي بكر، لانه كان الخائف و احتاج الى الامن قال الشيخ : و الاول اصح ، لان جميع الكنايات قبل هذا و بعده راجعة الى النبي (ص) فلايليق ان يتخلل ذلك كله كناية عن غيره.
ثم قال : و ليس في الاية ما يدل على تفضيل ابي بكر، لان قوله : ((ثاني اثنين)) مجرد الاخبار ان النبي (ص) خرج و معه غيره و كذلك قوله : ((اذ هما في الغار)) خبر عن كونهما فيه و قوله)) : اذ يقول لصاحبه)) لا مدح فيه ايضا، لان تسمية الصاحب لاتفيد فضيلة ، الا ترى ان اللّه تعالى قال في صفة المؤمن و الكافر : (قال له صاحبه و هو يحاوره اكفرت بالذي خلقك ((728)) (
,و قوله)) : لاتحزن)) ان لم يكن ذما فليس بمدح ، بل هو نهي محض عن الخوف قوله : ((ان اللّه معنا))، قيل :ان المراد به النبي (ص)، و لو اريد به ابوبكر معه لم يكن فيه فضيلة ، لانه يحتمل ان يكون ذلك على وجه التهديد الى ان يقول :فاين موضع الفضيلة للرجل لولا العناد ثم اضاف : و لم نذكر هذا للطعن على ابي بكر، بل بى نا ان الاستدلال بالاية على الفضل غير صحيح ((729)).
و في مسالة ((العدل)) و تحكيم العقل في معرفة الصفات ، نراه يذهب مذهب اهل الاعتدال في النظر، فيؤول الايات على خلاف ما يراه اهل الظاهر من الصفاتيين ، من الاشاعرة و اهل القول بالجبر و التشبيه.
مثلا، في قوله تعالى : (ختم اللّه على قلوبهم و على سمعهم و على ابصارهم غشاوة. ((730)) (
يقول : ((ختم اللّه على قلوبهم)) اي شهد عليها بانها لاتقبل الحق يقول القائل : اراك تختم على كل ما يقول فلان ، اي تشهدبه و تصدقه ، و ذلك استعارة و قيل : ((ختم)) بمعنى طبع فيها اثرا للذنوب ، كالسمة و العلامة ، لتعرفها الملائكة فيتبراوا منهم ،و لايوالوهم ، و لايستغفروا لهم و قيل : المعنى انه ذمهم بانها كالمختوم عليها في انها لايدخلها الايمان ، و لايخرج عنها الكفرقال الشاعر:
لقد اسمعت لو ناديت حيا ـــ و لكن لا حياة لمن تنادي((731)).
ـــ و عند قوله : (صم بكم عمى فهم لا يرجعون ((732)) (يقول : والمعنى انهم صم عن الحق لايعرفونه ، لانهم كانوا يسمعون بذانهم و بكم عن الحق لاينطقون مع ان السنتهم صحيحة ، عمي لايعرفون الحق و اعينهم صحيحة ، كما قال : (و تراهم ينظرون اليك و هم لا يبصرون ((733)) (
قال : و هذا يدل على ان قوله : (ختم اللّه على قلوبهم) و (طبع اللّه عليها ((734)) (ليس هو على وجه الحيلولة بينهم و بين الايمان ، لانه وصفهم بالصم و البكم و العمى مع صحة حواسهم ، و انما اخبر بذلك عن الفهم الكفر و استثقالهم للحق و الايمان ، كانهم ما سمعوه و لاراوه ، فلذلك قال : (طبع اللّه على قلوبهم ((735)) (و (اضلهم ((736)) (و)اصمهم و اعمى ابصارهم ((737)) (و (جعلنا على قلوبهم اكنة ((738)) (
و (فلما زاغوا ازاغ اللّه قلوبهم ((739)) (و كان ذلك اخبارا عما احدثوه عند امتحان اللّه اياهم ، و امره لهم بالطاعة و الايمان ، لانه ما فعل بهم ما منعهم من الايمان.
و قد يقول الرجل : حب المال قد اعمى فلانا و اصمه ، و لايريد بذلك نفي حاسته ، لكنه اذا شغله عن الحقوق و القيام بمايجب عليه ، قيل : اصمه و اعماه و كما قيل في المثل : حبك الشي يعمي و يصم ، و يريدون ما قلناه و قال مسكين الدارمي:
اعمى اذاما جارتي خرجت ـــ حتى يواري جارتي الخدر.
و يصم عما كان بينهما ـــ سمعي و ما بي غيره وقر.
و قال آخر : اصم عما ساه سميع ، فجمع الوصفين((740)).

و عند قوله : (كذلك نطبع على قلوب المعتدين ((741)) (يقول : و ليس المراد بالطبع ـ في الاية ـ المنع من الايمان ، لان مع المنع من الايمان لايحسن تكليف الايمان((742)) .
مجمع البيان ـ في تفسير القرآن لابي علي الطبرسي.
هو امين الاسلام ابو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي ، نسبة الى ((طبرس)) على وزان جعفر معرب ((تفرش)) بكسرالرا مدينة عامرة قرب ((ساوة)) من بلاد ايران اما النسبة الى))طبرستان)) فهو طبري ، كما هو معروف.
علم شامخ من اعلام الامامية ، علامة فاضل ، جامع اديب ، و مفسر فقيه ، تتلمذ لدى مشايخ عصره الاجلا، منهم : الشيخ ابوعلي ابن شيخ الطائفة الطوسي ، و الشيخ ابوالوفا الرازي ، و السيد ابوطالب الجرجاني ، و السيد ابوالحمد مهدي بن نزارالحسيني القايني ، عن الحاكم ابي القاسم عبيدالله بن عبدالله الحسكاني ، و غيرهم هو من اعلام القرن السادس ، توفي سنة (٥٦١) على ما ذكره حاجي خليفة في ((كشف الظنون.((
و هو تفسير حاشد بالادب و اللغة و القرات و حججها، و يختص بالاحاطة برا المفسرين السلف و كان المؤلف قدجعل تفسير ((التبيان)) لشيخ الطائفة اسوة له في هذا المجال ، فجعله اصلا بنى عليه زيادات المباني و الفروع ، ذكر المؤلف بهذاالشان:
و قد خاض العلما قديما و حديثا في علم تفسير القرآن ، و اجتهدوا في ابراز مكنونه و اظهار مصونه ، و الفوا فيه كتباجمة ، غاصوا في كثير منها الى اعماق لججه ، و شققوا الشعر في ايضاح حججه ، و حققوا في تنقيح ابوابه ، و تغلغل شعابه ، الا ان اصحابنا لم يدونوا في ذلك غير مختصرات ، نقلوا فيها ما وصل اليهم في ذلك من الاخبار، و لم يعنوا ببسط المعاني و كشف الاسرار ,الا ما جمعه الشيخ الاجل السعيد ابوجعفر محمد بن الحسن الطوسي (قدس سره) من كتاب التبيان , فانه الكتاب الذي يقتبس منه ضيا الحق ، و يلوح عليه روا الصدق ، قد تضمن من المعاني الاسرار البديعة ، و احتضن من الالفاظ اللغة الوسيعة ،و لم يقنع بتدوينها دون تبيينها، و لابتنميقها دون تحقيقها، و هو القدوة استضي بانواره ,و اطا مواقع آثاره.
قدم على تفسيره مقدمات سبع ، بحث فيها عن تعداد آي القرآن ، و اسامى القرا المشهورين ، و ذكر التفسير و التاويل ،و اسامي القرآن ، و علومه و فضله و تلاوته ، و اثبت فيها صيانة القرآن من التحريف و الزيادة و النقصان ، و بين اجماع علماالامامية على ذلك ، و اتفاق آرائهم فيه.
منهجه في التفسير.
اما المنهج الذي سار عليه مفسرنا فهو منهج رتيب ، يبدا بالقرات ، فيذكر ما جا عن اختلاف القراة في الاية ، و يعقبهابذكر الحجج التي استندت اليها كل قراة ، ثم اللغة ثم الاعراب ، و اخيرا المعنى و قد يتعرض لاسباب النزول ، و القصص التي لها بعض الصلة بالايات و بحق قد وضع تفسيره على احسن ترتيب و اجمل تبويب يقول هو عن تفسيره:
و ابتدات بتاليف كتاب هو في غاية التلخيص و التهذيب ، و حسن النظم و الترتيب ، يجمع انواع هذا العلم و فنونه ،و يحوي فصوصه و عيونه ، من علم قراته و اعرابه و لغاته و و غوامضه و مشكلاته ، و معانيه و جهاته ، و نزوله و اخباره ،و قصصه و آثاره ، و حدوده و احكامه ، و حلاله و حرامه و الكلام عن مطاعن المبطلين فيه ، و ذكر ما ينفرد به اصحابنا من الاستدلالات بمواضع كثيرة منه ، على صحة ما يعتقدونه من الاصول و الفروع ، و المعقول و المسموع ، على وجه الاعتدال و الاختصار، فوق الايجاز و دون الاكثار فان الخواطر في هذا الزمان لاتحتمل اعبا العلوم الكثيرة ، و تضعف عن الاجرا في الحلبات الخطيرة ، اذ لم يبق من العلما الا الاسما، و من

العلوم الا الذما و هو بقية الروح في المذبوح.
قال : و قدمت في مطلع كل سورة ذكر مكيها و مدنيها، ثم ذكر الاختلاف في عدد آياتها، ثم ذكر فضل تلاوتها ثم اقدم في كل آية الاختلاف في القرات ، ثم ذكر العلل و الاحتجاجات ، ثم ذكر العربية و اللغات ، ثم ذكر الاعراب و المشكلات ، ثم ذكرالاسباب و النزولات ، ثم ذكر المعاني و الاحكام و التاويلات ، و القصص و الجهات ثم ذكر انتظام الايات.
ثم اني قد جمعت في عربيته كل غرة لائحة ، و في اعرابه كل حجة واضحة ، و في معانيه كل قول متين ، و في مشكلاته كل برهان مبين و هو بحمداللّه للاديب عمدة ، و للنحوي عدة ، و للمقرئ بصيرة ، و للناسك ذخيرة ، و للمتكلم حجة ، و للمحدث محجة ، و للفقيه دلالة ، و للواعظ آلة.
قال الذهبي بشان هذا التفسير : و الحق ان تفسير الطبرسي ـ بصرف النظر عما فيه من نزعات تشيعية و آرااعتزالية ـ كتاب عظيم في بابه ، يدل على تبحر صاحبه في فنون مختلفة من العلم و المعرفة و الكتاب يجري على الطريقة التي اوضحها لنا صاحبه ، في تناسق تام ، و ترتيب جميل و هو يجيد في كل ناحية من النواحي التي يتكلم عنها فاذا تكلم عن القرات و وجوهها اجاد، و اذا تكلم عن المعاني اللغوية للمفردات اجاد، و اذا تكلم عن وجوه الاعراب اجاد، و اذا شرح المعنى الاجمالي اوضح المراد، و اذا تكلم عن اسباب النزول و شرح القصص استوفى الاقوال و افاض ، و اذا تكلم عن الاحكام تعرض لمذاهب الفقها، و جهر بمذهبه و نصره ان كانت هناك مخالفة منه للفقها ,و اذا ربط بين الايات آخى بين الجمل ، و اوضح لنا عن حسن السبك و جمال النظم ، و اذا عرض لمشكلات القرآن اذهب الاشكال و اراح البال و هو ينقل اقوال من تقدمه من المفسرين معزوة لاصحابها، و يرجح و يوجه ما يختار منها.
ثم يقول عنه الذهبي : و اذا كان لنا بعض المخذ عليه فهو تشيعه لمذهبه و انتصاره له ، و حمله لكتاب اللّه على ما يتفق و عقيدته ، و تنزيله لايات الاحكام على ما يتناسب مع الاجتهادات التي خالف فيها هو و من على شاكلته و روايته لكثير من الاحاديث الموضوعة غير انه ـ و الحق يقال ـ ليس مغاليا في تشيعه ، و لامتطرفا في عقيدته ، كما هو شان كثير غيره ، من علماالامامية((743)) .
ثم يذكر الذهبي امثلة لما ظنه مؤاخذة على مفسرنا الجليل ، و حسب انه تعصب لها انتصارا لمذهبه في التشيع ، في حين انه ادى الكلام حقه و لم يفرط في القول ، كما انه لم يفرط كما فرط الاخرون من سائر المفسرين.
مثلا في قصة الخاتم عند تفسير قوله تعالى : (انما وليكم اللّه و رسوله و الذين آمنوا الذين يقيمون الصلا ة و يؤتون الزكاة و هم راكعون ((744)) (نراه يفصل في الكلام عن شان نزول الاية ، و دلالتها الصريحة في امامة مولانا اميرالمؤمنين (ع) بما اتم الحجة و بلغ في البيان.
اما الاستاذ الذهبي فلم يرقه ذلك ، و قال ناقما عليه : و لا شك ان هذه محاولة فاشلة ، فان حديث تصدق علي بخاتمه في الصلاة ـ و هو محور الكلام ـ حديث موضوع لا اصل له و قد تكفل العلامة ابن تيمية بالرد على هذه الدعوى في كتابه))ص ٣ ـ ٩((. ((745))
قلت : اترى ابن تيمية لم يتعصب لمذهبه في النصب لعلى وآل الرسول ، في انكاره لمنقبة هي من اكبر المناقب التي نزل بهاالقرآن الكريم ، و اذعن لها اهل العلم و التحقيق ، في الحديث و التفسير.
ان لهذا الحديث اسنادا متظافرة ـ ان لم تكن متواترة ـ اوردها جل اهل الحديث ، حتى ان الحاكم النيسابوري عده من الاحاديث التي رواها اهل مدينة عن اهل مدينة ، فقد رواه الرازيون عن الكوفيين((746)) , و قد تعددت طرقه و كثرت مخارجه.
قال ابن حجر العسقلاني : و اذا كثرت الطرق و تباينت مخارجها دل

ذلك على ان لها اصلا((747)) .
كيف ، و هذا الحديث قد اخرجها الائمة الحفاظ بعدة اسانيد، و فيها الصحاح صرح بذلك الحافظ ابوبكر ابن مردويه الاصبهاني ، قال : اسناد صحيح ، رجاله كلهم ثقات ، و هكذا ابن ابي حاتم الرازي((748)) .
و اورده جلال الدين السيوطي ، في اسباب النزول ، بعدة طرق ، و ذكر له شواهد، ثم قال : فهذه شواهد يقوي بعضهابعضا((749)) .
و قد استقصى العلامة الاميني موارد ذكر الحديث ، فانهاه الى (٦٦) موردا في امهات الكتب الحديثية ، و كتب المناقب و التفسير و الكلام ((750)).
و هذا الحديث مما سارت به الركبان ، و انشد فيه الشعرا، منهم حسان بن ثابت شاعر رسول اللّه (ص) حيث يقول:
اباحسن افديك نفسي و مهجتي ـــ و كل بطي في الهدى و مسارع.
ايذهب مدحي ذاالمحبر ضايعا ـــ و ما المدح في ذات الاله بضايع.
فانت الذي اعطيت اذ كنت راكعا ـــ فدتك نفوس القوم يا خير راكع.
بخاتمك الميمون يا خير سيد ـــ و يا خير شار ثم يا خير بايع.
فانزل فيك اللّه خير ولاية ـــ و بينها في محكمات الشرايع((751)) .
كل ذلك يدل على شيوعه و استفاضته بما لايكاد يمكن انكاره ، الا من عمى قلبه و اعمته عصبيته امثال الذهبي ، و من قبله ابن تيمى ة.
هذا و قد ارسله الفقها و هم ابصر بمواضع الاحاديث ارسال المسلمات ، و اخذوه حجة على ان الفعل القليل لايبطل الصلاة ، و من ثم عدوا هذه الاية من آيات الاحكام ، الامر الذي ينم عن اتفاقهم على صحة الحديث هكذا اورد الجصاص هذه الاية دليلا على جواز العمل اليسير في الصلاة ، و روى نزولها في علي (ع) عن مجاهد و السدي و ابي جعفر و عتبة بن ابي حكيم ((752)).
كما استوفى الكلام فيه الحاكم الحسكاني و اورده باسناده الى جماعة من كبار الصحابة ، امثال : عمار بن ياسر،و المقداد بن الاسود، و جابر بن عبداللّه الانصاري ، و عبداللّه بن عباس ، و انس بن مالك ، و ابي ذر الغفاري ، فضلا عن اقوال التابعين في ذلك ، فراجع((753)) و راجع ـ ايضا ـ فضائل الخمسة للسيد الفيروزآبادي((754)) .
و تعرض الذهبي لمسائل في الاصول و الفروع مما اختصت الشيعة القول به ، مثل : ((الرجعة)) و))المهدي)) و ((التقية))و ((المسح على الارجل)) و نحوها، مما صرحت به الايات ، او جا به النقل المتواتر متوافقا مع ظاهر القرآن و قد اشاد به شيخناالطبرسي في تفسيره حسب مسلكه ، في تحكيم ظواهر القرآن عند تزاحم الارا في مسائل الخلاف.
و اخيرا يقول عنه : و الطبرسي معتدل في تشيعه غير مغال فيه ، كغيره من متطرفي الامامية ، و لقد قرانا في تفسيره فلم نلمس عليه تعصبا كبيرا، و لم ناخذ عليه انه كفر احدا من الصحابة ، او طعن فيهم بما يذهب بعدالتهم و دينهم ، كما انه لم يغال في شان علي بما يجعله في مرتبة الاله او مصاف الانبيا، و ان كان يقول بالعصمة.
و كل ما لاحظناه عليه من تعصبه لمذهب انه يدافع بكل قوة عن اصول مذهبه و عقائد اصحابه كما انه اذا روى اقوال المفسرين في آية من الايات ، و نقل اقوال المفسرين من اهل مذهبه فيها، نجده يرتضي قول علما مذهبه و يؤيده ، بما يظهر له من الدليل((755)) .
قلت : و قد اسا الظن بالشيعة و لعله تعمد مقيت حيث حسب منهم من يجعل عليا(ع) في مرتبة الاله , اذ لم نجد من ينتمي الى الشيعة من يزعم ذلك ، اللهم الا الغلاة و هم خارجون عن الملة ، و تحكم الشيعة عليهم بالكفر و الالحاد.
اما مصاف الانبيا، فهو بلوغ مرتبة توازي مرتبة الانبيا في الفضيلة دون النبوة

، فهو امر معقول و قد جعل النبي (ص)العلما في مصاف الانبيا، حيث قال : علما امتي كانبيا بني اسرائيل((756)) و العلما ورثة الانبيا((757)) و قال بشان علي (ع) : انت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي حديث متواتر مستفيض ، و قد رواه اصحاب الصحاح و المسانيد من اهل الحديث ((758)).
و اما المسائل التي تعرض لها الذهبي ، حيث وقعت مورد تاييد مفسري الشيعة ، فاظنها خارجة عن اختصاص مثل الذهبي البعيد عن مسائل الخلاف بين المذاهب الاسلامية ، في الاصول و في الفروع , كل يدافع عن رايه ، و يتكلم حسب فهمه من الكتاب و السنة و العقل الرشيد، ما لم يكن تحميلا ظاهرا، الامر الذي يتحاشاه امثال الطبرسي و قبله الشيخ في ((التبيان.((و ليعلم ان في الشيعة جماعة اخبارية هم اصحاب جمود، نظير اخوانهم الحشوية من اهل الحديث في السنة و الجماعة ،و لاتحسب الطائفة على حساب هذه الفئة و تفاسير علما الشيعة من لدن شيخ الطائفة امثال ((التبيان)) و ((روح الجنان))و ((مجمع البيان))، كلها على نمط واحد، تفاسير وضعت على اساس معقول لا افراط فيها و لا قصور، و لا فيها شي من التعصب المقيت.
و اما النزعة الاعتزالية التي نسبهم اليها امثال الذهبي ، فهي نسبة خاطئة ، ان للشيعة الامامية مباني في اصول معارفها قدتتفق مع مشرب الاعتزال ، كمسالة العدل في الافعال ، و تجريد الذات عن مبادئ الصفات ، و تحكيم العقل في معرفة الحسن و القبح في التكليف ، و ما الى ذلك و هذا لايعني ان الشيعة اخذت عن المعتزلة و لا العكس ، بل هو اتفاق نظر في مسائل من الكلام ، كما اتفقت الامة على مسائل في اصول العقيدة و فروع من مسائل الاحكام.
ففي مثل مسالة ((الهداية و الضلال)) حيث زعم الذهبي ان مفسرنا الجليل وافق المعتزلة في عقيدتهم و دافع عنها، و هدم ما عداها((759)) انما هو توافق محض ، و لعل الشيعة هم الاصل في هذا النظر، لانهم انما اخذوها عن اهل بيت الرسالة ، و منهم نشر العلم و المعرفة في ارجا الاسلام.
و كذا مسالة ((الرؤية)) و انكار تاثير السحر لولا اذنه تعالى ، و هكذا مسالة ((الشفاعة)) و معرفة حقيقة الايمان ، و ما اليها فانانرى الذهبي اخذها دليلا على محاكاة الشيعة فيها لاصحاب الاعتزال ، و لعل الصواب العكس.

روح الجنان و روح الجنان لابي الفتوح الرازي

هو جمال الدين ابوالفتوح الحسين بن علي بن محمد بن احمد الخزاعي الرازي ,من احفاد نافع بن بديل بن ورقاالخزاعي و نافع و ابوه بديل من اصحاب رسول اللّه (ص)، و استشهد نافع و مات بديل في حياة الرسول ، و اخوه عبداللّه بن بديل استشهد بصفين في ركاب علي (ع) كانت اسرته ممن هاجر الى بلاد فارس و سكنت في مدينة نيسابور، و انتقل جده الى الري ، فاشتهر بها و كان جده ابوبكر احمد بن الحسين بن احمد الخزاعي ، نزيل الري من تلامذة السيد المرتضى (قدس سره)و تتلمذ على يد السيد ابن زهرة ، و الشيخ ابي جعفر الطوسي ايضا.
كان مترجمنا عالما خبيرا باحوال الرواة و المحدثين ، و كان له صيت في ارجا البلاد، كان يرتحل اليه رواد العلم و طلاب الحديث و من اشهر تلاميذه ابن شهرآشوب و الشيخ منتجب الدين ، و غيرهما من كبار العلما و تتلمذ على ايدي علمامشاهير، امثال الشيخ ابي الوفا عبدالجبار المقري تلميذ الشيخ الطوسي ، و الشيخ ابي علي ابن الشيخ ، و القاضي عماد الدين الاسترابادي قاضي الري ، و جارالله الزمخشري و غيرهم.

من اشهر مؤلفاته : التفسير الكبير، المعروف بروح الجنان و روح الجنان ، الذي وضعه باللغة الفارسية ، التي كانت دارجة ذلك العهد، في بلاد ايران ، و ذلك ان احس بحاجة الامة الى تفسير يقرب من متناول اهل تلك البلاد، فكان في نثر ادبي بليغ و سبك سهل بديع يقول هو في سبب تاليفه : ان جماعة من اعاظم اهل العلم في بلده التمسوا منه ان يضع لهم تفسيرا يقرب من افهامهم ، و يسهل التناول منه لدى عامة اهل زمانه ، حيث اعوزازهم تفسيرا جامعا و شاملا و سهلا على الناس , فاجاب لملتمسهم و ازاح الاشكال من نفوسهم فوضع تفسيرا جامعا و شاملا، و في نفس الوقت متوسطا بين الايجاز المخل و الاطناب الممل.
فقدم على تفسيره مقدمات ، ذكر فيها : اقسام معاني القرآن ، و انواع آيه ، و اسماه ، و معنى السورة و الاية ، ثم ثواب تلاوته ، و الترغيب في معرفة غريبه ، و معنى التفسير و التاويل.
و هو تفسير جيد متين ، قد فصل في الكلام عن معضلات الايات ، و شرحها شرحا وافيا في اوجز كلام و اخصر بيان متعرضا لجوانب مختلفة من الكلام حول الاية ، ان كلامية او ادبية او فقهية و نحو ذلك ، و انما يتكلم عن علم و معرفة واسعة ،و يؤدي المسالة حقها بايجاز و ايفا.
و لهذا التفسير مكانة رفيعة في كتب التفاسير، فكثير من كتب التفسير رست مبانيها على قواعده الركينة و بنت مسائلها على مباحثها الحكيمة هذا الامام الرازي ، شيخ المفسرين ، بنى تفسيره الكبير على مباني شيخنا ابي الفتوح ، فيما فتح اللّه عليه امهات المباحث الجليلة قال العلامة القاضي نوراللّه التستري المرعشي : ان هذا التفسير من خير التفاسير، و قد سمحت به قريحة شيخنا الرازي الوق ادة ، و مما لا نظير له في كتب التفسير، في عذوبة الفاظه و سلاسة عباراته ، و ظرافة اسلوبه و دقة اختياره ،و قد بنى عليه الفخر الرازي في تفسيره الكبير، فاخذ منه اللباب ، و زاد عليه بعض تشكيكاته ، مما زاد في الحجم ، و لكن الاصل اللباب ، هو ما ذكره مفسرنا الرازي ابوالفتوح الكبير((760)) .
و قد تتبعت مواضع من التفسيرين ، فوجدت الامر كما ذكره القاضي ، كان الاصل ما ذكره ابوالفتوح الرازي ، و جا تحقيق الفخر فرعا عليه و مقتبسا منه ، و لو مع زيادات.
مثلا عند قوله تعالى : (فسجدوا الاابليس ابى و استكبر و كان من الكافرين)((761))ذهب ابوالفتوح الى ان ابليس لم يزل كان كافرا، و ان المؤمن سوف لايكفر، لان الايمان يوجب استحقاق الثواب الدائم ، و كذا الكفر يوجب استحقاق العقاب الدائم ، و الجمع بين الاستحقاقين محال((762)) .
و هكذا جا الاستدلال في ((التفسير الكبير))، قال : الوجه الثاني في تقرير انه كان كافرا ابدا ,قول اصحاب الموافاة ، و ذلك لان الايمان يوجب استحقاق الثواب الدائم ، و الكفر يوجب استحقاق العقاب الدائم ، و الجمع بين الثواب الدائم و العقاب الدائم محال ، فاذا صدر الايمان من المكلف في وقت ثم صدر عنه ـ و العياذ باللّه ـ بعد ذلك كفر، فاما ان يبقى الاستحقاقان معاو هو محال ـ على ما بيناه ـ او يكون الطارئ مزيلا للسابق ، و هو ايضا محال ، لان القول بالاحباط باطل ((763)).
و يبحث الرازي عن قوله : ((و كان من الكافرين)) هل كان هناك كفار غير ابليس حتى يكون واحدا منهم ؟ فيجيب عن ذلك بجوابات ، كلها واردة في كلام ابي الفتوح الرازي((764)) .
اما منهجه في التفسير، فجرى على منوال سائر التفاسير، فيبدا بذكر السورة و اسمائها و فضلها و ثواب قراتها، ثم يذكر جملة من الايات ، مع ترجمتها بالفارسية ، و يفسرها جملة جملة ، فيبدا باللغة و النحو و الصرف ، ثم القراة احيانا ثم ذكراسباب النزول ، و التفسير اخيرا، كل ذلك باللغة الفارسية القديمة ، و لكن في اسلوب سهل بديع.
و من براعته في اللغة : احاطته بمفردات اللغة الفارسية المرادفة تماما مع مفردات لغة العرب ، في مثل : ((فسوس))مرادفة لكلمة ((الاستهزا))، و ((ديو)) لكلمة ((الشيطان))، لانه من الجن , و الجن في الفارسية : ((ديو ((765)) ((و ((پيمان)) لكلمة ((الميثاق)) و ((برفروزد ((لقوله ((استوقد)) و ((دوزخ)) لجهنم ، و ((كارشكسته))

بمعنى ((كاركشته)) مرادفة لكلمة))ذلول ((766)) ((و ((شكمش بياماسامد)) بمعنى ((انتفخ بطنه ((767)) ((و ((خداوندان علم)) بمعنى ((اولوا العلم ((((768))و ((خاك باز شياراند)) بمعنى))تثيرالارض ((769)) ((و ((همتا)) و ((انباز)) بمعنى ((الشريك ((770)) ((و))ستون چوب دركش گرفت)) بمعنى ((چوب ستون را در بغل گرفت))مرادفة لقولهم)) : احتضن الشي ((771)) ((و ((ما خواستمانى كه در آن خيرى بودى تا ما نيز به آن خير برسيدمانى)) تعبير فارسى قديم((772)) و هكذا ((و ما را بپاى ، و گوش نما)) مرادفة لكلمة))راعنا ((773)) ((و ((با من بازار مى كنى)) ترجمة لعبارة : ((ام الى تشوقت))من كلام الامام اميرالمؤمنين (ع , ((774)) (و ربما قرئ بالسين ، و لعل العبارة ترجمة ((تسوقت ((بالسين لتكون ترجمتها ((بازار گرمى مى كنى.((
و استعمل ((مه)) ـ بكسر الميم ـ بمعنى ((الاكبر)) في قوله : ((هارون در سال امن و عفو زاد و به يكسال مه موسى بود, ((775)) ((و هو في مقابلة ((كه)) ـ بكسر الكاف ـ بمعنى))الاصغر)) و قد جا في كلام ((سعدي)) الشيرازي.
چه از قومى يكى بى دانشى كرد ـــ نه كه را منزلت ماند نه مه را.
كما انه لم يتقيد بترجمة ظاهر الكلمة ، و انما فسر معناها تفسيرا يتطابق مع العقل و الواقع.
مثلا : فسر قوله تعالى : (و اذا خلوا الى شياطينهم : ((776)) (باذا خلوا الى رؤسائهم و اكابرهم ، لانه فسر ((الشيطان)) بكل متمرد عات ، سوا اكان من الجن ام الانس ، و حتى الحيوان الخبيث يقال له : شيطان عند العرب ، كالافعى في قوله تعالى :(كانه رؤوس الشياطين ((777)) (اي رؤوس الافاعي و الحيات ((778)).
و المطالع في هذا التفسير يجد براعته الفائقة في مختلف العلوم الاسلامية ، و لاسيما الفقه و علم الكلام.
من ذلك نجده عند تفسير قوله تعالى : (ان اللّه يامركم ان تذبحوا بقرة ((779)) (يبحث هل كان بنواسرائيل مكلفين بالخصوصيات من بد الامر؟ اوليس في ذلك تاخير للبيان عن وقت الخطاب ؟ فيقول : هذا عند المعتزلة و اصحاب الحديث و اكثر اهل الكلام غير جائز، لكن السيد المرتضى علم الهدى اجاز تاخير البيان عن وقت الخطاب الى وقت الحاجة ، و ياخذالاية دليلا على صحة مذهب المرتضى((780)) .
و هكذا يذهب الى ان المؤمن لايرتد و لايكفر بعد الايمان ، و يؤول ما ظاهره الخلاف ، مستدلا بان الايمان عمل يستحق صاحبه المثوبة الدائمة ، و لا مثوبة مع موافاة الكفر، و كانت عقوبته دائمة ايضا، اذ لايجتمع تداوم الامرين.
قال عند تفسير قوله تعالى : (و اذ قلنا للملا ئكة اسجدوا لا دم فسجدوا الاابليس ابى و استكبر و كان من الكافرين ((781)) (القائل بان ذلك كفر من ابليس ، جعلوا ((كان)) بمعنى ((صار)) اي و صار من الكافرين ، لكنه خطا من وجهين :اولا : ذلك عدول عن ظاهر اللفظ بلاضرورة تدعو اليه , ثانيا : جعل العمل الجوارحي كفرا، اي موجبا للكفر، في حين انه يوجب الفسق ، حتى و لو كانت كبيرة ، على خلاف مذهب اهل الاعتزال ، حيث جعلوا فعل الكبيرة موجبا للكفر، و هذا خلاف البرهان.
ثم اخذ في الاستدلال على ان الايمان لايتعقبه كفر او نفاق ، و انما هو كاشف عن عدمه من قبل ، و لم يكن سوى ايمان ظاهري لا واقعي قال ـ ما لفظه بالفارسية ـ:))و مذهب ما آن است كه مؤمن حقيقى ، كه خداى تعالى از او ايمان داند، كافر نشود، براى منع دليلى ، و آن دليل آن است كه اجماع امت است كه مؤمن مستحق ثواب ابد بود، و كافر مستحق عقاب ابد بود، و جمع بين استحقاقين بر سبيل تابيدمحال بود، چه استحقاق در صحت و استحالت , تبع وصول باشد و احباط بنزديك ما باطل است ، چنانكه بيانش كرده شود،پس دليل مانع از ارتداد مؤمن اين است كه گفتيم و ابليس هميشه كافر بود و منافق (و كان من الكافرين. ((782)) (
يقول : انعقد اجماع الامة على ان المؤمن يستحق مثوبة دائمة ، و كذلك الكافر يستحق عقوبة دائمة ، و الجمع بين تداوم الاستحقاقين محال ، ذلك لان الاستحقاق يستدعي بلوغ الثواب و وصوله اليه فاذا كان الايمان متاخرا كفر ما قبله ((الاسلام يجب ما قبله ((783)) ((و اما الكفر المتاخر فلايوجب حبط الايمان ، لان من يعمل مثقال ذرة

خيرا يره.
و نـجـده يـفـصـل الـكـلام حول الامام الثاني عشر المهدي المنتظر، كلما حن الكلام في تفسيره بالمناسبة.
مـثلا : يقول في تفسير ((الغيب)) من قوله تعالى : (يؤمنون بالغيب ((784)) (جا في تفسير اهل البيت (ع) : ان المراد به هوالمهدي (ع) و هو الغائب الموعود في الكتاب و السنة ، اما الكتاب فقوله تعالى : (وعد اللّه الذين آمنوا منكم و عملواالصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم. ((785)) (
و اما الاحـاديث ، فكثيرة ، منها قوله (ع) : ((لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطول اللّه ذلك اليوم حتى يخرج رجل من اهل بيتي يواطي اسمه اسمي و كنيته كنيتي ، يملا الارض عدلا و قسطا كما ملئت جورا و ظلما.((
و هـذه الاوصـاف لم تجتمع الا في شخص المهدي المنتظر ـ عجل اللّه تعالى فرجه الشريف ـ ثم يقول : كلما مررنا بية تعرضت لهذا المعنى ، استقصينا الاخبار بشانه ((786)).
و لـه فـي مباحث الهداية و الضلال بحوث مذيلة ، و في نفس الوقت ممتعة ، استفاض فيها الكلام من جميع جوانبه((787)) .
ثم انه لايترك موضعا من التفسير يناسب ذكر مسائل الخلاف الا بينه بتفصيل ، و ذكر مواقف الشيعة الامامية في ذلك.
مـثلا، عند تفسير قوله تعالى : (و اذ قلنا للملا ئكة اسجدوا لا دم فسجدوا ((788)) (يتعرض لانحا السجود، منها : السجودفي الصلاة ، و هو ركن من اركانها ـ و يفسر معنى الركن ـ و سجدة السهو، و سجدة الشكر، و سجدة القرآن ، و هذه الاخيرة اماواجبة في اربعة مواضع : الم تنزيل , حم السجدة ، النجم ، اقرا او سنة ، ففي احد عشر موضعا، فالمجموع : خمسة عشر موضعاعندنا و عـنـد الشافعي : اربعة عشر موضعا، كلها سنة ثم يفصل في احكام سور العزائم ، مما يخص مذهب الامامية ، و يذكرمواضع سجود السهو للصلاة ، و مذهب سائر المذاهب في ذلك.
و يـذكر علائم المؤمن الخمس : الصلاة احدى و خمسين ، و زيارة الاربعين ـ في اليوم العشرين مـن شهر صفربكربلا ـ و التختم باليمين ، و تعفير الجبين ,و الجهر ببسم اللّه الرحمن الرحيم و يـذكر سبب استحباب زيارة الحسين (ع) في يوم الاربعين بكربلا، و هو يوم ورود جابر بكربلا ,بعد مقتل الحسين باربعين يوما((789)) .
و مما يمتاز به هذا التفسير، احاطة صاحبه بالتاريخ و السيرة الكريمة ، و كذلك بالاحاديث الشريفة فـي مـخـتـلف شؤون الدين ، و من ثم تراه في شتى المناسبات يخوض المعركة ، و ياتي بلباب القول باستيفا و شمول و قد ياتي على حوادث قل مايوجد في سائر الكتب.
مـن ذلـك حـادثـة يـوم الصريخ ، جا بها ذيل الاية رقم (٥٤) من سورة المائدة ، حيث قوله تعالى) : فـسوف ياتي اللّه بقوم يحبهم و يحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل اللّه و لا يخافون لومة لا ئم.(
فذكر اولا غزوة خيبر و فتحها على يد الامام اميرالمؤمنين ، و شعر حسان بن ثابت فيه :
و كان علي مرمد العين يبتغي ـــ دوا فلما لم يحس مداويا.
رماه رسول اللّه منه بتفلة ـــ فبورك مرقيا و بورك راقيا.
و قال ساعطي الراية اليوم صارما ـــ كميا محبا للرسول مواليا((790)) .
يحب الاله و الاله يحبه ـــ به يفتح اللّه الحصون الاوابيا((791)) .
فاصفى بها دون البرية كلها ـــ عليا و سماه الوزير المؤاخيا.
و بـعـد ذلك يذكر غزوة الصريخ ، و فيها : خرج ((اسد عويلم)) مبارزا، متترسا بترس حديدي , يبلغ وزنه مئات الامنان ، و كان يعادل اربعين فارسا، و هو يرتجز و يقول:
و جرد شعال و زغف مزال ـــ و سمر عوال بايدي رجال((792)) .
كساد ديس و اشبال خيس ـــ غداة الخميس ببيض صقال((793)) .
تجيد الضراب و حز الرقاب ـــ امام العقاب غداة النزال.
يكيد الكذوب و يجري الهبوب ـــ و يروي الكعوب دما غيرآل((794)) .

فبرز اليه علي (ع) فقده نصفين ، ثم اتى النبي (ص) و هو يقول:
ضربته بالسيف وسط الهامة ـــ بشفرة صارمة هدامه((795)) .
فبتكت من جسمه عظامه ـــ و بينت من انفه ارغامه((796)) .
انا علي صاحب الصمصامة ـــ و صاحب الحوض لدى القيامة((797)) .
اخي نبي اللّه ذوالعلامة ـــ قد قال اذ عممني العمامة.
))انت الذي بعدي له الامامة. ((798)) ((
و هـذه الـغـزوة بـهذا الاسم غير معروفة ، و لا اثبتها اصحاب السير بهذا الشكل ، و انما ذلك من اختصاصات هذا الكتاب ،و كم له من نظير.
و ((اسـد عويلم)) غير معروف ، سوى ما ذكره المحقق الشعراني في هامش الكتاب ((799)) و لم نجده فيما ارجعه من مصدر.
و مـمـا امـتـاز به هذا التفسير انه لم يترك موضعا جات مناسبة الوعظ و الارشاد الا و قد استغل الفرصة ، و اخذ في الوعظ و الزجر و الترغيب و الترهيب.
مـن ذلـك عـند ذكره لقصة آدم و توبته ، و انه انما تقبل اللّه منه التوبة بامور ثلاثة تمثلت في آدم , فـلـيكن ذلك من كل تائب ،و هي : الحيا، و الدعا، و البكا ثم اخذ في الوعظ و الارشاد، متمثلا بقول محمود الوراق:
يا ناظرا يرنو بعيني راقد ـــ و مشاهدا للامر غير مشاهد.
منتك نفسك ضلة فابحتها ـــ سبل الرجا و هن غير قواصد.
تصل الذنوب الى الذنوب و ترتجي ـــ درك الجنان بها و فوز العايد.
و نسيت ان اللّه اخرج آدما ـــ منها الى الدنيا بذنب واحد((800)) .

كنز الدقائق و بحر الغرائب للمولى المشهدي h3..هو الميرزا محمد بن محمدرضا بن اسماعيل بن جمال الدين القمي الاصل , المشتهر بالمشهدي ، حيث نـشا و تربى بمشهد الامام الرضا(ع) ـ و ميرزا : مخفف ((ميرزاده)) بمعنى ((وليد الامير)) ـ كان فاضلا اديبا جامعا، و محدثا فقيها، علما من اعلام القرن الثاني عشر، توفي حدود سنة (١١٢٥.)
و يظهر من تفسيره هذا انه كان متبحرا في شتى العلوم الاسلامية التي كانت دارجة ذلك العهد، من الفلسفة و الكلام ،و الادب و اللغة ، و الفقه و الحديث و قد اضطلع بعلم التفسير و التاويل.
و تـفـسـيره هذا من خير تفاسير ذلك العهد، و هو كما كتبنا في المقدمة حصيلة ما سبقه من امهات تـفـاسير اصحابنا الامامية :النقلية و الاجتهادية ، قد جمع فيه من لباب البيان و عباب التعبير، اينما وجـده طي الـكـتـب و الـتـفـاسـير السابقة عليه ، و التي كانت راقية لديه فقد اختار حسن تعبير الـبـيضاوي ، اقتدا بشيخه الفيض الكاشاني في تفسيره الصافي كما انتخب من اسلوب الطبرسي في))مجمع البيان)) تبويبه و ترتيبه ، مضيفا اليه ما استحسنه من ((كشاف)) الزمخشري و حواشي الـعـلا مة الشيخ البهائي ، و كثيرامن تاويلات جات في تفاسير اهل الرمز و الاشارات و قد قرظ تفسيره علمان من اعلام الامة : المجلسي العظيم ،و الخوانساري الكبير، مما يدلك على جلالة قدر هذا التفسير الفخيم.
و بـحـق انـه تـفـسير جامع كامل ، مع ايجازه و ايفائه ، شمل جوانب مختلفة من الكلام حول تفسير كـلام اللّه ، فلم يترك شاردة و لا واردة من الاحاديث الواردة عن ائمة اهل البيت (ع) الا اوردها و تعرض لها بتفصيل ، ثم الادب و اللغة بشكل مستوعب ،ثم مسائل الكلام و الفلسفة و الفقه في مجالاته الـمـنـاسـبـة ، و اخـيرا يتعرض

لتأويل الآية و تفسير بطونها حسب تعبيره ، و من ثم فانه يعد من التفاسير الجامعة الشاملة لكل جوانب التفسير المعهود ذلك الحين. و قد طبع هذا التفسير عدة طبعات انيقة في عهدنا الحاضر، و هو في متناول العموم.

تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن(

لابي عبداللّه محمد بن احمد بن ابي بكر الانصاري الخزرجي الاندلسي القرطبي , توفي سنة (٦٧١) كان من العلماء العارفين ، صاحب تصانيف ممتعة ، منها هذا التفسير الذي يعد من امثل التفاسير و اجودها تصنيفا و تأليفاً و جمعاً للروايات الاقوال ، مع العناية التامة باللغة و الادب و الفقه و الكلام ، و من ثم عده بعضهم من التفاسير الفقهية كما فعله الذهبي و لعله لمناسبة عنوان الكتاب .

و قد وصف المؤلف تفسيره هذا بما يلي : رايت ان اكتب فيه تعليقا وجيزا يتضمن نكتا من التفسير، و اللغات و الاعراب ،و القرااات ، و الرد على اهل الزيغ و الضلالات ، جامعا بين المعاني ، و مبينا ما اشكل منها باقاويل السلف ، و من تبعهم من الخلف.
و انتهج في تفسيره منهج سائر التفاسير الجامعة ، فيذكر الاية اولا، و يعقبها بذكر مسائل ، ياتي فيها على شرح مواضع الاية جملة جملة ، فيشرحها و يبين مواضع اغلاقها، و ربما تعرض لاسباب النزول ، و ذكر القرااات و اللغة و الاعراب ، و احيانا جاباقوال السلف او الخلف ان مست الحاجة الى ذلك.
و هو تفسير جيد نافع ، جمع بين الاختصار و الايفا بجوانب الكلام ، بما يفيد المطالع افادة تامة , تجعل المراجع في غنى عن مراجعة امهات كتب التفسير، على وجازته.
و جعل لتفسيره مقدمة جامعة في عشرين بابا، ذكر فيها مسائل تفيد المراجع قبل الخوض في التفسير.
و حاول القرطبي في تفسيره هذا نبذ الاسرائيليات و الموضوعات ، فتركها حسب وسعه ، كما فعله ابن عطية في ((المحررالوجيز)) و كانا موفقين في هذا السبيل بعض الشي.

تفسير الماوردي (النكت و العيون(

لابي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري المتوفى سنة (٤٥٠)و النسبة الى ((ما ورد)) كان يعمل به والده و يبيعه ولد بالبصرة ، ثم ارتحل الى بغداد، و فيها سمع الحديث و اخذ الفقه و انضم الى حلقات ابي حامد الاسفراييني و لما بلغ اشده تصدر للتدريس آونة في بغداد و اخرى في البصرة ، و تنقل في البلاد لنشر العلم ، ثم استقر به المقام في بغداد ,فقام بالتدريس و التحديث و تفسير القرآن و الف فيها كتبه في الادب و الفقه و الحديث و التفسير.
و تفسيره هذا يعد من اوجز التفاسير التي عنيت باللغة و الادب و نقل الارا و نقدها، و المشي على طريقة اهل النظر في التفسير قال في مقدمة تفسيره:
))و لما كان الظاهر الجلي مفهوما بالتلاوة ، و كان الغامض الخفي لايعلم الا من وجهين : نقل ، و اجتهاد، جعلت كتابي هذامقصورا على تاويل ما خفي علمه ، و تفسير ما غمض تصوره و فهمه و جعلته جامعا بين اقاويل السلف و الخلف ، و موضحاعن المؤتلف و المختلف ، و ذاكرا ما سنح به الخاطر من معنى يحتمل عبرت

عنه بانه محتمل ، ليتميز ما قيل مما قلته ، و يعلم مااستخرج مما استخرجته ((801)) .
و يعتبر تفسير الماوردي من اهم كتب التفسير، و قد اهتم به كثير من المفسرين المتاخرين عنه , كابن الجوزي في تفسيره ((زاد المسير))، و القرطبي في ((الجامع لاحكام القرآن.((
و مفسرنا هذا لم يال جهدا في اعمال رايه و ابدا نظره في شرح معاني الايات على طريقة تحكيم العقل الرشيد نافيا ان يكون ذلك من التفسير بالراي الممنوع ، حيث يقول :
))تمسك بعض المتورعة ، ممن قلت في العلم طبقته ، و ضعفت فيه خبرته ، و استعمل هذا الحديث على ظاهره ، و امتنع ان يستنبط معاني القرآن باجتهاده ، عند وضوح شواهده ، الا ان يرد بها نقل صحيح ، و يدل عليها نص صريح و هذا عدول عماتعبد اللّه تعالى به خلقه في خطابهم بلسان عربي مبين ، قد نبه على معانيه ما صرح من اللغز و التعمية ، التي لايوقف عليها الا بالمواضعة الى كلام حكيم ، ابان عن مراده ، و قطع اعذار عباده ، و جعل لهم سبلا الى استنباط احكامه ، كما قال تعالى :لعلمه الذين يستنبطونه منهم ((802)) (و لو كان ما قالوه صحيحا، لكان كلام اللّه غير مفهوم ، و مراده بخطابه غير معلوم ،و لصار كاللغز المعمى ، فبطل الاحتجاج به ، و كان ورود النص على تاويله مغنيا عن الاحتجاج بتنزيله ، و اعوذ باللّه من قول في القرآن يؤدي الى التوقف عنه ، و يؤول الى ترك الاحتجاج به. ((803)) ((
و قد اخذ ذلك بعضهم عليه ، زاعما سد باب الاجتهاد في القرآن ، تاركا وراه قوله تعالى : (افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها. ((804)) (

التفسير الكبير (مفاتيح الغيب(

للامام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي ، المعروف بابن الخطيب , من اصل طبرستاني ، نزل والده الري و اشتهربها في ظاهره اشعري شافعي المذهب ، صاحب تصانيف ممتعة في فنون المعارف الاسلامية ، مضطلعا بالادب و الكلام و الفلسفة و العرفان قال ابن خلكان : ان كتبه ممتعة ، و قد انتشرت تصانيفه في البلاد، و رزق فيها سعادة عظيمة ، فان الناس اشتغلوا بها و رفضوا كتب المتقدمين ، توفي سنة (٦٠٦.(
و تفسيره هذا من جلائل كتب التفسير، و قد استوفى الكلام فيه ، بما وسعه من الاضطلاع بانحا المعارف و فنون العلوم ،و لم يدع براعته متجولة في مختلف مسائل الاصول و الفلسفة و الكلام ، و سائر المسائل الاجتهادية النظرية و العقلية ،و اسهب الكلام فيها، بما ربما اخرجه عن حد الاعتدال و كثيرا ما يترك وراه لمة من تشكيكات و ابهامات بما يعرقل سبيل الباحثين في التفسير، و لكنه مع ذلك فانه فتاح لكثير من مغالق المسائل في ابحاث اسلامية عريقة.
اما منهجه في التفسير، فانه يذكر الاية اولا، و يعقبها بموجز الكلام عنها بصورة اجمالية ، و يذكر ان فيها مسائل ، يبحث في كل مسالة عن طرف من شؤون الاية : قراة ، و ادبا، و فقها، و كلاما، و ما اشبه من المباحث المتعلقة بتفسير الاية ، و يستوفي الكلام في ذلك في نهاية المطاف و هو من احسن الاساليب التفسيرية ، تتجزا المسائل و تتركز الابحاث ، مفصلة كلا في محلها،من غير ان يختل ط البحث او تتشابك المطالب ، و من ثم لايترك القارئ حائرا في امره من البحث الذي ورد فيه.
و من طريف الامر انه لم يجعل لتفسيره مقدمة ليشرح فيها موضعه من التفسير، و الغاية التي اقدم لاجلها على كتابة مثل هذا التفسير الضخم ، و السفر الجلل العظيم ، و كان لابد ان يشرح ذلك كما لم يذكر منابعه في التفسير، و لا الكتب التي اعتمدهافي مثل هذا التصنيف ، في حين انا نعلم انه اعتمد خير المؤلفات لذاك العهد، و احسن المصنفات في ذلك الزمان ، في مثل تفسير ابي مسلم الاصفهاني و الجبائي و الطبري و ابي الفتوح الرازي ، و امثالهم من مشايخ عظام و علما اجلة معروفين حينذاك.

و تـفـسيره هذا، يغلب عليه اللون الكلامي الفلسفي ، لاضطلاعه بهذين العلمين ، و من ثم نجده يكثر الـكـلام في ذلك كلمااتاحت له الفرصة ، فيغتنمها، و يسهب الكلام في مسائل فلسفية بعيدة الاغوار ,بما ربما اخرجه عن حد تفسير القرآن ، الى مباحث جدلية كلامية ، و ربما كانت فارغة.
و هل اكمل تفسيره ام تركه ناقصا ليكمله غيره من تلاميذ و احفاد، كما قيل ؟.
قـال ابـن خـلـكان : له التصانيف المفيدة في فنون عديدة ، منها تفسير القرآن الكريم ، جمع فيه كل غريب و غريبة ، و هو كبيرجدا، لكنه لم يكمله((805)) .
قـال ابـن حـجر : الذي اكمل تفسير فخر الدين الرازي ، هو احمد بن محمد بن ابي حزم نجم الدين المخزومي القمولي ،المتوفى سنة (٧٢٧)، و هو مصري((806)) .
و قال حاجي خليفة : صنف الشيخ نجم الدين احمد بن محمد القمولي تكملة له ، و قاضي القضاة شهاب الدين احمد بن خليل الخوئي الدمشقي كمل ما نقص منه ايضا توفي سنة (٦٣٩. ((807)) (
و قـال ابـن ابـي اصـيبعة المتوفى سنة (٦٦٨) في ترجمة احمد بن خليل الخوئي : و لشمس الدين الخوئي من الكتب ، تتمة تفسير القرآن لابن الخطيب ((808)).
و اما الى اي موضع بلغ الامام الرازي من تفسيره ليترك البقية لغيره ، فهذا مختلف فيه اختلافا غريبا :
يـقول الاستاذ محمد حسين الذهبي : وجدنا على هامش كشف الظنون ما نصه : ((الذي رايته بخ ط السيد مرتضى نقلا عن ((شرح الشفا)) للشهاب ، انه وصل فيه الى سورة الانبيا. ((809)) ((
و احـتـمل بعضهم ان الرازي اتم تفسيره ما عدى سورة الواقعة ، حيث فيها بعض التعليق من غيره , مـثلا جا ذيل تفسير قوله تعالى : (جزا بما كانوا يعملون ((810)) (و فيه مسائل ، المسالة الاولى اصولية ، ذكرها الامام فخر الدين (ره) في مواضع كثيرة ،و نحن نذكر بعضها((811)) .
قـال الاسـتـاذ الـذهبي تعقيبا على هذا الكلام : و هذه العبارة تدل على ان الامام الرازي لم يصل في تفسيره الى هذه السورة((812)) .
ثـم ابـدى رايه في حل الاختلاف قائلا : ((و الذي استطيع ان اقوله كحل لهذا الاضطراب هو ان الامـام الـرازي كتب تفسيره الى سورة الانبيا، فاتى بعده شهاب الدين الخوئي فشرع في تكملة هذا التفسير، و لكنه لم يتمه ، فاتى بعده نجم الدين القمولي فاكمل ما بقي منه كما يجوز ان يكون الخوئي اكمله الى النهاية ، و القمولي كتب تكملة اخرى غير التي كتبها الخوئي و هذا هوالظاهر من عبارة كشف الظنون ((((813)) .
قـلـت : و عـلى ذلك ، فان الامام الرازي لم يبلغ من تفسيره سوى حوالى النصف ، الامر الذي لايمكن تـصديقه ، بل الظاهر انه فسر القرآن كله حتى آخر سورة منه ، نظرا لوحدة الاسلوب و المنهج و القلم و البيان ، فضلا عن الشواهد الموفورة ، على ان الامام الرازي قد اكمل تفسيره حتى النهاية ، الل هم الا بعض التعليق مما اضيف اليه بعد ذلك ، فالحق بالمتن في الاستنساخات المتاخرة.
و نـذكـر شـاهـدا على ذلك انه عند تفسير الاية رقم (٢٢) من سورة الزمر (رقمها٣٩ و رقم سـورة الانـبـيـا٢١) فـي تـفسير قوله تعالى : (افمن شرح اللّه صدره للاسلام فهو على نور من ربـه ((814)) (يقول : و اعلم انا بالغنا في تفسير سورة الانعام في تفسيرقوله تعالى : (فمن يرد اللّه ان يـهـديـه يـشـرح صـدره لـلاسـلا م ((815)) (فـي تفسير شرح الصدر، و في تفسير الهداية((816)) .
و امثال هذه العبارة كثيرة في القسم المتاخر من التفسير.

عنايته باهل البيت h3.. لـه عـناية خاصة بل بيت الرسول (ص) يذكرهم باجلال و اكبار، و يفخم من شانهم ، مما ينبؤك عن ولا متين بالنسبة الى العترة الطاهرة ، الذين هم عدل القرآن العظيم.

تـجـده يقول عند الكلام عن الجهر ببسم اللّه الرحمن الرحيم : و اما

ان علي بن ابي طالب (ع) كان يجهر بالتسمية ، فقد ثبت بالتواتر، و من اقتدى في دينه بعلي بن ابي طالب فقد اهتدى ، و الدليل عليه قوله (ع) : ((اللهم ادر الحق مع علي حيث دار.((
ثم يقول عند ترجيحه للقول بوجوب الجهر : ان راوي قولنا على بن ابي طالب (ع)، و اخيرا يقول : و عمل علي بن ابي طالب (ع) معنا، و من اتخذ عليا اماما لدينه فقد استمسك بالعروة الوثقى في دينه و نفسه((817)) .
و من دابه تعقيب اسما ائمة اهل البيت ب ((السلام عليهم)) كتعقيبه لاسم النبي (ص) و قد عرفت تعقيب اسم علي ب ((السلام عليه))، و هكذا في تعقيب اسما سائر الائمة هو عندما يروي عن الامام جعفر بن محمد، يصفه اولا بلقبه الفخيم ((الصادق)) ثم يعقبه ب ((السلام عليه)) قال في تفسير النعيم : قال جعفر بن محمد الصادق (ع) : النعيم : المعرفة و المشاهدة ، و الجحيم :ظلمات الشهوات ((818)).
و في كثير من عباراته : محمد(ع)، علي (ع) على سوا، راجع تفسيره لسورة النصر((819)) و هكذا نجده يذكر ائمة اهل البيت باكبار و اجلال ، هو عند ما يتعرض لوفرة ذرية الرسول في تفسير سورة الكوثر، يقول : انظر كم كان فيهم من الاكابر من العلما، كالباقر و الصادق و الكاظم و الرضا(ع)، و النفس الزكية و امثالهم((820)) و الذي يجلب النظر انه عقب اسما الائمة الاربعة فقط ب ((السلام عليهم))، الامر الذي يدل بوضوح على مبلغ تشيعه لال البيت (ع.(هو عند ما يتعرض لاية المتعة من سورة النسا (٢٤) يقول : انها نسخت في حياة الرسول (ص)، و يقول : انا لاننكر ان المتعة كانت مباحة ، انما الذي نقوله : انها صارت منسوخة و يقول بصدد نهي عمر عنها : انه لو كان مراده ان المتعة كانت مباحة في شرع محمد(ص) و انا انهى عنها، لزم تكفيره و تكفير كل من لم يحاربه و ينازعه ، و يفضي ذلك الى تكفير اميرالمؤمنين ،حيث لم يحاربه و لم يرد ذلك القول عليه((821) .
المقصود من ((اميرالمؤمنين)) هو الامام علي بن ابي طالب (ع) يصفه بهذا اللقب الفخم ايام عهد عمر، و يعتقد في شخصيته الكريمة حراسة لدين اللّه و حفظا لحدوده ، الامر الذي جرى عليه اهل الولا لهذا البيت الرفيع ، و هكذا تعتقد الشيعة الامامية في ائمتها الاطهار.
و هكذا تمثله بابيات شعرية تنوه من شان اهل البيت (ع) في كثير من مواضع تفسيره ، منها : استشهاده بشعرحسان بن ثابت ، لغرض بيان ان السجدة ليوسف انما كان من جهة انهم جعلوه قبلة في سجودهم ، و استشهد لذلك بقوله:
ما كنت اعرف ان الامر منصرف ـــ عن هاشم ثم منها عن ابي الحسن.
اليس اول من صلى لقبلتكم ـــ و اعرف الناس بالقرآن و السنن ((822)).
و اما ما نجده احيانا من تحامله على الشيعة و ربما لعنهم بعنوان

((الروافض ((823)) ((فلعله من عـمـل الـنـسـاخ ، اذ لايليق بقلم كاتب اديب ، و علامة اريب ان يهدر في سفه الهذر، من يعن بالحمد لاينطق بما سفه ، و لم يحد عن سبيل الحلم و الادب.
ذكـر عـنـد تفسير آية المودة نقلا عن صاحب الكشاف الحديث المعروف : ((من مات على حب آل محمد مات شهيدا، الاو من مات على حب آل محمد مات مغفورا له ، الا و من مات على حب آل محمد مـات تائبا، الا و من مات على حب آل محمد مات مؤمنا، مستكمل الايمان ، الا و من مات على بغض آل محمد جا يوم القيامة مكتوبا بين عينيه : آيس من رحمة اللّه.((
قـال بعد نقل ذلك : و انا اقول : آل محمد هم الذين يؤول امرهم اليه ، فكل من كان امرهم اليه اشد و اكـمـل كانوا هم الال ،و لاشك ان فاطمة و عليا و الحسن و الحسين كان التعلق بينهم و بين رسول اللّه اشد التعلقات ، و هذا كالمعلوم بالنقل المتواتر، فوجب ان يكونوا هم الال.
و ايضا اختلف الناس في ((الال)) فقيل : هم الاقارب ، و قيل : هم امته فان حملناه على القرابة فهم الال ، و ان حملناه على الامة الذين قبلوا دعوته فهم ايضا آل ، فثبت ان على جميع التقديرات هم الال و اما غيرهم فهل يدخلون تحت لفظ الال ؟فمختلف فيه و روى صـاحـب الكشاف : انه لما نزلت هذه الاية قيل : يا رسول اللّه (ص) من قرابتك هؤلا الذين وجبت علينا مودتهم ؟فقال)) : على و فاطمة و ابناهما))، فثبت ان هؤلا الاربعة اقارب النبي (ص) و اذا ثبت هذا وجب ان يكونوا مخصوصين بمزيدالتعظيم.
و يدل عليه وجوه:
الاول : قوله تعالى : ((الا المودة في القربى)) و وجه الاستدلال به ما سبق.
الـثـانـي : لاشـك ان النبي (ص) كان يحب فاطمة (س) قال (ص) : ((فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يـؤذيها)) و ثبت بالنقل المتواترعن رسول اللّه (ص) انه كان يحب عليا و الحسن و الحسين ، و اذا ثـبـت ذلـك وجـب على كل الامة مثله ، لقوله : (و اتبعوه لعلكم تهتدون ((824)) (و لقوله تعالى) : فـليحذر الذين يخالفون عن امره ((825)) (و لقوله : (قل ان كنتم تحبون اللّه فاتبعوني يحببكم اللّه (((826))و لقوله سبحانه : (لقد كان لكم في رسول اللّه اسوة حسنة. ((827)) (
الـثـالث : ان الدعا ((للال)) منصب عظيم ، و لذلك جعل هذا الدعا خاتمة التشهد في الصلاة ، و هو قـولـه : ((الـلـهم صل على محمد و على آل محمد، و ارحم محمدا و آل محمد))، و هذا التعظيم لم يوجد في حق غير الال فكل ذلك يدل على ان حب آل محمد واجب.
و قال الشافعي (رض: (
يا راكبا قف بالمحصب من منى ـــ و اهتف بساكن خيفها و الناهض .
سحرا اذا فاض الحجيج الى منى ـــ فيضا كما نظم الفرات الفائض.
ان كان رفضا حب آل محمد ـــ فليشهد الثقلان اني رافضي

((828)).
و نـقـل ابن حجر العسقلاني عن ابن خليل السكوني في كتابه ((الرد على الكشاف)) انه اسند عن ابن الطباخ : ان الفخر كان شيعيا، يقدم محبة اهل البيت ، كمحبة الشيعة ، حتى قال في بعض تصانيفه)) : و كان علي (ع) شجاعا بخلاف غيره. ((829)) ((
و قـال الـطـوفي : انه يورد شبه المخالفين في المذهب ، على غاية ما يكون من القوة و التحقيق ، ثم يـورد مذهب اهل السنة و الحق على غاية من الوها (او الدها) قال : و بعض الناس يتهمه في هذا، و ينسب ذلك الى انه كان ينصر بهذا الطريق ، مايعتقده ، و لايجسر على التصريح به((830) .
و قـال الشيخ محمد بها الدين العاملي في حوادث شهر شوال ، يوم عيد الفطر : ((و فيه سنة ست و ستماة ، توفي فخر الدين الرازي ، الملقب بالامام ، و اصله من مازندران ، و ولد بالرى ، و كان يميل الى التشيع ، كما لايخفى على من تصفح تفسيره الكبير وقبره بمدينة هرات. ((831)) ((

امام المشككين

و مما اختص به الامام الرازي خوضه في انحا المسائل ، من ادب و كلام و فلسفة و اصول ، و لكنه لايخرج منها في الاكثرالا و يترك وراه لمة من تشكيكات و ابهامات في وجه المسالة ، انه ربما اثار اشـكالا او اشكالات ، لكنه لايجيب عليها الا اجابات ضعيفة و موهونه ، يترك القارئ في حيرة ، هل ان مـثـل الامـام الرازي عاجز عن الاجابة لمثل تلكم المسائل ، ام هناك تعمد لغرض تقرير الاشكال حسب نظره ؟ الـمـعـروف عن الرازي انه اشعري المذهب في اصول العقيدة ، جبري ظاهري ، لكنه عند عرضه لـمـسـائل الـكلام ، يقرر من مذاهب الخلاف بما يضعف به المذهب الاشعري احيانا، و ربما الى حد الوهن و الافتضاح.
قال نجم الدين الطوفي البغدادي ـ من اعلام القرن السابع ـ : و اجمع ما رايته من التفاسير لغالب علم التفسير كتاب القرطبي ، و كتاب ((مفاتيح الغيب)) للامام الرازي ، و لعمري كم فيه من زلة و عيب و حـكى لي الشيخ شرف الدين النصيبي المالكي : ان شيخه الامام الفاضل سراج الدين المغربي صنف كتاب ((المخذ على مفاتيح الغيب)) و بين فيه من البهرج و الزيف في نحو مجلدين ، و كان ينقم عليه كـثـيـرا، خصوصا ايراده شبه المخالفين في المذهب و الدين ، على غاية ما يكون من القوة ، و ايراد جواب اهل الحق منها على غاية ما يكون من الدها قال الطوفي : و لعمري ان هذا لدابه في غالب كتبه الكلامية و الحكمية ، كالاربعين ، و المحصل ، و النهاية ، و المعالم ، و المباحث المشرقية ، و نحوها و بـعض الناس يتهمه في هذاو ينسبه الى انه ينصر بهذا الطريق ما يعتقده ، و لايجسر على التصريح به.
و قال في سبب ذلك : انه كان شديد الاشتياق الى الوقوف على الحق ـ كما صرح به في وصيته التي امـلاها عندموته ـ فلهذا كان يستفرغ وسعه ، و يكد قريحته في تقرير شبه الخصوم ، حتى لايبقى لهم بعد ذلك مقال ، فتضعف قريحته عن جوابها على الوجه ، لاستفراغه قوتها في تقرير الشبه و نحن نعلم بالنفسية الوجدانية ، ان احدنا اذا استفرغ قو ة بدنه في شغل مامن الاشغال ، ضعف عن شغل آخر ,و قـوى الـنفس على وزان قوى البدن غالبا و قد ذكر في مقدمة كتاب ((نهاية العقول)) ما يدل على صـحـة مـا اقـول ، لانه التزم فيه ان يقرر مذهب كل خصم ، لو اراد ذلك الخصم تقريره ، لما امكنه الزيادة عليه او اوفى بذلك و لهذا السبب قرر في كتاب ((الاربعين)) ادلة القائلين بالجهة ، ثم اراد الـجـواب عـنـهـا، فما تمكن منه على الوجه ، فغالط فيه في موضعين قبيحين ، ذكرهما في مواضع كثيرة((832) .

و مما بحث على اصول مذهبه الاشعري في ظاهر الامر ما ذكر عند تفسير الاية (ان الذين كفروا سوا عليهم اانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون. ((833)) (
قال : احتج اهل السنة ـ يعني بهم الاشاعرة ـ بهذه الاية و كل ما اشبهها من قوله : (لقد حق القول على اكثرهم فهم لايؤمنون , ((834)) (و قوله : (ذرنى و من خلقت وحيدا ـ الى قوله ـ سارهقه صعودا , ((835)) (و قوله : (تبت يدا ابى لهب ((836)) (احتجوا بامثال هذه الايات على جواز تكليف ما لايطاق.
ثم اخذ في تقرير هذا الاحتجاج من وجوه خمسة:
اولا : انه تعالى اخبر عن اشخاص معينين انهم لايؤمنون قط، فلو صدر منهم الايمان ، لزم انقلاب خبر اللّه تعالى الصدق كذبا.
و ثانيا : انه تعالى لما علم منهم الكفر، فكان صدور الايمان منهم مستلزما لانقلاب علمه تعالى جهلا.
و ثالثا : ان وجود الايمان يستحيل ان يوجد مع العلم بعدم الايمان ، لانه انما يكون علما لو كان مطابقا لـلمعلوم ، و العلم بعدم الايمان انما يكون مطابقا لو حصل عدم الايمان ، فلو وجد الايمان مع العلم بعدم الايمان ، لزم ان يجتمع في الايمان كونه موجودا و معدوما معا، و هو محال ، فالامر بالايمان مع وجود علم اللّه تعالى بعدم الايمان ، امر بالجمع بين الضدين ، بل بالجمع بين العدم و الوجود، و كل ذلك محال.
و رابعا : انه تعالى كلف هؤلا ـ الذين اخبر عنهم بانهم لايؤمنون ـ بالايمان البته ، و الايمان يعتبر فيه تصديق اللّه تعالى في كل ما اخبر عنه ، و مما اخبر عنه انهم لايؤمنون قط، فقد صاروا مكلفين بان يؤمنوا بانهم لايؤمنون قط، و هذا تكليف بالجمع بين النفي و الاثبات.
و خامسا : انه تعالى عاب الكفار علي انهم حاولوا فعل شي على خلاف ما اخبر اللّه عنه في قوله)يريدون ان يبدلواكلا م اللّه قل لن تتبعونا كذلكم قال اللّه من قبل(((837)) .
فثبت ان القصد الى تكوين ما اخبر اللّه تعالى عن عدم تكوينه ، قصد لتبديل كلام اللّه ، و ذلك منهي عنه و هاهنا اخبر اللّه تعالى عنهم بانهم لايؤمنون البتة ، فمحاولة الايمان منهم تكون قصدا الى تبديل كلام اللّه ، و ذلك منهي عنه و ترك محاولة الايمان يكون ايضا مخالفة لامر اللّه تعالى ، فيكون الذم حاصلا على الترك و الفعل.
قال : فهذه هي الوجوه المذكورة في هذا الموضع و هذا هو الكلام الهادم لاصول الاعتزال و لقد كان السلف و الخلف من المحققين معولين عليه في دفع اصول المعتزلة و هدم قواعدهم و لقد قاموا ـ اي المعتزلة ـ و قعدوا و احتالوا على دفعه فمااتوا بشي مقنع.
هذه هي الوجوه الخمسة التي زعم منها دلائل ثابتة تدعم نظرية اصحابه في جواز التكليف بغير المستطاع ، و حسب ان خصومهم اصحاب الاعتزال عجزوا عن ردها مهما اوتوا من حول و قوة.
في حين ان آثار الوهن بادية عليها، لان اساسها العلم الازلي الالهي المتعلق بعدم ايمان الكافر الجاحد و الحال ان العلم مهما يكن فانه ليس سببا لوقوع المعلوم ، بل ان وقوع المعلوم في وقته سبب لحصول هذا العلم ، فالعلم تبع للمعلوم فلو فرض انهم كانوا يؤمنون ، لكان العلم حاصلا بايمانهم فليس العلم القديم اصلا، بل هو فرع تحقق المعلوم في حينه المتاخر، كما قال ابوالحسين البصري : ان العلم تبع المعلوم ، فاذا فرض الواقع من العبد الايمان ، عرف ان الحاصل في الازل للّه تعالى هو العلم بالايمان , و العمدة ان العبد مختار في الكفر و الايمان ، فاي منهما تحقق منه ، علمه اللّه في الازل ، و ليس علمه تعالى سببا قهريايسلب عن العبد اختياره في العمل.
و هذا واضح لمن تدبر، و لااظن خفاه على مثل الامام الرازي صاحب الذهنية الوقادة ، و لكن تظاهرا بالدفاع عن مذهبه الرسمي المفروض عليه من قبل السلطات ، دعاه الى ذكر مثل هذه الوجوه البادي عليها الضعف و الوهن و تماشيا مع الجوالحاكم اجبر على الانسجام مع الوضع الراهن .
و من ثم نراه ـ عند ما يذكر دلائل اصحاب الاعتزال ـ نراه يذكرها بقوة و دقة و احاطة و تفصيل ، بما لايدع مجالا في امكان قبول تلكم الوجوه الاشعرية.

ذكر دلائل اهل الاعتزال في ثلاث مقامات ، اولا : عدم المانع من الايمان و الكفر، و ثانيا : ان العلم لايوجب منعا في العمل ، الثالث : نقض تلكم الوجوه الخمسة ذكرهن باسهاب و تفصيل ، نقتطف منها ما يلي:
قال : و انا اذكر اقصى ما ذكره اصحاب الاعتزال بعونه تعالى و توفيقه و ذكر وجوها خمسة ، في المقام الاول ،و خلاصتها : ان القرآن مملؤ من الايات الدالة على انه لا مانع لاحد من الايمان ، قال تعالى : (و ما منع الناس ان يؤمنوا اذجاهم الهدى (((838))و (ماذا عليهم لو آمنوا) , ((839)) (فما لهم لا يؤمنون. ((840)) (
قال الصاحب ابن عباد : كيف يامر العبد بالايمان و قد منعه عنه ؟ عليه ؟ و ايضا فان اللّه تعالى قال : (رسلا مبشرين و منذرين لئلا يكون للناس على اللّه حجة بعد الرسل , ((841)) (و قال : (و لوانا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل و نخزى. ((842)) (
فلما بين تعالى انه ما ابقى لهم عذرا الا و قد ازاله عنهم ، فلو كان علمه بكفرهم و خبره عن كفرهم مانعا لهم عن الايمان ،لكان ذلك من اعظم الاعذار، كما ان الذم على الكفر و الجحود، هو خير دليل على اختياريته ، و عدم وجود مانع قاهر عن الايمان.
و ذكر في المقام الثاني وجوها عشرة على ان المعلوم لاينقلب عما هو عليه بسبب العلم ، لان العلم انما يتعلق بالمعلوم على ما هو عليه ، فان كان ممكنا علمه ممكنا، و ان كان واجبا علمه واجبا، و لا شك ان الايمان و الكفر كل واحد بالنظر الى ذاته ممكن الوجود، فلو صار واجبا بسبب العلم ، كان العلم مؤثرا في المعلوم ، و هو باطل بالضرورة.
و ايضا فان اللّه تعالى قال : (لايكلف اللّه نفسا الا وسعها ((843)) (و قال : (ما جعل عليكم في الدين من حرج ((844)) (و قال : (و يضع عنهم اصرهم و الاغلال التي كانت عليهم ((845)) (فكيف يكلف اللّه العبيد ما لايطيقون ؟ و في المقام الثالث ، نقل عن القاضي عبد الجبار جواب المعتزلة عن الاشاعرة ، و تخطئة انقلاب العلم جهلا و الصدق كذباقال الكعبي و ابوالحسين البصري : ان العلم تبع المعلوم ، فاذا فرضت الواقع من العبد الايمان عرفت ان الحاصل في الازل للّه تعالى هو العلم بالايمان ، و متى فرضت الواقع منه هو الكفر بدلا عن الايمان عرفت ان الحاصل في الازل هو العلم بالكفر بدلاعن الايمان فهذا فرض علم بدلا عن علم آخر، لا انه تغير العلم قال الامام الرازي : فهذا الجواب هو الذي اعتمده جمهورالمعتزلة.
قلت : و قد عرفت قوة استدلالهم ، و ضعف دلائل خصومهم ، غير ان الامام الرازي ترك وهن تلك الوجوه و قوة هذه الدلائل بمعرض القارئ و مسمعه ، ليحكم هو حسب ذهنيته الفطرية الحاكمة بان العبد مختار في فعله و اللّه تعالى لايكلف بمالايستطاع ، الامر الذي يجعل من دلائل اهل الاعتزال هي الكفة الراجحة ، و هذا شي فعله الامام الرازي ، عن حسن نية و عن عمد فعله ـ حسب الظاهر ـ اذ الظاهر انه ليسي الظن بمذاهب اصحابه الاشعريين.
و مما يدلك على ذلك ، انه لم يطعن في دلائل اهل الاعتزال ، و ذكرها تامة وافية ، كما هي عادته في كل امر يعتقده صحيحا.
ثم انه بعد ايراد دلائل الطرفين ، اورد شبهاته في المسالة و ذكر مقالات تشكيكية ، و اسندها الى اهل التشكيك ، ممن فرضهم اهل العناد في مسائل الكلام.
قال : و اعلم ان هذا البحث صار منشا لضلالات عظيمة ، فمنها : ان منكري التكاليف و النبوات قالوا : قد سمعنا كلام اهل الجبر ـ يعنى بهم الاشاعرة ـ فوجدناه قويا قاطعا و هذان الجوابان اللذان ذكرهما المعتزلة يجريان مجرى الخرافة ، و لايلتفت العاقل اليهما مع الجبر يقبح التكليف ، و الجواب الذي ذكره اهل الجبر ضعيف جدا، فصارمجموع الكلامين كلاما قويا في نفي التكاليف ، و متى بطل ذلك بطل القول بالنبوات.
هكذا يلقي التشكيك ، عند عرض الارا، سوا المخالف ام المؤالف.
ثم يذكر مطاعن اخر وجهها الطاعنون في القرآن و في الاسلام ، على اثر هذه المناظرة بين اهل الجبر و القدر، و يستنتج :ان الرجوع الى العقليات يورث الكفر و الضلال ، و لهذا قيل : من تعمق في الكلام تزندق.
ثم يذهب في تشكيكاته حيث يشا، و يذكر في اثنائها حكاية طريفة يرويها عن ابن

عمر، ان رجلا قام اليه فقال : ياابا عبدالرحمان ان اقواما يعملون الكبائر و يقولون : كان ذلك في علم اللّه فلم نجد بدا منه فغضب و قال : سبحان اللّه ، قد كان في علمه انهم يفعلونها، فلم يحملهم علم اللّه على فعلها حدثني ابي انه سمع رسول اللّه (ص) يقول : مثل علم اللّه فيكم كمثل السما التي اظلتكم ، و الارض التي اقلتكم فكما لاتستطيعون الخروج من السما و الارض ، فكذلك لاتستطيعون الخروج عن علم اللّه تعالى ، و كما لاتحملكم السما و الارض على الذنوب ، فكذلك لايحملكم علم اللّه تعالى عليها.

و المقصود : ان علمه تعالى الازلي محيط بافعال العباد، و لكن من غير ان يكون علمه تعالى سببا و علة في ايجادها، لان علمه تعالى السابق ، تبع لعمل العبد اللا حق ، فكيفما يعمل يعلمه تعالى من غير ان يكون هذا العلم مؤثرا في ارادة العبد.

و هذا المعنى الواضح ، لم يدركه مثل الامام الرازي ؟ و لعله تظاهر بعدم الفهم

الحكاية : ان في الاخبارالتي يرويها الجبرية و القدرية كثرة ، و الغرض من رواية هذا الحديث بيان انه لايليق بالرسول (ص) ان يقول مثل ذلك ، لانه متناقض و فاسد، اما المتناقض فلان الصدر يدل على الجبر، و الذيل صريح في القدر و اما انه فاسد فلان العلم بعدم الايمان و وجود الايمان متنافيان ، فالتكليف بالايمان مع وجود العلم بعدمه تكليف بالجمع بين النفي و الاثبات ((846)).

قلت : و لعل امامنا الرازي طاعن في ضلاله القديم او متظاهر بذلك.

و من ذلك ايضا، ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : (قال انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين قال فبمااغويتني لا قعدن لهم صراطك المستقيم. ((847)) (

قال : احتج اصحابنا بهذه الاية في بيان انه لايجب على اللّه رعاية مصالح العبد في دينه و لا في دنياه ، و تقريره : ان ابليس استمهل الزمان الطويل فامهله اللّه تعالى ، ثم بين انه انما استمهله لاغوا الخلق و اضلالهم و القا الوساوس في قلوبهم ، و كان تعالى عالما بان اكثر الخلق يطيعونه و يقبلون و سوسته ، كما قال تعالى : (و لقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين ((848)) (فثبت بهذا ان انظار ابليس و امهاله هذه المدة الطويلة يقتضي حصول المفاسد العظيمة و الكفر الكبير، فلوكان تعالى مراعيا لمصالح العباد لامتنع ان يمهله و ان يمكنه من هذه المفاسد، فحيث انظره و امهله ، علمنا انه لايجب عليه شي من رعاية المصالح اصلا.

و مما يقوي ذلك انه تعالى بعث الانبيا دعاة الى الخلق ، و علم من حال ابليس انه لايدعو الا الى الكفر و الضلال ، ثم انه تعالى امات الانبيا الذين هم الدعاة للخلق ، و ابقى ابليس و سائر الشياطين الذين هم الدعاة للخلق الى الكفر و الباطل ، و من كان يريد مصالح العباد امتنع منه ان يفعل ذلك.

قالت المعتزلة : اختلف شيوخنا في هذه المسالة ، فقال الجبائي : انه لايختلف الحال بسبب وجوده و عدمه ، و لايضل بقوله احد الا من لو فرضنا عدم ابليس لكان يضل ايضا و الدليل عليه قوله تعالى) : ما انتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم (

, ((849))و لانه لو ضل به احد لكان بقاؤه مفسدة و قال ابوهاشم : يجوز ان يضل به قوم ، و يكون خلقه جاريا مجرى خلق زيادة الشهوة ، فان هذه الزيادة من الشهوة لاتوجب فعل القبيح الا ان الامتناع منها يصير اشق ، و لاجل تلك الزيادة من المشقة تحصل الزيادة في الثواب ، فكذا هنا بسبب ابقا ابليس يصير الامتناع من القبائح اشد و اشق ، و لكنه لاينتهي الى حدالالجا و الاكراه.

و اجاب الرازي : ان الشيطان لابد ان يزين القبائح ، و معلوم ان حال الانسان مع هذا التزيين لايكون مساويا مع عدمه فحصول هذا التزيين يوجب الاقدام على القبائح ، و هو القا في المفسدة و مسالة الزيادة في الشهوة حجة اخرى لنا في ان اللّه لايراعي مصلحة العباد بسبب خلق تلك الزيادة في شهوة الانسان ، و حصول الزيادة في الثواب لا حاجة اليه ، حيث دفع العقاب المؤب د من اعظم الحاجات ، فلو كان اله العالم مراعيا لمصالح العباد لاستحال ان يهمل الاكمل الاعظم ، لطلب الزيادة التي لاحاجة اليها و لا ضرورة((850)) .

انظر كيف فضح اصحابه بهذا النمط من البحث ، و الخوض في مسالة تمس جانب حكمته تعالى ، فينفي كونه تعالى حكيمالايفعل الا عن مصلحة ، و المصلحة التي

يراعيها الخالق تعالى انما تعود الى العباد انـفـسـهم ، حيث في ذاته تعالى الغنا المطلق كما انه يتنافى و قاعدة اللل طف الناشئة عن مقام حكمته تعالى ، بفعل ما يقرب العباد الى الطاعة ، و يبعدهم عن المعصية و هواساس التشريع و بعث الانبيا و انزال الكتب ، الامر الذي يعترف به الامام الرازي.
نعم لاشك انه تعالى حكيم لايفعل الا عن مصلحة تعود الى العباد انفسهم ، حيث انه تعالى غنى بالذات.
قال تعالى : (انا اوحينا اليك كما اوحينا الي نوح والنبيين من بعده ـ الى قوله ـ رسلا مبشرين و منذرين لئلا يكون للناس على اللّه حجة بعد الرسل ، و كان اللّه عزيزا حكيما. ((851)) (
فقد كان اللّه تعالى عزيزا لايغالب على امره ، لكنه لايفعل الا ما تقتضيه حكمته ، مراعيا فيها مصلحة العباد فقد كان في مصلحتهم بعث الرسل و الانبيا و انزال الشرائع ، و كان في طبيعتهم اقتضا ذلك فقد اجاب طلبهم اتماما للحجة عليهم ،فلاتكون للناس على اللّه حجة بعد الرسل.
و قد جا في القرآن حوالي ثمانين موضعا، جا التصريح فيها بانه تعالى حكيم عليم ، و حكيم خبير، و عزيز حكيم ، ممايتبؤك عن علم و حكمة لايفعل شيئا الا عن احاطة و قدرة و حكمة شاملة.
و اما مسالة خلق ابليس و امهاله و تسليطه على اغوا الناس ، فهذا امر يعود الى مصلحة النظام القائم في الخلق ، لا شي الا و هو واقع بين قطبين : سلب و ايجاب ، جذب و دفع ، و بذلك استوى الوجود فلولا دوافع الشرور، لم يكن في الاندفاع نحوالمطلوب الخير كثير فضل ، بل لم يكن هنا اندفاع نحو الخير، حيث لادافع الى الشر.
فالانسان واقع بين دوافع الخير و دوافع الشر على سوا، و هو مختار في الانجذاب الى ايهما شا ,و يملك قدرته في الاختيار و عقله و ارادته التامة في اختيار الخير او الشر فاذا اختار الخير فعن ارادته و تحكيم عقله فكانت فضيلة ، و اذا اختارالشر فعن ارادته و الاستسلام لهوى نفسه فكانت رذيلة و لا فضيلة و لا رذيلة الا اذا كانت هنا دوافع للخير و للشر معا، و كان الانسان يملك ارادته في الاختيار.
اما الشيطان فلا سلطة له على الانسان سوى دعوته و بعثه الى فعل الشرور (و ما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي , ((852)) (نعم كان كيد الشيطان ضعيفا((853)) و ان اللّه لهو القوي العزيز((854))) كتب اللّه لاغلبن انا و رسلي ان اللّه قوى عزيز) , ((855)) (انا لننصر رسلنا و الذين آمنوا في الحياة الدنيا (((856)) .
و عند تفسير قوله تعالى : (و اذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك للناس اماما قال و من ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين. ((857)) (
نراه يبحث عن مسائل الامامة على مذهب الشيعة الامامية ، و اشتراطهم العصمة في امام المسلمين ، و يذكر حججهم القاطعة في المسالة ، ثم يجيب عليها لا بتلك القوة و المتانة.
قال عند الكلام عن قوله تعالى : (قال لاينال عهدي الظالمين) : احتج الروافض بهذه الاية على القدح في امامة الشيخين ،حيث كانا كافرين و كانا حال كفرهما ظالمين ، لان الشرك ظلم عظيم فوجب ان يصدق عليهما في تلك الحالة : انهما لاينالان عهد الامامة البتة ، و ايضا فانهما لعدم عصمتهما حال الامامة ، كانا غير صالحين لها.
ثم حاول الاجابة على ذلك من وجهين : احدهما : ان الاستدلال مبتن على كون المشتق حقيقة فيمن انقضى عنه المبدا،كما هو حقيقة فيمن تلبس و ليس الامر كذلك ، لان المشتق حقيقة فيمن تلبس باتفاق الاصوليين ، و لايصدق على من انقضى عنه المبدا و الثاني : ان المراد بالامامة هنا هي النبوة , فمن كفر باللّه طرفة عين فانه لايصلح للنبوة((858)) .

لـكن استدلال الامامية لايتوقف على كون المشتق حقيقة في الاعم ممن تلبس او انقضى عنه المبدا، بـل كما صرح هوايضا : انه في حال التلبس يتوجه الخطاب بعدم اللياقة و النفي تابيد شمل الظالم و وصمه بوصمة العار : انه غير صالح للامامة ابدا و من ثم فان الكافر لايصلح للنبوة حتى و لو تاب و آمن ، و لا دليل عليه سوى شمول هذه الاية ، حسبما صرح به الرازي نفسه اذن فالاية صالحة لسلب الصلاحية ابدا عمن كفر و اشرك باللّه طرفة عين.
فمن كفر باللّه و اشرك فقد ظلم ربه و ظلم نفسه ، و الظالم مسلوب الصلاحية ابدا، حتى بعد توبته و ايـمـانه ايضا، اذ يتوجه اليه حينذاك ـ اي حين ظلمه ـ : لاينالك عهدي ايها الظالم الخائن لربه و هو نفي تابيد مترتب على ظلم ، صادر من المكلف و هذا من خاصية الظلم ، حيث يترتب عليه حكم عام ,نظير السرقة يترتب عليها حكم القطع ، فيجب اجراؤه سوا حال سرقته ام بعدها نعم اذا تاب السارق قـبـل امـكـان الـقـبـض عـليه ، فانه يسقط حكم القطع ، و لكنه بدليل خاص ، و الا كان الحكم ثابتا على عمومه.
و مـسـالـتـنا الحاضرة من هذا القبيل ، اي من قبيل السرقة و الزنى و شرب الخمر، يثبت احكامها بمجرد الصدور و صدق الموضوع خارجا، و يدوم حتى الاجرا.
فقوله تعالى : الظالم لايناله عهدي ، نظير قوله : السارق تقطع يده ، و الزاني يجلد، و الشارب يحد ,يجري الحكم بعدانقضا المبدا، و لايختص بحال التلبس.
و الامـامة ـ هنا ـ شـي ورا النبوة ، و هو القدوة للناس ، التي ليست سوى امامة الامة مطلقة ، لان هذه الامـامـة انـما جات ابراهيم ، حال كونه نبيا، فهي رتبة الامامة جاته بعد النبوة ، و من ثم فانها تشمل الخلافة التي هي امامة عامة.
و اذا كانت الامامة بهذا المعنى لاتنال من كفر باللّه طرفة عين ، فلايصلح للامامة الا من كان معصوما من الخطا و الزلل.
و دلـيـل آخـر تمسك به الامامية ، اغفله الرازي ، و هو : ان هذه الاية نفت صلاحية من كان يظلم نـفـسـه ، و لـو بارتكاب الكبائر،غير الكفر و الشرك فمن يحتمل في شانه ارتكاب المعصية ـ اي لم يكن معصوما ـ لم يطمئن خروجه عن شمول الاية بنفي لياقة الامامة.
و من ثم فانه يشترط في الامام سوا النبي ام خليفته ان يكون معصوما.
مباحث تافهة.
و هناك تجد في هذا التفسير الضخم الفخم بعض ابحاث تافهة ، لاتمس مسائل الانسان في الحياة ، و لاتفيده علما و لاعملا، تعرض لها الامام الرازي ، و اظنه قد تفكه بها، و لم يردها عن جد عقلاني , هذا فضلا عن تلكم المجادلات العنيفة التي اضاع بها كثيرا من صفحات تفسيره ، و لقد كان الكف عنها اجدر.
مـن ذلـك تـفـصيله الكلام حول مسالة تافهة للغاية ، و هي : المسالة السادسة ، في ان السما افضل ام الارض ؟((859)) .
و هكذا عند تفسير قوله : ((السما بنا)) ياتي في المسالة الثانية بفضائل السما من وجوه خمسة ثم يـاتي في المسالة الثالثة بفضائل السما، و بيان فضائل ما فيها من الشمس و القمر و النجوم ، و يذكر لكل منها وجوها من فضائل((860)) .
و بهكذا امور لاطائل تحتها يسود كثيرا من صفحات تفسيره ، الامر الذي يدل على فراغ وجدة كان يتمتع بهما مفس رناالخبير.
و ربما يرد المسائل ، هي بالهزل اشبه منه الى الجد مما لايتناسب و مقام علميته الرفيعة.
مـثـلا : عـند تفسير قوله تعالى : (شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن (((861)يحاول توجيه نزول القرآن في شهررمضان ـ ليلة القدر ـ نزوله

الدفعي جملة الى سما الدنيا، ثم نزوله التدريجي الى الارض نجوما يقول : انما جرت الحال على ذلك لما علمه اللّه من المصلحة ، فانه لايبعد ان يكون لـلملائكة الذين هم سكان سما الدنيا مصلحة ، او كان فيه مصلحة للرسول (ع) في توقع الوحي من اقرب الجهات ، او كان فيه مصلحة لجبرئيل ، حيث كان هو المامور بانزاله و تاديته((862)) .

تفسير البيضاوي (انوار التنزيل و اسرار التاويل(

الـمؤلف هو القاضي ناصر الدين ابوالخير، عبداللّه بن عمر بن محمد بن علي , البيضاوي الشافعي ، نسبة الى بيضا، مدينة كانت مشهورة بفارس ، بينها و بين شيراز ثمانية فراسخ ، ولي قضا شيراز، و كان اماما بارزا نظارا خيرا كما قال السبكي توفي سنة (٦٨٥) له مصنفات جيدة اهمها هذا التفسير الذي اعتمد فيه على تفسير ((الكشاف)) للزمخشري.
و هـو تـفـسـيـر جـيـد لطيف ، جمع فيه بين حسن العبارة و قوة البيان ، و من ثم اعتمده كثير من المفسرين ، كالمولى الفيض الكاشاني في تفسيره الصافي ، و له نظرات و آرا دقيقة في حل معضلات الايـات ، هو عند تفسير قوله تعالى : (اهدنا الصراطالمستقيم) من سورة الحمد، ينوع الهداية الى مراحل اربعة ، مترتبة بعضها اثر بعض ، فانما يسال العباد النيل الى مراتب اعلى من هداية اللّه للعباد و هذا تفسير طريف يوجه سؤال الهداية في امثال هذه الاية ، ربما لم يسبقه اليه احد من المفسرين.
يـقال : انه اشعري المسلك ، و من ثم انه اخذ من تفسير الكشاف كثيرا، لكنه ترك ما فيه من اعتزال , و هذا غير صحيح ، لانه يذهب في تفسيره مذهب اهل العدل و التنزيه ، و من ثم نراه يؤول كثيرا من ظواهر آيات تنافي دليل العقل.
مـثلا عند تفسير قوله تعالى (الذين ياكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من الـمس ((863)) (وجـدنـاه يـقـول : الا قياما كقيام المصروع ، و هو وارد على ما يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع ثم يفسر ((المس)) بالجنون ،و يقول : و هذا ايضا من زعماتهم ان الجني يمس الرجل فيختلط عقله((864)) .
و هـذا الذي مشى عليه موافق مع مذهب الاعتزال الذي مشى عليه الزمخشري من ان الجن لاتسل ط لـها على الانسان ، فيماعدا الوسوسة و الاغوا، حيث قوله تعالى حكاية عن ابليس فى مشهد القيامة) : و ما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي ((865)) (و قوله تعالى : (و ما كان له عليهم من سلطان. ((866)) (و هـذا الـتـفـسـير كما ذكرنا مختصر من تفسير ((الكشاف)) للزمخشري و قد استمدايضا من))الـتـفـسـير الكبير)) للامام الرازي ،و من ((تفسير الراغب)) الاصفهاني ، و ضم الى ذلك بعض الاثار الواردة عن الصحابة و التابعين ، لكنه اعمل فيه عقله ، فضم نه نكتا بارعة ، و لطائف رائعة ، و استنباطات دقيقة ، كل هذا في اسلوب رائع موجز، و عبارة تدق احيانا و تخفى الا على ذي بصيرة ثـاقـبـة ، و فطنة نيرة و هو يهتم احيانا بذكر القرااات ، و ربما ذكر الشواذ ايضا، كما انه يعرض للصناعة النحوية ، و لكن بدون توسع واستفاضة ، كما انه يتعرض عند آيات الاحكام لبعض المسائل الفقهية بدون توسع منه في ذلك.
و مـمـا يـمتاز به البيضاوي في تفسيره انه مقل جدا من ذكر الروايات الاسرائيلية ، و هو يصدر الرواية بقوله : روي او قيل ،اشعارا منه بضعفها.
ثم انه اذا عرض للايات الكونية ، فانه لايتركها بدون ان يخوض في مباحث الكون الطبيعية ، و لعل هذه الظاهرة سرت اليه عن طريق ((التفسير الكبير)) للامام الرازي.
و اليك من نص عبارته الشارحة لمنهجه في التفسير، و المبينة للمصادر التي اعتمدها او اختصرها في تفسيره ، قال في مقدمة تفسيره:
))و لطالما احدث نفسي بان اصنف في هذا الفن ـ اي التفسير ـ كتابا يحتوي على صفوة ما بلغني من عـظـمـا الـصحابة ،و علما التابعين ، و من دونهم من السلف الصالحين و ينطوي على نكات بارعة و لـطائف رائعة ، استنبطتها انا و من قبلي من

افاضل المتاخرين ، و اماثل المحققين ، و يعرب عن وجوه القرات المشهورة المعزية الى الائمة الثمانية المشهورين ، و الشواذالمروية عن القرا المعتبرين.((
و يقول في خاتمة الكتاب ما نصه : ((و قد اتفق اتمام تعليق سواد هذا الكتاب المنطوي على فرائد فوائد ذوي الالباب ،المشتمل على خلاصة اقوال اكابر الائمة ، و صفوة آرا اعلام الامة ، في تفسير القرآن و تحقيق معانيه ، و الكشف عن عويصات الفاظه و معجزات مبانيه ، مع الايجاز الخالي عن الاخلال ، و التلخيص العاري عن الاضلال.((
يقول عنه صاحب كشف الظنون : ((و تفسيره هذا كتاب عظيم الشان ، غني عن البيان ، لخص فيه من))الكشاف)) ما يتعلق بالاعراب و المعاني و البيان ، و من ((التفسير الكبير)) ما يتعلق بالحكمة و الكلام ، و من ((تفسير الراغب)) ما يتعلق بالاشتقاق و غوامض الحقائق و لطائف الاشارات و ضم اليه ما وري زناد فكره من الوجوه المعقولة ، فجلا رين الشك عن الصريرة ، و زادفي العلم بسطة و بصيرة. ((867)) ((
غير اننا نجد البيضاوي قد وقع فيما وقع فيه ((الكشاف)) و غيره من المفسرين ، من ذكرهم في نهاية كل سورة حديثااو احاديث في فضلها و فضل قارئها، و قد عرفنا قيمة هذه الاحاديث ، و انها موضوعة باتفاق اهل الحديث و لسنا نعرف كيف اغتر بها امثال البيضاوي فرواها، و تابع الزمخشري و امثاله في ذكرها، مع مالهم من مكانة علمية و حصانة عقل و دراية.
و قد اعتذر عنه صاحب كشف الظنون بقوله : ((و اما اكثر الاحاديث التي اوردها في اواخر السور، فانه لكونه ممن صفت مرآة قلبه ، و تعرض لنفحات ربه ، تسامح فيه ، و اعرض عن اسباب التجريح و التعديل ، و نحا نحو الترغيب و التاويل ، عالمابانها مما فاه صاحبه بزور و دلى بغرور ((868)) ((لكنه اعتذار غير عاذر.
ثم ان هذا الكتاب رزق بحسن القبول عند الجمهور، فعكفوا عليه بالدرس و التحشية ، فمنهم من علق تعليقة على سورة منه ، و منهم من حشى تحشية تامة ، و منهم من كتب على بعض مواضع منه.

تفسير النسفي (مدارك التنزيل و حقائق التاويل(

تاليف ابي البركات ، عبداللّه بن احمد بن محمود النسفي ، نسبة الى ((نسف)) من بلاد ماورا النهر((869)) كان امام زمانه ، راسافي الفقه على المذهب الحنفي ، بارعا في الحديث و التفسير، و له تصانيف في الفقه و الاصول ، و منها هذا التفسير الذي اختصره من ((تفسير البيضاوي)) و من))الكشاف)) للزمخشري ، جمع فيه من وجوه الاعراب و القرات ، و ضمنه ما اشتمل عليه ((الكشاف)) من النكت البلاغية و المحسنات البديعية ، و اورد فيه ما اورده الزمخشري من ا لاسئلة و الاجوبة ، لكن لا صريحا بل مدرجا ضمن شرحه للاية توفي سنة (٧٠١ ه ق)، و دفن بايذج ـ وزان احمد معرب ((ايذه)) ـ بلدة بين اهواز و اصفهان ، من محافظة خوزستان.
و هناك تفسير آخر بهذا الاسم ، لابي حفص نجم الدين عمر بن محمد النسفي الحنفي ايضا، توفي سنة (٥٣٨ ه ق)و قد طبع هذا التفسير ايضا في مجلدين و له ترجمة للقرآن بالفارسية ، طبعت سنة (١٣٥٣ ش) بتصحيح الدكتور عبداللّه الجويني و النسفيون كثيرون ، غير ان المعروف منهم هما هاذان المفسران.

تفسير ابي السعود (ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم(

لابي السعود محمد بن محمد بن المصطفى العمادي ، توفي سنة (٩٨٢) كان من العلما الترك و لازم السلطان سليمان القانوني ، و تقلد القضا، و انيط اليه الافتا سنة (٩٥٢) كان حاضر الذهن ، سريع البديهة ، يكتب باللغات العربية و الفارسية و التركية ، و قد مكنت له معرفته بهذه اللغات الاطلاع على الكثير من المؤلفات.
كان منهوما بتدريس ((الكشاف)) و ((البيضاوي)) معجبا بهما، و من ثم وضع تفسيره على منوالهما، فجا صورة اخرى عنهمامع تغييرات يسيرة و مع ذلك فهو من

اجود التفاسير المشتملة على النكات الادبية و الدقائق البلاغية ، فكان غاية في حسن الصوغ و جمال التعبير، و من ثم ذاعت شهرته بين اهل العلم ، و شهد له كثير من العلما بانه من خير التفاسير.
و المطالع في تفسيره هذا يجده لا بالطويل الممل ، و لا بالقصير المخل ، وسطا مشتملا على لطائف و نكات ، و فوائدو اشارات.
و من مميزات هذا التفسير اقلاله من القصص الاسرائيلية ، و ان ذكر منها شيئا فانه يذكره مضعفا له او منكرا، و مبينا منشابطلانه و ذلك كما صنع في قصة هاروت و ماروت ، حيث فند ما جا حولها من اساطير اسرائيلية ، و لهذا نراه قد صنف فيهارسالة خاصة و بين فيها جهات ضعفها و مع ذلك نجده لم يخل من قصص اسرائيلية ، كما نجده في قصة داوود و اوريا،و الخرافات التي حيكت حولها، و قد زعم المؤلف : ان ذلك كان جائزا في شريعة داوود((870)) هكذا يبرر من غير تبريرو هواشعري في مسلكه ، و يفسر الايات في ضؤ ذاك المذهب البائد.

تفسير الالوسي (روح المعاني(

للسيد محمود افندي الالوسي البغدادي المتوفى سنة (١٢٧٠) كان شيخ علما الاحناف ببغداد، جمع بين المعقول و المنقول ، حسبما اوتي من حظ عظيم في التوسع و التتبع كان عالما بمبادئ الاصول و الفروع ، محدثا و مفسرا خبيرا و كان ذاحافظة غريبة ، كان لايحفظ شيئا الا و قد حضره كان يقول : ماستودعت ذهني شيئا فخانني تقلد افتا الحنفية سنة (١٢٤٢)،و تولى اوقاف مدرسة المرجانية ببغداد و في سنة (١٢٦٣) انفصل عن منصب الافتا و بقي مشتغلا بتفسير القرآن ، حتى اتمه ،و سافر به الى القسطنطينية ، ليعرض تفسيره على السلطان عبدالمجيد خان ، لينال اعجابه و رضاه.
و تفسيره هذا جامع لارا السلف و اقوال الخلف ، مشتملا على مقتطفات كثيرة من تفاسير من تقدمه , كتفسير ابن عطية ،و تفسير ابي حيان ، و تفسير الكشاف ، و ابي السعود، و ابن كثير، و البيضاوي ، و الاكثر من الفخر الرازي و ربما نقد المنقول من هذا التفسير، و لكن قليلا.
و هو في تفسيره يتعصب للمذهب السلفي اصولا و فروعا، باد عليه تعصبه ، و لذلك نراه لم يراع ادب الكتابة في كثير من الاحيان.
مثلا عند تفسيره لقوله تعالى : (الله يستهزئ بهم و يمدهم في طغيانهم يعمهون(((871))يقول بعد كلام طويل و لجاج عنيف : و اضافته ـ اي الطغيان ـ اليهم ، لانه فعلهم الصادر منهم ، بقدرهم المؤثرة باذن الله تعالى ، فالاختصاص المشعرة به الاضافة ، انما هو بهذا الاعتبار، لا باعتبار المحلية و الاتصاف ، فانه معلوم لا حاجة فيه الى الاضافة ، و لا باعتبار الايجاد استقلالامن غير توقف على اذن الفعال لما يريد، فانه اعتبار عليه غبار، بل غبار ليس له اعتبارفلاتهولنك جعجعة الزمخشري و قعقعته ((872)).
و هو تفسير فيه تفصيل و تطويل ، و احيانا بلا طائل انه يستطرد الى الكلام في الصناعة النحوية , و يتوسع في ذلك ربما الى حد يكاد يخرج به عن وصف كونه مفسرا قال الذهبي : و لااحيلك على نقطة بعينها، فانه لايكاد يخلو موضع من الكتاب من ذلك ((873)).
و هكذا يستطرد في المسائل الفقهية مستوعبا آرا الفقها و مناقشاتهم بما يخرجه عن كونه كتاب تفسير الى كتاب فقه اماالمسائل الكلامية فحديثه عنها مسهب ممل لايكاد يخرج من التعصب في الغالب.
كما لم يفته ان يتكلم عن التفسير الاشاري ، بعد الفراغ عن الكلام في تفسير الظاهر من الايات ، و هو في ذلك يعتمد التفسيرالنيسابوري و القشيري و ابن العربي و اضرابهم ، و ربما يتيه في وادي الخيال.
و جملة القول فهذا التفسير موسوعة تفسيرية مطولة تطويلا يكاد يخرجه عن مهمته التفسيرية في كثير من الاحيان فتفسيرالالوسي هذا هو اوسع تفسير ظهر بعد الرازي

على الطريقة القديمة , بل هو نسخة ثانية من تفسير الرازي مع بعض التغيير ـ ليس بالمهم ـ اذ كل من قرا تفسير الالوسي يجده معتمدا تفسير الرازي كل الاعتماد، و كان مصدره الاول من مصادره في التفسير، كماقال الاستاذ عبدالحميد((874)) .

تفسير البلاغي (آلا الرحمان(

للامام المجاهد و العلا مة الناقد الشيخ محمدجواد البلاغي النجفي ولد سنة (١٢٨٢ (و توفي سنة (١٣٥٢ هـ) كان ـ رحمه اللّه ـ قد قضى حياته الكريمة في النضال و الدفاع عن حامية الاسلام ، قلما و قدما((875)) و له في كلا المجالين مواقف مشهودة ومصنفاته في الدفاع عن حريم الاسلام معروفة منها: ((الرحلة المدرسية))، في ثلاثة اجزا، حاول فيها الرد على شبه المسيحيين ضد الاسلام و منها: ((الهدى الى دين المصطفى))، دافع فيه عن كرامة القرآن العتيدة في جزئين كبيرين و غيرهما من كتب ورسائل عنيت باهم المسائل الاسلامية العريقة.
و هذا التفسير من افضلها، حيث كان من آخر تليفه ، فكان ادقها و امتنها سوى انه من المؤسف جدا اذ لم يمهله الاجل ،فقضى نحبه عند بلوغه لتفسير قوله تعالى : (و الذين آمنوا و عملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الا نهارخالدين فيها ابدا لهم فيها ازواج مطهرة و ندخلهم ظلا ظليلا ((876)) (فاكمل تفسير الاية و لحق بجوار ربه الكريم ليوفيه اجره حسبما وعد في الاية ، و الكريم اذا وعد وفى.
و كان شيخنا العلامة البلاغي عارفا باللغات العبرية و الانجليزية و الفارسية الى لغته العربية مجيدا فيها، مما ساعده على مراجعة اهم المصادر للتحقيق عن مبادئ الاديان القديمة ، و الوقوف على مبانيها فكانت تليفه في هكذا مجالات ذوات اسنادمتين و اساس ركين.
و تفسيره هذا هادف الى بيان حقائق كلامه تعالى و ابدا رسالة القرآن ، في اسلوب سهل متين ، يجمع بين الايجاز و الايفا،و الاحاطة باطراف الكلام ، بما لايدع لشبه المعاندين مجالا، و لا لتشكيك المخالفين مسربا هذا الى جنب ادبه البارع و معرفته بمباني الفقه و الفلسفه و الكلام و التاريخ ، و لاسيما تاريخ الاديان و اعراف الامم الماضية ، و التي حل بها كثيرا من مشاكل اهل التفسير و من ثم كان منهجه في التفسير ذا طابع ادبي كلامي بارع ، فرحمة اللّه عليه من مجاهد مناضل في سبيل الاسلام.

التفسير في العصر الحديث

لم يترك الاقدمون لمن تاخر عنهم كبير جهد في تفسير كتاب اللّه ، و الكشف عن معانيه و مراميه ، فقد تناولوه من اول امرهم بدراسته التفسيرية التحليلية دراسة توسعت و اطردت مع الزمن على تدرج ملحوظ، و تلون بالوان مختلفة حسبما عرفت و لاشك ان كل ما يتعلق بالتفسير من الدراسات المختلفة قد وفاه هؤلا المفسرون القدامى حقه من البحث و التحقيق ، فالنواحي اللغوية و البلاغية و الادبية و النحوية ، و حتى الفقهية و الكلامية و الكونية الفلسفية , كل هذه النواحي و غيرها تناولوها بتوسع ظاهر ملموس ، لم يتركوا لمن جا بعدهم الى ما قبل عصرنا بقليل من عمل جديد او اثر مبتكر يقومون به في تفاسيرهم التي دونوها، سوى اعمال ضئيلة لايعدو ان يكون جمعا لاقوال المتقدمين ، او شرحا لغامض آرائهم ، او نقدا او تفنيدا لما يعتوره الضعف منها، او ترجيحا لراي على راي ، مما جعل التفسير يقف وقفة طويلة مليئة بالركود، خالية من التجديد و الابتكار.
و لقد ظل الامر على هذا، و بقي التفسير واقفا عند هذه المرحلة ـ مرحلة الركود و الجمود ـ لايتعداها، و لايحاول التخلص منها حتى جا عصر النهضة العلمية الحديثة ، فاتجهت انظار العلما الذين لهم عناية بدراسة التفسير الى ان يتحرروا من قيد هذا الركود، و يتخلصوا من نطاق هذا الجمود، فنظروا في كتاب اللّه نظرة فاحصة من جديد و ان كان لها اعتماد كبير على مادونه الاوائل في التفسير اثرت في الاتجاه

التفسيري للقرآن تاثيرا ملموسا، و غيرت من اتجاهاته الـقديمة ، و البسته ثوبا جديدالاينكر، اذ عملت في التخلص من كل الاستطرادات التي حشرت في الـتـفـسـير حشرا و مزجت به على غير ضرورة لازمة ،و ثابرت على تنقية التفسير من القصص الاسرائيلية التي كادت تذهب بجمال القرآن و جلاله ، و تمحيص ما جا فيه من الاحاديث الضعيفة او الـمـوضـوعـة على رسول اللّه (ص) او على اصحابه و الائمة من بعده (ع) و الباس التفسير ثوبا ادبـيـااجـتماعيا، في صياغة جديدة اظهرت روعة القرآن و جمال بهائه ، كما كشفت عن كثير من مـرامـيـه الـدقيقة و اهدافه السامية ، في تعرفة الانسان و الحياة و السياسة و الاجتماع ، و هكذا حاولت التوفيق بجد بالغ و جهد بين ، بين ظواهر القرآن و ما جد من نظريات علمية صحيحة ، على تـفـاوت بـين الموقفين في الغلو و الاعتدال كل ذلك من اجل ان يعرف المسلمون و من ورائهم الناس جـمـيـعـا ان الـقرآن هو الكتاب الخالد، الذي يتمشي مع الزمان في جميع اطواره و مراحله و لقد اجادوا و افادوا في هذاالمجال ، و لكنهم توسعوا في ذلك ، و ربما بلغ ببعضهم حد الافراط و الغلو ,بما اخرجهم عن حد الاعتدال.

الوان التفسير في العصر الحديث

كان الجري مع الزمن في التفسير استدعى تنوعه مع تنوع متطلبات العصر و متقلباته , بما نستطيع ان نجمل القول في الوان التفسير في العصر الحديث في الالوان الاربعة التالية ، و هي اهمها:
اولا : اللون العلمي : و هو اول الالوان التي ظهرت الى الوجود، متاثرا بمكتشفات العصر الحديث.
ثـانـيـا : الـلـون الادبـي الاجـتـماعي : و هو ثاني الالوان ، المتاثر بالادب المعاصر، و المظاهر الاجتماعية الحاضرة.
ثـالـثـا : الـلـون السياسـي : و قد ظهر هذا اللون على اثر التشعبات الحزبية السياسية الحديثة في المجتمع الاسلامي.
رابـعا : اللون العقلي : فقد رافقت الالوان المتقدمة هذا اللون من التفسير العقلي ، الذي كان فيه بعض الـمحاولات لتاويل آيات ، كانت بظاهرها متنافية مع مظاهر العلم او العقيدة الالحادية ، التي اورثتها النهضة الصناعية العلمية ، منذ القرن التاسع عشرللميلاد.
و اليك بعض الكلام عن اللونين العلمي و الادبي الاجتماعي ، فقد ازدهر العصر الحديث بهما، نتيجة الـوعي الديني الذي ساد اكثر ابنا هذا العصر اما اللونان الاخران : السياسـي و العقلي ، فهما حصيلة افـكار سياسـية متطرفة و اخرى الحادية كافرة ،سيطرت على نفوس ضعيفة ، او تشكلات حزبية مـنـحـرفـة ، و لم تكن لهم تفاسير شاملة ، سوى بضع آيات التقطوها، كانت من المتشابهات ، و من ثم اتـبـعوها ابتغا الفتنة و ابتغا تاويلها فهي تفاسير مقطوعة الدابر منبوذة لايعتد بها، فلم نعتمدها و لا كان لهاشان.

1ـ اللون العلمي

ان هـذا الـلـون مـن التفسير الذي يرمي الى جعل القرآن مشتملا على اشارات عابرة الى كثير من اسـرار الطبيعية ، التي كشف عنها العلم الحديث ، و لاتزال على مسرح الاكتشاف قد استشرى امره فـي الـعـصـر الاخير، و راج لدى بعض المثقفين الذين لهم عناية و شغف بالعلوم ، الى جنب عنايتهم بـالقرآن الكريم و كان من اثر هذه النزعة التفسيرية الخاصة ، التي تسلطت على قلوب اصحابها، ان اخـرج لـنا المشغوفون بها كثيرا من الكتب و الرسائل التي يحاول اصحابها فيها ان يحملوا القرآن كثيرا من علوم الارض و السما، و ان يجعلوه دالا عليها بطريق التصريح او التلميح ، اعتقادا منهم ان هذا بيان لناحية من اهم نواحي صدقه ،و اعجازه ، و صلاحيته للبقا.

اهم الكتب التي عنيت بهذا اللون

من اهم هذه الكتب التي ظهرت فيها هذه النزعة التفسيرية ، كتاب ((كشف الاسرار النورانية القرآنية ، فيما يتعلق بالاجرام السماوية ، و الارضية ، و الحيوانات ، و النباتات ، و الجواهر المعدنية)) تاليف الطبيب الفاضل محمد بن احمد الاسكندراني ،احد رجال القرن الثالث عشر الهجري ، برع في الطب الروحاني و الجسماني ، و كانت له علاقة شديدة في دفع شبهات الاجانب التي كانت تثار ضدالدين ، و كان له المام بالعلوم الحديثة التي كانت معروفة على عهده ، من طب و صناعة ، و العلوم الطبيعية و الكيميا، و طبقات الارض و الحيوان و النبات و من ثم حاول اثبات ان لا منافاة بين الدين و العلم ، بل ان احدهما ليكمل الاخر و يؤيده توفي سنة (١٣٠٦ ه.(
و كتابه هذا من اوليات الكتب التي ظهرت في هذا الشان ، و هو كتاب كبير الحجم ، يقع في ثلاث مجلدات ، لكن من غيران يستوعب جميع آي القرآن ، سوى ما يتعلق بموضوع دراسته الخاصة بحث في الجز الاول عن الحياة و خلق الاحيا في الارض ، و في الجز الثاني ، عن الاجرام السماوية و عن مظاهر الكون في الارض و السما، و في الجز الثالث ، عن اسرارالنباتات و المعادن ، و ما الى ذلك.
و قد ذكر الاسكندراني في هذا الكتاب ان القرآن يحتوي على علوم جمة ، على ما جد من نظرات علمية تؤيد اعجازالقرآن ، و يثبت ان عصر العلم الذي يتحدثون عنه قد بينه القرآن في صورة حقائق الكون ، و خلق الحيوان ، و اسرار النباتات و المعادن.
و ابان في المقدمة غرضه من هذا التاليف ، قائلا:
))و كنت منذ زالت عني تمائم الطفولية ، و نيطت بي عمائم الرجولية ، ممن شغف بتعلم الطب ليالي و اياما، انهمك في دراسته على قدر الطاقة سنين و اعواما، ثم اقمت بدمشق الشام معتنيا بمداواة اهلها الاماثل الاعلام ، الى ان اجتمعت في محفل سنة (١٢٩٠ ه) كان حافلا ببعض الاطبا المسيحيين , فشرعوا يتحادثون في كيفية تكون الاحجار الفحمية ، و في انها هل اشير اليها في التوارة و الانجيل ام لا؟ فلم يحصلوا على شي ، لاصريحا و لااشارة ، ثم وجهوا الى السؤال عن القرآن الكريم هل فيه اشارة الى ذلك ؟ فتصدرت للجواب و تلطفت في التفهيم و الخطاب ، قدر طاقتي و وسعي ، و تتبعت كلام كثير من العلما،و تفردت في طلبه من كتب التفسير و الطب ، مع زيادة الاجتهاد.((
و هو كتاب لطيف في بابه ، طريف في اسلوبه ، اعتمد فيه آرا القدما و المحدثين ، و جد في ذلك حسب امكانه ، و افاد،جزاه اللّه خيرا.
و هناك مختصرات في هذا الشان كثيرة جرت على نفس المنوال ، فهناك الاطبا و المهندسون و علما اختصاصيون كانت لهم عناية بالدين و بالقرآن الكريم ، حاول كل حسب وسعه و حسب طاقته العلمية ، في الابانة عن وجه اعجاز القرآن ، من ناحية اختصاصه و الكتب و الرسائل من هذا القبيل كثيرة و منبثة ، ربما تفوق الحصر، و لاتزال تزداد حسب اطراد الزمان((877)) .
و في العلما الدينيين ايضا كثير ممن قام بهذا الامر، و كتب في جوانب علمية من القرآن الكريم , امثال العلامة السيدهبة الدين الشهرستاني المتوفى سنة (١٣٨٦ ه) قام بتاليف رسالة يقارن فيها بعض مسائل الهياة و الفلكيات حسب اشارات جات في الشريعة و في نصوص القرآن الكريم طبعت طبعتها الاولى في بغداد سنة (١٣٢٨ ه) و ترجمت عدة ترجمات منهابالفارسية ، مما يدل على اعجاب العلما بهذا الكتاب.
و رسالة الاستاذ عبداللّه باشافكري في مقارنة بعض مباحث الهياة طبعت بالقاهرة سنة (١٣١٥ ه.(
و رسالة السيد عبداللّه الكواكبي ، و هي عبارة عن مجموعة مقالات له ، نشرها في بعض الصحف عندما زار مصر سنة (١٣١٨ ه) ثم جمعت ضمن كتاب باسم ((طبائع الاستبداد و مصارع الاستعباد.((
و رسالة اعجاز القرآن للاستاذ مصطفى صادق الرافعي ، عقد فيه بحثا عن القرآن و العلوم.
و رسالة الاستاذ رشيد رشدي العابري ، مدرس الجغرافية في ثانوية التفيض ببغداد،

قام بنشرها سنة (١٩٥١ م.(
و رسائل من هذا القبيل مبثوثة فوق حد الاحصا.
هـذا، و اكثر علما العصر الحديث نزعة الى التفسير العلمي ، و اكبرهم انتاجا هو الشيخ طنطاوي جـوهـري ، فانه اكثر من جمع في هذا المجال و اطال في تفسيره ((الجواهر)) و ربما اسهب بما يـخـرجـه عن طور التفسير احيانا يقع في خمسة و عشرين جزا، و الحقه بجز آخر هو المتمم للجز السادس و العشرين و اليك بعض الكلام عن هذا التفسير العجيب.

الجواهر في تفسير القرآن للطنطاوي

هـو الشيخ طنطاوي بن جوهري المصري ، توفي سنة (١٣٥٨ ه) و تفسيره هذا يعتبر اطول و اول مـن فـسـر القرآن الكريم في ضؤ العلم الحديث ، و من قبله محمد احمد الاسكندراني ، و لكنه بـصورة غير شاملة ، و كذلك جا بعده مفسرا للقرآن بطريقة علمية حديثة محمد عبدالمنعم الجمال في صورة اوجز، حسبما ياتي.
و يرى الشيخ الجوهري ان معجزات القرآن العلمية لازالت تنكشف يوما بعد يوم ، كلما تقدمت العلوم و الاكـتـشافات ، و ان كثيرا من كنوز القرآن العلمية مازالت مذخورة ، يكشف عنها العلم شيئا فشيئا على مر العصور.
و الشيخ الجوهري كان منذ صباه مولعا بهكذا كشائف علمية دينية ، مغرما بالعجائب الكونية ، و معجبا بالبدائع الطبيعية ،مشوقا الى ما في السما و الارض من جمال و كمال و بها كما يقول هو عن نفسه قال في مقدمة تفسيره:
))لـمـا تـاملت الامة الاسلامية ، و تعاليمها الدينية ، الفيت اكثر العقلا و بعض اجلة العلما، عن تلك الـمـعاني معرضين ، و عن التفرج عليها ساهين لاهين ، فقليل منهم من فكر في خلق العوالم و مااودع فـيـهـا مـن الـغـرائب فاخذت اؤلف كتبا لذلك شتى ،كنظام العالم و الامم ، و جواهر العلوم ، و التاج الـمـرصـع ، و جـمـال العالم و مزجت فيها الايات القرآنية بالعجائب الكونية ،و جعلت آيات الوحي مطابقة لعجائب الصنع ((
((878)) .
لـكـنـه وجـد ان هذه الكتب رغم كثرتها و انتشارها و ترجمتها الى اللغات الاخرى كالاوردية و الـقـازانية الروسية لم تشف غليله ، فتوجه الى اللّه ان يوفقه الى تفسير القرآن تفسيرا ينطوي على كل ما وصل اليه البشر من علوم ، فوفقه اللّه لتحرير هذاالتفسير الجليل.
و مـفـسـرنـا هـذا يقرر في تفسيره ان في القرآن من آيات العلوم ما يربو على سبعماة و خمسين (750)آيـة ، فـي حـيـن ان عـلـم الـفـقـه لاتـزيـد آياته الصريحة على ماة و خمسين (١٥٠ (آيةالآيات((879)) .
و نـجـده كثيرا ما يهيب بالمسلمين ان يتاملوا في آيات القرآن التي ترشد الى علوم الكون ، و يحثهم عـلـى الـعمل بما فيها،و يندد بمن يغفل هذه الايات على كثرتها، و ينعى على من اغفلها من السابقين الاولين.
منهج المؤلف في التفسير.
انه يذكر الايات فيفسرها اولا لفظيا مختصرا، لايكاد يخرج بذلك عما في كتب التفسير المالوفة , لـكـنـه سـرعـان مـا يخلص من هذا التفسير الذي يسميه تفسيرا لفظيا و يدخل في ابحاث علمية مستفيضة ، يسميها لطائف او جواهر هذه الابحاث عبارة عن مجموعة آرا علما الشرق و الغرب في الـعصر الحديث ، ليبين للمسلمين و غيرهم ان القرآن الكريم قد سبق الى هذه الابحاث ، و نبه على تـلـك الـعـلوم قبل ان يصل اليها هؤلا العلما و نجده يضع لنا في تفسيره كثيرا من صور النباتات ،و الـحـيـوانـات ، و مناظر الطبيعة ، و تجارب العلوم ، بقصد ان يوضح للقارئ مايقول ، توضيحا، يجعل الحقيقة امامه كالامرالمشاهد المحسوس و لقد افرط في ذلك ، و جاز حد المجاز.
و مـما يؤخذ عليه : انه قد يشرح بعض الحقائق الدينية بما جا عن افلاطون في جمهوريته ، او بما جـا عـن اخـوان الـصفافي رسائلهم ، و هو حين ينقلها يبدي رضاه عنها و تصديقه بها، في حين انها تخالف في ظاهرها ما عليه اصحابه السلفيون

الاشاعرة((880) .
و هـكـذا نراه قد يستخرج كثيرا من علوم القرآن بواسطة حساب الجمل ، الذي لانكاد نصدق بانه يوصل الى حقيقة ثابتة قال الذهبي : و انما هي عدوى تسربت من اليهود الى المسلمين ، فتسلطت على عقول الكثير منهم.
هـذا، و انـا نجد المؤلف يفسر آيات القرآن تفسيرا يقوم على نظريات علمية حديثة ، غير مستقرة فـي ذاتـهـا، و لـم تـمض فترة التثبت منها، و هذا ضرب من التكلف ارتكبه المؤلف ، ان لم يكن يذهب بغرض القرآن احيانا، فلا اقل من ان يذهب بروائه و بهائه.
و تـكـفـيك مراجعة عبرى الى هذا التفسير لكي تعرف مغزى هذا النقد الخطير، و قد اتى الذهبي بـنـماذج من هذا النمطالعليل ، و استنتج اخيرا : ان الكتاب في ذاته موسوعة علمية ، ضربت في كل فـن من فنون العلم بسهم وافر، مما جعل هذاالتفسير يوصف بما وصف به تفسير الامام الرازي ، اذ قـيل عنه : ((فيه كل شـي الا التفسير)) بل هو احق من تفسير الرازي بهذاالوصف و اولى به و ان دل الـكـتـاب عـلـى شـي ، فـهـو ان الـمـؤلف انما يحلق في اجوا خياله ، و يسبح حسب زعمه في ملكوت السماوات و الارض ، و يطوف في نواح شتى من العلم بفكره و عقله ، ليجلي للناس آيات اللّه في الافاق و الانفس ، و ليظهر لهم ان القرآن قد جا بكل ما جا به الانسان من علوم و نظريات ، تحقيقا لـقـولـه تـعالى : (ما فرطنا في الكتاب من شي ((881)) (و لكن هذا خروج بالقرآن عن قصده ، و انحراف به عن هدفه ، و لعله اطاحة بشانه في كثير من الاحيان ،و يبدو من خلال التفسير انه لا قى الـكثير من لوم العلما على مسلكه هذا الذي سلكه في تفسيره ، و لم تلق هذه النزعة التفسيرية قبولا لدى كثير من المثقفين.

التفسير الفريد.

و يـتلو تفسير الجواهر، تفسير علمي آخر اوجز منه ، هو ((التفسير الفريد)) تاليف العالم الفقيه مـحمد عبدالمنعم الجمال تفسير تحليلي موجز، شامل لجميع آيات القرآن ، اهتم مؤلفه بالتوفيق بين الـديـن و الـعـلـم ، و ان يفسر القرآن على ضؤ العلم الحديث ، مسترشدا في ذلك بابحاث من العلما و المفسرين ، من دون بسط و استطراد يقول في المقدمة:
))فـي سـنـة (١٩٤٩ م) اجـتمعت في مدينة لندرة ببعض الانجليز، الذين اسلموا حديثا، و كانوا يـلحون على في ان اوافيهم ببعض التفاسير القرآنية ، فاضطررت الى اقتنا بعض الكتب التي اهتمت بـتـرجـمة و تفسير الايات القرآنية و قد لاحظت على كثير منها انها لاتستجلي معاني القرآن ، او لاتستوعب النواحي العلمية فسالت اللّه ان يوفقني الى تفسير كتابه على ضؤ العلم الحديث.((
ثم بين معيار التوفيق بين الدين و العلم ، و حدوده قائلا:
))و لا مـشـاحة في ان العلوم مهما تقدمت فهي عرضة للزلل ، فينبغي ان لايطبق على آياته الكريمة الا ما يكون قد ثبت منهاقطعيا، و كل نظرية علمية تختلف مع آية من آي الذكر الحكيم ، لابد انها لم تـصـل بعد الى سبر غور الحقيقة ، فلا زالت معجزات القرآن الكريم يكشفها العلم ، و لازالت العلوم كلما تقدمت تجلو الغشاوات التي تحجب النور عن عيون الغافلين.((
هذا و قد سلك المؤلف في تفسيره المسلك العلمي الاجتماعي ، الملائم للثقافة العربية في وقته ، بما يتيسر للناشئة من الشباب المثقف التعرف الى دين الاسلام ، و الوقوف على اسرار القرآن و عظمته و هـو تفسير جيد في ذاته ، سهل التناول لذوي الثقافات المختلفة ، خال عن الاطالة و الاستطرادات المملة ، جزى اللّه المؤلف خيرا.
و التفسير يقع في اربع مجلدات ، و طبع في القاهرة سنة (١٩٧٠ م)، (١٣٩٠ ه.(

2ـ اللون الادبي الاجتماعي

يمتاز التفسير في هذا العصر، بتلونه باللون الادبي الاجتماعي ، و نعني بذلك ان التفسير لم يعد يظهر عـليه في هذا العصرذلك الطابع التقليدي الجاف ، من معالجة مسائل شكلية ، كادت تصرف الناس عن هـدايـة القرآن الكريم ، و انشغالهم بمباحث

فارغة لاتمس روح القرآن و حقيقته و انما ظهر عليه طابع آخر و تلون بلون يكاد يكون جديدا و طارئا على التفسير، ذلك هومعالجة النصوص القرآنية معالجة تقوم اولا و قبل كل شي على اظهار مواضع الدقة في التعبير القرآني ، ثم بعد ذلك تصاغ تلك المعاني التي يهدف القرآن اليها في اسلوب شيق اخاذ، ثم يطبق النص القرآني على ما في الكون و الحياة من سنن الاجتماع و نظم العمران.
هذه النهضة الادبية الاجتماعية قامت بمجهود كبير في تفسير كتاب اللّه تعالى ، قربت القرآن الى افهام الناس ، في مستوى عام كان اقرب الى الواقعية من الامس الدابر.
و اليك من ا متيازات هذه المدرسة التفسيرية الحديثة : انها نظرت الى القرآن نظرة بعيدة عن التاثر بمذهب من المذاهب ،فلم يكن منها ما كان من كثير من المفسرين القدامى من التاثر بالمذهب ، الى درجة كانت تجعل القرآن تابعا لمذهبه ، فيؤول القرآن بما يتفق معه ، و ان كان تاويلا متكلفا و بعيدا.
كما انها وقفت من الروايات الاسرائيلية موقف الناقد البصير، فلم تشوه التفسير بما شوه به في كثير من كتب المتقدمين ، من الروايات الخرافية المكذوبة ، التي احاطت بجمال القرآن و جلاله , فاسات اليه و جرات الطاعنين عليه.
كذلك لم تغتر هذه المدرسة بما اغتر به كثير من المفسرين من الاحاديث الضعيفة او الموضوعة , التي كان لها اثر سيئ في التفسير .

و لقد كان من اثر عدم اغترار هذه المدرسة بالروايات الاسرائيلية ، و الاحاديث الموضوعة انها لم تخض في تعيين ما ابهمه القرآن ، من مثل الحروف المقطعة ، و بعض الالفاظ المبهمة الواردة في القرآن ، مما ابهمه القرآن ابهاما، و لم تكن غاية في اظهاره حينذاك , كما لم تجرا على الخوض في الكلام عن الامور الغيبية ، التي لاتعرف الا من جهة النصوص الصحيحة الصريحة ، بل قررت مبدا الايمان بما جا من ذلك مجملا، و منعت من الخوض في التفصيلات و الجزئيات ، في مثل الحياة البرزخية و الجنة و النار و الحور و القصور و الغلمان و ما شابه ذلك , و هذا مبدا سليم ، يقف حاجزا منيعا دون تسرب شي من خرافات الغيب المظنون , الى المقطوع و المعقول من العقائد.
كذلك نجد هذه المدرسة ابعدت التفسير عن التاثر باصطلاحات العلوم و الفنون و الفلسفة و الكلام , التي زج بها في التفسير، بدون ان يكون في حاجة اليها، و لم تتناول من ذلك الا بمقدار الحاجة ، و على حسب الضرورة فقط هذه كلها من الناحية السلبية التي سلكتها هذه المدرسة.
و اما من الناحية الايجابية ، فان هذه المدرسة نهجت بالتفسير منهجا ادبيا اجتماعيا، فكشفت عن بلاغة القرآن و اعجازه في البيان ، و اوضحت معانيه و مراميه ، و اظهرت ما فيه من سنن الكون الاعظم و نظم الاجتماع ، و عالجت مشاكل الامة الاسلامية خاصة ، و مشاكل الامم عامة ، بما ارشد اليه القرآن ، من هداية و تعاليم ، و التي جمعت بين خيري الدنيا و الاخرة.
كما وفقت بين القرآن و ما اثبته العلم من نظريات صحيحة و ثابتة ، و جلت للناس ان القرآن كتاب اللّه الخالد، الذي يستطيع ان يساير التطور الزمني و البشري ، الى ان يرث اللّه الارض و من عليها.
كما دفعت ما ورد من شبه على القرآن ، و فندت ما اثير حوله من شكوك و اوهام ، بحجج قوية , قذفت بها على الباطل فدمغته فاذا هو زاهق.
كل ذلك باسلوب شيق جذاب يستهوي القارئ ، و يستولي على قلبه ، و يحبب اليه النظر في كتاب اللّه ، و يرغبه في الوقوف على معانيه و اسراره.
و ايضا فان هذه المدرسة فتحت في وجه التفسير بابا كان مغلقا عليه ، منذ

زمن سحيق ، انها اعطت لعقلها حرية واسعة النطاق ، و اتاحت للعقل و الفكر البشري مجاله الواسع الذي منحه اللّه له ، و رغبه في ذلك (و انزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم و لعلهم يتفكرون. ((882)) (و من ثم حكمت العقل الرشيد على كل مظاهر الدين ، فتاولت ما ظاهره المنافاة مع الحقائق الشرعية الثابتة ، و التي دعمهاالعقل ، و عدلت بها عن ارادة الحقيقة الى المجاز و التمثيل ، و بذلك و بهذه الحرية العقلية الواسعة ، جارت اهل العدل في تعاليمها و عقائدها، و التي كان عليها السلف النابهون ، و قذفت بتعاليم الاشاعرة المتجمدة ورا الظهور، و بذلك لم تترك مجالالاحاديث اهل الحشو ان تتدخل في التفسير، و لا في عقائد المسلمين في شي من الاصول و الفروع فقد طعنت في بعض الاحاديث بالضعف تارة و بالوضع اخرى ، رغم ورودها في المجاميع الحديثية الكبرى ، امثال البخاري و مسلم و غيرهما، اذ ان خبر الواحد لاتثبت به عقيدة اجماعا، و لا هو حجة في هذا الباب عند ارباب الاصول.

اهم رواد هذه المدرسة

رائد هذه المدرسة الاول و زعيمها و عميدها، هو الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده , الذي بنى اساس هذا البنيان الرفيع ،و فتح باب الاجتهاد في التفسير بعد ما كان مغلقا طيلة قرون ، فقد نبذ طريقة التقليد السلفي ، و اعطى للعقل حريته في النقدو التمحيص و سار على منهجه الاجلا من تلامذته ، امثال السيد محمد رشيد رضا، و الشيخ محمد محمد القاسمي ، و الشيخ احمد مصطفى المراغي ، و من جا بعدهم جاريا على نفس التعاليم ، امثال السيد قطب ، و الشيخ محمد جواد مغنية ، و الشيخ محمد الصادقي ، و السيد محمدحسين فضل اللّه ، و السيد محمد الشيرازي ، و الشيخ سعيد حوى ، و الاستاذ محمد علي الصابوني ، و السيد محمد تقي المدرسي ، و الشيخ ناصر مكارم الشيرازي و الذي فاق الجميع في هذا المجال ، هو العلامة الفيلسوف السيد محمد حسين الطباطبائي ، الذي حاز قصب السبق في هذا المضمار.
و اليك بعض الكلام عن اهم ما كتب من جلائل التفسير المدون في هذا العصر:

المنار (تفسير القرآن العظيم(

تفسير حافل جامع و لكنه غير كامل ، يشتمل على اثني عشر مجلدا و ينتهي عند الاية (٥٣) من سورة يوسف كان من اول القرآن الى الاية (١٢٦) من سورة النسا بانشا الشيخ محمد عبده (المتوفى سنة١٣٢٣ ه) و املا السيد رشيد رضا)المتوفى سنة١٣٥٤) و من بعده سار السيد في التفسير متبعا منهج الشيخ في تفسيره للايات حتى سورة يوسف.
كان الشيخ يلقي دروسه في التفسير بالجامع الازهر على الطلاب لمدة ست سنوات ، و كان السيد رشيد رضا يكتب ماسمعه و يزيد عليه بما ذاكره مع الشيخ ، و قام بنشر ما كتب في مجلته))المنار)) و ذلك بعد مراجعة الاستاذ ليقوم بتنقيحه و تهذيبه ، او اضافة ما يكمله.
قال الذهبي : كان الاستاذ الامام ، هو الذي قام وحده من بين رجال الازهر بالدعوة الى التجديد، و التحرر من قيود التقليد،فاستعمل عقله الحر في كتاباته و بحوثه ، و لم يجر على ما جمد عليه غيره من افكار المتقدمين و اقوال السابقين ، فكان له من ورا ذلك آرا و افكار خالف بها من سبقه و هذه الحرية العقلية ، و هذه الثورة على القديم ، كان لهما اثر بالغ في المنهج الذي نهجه الشيخ لنفسه , و سار عليه في تفسيره((883)) .
قد رسم محمد عبده في تفسيره منهجا تربويا للامة الاسلامية ، يبعث مقوماتها، و يثير امجادها، و ينادي بداب القرآن من الشجاعة و الكرامة و الحفاظ، قد حارب جمود

الفقها و تقليدهم ، و تقديم المذاهب على القرآن و السنة مكانهما الاول من التشريع ، و دعا المسلمين الى استخدام عقولهم و تفكيرهم((884)) .
و من خصائص هذا التفسير العناية بمشاكل المسلمين الحاضرة ، و التوجه الى معالجة اسباب تاخر المجتمع الاسلامي ،و الى امكان بنا مجتمع قوي ، و عودة الامة الى ثورة حقيقية قرآنية على اوضاعها المتخلفة ، و مواجهة الحياة مواجهة علمية صحيحة ، و العناية التامة الى الاخذ باسباب الحضارة الاسلامية من جديد، و مواجهة اعدائها، و رد الغزوات الفكرية الاستعمارية التي شنت على الاسلام عقيدة و تاريخا و حضارة و رجالا، و مناقشتها بالادلة العلمية و الوقائع التاريخية ،و تفنيدها و اثبات بطلانها من ذاتها.
و يتلخص منهج تفسير المنار في البنود التالية:
1ـ الاسلام هو دين العقل و الشريعة ، و هو مصدر الخير و الصلاح الاجتماعي.
2ـ القرآن لايتبع العقيدة ، و انما تؤخذ العقيدة من القرآن.
3ـ عدم وجود تعارض بين القرآن و الحقائق العلمية الراهنة.
4ـ اعتبار القرآن جميعه وحدة واحدة متماسكة.
5ـ التحفظ في الاخذ بما سمي بالتفسير الماثور، و التحذير من الاقاصيص الاسرائيلية و المكذوبة.
6ـ عدم اغفاله الوقائع التاريخية ، و التي لها دخل في فهم معاني القرآن الكريم.
7ـ استعمال الذوق الادبي النزيه في فهم مرامي الايات الكريمة.
8ـ معالجته للمسائل الاجتماعية في الاخلاق و السلوك.
9ـ تفسيره للقرآن على ضؤ العلم الحديث القطعي الثابت.
10ـ حذره عن الخوض في الامور المغيبة عن الحس و الادراك.
11ـ موضعه النزيه تجاه سحر السحرة ، و لاسيما بالنسبة الى التاثير في شخصية الرسول.
12ـ موقفه الصحيح من روايات اهل الحشو، حتى ولو كانت في الكتب الصحاح.

موقفه من حقيقة الملائكة و الشياطين

و لقد كان من اثر اعطا الشيخ عبده لنفسه الحرية الواسعة في فهم القرآن الكريم ، انا نجده يخالف راي جمهور اهل السنة((885)) , و يذهب على خلاف مذهب الاشعري في الاخذ بالظواهر و الجمود عليها، و ترك الخوض في فهم حقيقتهااو تاويلها، نراه يخالف هذا المسلك السلفي ، و يذهب الى ما ذهب اليه اهل الراي و النظر و التمحيص و اصحاب التاويل ،و قد عبر عنهم الذهبي بالمعتزلة و ليسوا هم وحدهم بل و اهل القول بالعدل و تحكيم العقل مطلقا فيرى من الملائكة و الشياطين ، القوى الفعالة المودعة في عالم الطبيعية ، في صالح الحياة او فسادها، اما انها موجودات مستقلة ذوات شمائل و اعضا كشمائل الانسان و اعضائه ، حسب ما فهمه الظاهريون من تعابير الشرع التي هي امثال و استعارات فلا، نظرا لانهاموجودات لاتسانخ وجود الانسان بذاته ، و لا هي على شاكلته.
قال في قصة سجود الملائكة لادم و امتناع ابليس (البقرة :٣٤: ( ))و ذهب بعض المفسرين مذهبا آخر في فهم معنى الملائكة ، و هو : ان مجموع ماورد في الملائكة من كونهم موك لين بالاعمال من انما نبات و خلقة حيوان و حفظ انسان و غير ذلك ، فيه ايما الى الخاصة بما هو ادق من ظاهر العبارة ، و هو ان هذا النمو في النبات لم يكن الا بروح خاص , نفخه اللّه في البذرة ، فكانت به الحياة النباتية المخصوصة ، و كذلك يقال في الحيوان و الانسان ، فكل امر كلي قائم بنظام مخصوص تمت به الحكمة الالهية في ايجاده ، فانما قوامه بروح الهي ، سمي في لسان الشرع ملكا، و من لم يبال في التمسية بالتوقيف يسم هذه المعاني ((القوى الطبيعية))، اذا كان لايعرف من عالم الامكان الا ماهو طبيعة ، او قوة يظهر اثرها في الطبيعة و الامر الثابت الذي لانزاع فيه ، هو ان في باطن الخلقة امرا هو مناطها، و به قوامهاو نظامها، لايمكن لعاقل ان ينكره ، و ان انكر غير المؤمن بالوحي تسميته ملكا،

و زعم انه لا دليل على وجود الملائكة ، او انكربعض المؤمنين بالوحي تسميته قوة طبيعية او ناموسا طبيعيا، لان هذه الاسما لم ترد في الشرع ، فالحقيقة واحـدة و الـعـاقـل لاتحجبه الاسما عن المسميات ، و ان كان المؤمن بالغيب يرى للارواح وجودا لايـدرك كـنـهـه ، و الذي لايؤمن بالغيب يقول لااعرف الروح ، و لكن اعرف قوة لاافهم حقيقتها، و لايـعـلـم الا اللّه ، عـلـى م يختلف الناس ، و كل يقر بوجود شـي غير ما يرى و يحس ، و يعترف بانه لايفهمه حق الفهم ، و لايصل بعقله الى ادراك كنهه ؟ و ماذا على هذا الذي يزعم انه لايؤمن بالغيب ـ و قـد اعـترف بما غيب عنه ـ لو قال : اصدق بغيب اعرف اثره ، و ان كنت لااقدر قدره ، فيتفق مع المؤمنين بالغيب ،و يفهم بذلك ما يرد على لسان صاحب الوحي ، و يحظى بما يحظى به المؤمنون ؟.
))يشعر كل من فكر في نفسه ، و وازن بين خواطره ، عند ما يهم بامر فيه وجه للحق او للخير، و وجـه لـلـباطل او للشر، بان في نفسه تنازعا، كان الامر قد عرض فيها على مجلس شورى ، فهذا يـورد و ذاك يدفع ، و احد يقول : افعل ، و آخر يقول : لاتفعل ،حتى ينتصر احد الطرفين ، و يترجح احـد الـخـاطرين ، فهذا الشـي الذي اودع في انفسنا و نسميه : قوة و فكرا، و هي في الحقيقة معنى لايدرك كنهه ، و روح لاتكتنه حقيقتها، لايبعد ان يسميه اللّه ملكا، او يسمى اسبابه ملائكة ، او ماشا مـن الاسما، فان التسمية لاحجر فيها على الناس ، فكيف يحجر فيها على صاحب الارادة المطلقة ، و السلطان النافذ و العلم الواسع قـال : ((فاذا صح الجري على هذا التفسير، فلا يستبعد ان تكون الاشارة في الاية الى ان اللّه تعالى لـما خلق الارض و دبرهابما شا من القوى الروحانية التي بها قوامها و نظامها، و جعل كل صنف من الـقوى مخصوصا بنوع من انواع المخلوقات ،لايتعداه و لايتعدى ما حدد له من الاثر الذي خص به , خـلـق بعد ذلك الانسان ، و اعطاه قوة يكون بها مستعدا للتصرف بجميع هذه القوى ، و تسخيرها في عمارة الارض ، و عبر عن تسخير هذه القوى له بالسجود، الذي يفيد معنى الخضوع و التسخير،و جعله بهذا الاستعداد الذي لا حد له ، و التصرف الذي لم يعط لغيره ، خليفة اللّه في ارضه ، لانه اكمل الـمـوجودات في الارض ،و استثنى من هذه القوى قوة واحدة ، عبر عنها بابليس ، و هي القوة التي لـزهـا اللّه بـهـذا العالم لزا، و هي التي تميل بالمستعدللكمال ، او بالكامل الى النقص ، و تعارض مد الـوجـود لترده الى العدم ، او تقطع سبيل البقا، و تعود بالموجود الى الفنا،او التي تعارض في اتباع الـحـق ، و تـصـد عن عمل الخير، و تنازع الانسان في صرف قواه الى المنافع و المصالح التي تتم بهاخلافته ، فيصل الى مراتب الكمال الوجودي التي خلق مستعدا للوصول اليها، تلك القوة التي ضللت آثارها قوما فزعموا ان في العالم الها يسمى اله الشر، و ما هي باله ، و لكنها محنة اله لايعلم اسرار حكمته الا هو.
قـال : ((و لـو ان نفسا مالت الى قبول هذا التاويل ، لم تجد في الدين ما يمنعها من ذلك ، و العمدة على اطمينان القلب و ركون النفس الى ما ابصرت من الحق ((886)) ((
.
ثـم يعود في موضع آخر الى تقرير التمثيل في القصة ، فيقول : ((و تقرير التمثيل في القصة على هـذا الـمـذهب هكذا : ان اخبار اللّه الملائكة بجعل الانسان خليفة في الارض هو عبارة عن تهيئة الارض و قـوى هـذا العالم و ارواحه التي بها قوامه و نظامه ، لوجود نوع من المخلوقات يتصرف فـيها، فيكون به كمال الوجود في هذه الارض و سؤال الملائكة عن جعل خليفة يفسد في الارض , لانـه يـعـمـل باختياره ، و يعطى استعدادا في العلم و العمل لاحد لهما، هو تصوير لما في استعداد الانسان لذلك ، و تمهيد لبيان انه لاينافي خلافته في الارض و تعليم آدم الاسما كلها، بيان لاستعداد الانسان لعلم كل شـي في هذه الارض ، و انتفاعه به في استعمارهاو عرض الاسما على الملائكة و سـؤالـهـم عـنـها و تنصلهم في الجواب ، تصوير لكون الشعورالذي يصاحب كل روح من الارواح الـمدبرة للعوالم محدودا لايتعدى وظيفته و سجود الملائكة لادم ، عبارة عن تسخير هذه الارواح و الـقوى له ، ينتفع بها في ترقية الكون بمعرفة سنن اللّه تعالى في ذلك و ابا ابليس و استكباره عن الـسـجود، تمثيل لعجزالانسان عن اخضاع روح الشر و ابطال داعية خواطر السؤ التي هي مثار الـتـنـازع و التخاصم ، و التعدي و

الافساد في الارض و لولا ذلك لجا على الانسان زمن يكون فيه افراده كالملائكة بل اعظم ، او يخرجون عن كونهم من هذا النوع البشري. ((887)) ((

انكاره على اهل الحديث في روايتهم للطامات

ثم ان الشيخ عبده كان ممن يرى تساهل اهل الحديث في رواياتهم الغث و السمين ، غير مبالين في متونها اهي مخالفة لاصول العقيدة ام متنافية مع مباني الاسلام الركينة ، الامر الذي يؤخذ على اهل الحشو في الحديث في ذلك.
قال بشان قصة زكريا و بشارة الملائكة له بيحيى ، و طلبه من اللّه ان يجعل له آية:
))و من سخافات بعض المفسرين زعمهم ان زكريا(ع) اشتبه عليه وحي الملائكة و نداؤهم , بوحي الشياطين ، و لذلك سال سؤال التعجب ، ثم طلب آية للتثبت و روى ابن جرير عن السدي و عكرمة : ان الشيطان هو الذي شككه في ندااالملائكة ، و قال له : انه من الشيطان ، قال : ((و لولا الجنون بالروايات مهما هزلت و سمجت ، لما كان لمؤمن ان يكتب مثل هذاالهز و السخف ، الذي ينبذه العقل ، و ليس في الكتاب ما يشير اليه ، و لو لم يكن لمن يروي مثل هذا الا هذا لكفى في جرحه ،و ان يضرب بروايته على وجهه فعفى اللّه عن ابن جرير اذ جعل هذه الرواية مما ينشر. ((888)) ((
و قال فيما جا من الروايات في سحر الرسول (ص: (
))و قد رووا هنا احاديث في ان النبي (ص) سحره لبيد بن اعصم ، و اثر سحره فيه ، حتى كان يخيل له انه يفعل الشي و هولايفعله ، او ياتي شيئا و هو لاياتيه ، و ان اللّه انباه بذلك و اخرجت مواد السحر من بئر، و عوفي (ص) مما كان نزل به من ذلك ،و نزلت هذه السورة (سورة الفلق. ((889)) (
قال : ((و لايخفى ان تاثير السحر في نفسه (ع) حتى يصل به الامر الى ان يظن انه يفعل شيئا و هو لايفعله ، ليس من قبيل تاثير الامراض في الابدان ، و لا من قبيل عروض السهو و النسيان في بعض الامور العادى ة ، بل هو ماس بالعقل ، آخذ بالروح ،و هو مما يصدق قول المشركين فيه : (ان تتبعون الا رجلا مسحورا ((890)) (و ليس المسحور عندهم الا من خولط في عقله ،و خيل له ان شيئا يقع و هو لايقع ، فيخيل اليه انه يوحى اليه ، و لايوحى اليه.
))و قد قال كثير من المقلدين الذين لايعقلون ما هي النبوة و لا ما يجب لها : ان الخبر بتاثير السحر في النفس الشريفة قدصح ، فيلزم الاعتقاد به ، و عدم التصديق به من بدع المبتدعين ، لانه ضرب من انكار السحر، و قد جا القرآن بصحة السحرانظركيف ينقلب الدين الصحيح ، و الحق الصريح ، في نظر المقلد بدعة ، نعوذ باللّه ، يحتج بالقرآن على ثبوت السحر، و يعرض عن القرآن في نفيه السحر عنه (ص) و عده من افترا المشركين عليه ، ويؤول في هذه و لايؤول في تلك ، مع ان الذي قصده المشركون ظاهر، لانهم كانوا يقولون : ان الشيطان يلابسه (ص) و ملابسة الشيطان تعرف بالسحر عندهم ، و ضرب من ضروبه و هو بعينه اثر السحر الذي نسب الى لبيد، فانه خولط في عقله و ادراكه ، في زعمهم و الذي يجب اعتقاده ، ان القرآن مقطوع به ، و انه كتاب اللّه بالتواتر عن المعصوم (ص) فهو الذي يجب الاعتقاد بما يثبته ، و عدم الاعتقاد بما ينفيه ، و قد جا بنفي السحر عنه (ع) حيث نسب القول باثبات حصول السحر له الى المشركين اعدائه ، و وبخهم على زعمهم هذا، فاذا هو ليس بمسحور قطعا و اما الحديث فعلى فرض صحته هو آحاد، و الاحاد لايؤخذ بها في باب العقائد، و عصمة النبي (ص) من تاثيرالسحر في عقله عقيدة من العقايد، لايؤخذ في نفيها عنه الا باليقين ، و لايجوز ان يؤخذ فيها بالظن و المظنون ، على ان الحديث الذي يصل الينا من طريق الاحاد انما يحصل الظن عند من صح عنده اما من قامت له الادلة على انه غير صحيح فلا تقوم به عليه حجة.
))و على اي حال فلنا بل علينا ان نفوض الامر في الحديث ، و لانحكمه في عقيدتنا، و ناخذ بنص الكتاب و بدليل العقل ،فانه اذا خولط النبي في عقله ـ كما زعموا ـ جاز عليه ان يظن انه بلغ شيئا و هو لم يبلغه ، او ان شيئا نزل عليه و هو لم ينزل عليه ،و الامر ظاهر لايحتاج الى بيان. ((891)) ((

قال الذهبي ناقما على هذه الطريقة التي هي طريقة اهل الاعتزال:
))و هـذا الـحديث الذي يرده الاستاذ الامام ، رواه البخاري و غيره((892)) من اصحاب الكتب الصحيحة ، و ليس من ورا صحته ما يخل بمقام النبوة (و علل عدم الاخلال بانه من قبيل المرض ، و قد عرفت رد الامام عليه باحسن رد) و اضاف قائلا:
))ثـم ان الـحـديـث روايـة الـبخاري و غيره من كتب الصحيح ، و لكن الاستاذ الامام ، و من على طريقته ، لايفرقون بين رواية البخاري و غيره ، فلا مانع عندهم من عدم صحة ما يرويه البخاري , كما انه لو صح في نظرهم فهو لايعدو ان يكون خبر آحاد،لايثبت به الا الظن ، و هذا في نظرنا هدم لـلـجانب الاكبر من السنة التي هي بالنسبة للكتاب في منزلة المبين من المبين ، و قدقالوا : ان البيان يـلـتحق بالمبين ، قال : ((و ليس هذا الحديث وحده الذي يضعفه الشيخ ، او يتخلص منه بانه رواية آحـاد، بل هناك كثرة من الاحاديث نالها هذا الحكم القاسي))، فمن ذلك ايضا حديث الشيخين ((كل بـني آدم يمسه الشيطان يوم ولدته امه الا مريم و ابنها)) فانه قال فيه : ((اذا صح الحديث فهو من قبيل التمثيل لا من باب الحقيقة. ((893)) ((
))فـهـو لايـثـق بصحة الحديث رغم رواية الشيخين له ، ثم يتخلص من ارادة الحقيقة على فرض الـصـحـة ، بجعل الحديث من باب التمثيل ، و هو ركون الى مذهب المعتزلة ، الذين يرون ان الشيطان لاتسلط له على الانسان الا بالوسوسة و الاغوافقط ((
. ((894))
قـلت : الحق احق ان يتبع ، حتى و لو كان القائل به اصحاب الاعتزال ، اذ الحق ضالة المؤمن ، اخذها حيث وجدها فان كان مذهب اهل الجمود يقضي بالاخذ بالظواهر الظنية ، حتى في باب العقائد، التي تستدعي اليقين فيها، فان مذهب اهل النظرو الاجتهاد، يرى وجوب التدبر في آياته تعالى و التعمق فيها، ذلك انه دستور القرآن الكريم ، و الذي هدى اليه العقل الرشيد.
نـعـم لاتـقـاس عـقلية مثل شيخنا الامام الكبيرة ، مع ذهنية امثال الذهبي الهزيلة التي اقتنعت بتقاليد اشعرية سلفية ، رغم منافاتها لاصول الشرع و محكمات القرآن الكريم.
اولا : لا سـلـطان لابليس على احد، سوى وسوسته و اغوائه ، قال تعالى فيما يحكيه عن ابليس لما قـضـى الامـر : (و مـا كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي ، فلاتلوموني و لوموا انفسكم. ((895)) (
ثـانـيـا : لـيـس لـلـشـيـطـان سـلـطـان عـلـى عباد اللّه المخلصين : (ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ((896)) (فلم يكن لابليس على عباد اللّه المخلصين حتى سلطان الوسوسة و الاغوا، فكيف بالاستحواذ على عقليتهم الكريمة((897)) .
ثـالـثـا : انى للبيد ان يستحوذ على عقلية مثل الرسول الكريم (ص) و هو مثال العقل الاول في عالم الامكان.
اذن فـلايـصح ما ورد في ذلك من تاثير السحر على عقله (ع) و لم يثبت شـي من ذلك من طرق اهل الـبـيت (ع) اما الوارد في جامع البخاري (ج٧ ، ص ١٧٨) و فتح الباري (ج١٠ ، ص ١٩٣) و مسلم)ج٧ ، ص ١٤) فمردود على قائله ، و هو من المفتعلات ((898)).

راي صاحب المنار في الجن

يـرى السيد رشيدرضا ما يراه شيخه و استاذه في الجن ، و انه لايرى ، و كل من ادعى رؤية الجن فـهو مخطئ في ادراكه ،و لم يصح في ذلك حديث و يرجح ان من ادعى رؤية الجن فذلك وهم منه و تخيل ، و لا حقيقة له في الخارج ، او لعله راى حيوانا غريبا كبعض القردة ، فظنه احد افراد الجن ، يـقـول هـذا ثـم يعرض في الهامش لذكر حديث ابي هريرة فيمن كان يسرق تمرالصدقة ، و اخبار الـنـبـي)ص) له بانه شيطان ـ و هو في البخاري ـ و لغيره من الاحاديث التي تدل على ان الانسان يـرى الـجـنـي و يـبـصره ، ثم يقول بعد ان يفرغ من سرده للروايات : و الصواب انه ليس في هذه الروايات كلها حديث صحيح((899)) .

بـل و نـجده يزيد على ذلك فيجوز ان تكون ميكروبات الامراض نوعا من الجن ، و ذلك حيث يقول عـندما تعرض لتفسيرقوله تعالى في الاية (٢٧٥) من سورة البقرة : (الذين ياكلون الربا لايقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس) :((و المتكلمون يقولون : ان الجن اجسام حية خفية لاترى و قد قلنا في ((المنار)) غير مرة : انه يصح ان يقال : ان الاجسام الحية الخفية التي عرفت في هذا العصر بواسطة النظارات المكبرة و تسمى بالمكروبات ، يصح ان تكون نوعا من الجن ، و قد ثبت انهاعلل لاكثر الامراض ((900)).

تفسير القاسمي (محاسن التاويل(

لجمال الدين ابي الفرج محمد بن محمد المعروف بالقاسمي توفي سنة (١٣٣٢ ه) ولد في دمشق ، و كان معروفا في الفقه و التفسير و الحديث ، و كان من زعما النهضة السياسية ضد الاستعمار في بلاد الـشام كان قد تتلمذ على يد الاستاذ الشيخ محمد عبده ، فاخذ عنه العلم و السياسة و علم الاجتماع ، و افرغه فى تفسيره هذا الممتع التزم فيه المؤلف بمتابعة آرا السلف و الاهتمام بنظراتهم في الفقه و التفسير، مراعيا ما توصل اليه العلم ، في شي من الحذر، و من ثم فهو من خير التفاسيرالمعاصرة ، الـجامعة بين آرا السلف و نظرات الخلف ، مراعيا جوانب الاحتياط، و بذلك قد جمع بين الماثور و الـمعقول ، في سبك رائع و جزالة في الالفاظ و دقة في الارا و قد تكلم بلغة اهل عصره في براعة فائقة ، و من ثم طار صيته و اصبح من التفاسير المشار اليها بالبنان.
و مـن مـيزات هذا التفسير، اهتمامه البالغ بجانب الاشارات العلمية التي جات في القرآن ، انه يعتقد اشتمال القرآن على اسرار من علوم الكون ، و من ثم افتتح فصلا في مقدمة تفسيره اختصاصا بالكلام عن المسائل الفلكية الواردة في القرآن ،و يتعرض للقضايا الكونية في الخلق و التدبير، و في النهاية يقول : ((من عجيب امر هذا القرآن ان يذكر امثال هذه الدقائق العلمية العالية ، التي كانت جميع الامم تـجـهلها، بطريقة لاتقف عثرة في سبيل ايمان احد به ، في اي زمن كان ، مهما كانت معلوماته ، فالناس قـديـما فهموا امثال هذه الايات بما يوافق علومهم ، حتى اذا كشف العلم الصحيح عن حقائق الاشيا ,عـلـمـنـاانـهم كانوا واهمين ، و فهمنا معناها الصحيح فكان هذه الايات جعلت في القرآن معجزات لـلمتاخرين ، تظهر لهم كلما تقدمت علومهم و هو معجزات للمتاخرين يشاهدونها، و تتجلى لهم كلما تقدموا في العلم الصحيح ((901)) ((فرغ من تاليف التفسيرسنة (١٣٢٩ ه.(

تفسير المراغي

هو الشيخ احمد مصطفى المراغي ، شقيق الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الازهر في وقته ، و تـلميذ الامام الشيخ محمد عبده صاحب تفسير ((المنار))، و الذي وضع تفسيره هذا مشاكلا له ، و مستفادا من بحوث شيخه الاستاذ توفي سنة (١٣٧١ه.(
و تـفـسـيـره هذا من اشمل التفاسير لحاجة العصر في اسلوبه و في طريق سرد المطالب و نضد المقاصد، متجنبا القصص الاسرائيلية المدسوسة و الخرافات الدخيلة و لايغفل في اي مناسبة اللجؤ الى علوم الطبيعة فيما يمس فهم كتاب اللّه العزيز،و من ثم فهو تفسير جيد مفيد في ذاته.
قـال الـذهبي : ((لم نعرف من رجال هذه المدرسة ـ مدرسة الشيخ محمد عبده ـ رجلا تاثر بروح الاسـتـاذ الامـام ، و نـهج على طريقته من التجديد و اطراح التقليد، و العمل على تنقية الاسلام من الشوائب التي الصقت به ، و تنبيه الغافلين عن هديه و ارشاده ، مثل الاستاذ المراغي تربى هذا الرجل فـي مـدرسة الاستاذ الامام ، و تخرج منها و هو يحمل بين جنبيه قلبا مليئابالرغبة في الاصلاح ، و الثورة على كل ما يقف في سبيل الاسلام و المسلمين. ((902)) ((

و قد نهج في تفسيره منهج شيخه ، نراه لايخوض في مبهمات القرآن بالتفصيل ، و لايدخل في جزئيات سكت عنها القرآن و اعرض عنها الرسول (ص) فلا الروايات الموضوعة او الضعيفة بكافية عنده حتى يزج بها في تفسيره ، و لا الاخبار الاسرائيلية بمقبولة لديه ، حتى يجعل منها شروحا لما اجمله القرآن و سكت عن تفصيله.
و مما يمتاز به هذا التفسير، عنايته باظهار اسرار التشريع ، فنراه يهتم اهتماما كبيرا باظهار سر التشريع الاسلامي ، و حكمة التكليف الالهي ، ليظهر محاسن الاسلام ، و يكشف عن هدايته للناس.
كما نجده يعرض لمشاكل المجتمع و اسباب الانحطاط في دول الاسلام ، فيعالج كل ذلك بما يفيضه اللّه عليه من بيان هداية القرآن و ارشاده فقد كان بصيرا بمواطن الدا و اسباب الشفا، فكان يهدف في دروسه الى علاجها و استئصالها، و كان كثيرا ما يوجه الخطاب الى ارباب الحل و العقد في الدولة.
و هكذا وفق في التوفيق بين القرآن و العلم الحديث ، رغم اعتقاده ان القرآن قد اتى باصول عامة لكل ما يهم الانسان معرفته و العلم به ، و كراهته ان يسلك المفسر للقرآن مسلك من يجر الاية القرآنية الى العلوم ، او العلوم الى الاية ، كي يفسرهاتفسيرا علميا يتفق مع نظريات العلم الحديث ، و لكن مع ذلك كان يرى ان يكون المفسر على شي من العلم ببعض نظريات العلم الحديث ، ليستطيع ان ياخذ منها دليلا على قدرة اللّه ، و يستلهم منها مكان العبرة و العظة.

في ظلال القرآن

لسيد بن قطب بن ابراهيم الشاذلي ، المستشهد سنة (١٣٨٦ ه) على يد طغاة مصر الحاكمة حينذاك نشا المؤلف في بيئة اسلامية عريقة ، و كان والده من المؤمنين المتعهدين , ولد سنة (١٣٢٦ ه) في قرية موشا من محافظة اسيوط، ثم ارتحل الى القاهرة و كانت دراساته العليا هناك كان كاتبا اسلاميا مجيدا، له في الاسلاميات كتب و رسائل مفيدة ، تهدف الى الحركة الاسلامية المتناسبة مع النهضة العلمية الحديثة ، فكان تفسيره هذا من خير التفاسير الادبية الاجتماعية الهادفة الى احيا الحركة الاسلامية العتيدة فمن اهدافه ازاحة الفجوة العميقة بين مسلمي العصر الحاضر و القرآن الكريم ، و تعريف المسلمين الى المهمة العلمية السياسية التي قام بها القرآن ، و بيان الحمية الجهادية التي يهدفها القرآن الكريم الى جنب تربية الجيل المسلم تربية قرآنية اسلامية كاملة ، و بيان معالم هذا الطريق الذي يجب على المسلمين سلوكه.
و كان منهجه في التفسير : اولا، عرض آيات مترابطة بعضها مع البعض ، في مجموعة منسجمة ، و بيان الهدف الكلي للسورة ، ثم للايات المعروضة و تقسيم السور الى دراسات ، تقسيما موضوعيا ,لتعتبر كل مجموعة من الايات ذات وحدة موضوعية ، و ذات هدف معين خاص.
ثم يحاول تفسير الايات ـ في ذوق ادبي خالص ـ ببيان الاهداف الكلية التي ترمي اليها الايات ، من غير تعرض للجزئيات ،كما يجتنب من ذكر الاسرائيليات ، و الروايات الموضوعة او الضعيفة ، كما يجتنب الخوض في مسائل الخلاف ، و هكذايتجنب التعرض للعلوم القديمة و الحديثة التي لا علاقة لها بفهم معاني الايات الكريمة ، و يعتبر التعرض لها جفا بالقرآن ، لانه في غنى عنها، يقول هو في ذلك:
))و اني لاعجب لسذاجة المتحمسين لهذا القرآن ، الذين يحاولون ان يضيفوا اليه ما ليس منه ، و ان يحملوا عليه ما لم يقصداليه ، و ان يستخرجوا منه جزئيات في علوم الطب و الكيميا و الفلك و ما اليها، كانما ليعظموه بهذا و يكبروه ان القرآن كتاب كامل في موضوعه ، و موضوعه اضخم من تلك العلوم كلها، لانه هو الانسان ذاته الذي يكشف هذه المعلومات و ينتفع بها،و البحث و التجريب و التطبيق من خواص العقل في الانسان ، و القرآن يعالج بنا هذا الانسان نفسه ، بنا شخصيته و ضميره و عقله

و تفكيره ، كما يعالج بنا المجتمع الانساني الذي يسمح لهذا الانسان بانه يحسن استخدام هذه الطاقات المذخورة فيه. ((903)) ((

الميزان في تفسير القرآن

تـاليف العلا مة الحكيم السيد محمد حسين الطباطبائي ، من رجالات الفكر الاسلامي القلائل الذين انتجتهم الحياة العلمية الاسلامية في العصر الاخير ولد بتبريز سنة (١٣٢١ ه) و توفي بقم سنة (١٤٠٢ ه.(
و هـو تـفسير جامع حافل بمباحث نظرية تحليلية ذات صبغة فلسفية في الاغلب ، جمع فيه المؤلف الـى جانب الانماطالتفسيرية السائدة ، امورا مما اثارته النهضة الحديثة في التفسير، فقد تصدى لما يـثـيـره اعـدا الاسلام من شبهات ، و ما يضللون به من تشويه للمفاهيم الاسلامية ، بروح اجتماعية واعية ، على اساس من القرآن الكريم ، و فهم عميق لنصوصه الحكيمة.
و لهذا التفسير القيم مزايا جمة نشير الى اهمها:
1ـ جـمـع بين نمطي التفسير : الموضوعي و الترتيبي ، فقد فسر القرآن آية فية و سورة فسورة لكنه الى جنب ذلك ، نراه يجمع الايات المتناسبة بعضها مع البعض ، ليبحث عن الموضوع الجامع بينها ,كلما مر بية ذات هدف موضوعي ، و كانت لهانظائر منبثة في سائر القرآن.
2ـ عنايته التامة بجانب الوحدة الموضوعية السائدة في القرآن ، كل سورة هي ذات هدف او اهداف معينة ، هى تشكل بنيان السورة بالذات ، فلا تتم السورة الا عند اكتمال الهدف الموضوعي الذي رامته الـسـورة ، و بـذلـك نـجـد السور تتفاوت في عددآيها يقول هو في ذلك : ((ان لكل طائفة من هذه الـطـوائف من كلامه تعالى التي فصلها قطعا قطعا و سمى كل قطعة سورة نوعا من وحدة التاليف و الالـتـئام ، لايـوجـد بين ابعاض من سورة ، و لا بين سورة و سورة ، و من هنا نعلم ان الاغراض و المقاصدالمحصلة من السور مختلفة ، و ان كل واحدة منها مسوقة لبيان معنى خاص و لغرض محصل , لاتتم السورة الا بتمامه. ((904)) ((
3ـ نظرية ((الوحدة الكلية)) الحاكمة على القرآن كله ، باشتماله على روح كلية سارية في جميع آيـاته و سوره ، و تلك الروح هي التي تشكل حقيقة القرآن الاصلية السائدة على ابعاضه و اجزائه يرى المؤلف : ان ورا هذا الظاهر من الفاظ و كلمات و حروف روحا كلية ، كانت هي جوهر القرآن الاصيل ، و كانت بمثابة الروح في الجسد من الانسان.
قـال فـي ذلـك : ((فـالمحصل من الايات الشريفة ان ورا ما نقرؤه و نعقله من القرآن ، امرا هو من الـقرآن بمنزلة الروح من الجسد، و المتمثل من المثال ، و هو الذي يسميه تعالى بالكتاب الحكيم ، و هو الذي تعتمد عليه معارف القرآن ، و ليس من سنخ الالفاظ و لا المعاني. ((905)) ((
و بذلك و بالذي قبله ، تتشكل وحدة السياق في القرآن ، كما لايخفى.
4ـ الاسـتـعـانة بمنهج ((تفسير القرآن بالقرآن)) فقد حقق المؤلف هذا الامر و اوجده بعيان ، اذ نـراه يـعتمد في تفسيره على القرآن ذاته ، فيرى ان غير القرآن غير صالح لتفسير القرآن ، بعد ان كان هو تبيانا لكل شـي فياترى كيف يكون القرآن تبيانا لكل شـي و لايكون تبيانا لنفسه ؟ لكن التزام تفسير القرآن بنفسه ، يتطلب جهدا بالغا و احاطة تامة ، و قد لمسناه في مفسرنا العلا مة ، و وجدناه على قدرة فائقة في ذلك.
يـقـول هـو فـي ذلك : ((الطريقة المرضية في التفسير هي ان نفسر القرآن بالقرآن ، و نشخص الـمصاديق و نتعرفها بالخواص التي تعطيها الايات ، كما قال تعالى : (و نزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شـي ((906)) (و حاشا القرآن ان يكون تبيانا لكل شـي و لايكون تبيانا لنفسه((907)) .

الفرقان في تفسير القرآن

تاليف الشيخ محمد الصادقي الطهراني ، و قد تم تاليفه خلال السنوات (١٣٩٧ ـ ١٤٠٧ ه)، و كان بصورة محاضرات يلقيها على طلبة العلوم الدينية في الحوزتين النجف و قم و هو تفسير جامع شامل ، اتخذ منهج تفسير القرآن بالقرآن حسب الامكان ,و هو تحليلي تربوي اجتماعي ، مع الاستناد الى احاديث يراها صحيحة و اخرى ملائمة مع ظواهر القرآن ، و لذااحترز عن الاسرائيليات بشكل قاطع ,و كذا عن الاحاديث الموضوعة و الضعيفة و بما ان المؤلف يعد من الفقها ,فان في تفسيره الشي الكثير من التعرض لمسائل الفقه و الاحكام بصورة مبسطة ، و هكذا تجده يفصل في المسائل الكلامية الاعتقادية في نزاهة ، كما و يجتنب تحميل القرآن بنظرات العلم الحديث ، و يرى ان القرآن في غنى عن ذلك ، اللهم الا اذا رفع بذلك ابهام في اشارات عابرة جات في القرآن ، على شرط ان تكون النظرية ثابتة ، و لذلك نراه يحمل على الشيخ طنطاوي في ولعه بحمل النظريات العلمية على القرآن و في ذلك يقول : ((و من ذلك كثير عند المتفرنجين من المفسرين الذين غرقوا في العلوم و النظريات الجديدة ، و نسوا ان القرآن هو علم الله ، فلن يتبدل ، و العلم دوما في تبدل و تحول من خطا الى صواب و من صواب الى اصوب. ((908))))

من هدى القرآن

تفسير تربوي تحليلي شامل ، يبحث فيه المؤلف هو السيد محمد تقي المدرسي عن الربط الموضوعي بين الواقع المعاش ،و بين الحقائق الراهنة و الدلائل البينة التي ابانها القرآن الكريم منذ اربعة عشرقرنا، كمنهج تربوي و اخلاقي ، يستهدف وضع الحلول الناجعة لكل مشكلات العصور المختلفة حتى قيام الساعة قال المؤلف : ((و اعتمدت فيه على منهج التدبر المباشر،انطلاقا مما بينته في التمهيد، اي منهج الاستلهام مباشرة من الايات ، و العودة الى القرآن ذاته ,كلما قصرنا عن فهم بعض آياته وفق المنهج الذي علمنا اياه الرسول الكريم و ائمة اهل البيت (ع) حيث امرونا بتفسير القرآن ببعضه ((909)) ((فكان تفسيراتحليليا تربويا، لم توجد فيه المعمعات الجدلية ، و لا الخرافات الاسرائيلية ، معتمدا شرح الايات و ذكر مقاصدها العالية و اهدافها السامية ، و معالجة ادوا المجتمع معالجة ناجعة موفقة.
تم تاليف الكتاب سنة (١٤٠٥ ه)، في (١٨) مجلدا، و طبع سنة (١٤٠٦) بطهران.

من وحي القرآن

تفسير تربوي اجتماعي شامل ، و يعد من اروع التفاسير الجامعة ، النابعة من روح حركية نابضة بالحيوية الاسلامية العريقة انطلق فيه المؤلف هو السيد محمد حسين فضل الله ، من المع علما الاسلام في القطر اللبناني يعمل في احيا الجوالقرآني في كل مجالات الحياة المادية و المعنوية ، نظير ما صنعه سيد قطب في تفسيره ((في ظلال))، مضيفا عليه تعاليم صادرة عن اهل البيت في تربية الجيل المسلم ، و متناسبا مع كل دور من ادوار الزمان .

و قد بدا المؤلف بمقدمة في بيان هدفه من التفسير و الخطوات الاساسية التي مشى عليها، قال : ((هل هذا كتاب تفسير،و هل نحن بحاجة الى تفسير جديد امام هذا الحشد من التفاسير، التي لم تترك جانبا من جوانب المعرفة القرآنية ، الا و افاضت في تحليله و توسيعه و تعميقه , من الجوانب اللغوية ، الى الجوانب البلاغية و الفلسفية ، و النفسية و الاجتماعية و ما تزال المحاولات مستمرة في استحداث آفاق جديدة لتفاسير جديدة ؟ و

الجواب : اننا لم نكتب هذه الابحاث.
فـي الـبـدايـة كمحاولة تفسيرية جديدة ، بل كانت دروسا قرآنية تلقى على مجموعة من الطلاب الـمؤمنين المثقفين ، من اجل خلق وعي قرآني يركز الوعي الاسلامي على قواعد ثابتة انطلقت هذه الـدروس فـي خط عملي متحرك يركز على استيحا اجواالقرآن ، من اجل ان نعيش تلك الاجوا في حـيـاتنا الاسلامية الصاعدة ، لان القرآن ليس كلمات لغوية تتجمد في معناها اللغوي ،بل هي كلمات تتحرك في اجوا روحية و عملية. ((910)) ((
و مـن ثـم يـغـلـب على التفسير الطابع التربوي بما لكلمة التربية من معنى اصطلاحي ، يتجسد في الارتـقـا بالانسان في كل مجالاته المختلفة ، و يسعى الى احداث عملية التكيف و التفاعل بين الكائن الادمي و بيئته الطبيعية و الاجتماعية ، لتحقيق خلافة اللّه في الارض ((911)).
و هـكـذا يمتاز هذا التفسير باسلوبه الادبي الرائع ، مع المزج بينه و بين الاسلوب العلمي المتادب النزيه ، مما يجعل الكتاب رائعا يجذب القارئ اليه جذبا، و يجعله يتفاعل معه مغرما به.
و قد تم تاليف هذا التفسير القيم عام (١٣٩٩ ه)، و طبع عدة طبعات ، و لاتزال تعاد طبعاته ، حسب رغبة الجيل المثقف من الامة في اقتنائه و الاستضائة بانواره ، لازال المؤلف مؤيدا مسددا.

تفسير نمونه (الامثل(

هو اول تفسير نموذجي ظهر الى الوجود، و كان قد تعاون عليه جمع من فضلا الحوزة العلمية بقم الـمقدسة ، و ذلك خلال مدة (١٤) سنة (١٣٩٦ ـ ١٤١٠ ه) و لهذا كان التفسير عملا جماعيا، قد بـذلـت فـي تـدوينه جهود، و لكن تحت اشراف العلا مة الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، احد اعلام الـعصر، و من المجاهدين في سبيل الدعوة الاسلامية ، صاحب تليف اسلامية عريقة ،و صاحب نظر و راي و اجتهاد.
و هـذا الـتفسير انما دون و كتب ليكون غذا نافعا للجيل المعاصر، و لذلك جا بالاهم من المواضيع الاسـلامـية ، التربوية و الاخلاقية ، و متناسبا مع المستوى العام ، فكانت خدمة جليلة اسداها الشيخ مكارم و اعوانه ، و قدموها للجيل المتعطش الى فهم معاني القرآن بشكل واسع ، و الاستقا من مناهله الـعذبة جا في المقدمة : ((لكل عصر خصائصه و ضروراته و متطلباته ،و هي تنطلق من الاوضاع الاجـتـمـاعـيـة و الفكرية السائدة في ذلك العصر، و لكل عصر مشاكله و ملابساته الناتجة عن تـغـييرالمجتمعات و الثقافات ، و هو تغيير لاينفك عن مسيرة المجتمع التاريخية ، و المفكر الفاعل فـي الحياة الاجتماعية ، هو ذلك الذي فهم الضرورات و المتطلبات ، و ادرك المشاكل و الملابسات و قد واجهنا دوما اسئلة وردت الينا من مختلف الفئات ،و خاصة الشباب المتعطش الى نبع القرآن عن الـتـفـسير الافضل ، كانت هذه الاسئلة تنطوي ضمنيا على بحث عن تفسير يبين عظمة القرآن عن تحقيق لا عن تقليد، و يجيب على ما في الساحة من احتياجات و تطلعات و آلام و آمال تفسير يجدي كـل الـفـئات ، و يخلو عن المصطلحات العلمية المعقدة ، و نحن نفتقر الى تفسير مثل هذا فالسلف و الـمـعـاصـرون كـتـبـوا فـي ذلك كثيرا،و لكنها باساليب خاصة بالعلما و الادبا، و على مستويات رفـيعة ((912)) ((فمن هنا لم يجدوا بدا من الاقدام على مثل هذا التفسيربهذا الشكل الصالح للفهم الـعـام ، الامـر الـذي يـجـعـل مـن هـذا الـتفسير على اهمية كبرى في سبيل التثقيف العام ، خدمة جليلة مشكورة.
و هـذا الـتـفـسير قد كتب بالفارسية في (٢٧) مجلدا، و ترجم الى العربية باسم ((الامثل)) في (20)مجلدا و طبع عدة مرات.

الكاشف

لـلكاتب العلا مة الشيخ محمدجواد مغنية ، من كبار علما لبنان (١٣٢٢ ـ ١٤٠٠ ه) المتخرجين من حـوزة الـنـجـف الاشـرف عين قاضيا شرعيا في بيروت ، ثم مستشارا للمحكمة العليا ,فرئيسا لها بـالـوكـالة و عرضت عليه الرئاسة ، لكنه رفض و انعزل ، وانصرف الى التاليف ، فاخرج العديد من المؤلفات ذوات الاعتبار، منها هذا التفسير القيم ، اخرجه في سبع مجلدات ، و طبع عدة طبعات.
و كان الشيخ مغنية من الدعاة الى التقريب بين المذاهب ، و كتب رسالات و مقالات في مجلة ((رسالة الاسلام)) بهذا الشان ،و احسن و افاد.
و يـعد تفسيره هذا من النمط الجديد، الذي يتلائم و حاجة المسلمين في هذا العصر و لقد اجاد في هذا المضمار، و اوجزالكلام حول مفاهيم القرآن الكريم المتوافقة مع متطلبات الزمن ، في عبارات شـيـقـة رصينة ، و دلائل متينة معقولة ، من غير ان يتغافل عما حققه المفسرون السلف و زاد عليه الخلف فكان تفسيرا جامعا و شاملا و مجيبا على اسئلة الجيل الحديث ، فجزاه اللّه خيرالجزا.
و هـنـاك تـفسير آخر بنفس الاسم ((كاشف)) تفسير فارسي ، تعاون على تاليفه ، كل من الاستاذ الـسـيـد محمدباقر حجتي ، والاستاذ عبدالكريم الشيرازي ، من اساتذة جامعة طهران يقع في 12مجلدا، و طبع منذ عام (١٤٠٤ ه) عدة طبعات.
و يعد تفسيرا جديدا في بيان الشكل الموزون لسور القرآن و نظمها، و مناسبات الايات و السور و تبيينها و تفسيرها، مع الاهتمام بالبيان اللغوي ، و ترجمة تفسيرية موجزة ، و ذكر الصور و الاشكال و الـجـداول الاحـصائية و الرسوم الجغرافية لتوضيح المعنى ، مما تتطلبه حاجة الطلبة الجامعيين الـيـوم و قـد حاولا جهدهما في عرض معلومات قرآنية هي بحاجة للجيل الجديد،مما لايتاح غالبا العثور عليها في سائر التفاسير او هي بعيدة عن متناول الشباب المثقف في العصر الحاضر فقد كانا موفقين في هذا الهدف السامي ، جزاهما اللّه خيرا.

مخزن العرفان

تـفـسـيـر حافل جامع , هو من خير التفاسير التي انتجها الجيل الجديد، في اسلوب رائع بديع ، في خمسة عشر مجلدا، باللغة الفارسية السهلة السلسة ، وضعتها مفخرة النسا الايرانيات ، السيدة نصرت بنت السيد محمدعلى امين ، من كبار علما اصفهان.
و قـد تفردت اصفهان من بين البلاد الاسلامية ، بهذه السيدة الجليلة ، التي انصرفت بمجهودها نحو الـعـلـوم الاسـلامـيـة ، حتى نالت درجة عالية من الاجتهاد في الفقاهة و في سائر العلوم الادبية و الفلسفية و العرفان ، فى ارقى درجات.
و هـذه السيدة المعروفة ب ((بانو امين)) قد بذلت جهدها البالغ في تربية النسا الفاضلات في شتى مـناحي ايران الاسلامية وقد ازدهر البلاد بكثرة من هذه النسا العالمات ، و لاتزال تزدهر البلاد بـالـتوسع في سبيل تثقيف المراة المسلمة ثقافة اسلامية عريقة و رائقة ، كل ذلك بفضل جهود هذه السيدة الفاضلة الواعية.
و تـوفيت سنة (١٤٠٣ ه) عن عمر ناهز التسعين ، فلقد عاشت سعيدة و ماتت حميدة فرحمة اللّه عليها و بارك في علمهاباقيات صالحات.
و لها في شتى العلوم و المعارف الاسلامية كتب و رسائل قيمه ، لاتزال موضع انتفاع طلا ب العلم و رواد المعرفة.
و التفسير وضع على اسلوب تربوى ، يعمد الى تزكية النفس ، ثم الى تهذيب الاخلاق ، في شكل جيد بديع و يعد من خيرالاثار، فجزاها اللّه خير الجزا الصالحات.
و هـناك تفاسير اخر باللغتين الفارسية و العربية ، دونت اخيرا على اثر النهضة الدينية و الحركة الـثـقافية ، في ربوع ايران الاسلامية نطوي الكلام عن ذكرها، و نحيل الطالب الى ما جمعه الفاضل الـعلامة السيد محمدعلى ايازي في موسوعته القيمة ((المفسرون حياتهم و منهجهم)) و هو كتاب حـافل جامع لانواع التفاسير التي زخرت بها البلاد الاسلامية و لاسيما في العصرالحاضر، جزاه اللّه خيرا.

تفاسير ادبية

هـنـاك تفاسير غلب عليها الطابع الادبي ، النحو و البلاغة و سائر علوم اللغة ، و امتازت بالتعرض لهذه الجوانب من تفسيرالقرآن ، نذكر الاهم منها:

الكشاف

للعلامة جاراللّه الزمخشري هو ابوالقاسم ، محمود بن عمر الخوارزمي ولد سنة (٤٦٧) و توفي سـنة (٥٣٨ ه (كان معتزلي الاعتقاد، متجاهرا بعقيدته ، و بنى تفسيره هذا على مذهب الاعتزال ، طـاعـنـا فـي تـفاسير حادت عن جادة العقل بظواهر هي متنافية مع نص الشرع و هو تفسير قيم لم يسبق له نظير في الكشف عن جمال القرآن و بلاغته و سحر بيانه ، فقد امتاز المولف بالمامه بلغة العرب و المعرفة باشعارهم و الاحاطة بعلوم البلاغة و البيان و الاعراب و لقد اضفى هذا النبوغ الـعلمي الادبي على تفسير الكشاف ثوبا جميلا، لفت اليه انظار العلما، و علق به قلوب المفسرين ، و مـن ثـم اثـنـى عـليه كثير من اولي البصائرفي الادب و التفسير و الكلام غير ان اصحاب الراي الاشعري نقموا عليه صراحته بمذهب الاعتزال ، و تاويله لكثير من ظواهرالايات المنافية مع دليل العقل.
ان نظرة الزمخشري في دلالة الايات الكريمة نظرة ادبية فاحصة ، و كان فهمه لمعاني الايات فهما عميقا غير متاثر بمذهب كلامي خاص ، فهو لاينظر في الايات من زاوية مذهب الاعتزال ، كما رموه بـذلـك بل من زاوية فهم انسان حر، عاقل اريب ،و يحلل الايات تحليلا ادبيا في ذوق عربى اصيل , الامر الذي يتحاشاه اتباع مذهب الاشعري.
مثلا عند ما تعرض لتفسير قوله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ((913)) (يقول : و الوجه عبارة عن الجملة و الناضرة : من نضرة النعيم الى ربها ناظرة : تنظر الى ربها خاصة لاتنظر الى غيره و هذا معنى تقديم المفعول ، الا ترى الى قوله : (الى ربك يومئذ المستقر) , ((914)) (الى ربـك يـومـئذ الـمـسـاق) , ((915)) (الـى اللّه تـصـير الامـور) , ((916)) (و الـى اللّه المصير) , ((917)) (و اليه ترجعون) , ((918)) (عليه توكلت و اليه انيب ((919)) (كيف دل فيها التقديم على معنى الاختصاص ،و معلوم انهم ينظرون الى اشيا لايحيط بها الحصر، و لاتدخل تحت العدد، في محشر يجتمع فيه الخلائق كلهم ، فان المؤمنين نظارة ذلك اليوم ، لانهم الامنون الذين لاخوف عليهم و لا هم يحزنون فاختصاصه بنظرهم اليه ، لو كان منظورا اليه ، محال ،فوجب حمله عـلـى مـعنى يصح معه الاختصاص و الذي يصح معه ، ان يكون من قول الناس : انا الى فلان ناظر ما يصنع بي ، تريدمعنى التوقع و الرجا و منه قوله القائل:
و اذا نظرت اليك من ملك ـــ و البحر دونك زدتني نعما.
و سمعت سروية مستجدية بمكة وقت الظهر، حين يغلق الناس ابوابهم ، و ياوون الى مقائلهم ، تقول)) : عيينتي نويظرة الى اللّه و اليكم)) و المعنى : انهم لايتوقعون النعمة و الكرامة الا من ربهم ، كما كانوا في الدنيا لايخشون و لايرجون الا اياه((920)) .
انـظـر الى هذا التحقيق الانيق الذي سمحت به قريحة مثل الزمخشري العلامة الاديب الاريب ، و لـكن اصحاب الراي المعوج لم يرقهم هذا البيان الكافي الشافي ، فجعلوا يهرولون حوله في ضجيج و عويل ، زاعمين انه خالف راي اهل السنة ،و اول القرآن وفق مذهب الاعتزال.
هذا ابن المنير الاسكندري تراه يهاجم الزمخشري في لحن عنيف ، قائلا : ما اقصر لسانه عند هذه الاية ، فكم له يدندن و يطبل في جحد الرؤية ، و يشقق القبا و يكثر و يتعمق ، فلما فغرت هذه الاية فـاها، صنع في مصادمتها بالاستدلال و ما يعلم ان المتمتع برؤية جمال وجه اللّه تعالى لايصرف عنه طـرفـه ، و لايـؤثـر عليه غيره ، كما لايصرف العاشق اذا ظفر برؤية محبوبه النظر عنه ، فكيف بـالـمـحـب للّه اذا احظاه النظر الى وجهه الكريم نسال اللّه ان يعيذنا من مزالق البدعة و مزلا ت الشبهة((921)) .
و يـقـول الـشيخ محمد عليان ـ في الهامش ايضا ـ : عدم كونه تعالى منظورا اليه ،

مبني على مذهب المعتزلة ، و هو عدم جواز رؤيته تعالى و مذهب اهل السنة جوازها.
و قال الشيخ احمد مصطفى المراغي (الى ربها ناظرة) : اي تنظر الى ربها عيانا بلا حجاب قال جمهور اهل العلم : المرادبذلك ما تواترت به الاحاديث الصحيحة ، من ان العباد ينظرون الى ربهم يوم القيامة ، كما ينظرون الى القمر ليلة البدر قال ابن كثير : و هذا بحمد اللّه مجمع عليه من الصحابة و التابعين و سلف هذه الامة ، كما هو متفق عليه بين ائمة الاسلام و هداة الانام و روى البخاري :((انكم سترون ربكم عيانا)) و روى الشيخان : ((ان ناسا قالوا : يا رسول اللّه (ص (هل نرى ربنا يوم القيامة ؟فقال : هل تضارون في رؤية الشمس و القمر ليس دونهما سحاب ؟ قالوا : لا، قال : فانكم ترون ربكم كذلك. ((922)) ((
و قد اكثر اهل الحديث من روايات بهذا الشان ، اخذ بظاهرها السلف ، و من تبعهم من اهل الظاهر((923)) .
و استدل شيخ اهل السنة ابوالحسن الاشعري بهذه الاية على جواز رؤية اللّه في الاخرة ، و استشهد بموضع ((الى)) من هذه الاية ، قال : (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) اي رائية ، اذ ليس يخلو النظر من وجوه ثلاثة : اما نظر الاعتبار، كما في قوله تعالى : (افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت , ((924)) (او نظر الانتظار، كما في قوله تعالى : (ما ينظرون الا صيحة واحدة , ((925)) (او نظر الرؤية اما الاول فلايجوز، لان الاخرة ليست بدار اعتبار و كذا الثاني ، لان النظر اذا ذكر مع الوجه فمعناه نظر العينين اللتين في الوجه ، و لان نظر الانتظار لايقرن بـ ((الى))، كما في قوله تعالى : (فناظرة بم يرجع المرسلون ((926)) (قال :فان قال قائل : لم لايجوز ان يراد ((الى ثواب ربها ناظرة))؟ قيل له : ثواب اللّه غيره ، و قد قال تعالى) : الى ربها ناظرة)، و لم يقل : الى غيره ناظرة ، و القرآن على ظاهره ، و ليس لنا ان نزيله عن ظاهره الا لحجة((927)) .
اما اهل العدل و التنزيه فكانت نظرتهم في توحيد اللّه نظرة في غاية السموو الرفعة ، فطب قوا قوله تعالى : (ليس كمثله شي ((928)) (ابدع تطبيق ، و فصلوه خير تفصيل ، و حاربوا الانظار الوضعية التي تثبت ان للّه تعالى جسما، و ان له وجهاو يدين و عينين ، و له جهة فوقية ، و عرش يستوي عليه جالسا، و انه يرى بالابصار، الى آخر ما قالته الاشاعرة و اذنابهم من المشب هة و المجسمة فاتى اهل العدل و سموا على هذه الانظار، و فهموا من روح القرآن : تجريد اللّه عن المادية ، فساروا في تفسيرها تفسيرا دقيقا واسعا، و اولوا ما يخالف هذا المبدا، و سلسلوا عقائدهم تسلسلا منطقيا.
و قد فصل الكلام ـ في نفي رؤيته تعالى ـ القاضي عبد الجبار في كتابه ((شرح الاصول الخمسة ((929)) ((و اوفى البحث حقه و هكذا الخواجا نصير الدين الطوسي في مختصر العقايد))التجريد. ((930)) ((
و ملخص الكلام في نفي الرؤية : ان النظر بالعين عبارة عن اشعاع نوري يحيط بالجسم المرئي , الامر الذي يستدعي مقابلة و مواجهة ، و هو يلازم الجسمية و الاية الكريمة تصف موقف المؤمنين في ذلك اليوم ، انهم على رغم اهواله الجسام مبتهجون مسرورون ، ليس لشيي الا لانهم منصرفون بكليتهم عن غيره تعالى ، و متوجهون بكل وجودهم الى اللّه و النظر بهذا المعنى يتعدى ب ((الى ((كما جا في قول السروية ، و قول الشاعر:
اني اليك لما وعدت لناظر ـــ نظر الفقير الى الغني الموسر.
و كانت عائشة تنكر اشد الانكار امكان رؤيته تعالى بالابصار ففي حديث مسروق عنها المتفق عليه قال : قلت لعائشة :يا امتاه ، هل راى محمد ربه ليلة المعراج ؟ فقالت : لقد قف شعري مما قلت من ثلاث ، من حدثكهن فقد كذب : من حدثك ان محمدا راى ربه فقد كذب ، و قد اعظم على اللّه الفرية ، ثم قرات)لا تدركه الابصار و هو يدرك الابصار و هواللطيف الخبير , ((931)) (و من حدثك انه يعلم ما في غد فقد كذب ، ثم قرات (و ماتدري نفس ماذا تكسب غدا , ((932)) (ومن حدثك انه (ص) كتم شيئا من الدين ، فقد كذب ثم قرات (يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك . ((933)) (هذا حديث متفق عليه رواه الشيخان و غيرهما من اصحاب الصحاح((934)) و هكذا

كان مجاهد يـقـول في آية القيامة (الى ربها ناظرة) : تنتظر ثواب ربها في حديث رواه عبد بن حميد عنه ، قال الحافظ ابن حجر : سنده الى مجاهد صحيح((935)) .
و مـن ثـم فـان النابهين من الامة ، و لاسيما في عصر متاخر، هبوا ينكرون امكان رؤيته تعالى على الاطـلاق ، اذا كان المقصودمن الرؤية الاحاطة بذاته المقدسة بتحديق العين اليه ، فانه محال البتة , فانه ملازم للتقابل و الجسمية المحالين عليه سبحانه.
قـال صـاحـب الـمنار في وجل من اصحابه في الخروج من مذهب اسلافه : و اما رؤية الرب تعالى فـربـما قيل بادئ الراي : ان آيات النفي فيها اصرح من آيات الاثبات ، كقوله تعالى : (لن تراني)، و قـوله تعالى : (لا تدركه الابصار) فهما اصرح دلالة على النفي من دلالة قوله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) على الاثبات ، فان استعمال النظر بمعنى الانتظار، كثير في القرآن و كلام العرب ، كقوله : (ما ينظرون الا صيحة واحدة) , ((936)) (هل ينظرون الا تاويله) , ((937)) (هـل ينظرون الا ان ياتيهم اللّه في ظلل من الغمام و الملائكة ((938)) (و ثبت انه استعمل بهذا الـمعنى متعديا ب ((الى))، و لذلك جعل بعضهم وجه الدلالة فيه على المعنى الاخر ـ و هو توجيه الـبـاصـرة ، الـى ما تراد رؤيته ـ انه اسند الى الوجوه ، و ليس فيها ما يصحح اسناد النظراليها الا العيون الباصرة ، و هو في الدقة كما ترى (اي ليس ذلك ظاهر الاية ظهورا عرفيا ((939)) (و لصاحب المنار هنا في توجيه و تاويل كلام اهل السنة كلام طويل ، لايستغني الباحث عن مراجعتها.
و لنا ايضا بحث مستوف بمسالة الرؤية عرضناه في بحث المتشابهات ((940)).

اعتماده على التاويل و التمثيل

و هكذا نجد الزمخشري يعتمد في تفسيره على ضروب من التاويل و المجاز و التمثيل ، فيحمل ما ظـاهـره الـتـنـافـي مع العقل او الاصول المتلقاة من الشرع ، على ضرب من التمثيل و الاستعارة و المجاز، الامر الذي اثار نعرات خصومه اهل السنة و الجماعة ، ناقمين عليه تصريفه لظواهر آيات القرآن الحكيم.
مثلا نجده عند تفسير الاية (٧٢) من سورة الاحزاب ، يقول:
قوله : (انا عرضنا الامانة) و هو يريد بالامانة الطاعة ، فعظم امرها و فخم شانها، و فيه وجهان:
احدهما : ان هذه الاجرام العظام من السماوات و الارض و الجبال ، قد انقادت لامر اللّه عزوعلا ,انقياد مثلها، و هو مايتاتى من الجمادات ، و اطاعت له الطاعة التي تصح منها و تليق بها، حيث لم تمتنع عـلى مشيئته و ارادته ايجادا و تكويناو تسوية على هيت مختلفة و اشكال متنوعة ، كما قال : (قالتا اتـيـنـا طـائعين ((941)) (و اما الانسان فلم تكن حاله ـ فيما يصح منه من الطاعات ، و يليق به من الانـقـيـاد لاوامـر اللّه و نـواهـيـه ، و هـو حيوان عاقل صالح للتكليف ـ مثل حال تلك الجمادات فيمايصح منها و يليق بها من الانقياد، و عدم الامتناع.
و المراد بالامانة ، الطاعة ، لانها لازمة الوجود، كما ان الامانة لازمة الادا.
و عرضها على الجمادات ، و اباؤها و اشـفاقها : مجاز.
و اما حمل الامانة ، فمن قولك : فلان حامل للامانة و محتمل لها، تريد انه لايؤديها الى صاحبها حتى تـزول عن ذمته و يخرج عن عهدتها، لان الامانة كانها راكبة للمؤتمن عليها و هو حاملها الا تراهم يـقولون : ركبته الديون ولي عليه حق ، فاذاادها لم تبق راكبة له و لا هو حامل لها و نحوه قولهم : لايـمـلـك مـولـى لمولى نصرا، يريدون انه يبذل النصرة له و يسامحه بها،و لايمسكها كما يمسك الخاذل و منه قول القائل:
اخوك الذي لاتملك الحس نفسه ـــ و ترفض عند المحفظات الكتائف ((942)).
اي لايمسك الرقة و العطف امساك المالك الضنين ما في يده ، بل يبذل ذلك و يسمح به و منه قولهم : ابغض حق اخيك ،لانه اذا احبه لم يخرجه الى اخيه و لم يؤده ، و اذا ابغضه اخرجه و اداه.
فـمعنى (فابين ان يحملنها و اشفقن منها و حملها الانسان : ((943)) (فابين الا ان يؤدينها، و ابى الانـسـان الا ان يـكـون مـحتملا لها لايؤديها، ثم وصف بالظلم لكونه تاركا

لادا الامانة ، و بالجهل , لاخطائه ما يسعده مع تمكنه منه ، و هو اداؤها.
و الـثـانـي : ان ما كلفه الانسان بلغ من عظمه و ثقل محمله ، انه عرض على اعظم ما خلق اللّه من الاجـرام و اقـواه و اشـده ، ان يتحمله و يستقل به ، فابى حمله و الاستقلال به و اشفق منه و حمله الانسان على ضعفه و رخاوة قوته انه كان ظلوما جهولا،حيث حمل الامانة ثم لم يف بها، و ضمنها ثم خاس بضمانه فيها((944)) .
قال : و نحو هذا من الكلام كثير في لسان العرب ، و ما جا القرآن الا على طرقهم و اساليبهم و من ذلـك قـولـهم : لو قيل للشحم اين تذهب ، لقال : اسوي العوج و كم لهم من امثال على السنة البهائم و الـجمادات و تصور مقالة الشحم محال ، و لكن الغرض ان السمن في الحيوان مما يحسن قبيحه ، كما ان العجف مما يقبح حسنه فصور اثر السمن فيه تصويرا هو اوقع في نفس السامع ، و هي به آنس ، و له اقبل ، و على حقيقته اوقف.
و كذلك تصوير عظم الامانة و صعوبة امرها و ثقل محملها و الوفا بها.
و هنا تقوم امام الزمخشري صعوبات و مشاكل ، يصورها لنا في سؤاله:
فـان قلت : قد علم وجه التمثيل في قولهم للذي لايثبت على راي واحد : اراك تقدم رجلا و تؤخر اخـرى ، لانـه مـثـلت حاله في تميله و ترجحه بين الرايين ، و تركه المضي على احدهما بحال من يـتـردد فـي ذهـابـه ، فـلايجمع رجليه للمضي في وجهه و كل واحد من الممثل و الممثل به ، شـي مستقيم ، داخل تحت الصحة و المعرفة و ليس كذلك ما في هذه الاية ، فان عرض الامانة على الجماد و اباه و اشـفاقه محال في نفسه ، غير مستقيم ، فكيف صح بنا التمثيل على المحال و ما مثال هذا الا ان تشبه شيئا، و المشبه به غير معقول.
و لكن الزمخشري لاتوقفه هذه الصعوبات ، بل نراه يتخلص منها بكل دقة و براعة ، حيث يقول:
قـلت : الممثل به في الاية و في قولهم : ((لو قيل للشحم اين تذهب)) و في نظائره ، مفروض ، و الـمـفـروضات تتخيل في الذهن كما المحققات : مثلت حال التكليف في صعوبته ، و ثقل محمله بحاله المفروضة لو عرضت على السماوات و الارض و الجبال لابين ان يحملنها و اشـفقن منها((945)) .
قـال الـذهـبـي : و هـذه الطريقة التي يعتمد عليها الزمخشري في تفسيره اعني طريقة الفروض الـمـجـازيـة ، و حمل الكلام الذي يبدو غريبا في ظاهره ، على انه من قبيل التعبيرات التمثيلية او التخييلية قد اثارت حفيظة خصمه السني ابن المنير الاسكندري عليه ، فاتهمه باشنع التهم في كثير من المواضع التي تحمل هذا الطابع ، و نسبه الى قلة الادب و عدم الذوق((946)) .
فـمـثـلا عـنـد ما يعرض الزمخشري لقوله تعالى : (لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا مـتـصدعا من خشية اللّه ،و تلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون)
((947))نراه يقول : هذا تـمـثيل و تخييل ، كما مر في آية عرض الامانة ، و قد دل عليه قوله تعالى : (و تلك الامثال نضربها للناس) و الغرض توبيخ الانسان على قسوة قلبه و قلة تخشعه عند تلاوة القرآن ،و تدبر قوارعه و زواجره((948)) .
و لكن هذا قد اغضب ابن المنير، فقال معقبا عليه : و هذا مما تقدم انكاري عليه فيه ، افلا كان يتادب بـادب الايـة ، حـيـث سمى اللّه هذا مثلا، و لم يقل : و تلك الخيالات نضربها للناس الهمنا اللّه حسن الادب معه ، و اللّه الموفق.
غـير ان الزمخشري ولع بهذه الطريقة ، فمشى عليها من اول تفسيره الى آخره ، و لم يقبل المعاني الـظاهرة التي اخذ بها اهل السنة و حسبوها اقرب الى الصواب ، كما لاينفك عن التنديد باهل السنة الـذيـن يـقبلون هذه المعاني الظاهرة و يقولون بها،و كثيرا ما ينسبهم من اجل ذلك الى انهم من اهل الاوهـام و الـخـرافات ، كما عرفت من هجوه لهم في الشعر المتقدم و قدسماهم اهل الحشو، عند تفسيره لاية (٣٦) من سورة آل عمران (و اني اعيذها بك و ذريتها من الشيطان الرجيم) قال : و مـايـروى من الحديث : ((ما من مولود يولد الا و الشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان اياه الا مريم و ابنها))فاللّه اعلم بصحته فان صح فمعناه : ان كل مولود يطمع الشيطان في اغـوائه الا مـريـم و ابنها، فانهما كانا معصومين و كذلك كل من كان في

صفتهما، كقوله تعالى : (لا غـويـنـهـم اجـمعين الا عبادك منهم المخلصين ((949)) (و استهلاله صارخا من مسه ، تخييل و تصوير لطمعه فيه ، كانه يمسه و يضرب بيده عليه ، و يقول : هذا ممن اغويه ، و نحوه من التخييل قول ابن الرومي:
لما تؤذن الدنيا به من صروفها ـــ يكون بكا الطفل ساعة يولد.
و امـا حـقـيقة المس و النخس كما يتوهم اهل الحشو فكلا و لو سلط ابليس على الناس بنخسهم , لامتلات الدنيا صراخاو عياطا مما يبلونا به من نخسه((950)) .
و اليك امثلة اخرى لتقف على مقدار تمسكه بهذه الطريقة:
فـفـي سـورة الـبـقـرة عند قوله تعالى : (وسع كرسيه السماوات و الا رض ((951)) (يذكر الـزمخشري في معنى ((الكرسي)) اربعة اوجه ، و يقول في الوجه الاول منها : ان كرسيه لم يضق عـن السماوات و الارض لبسطته و سعته ، و ما هو الا تصوير لعظمته و تخييل فقط، و لا كرسي ثـمـة ، و لا قـعود، و لا قاعد، كقوله تعالى : (و ما قدروا اللّه حق قدره و الا رض جميعا قبضته يوم القيامة و السماوات مطويات بيمينه (((952))من غير تصور قبضة و طى و يمين ، و انما هو .((953))؟ الامر الذي لم يرتض ابن المنير، و من ثم عقبه بقوله : قوله : ((ان ذلك تخييل للعظمة)) سؤ ادب في الاطلاق ، و بعد في الاصرار، فان التخييل انما يستعمل في الاباطيل و ما ليست له حقيقة صدق , فـان يـكـن مـعـنى ما قاله صحيحا فقد اخطا في التعبيرعنه بعبارة موهمة ، لا مدخل لها في الادب الشرعي و سياتي له امثالها مما يوجب الادب ان يجتنب.
و فـي سـورة الاعـراف عـنـد تـفـسـيـر آيـة الـميثاق يقول : و قوله : (الست بربكم قالوا بلى شـهـدنا ((954)) (من باب التمثيل و معنى ذلك : انه نصب لهم الادلة على ربوبيته و وحدانيته ، و شهدت بها عقولهم و بصائرهم التي ركبها فيهم ، و جعلها مميزة بين الضلالة و الهدى ، فكانه اشهدهم عـلى انفسهم و قررهم ، و قال لهم : الست بربكم ، و كانهم قالوا : بلى انت ربنا، شـهـدناعلى انفسنا و اقـررنـا بـوحـدانيتك و باب التمثيل واسع في كلام اللّه تعالى و رسوله (ع) و في كلام العرب و نـظـيره قوله تعالى :(انما قولنا لشى اذا اردناه ان نقول له كن فيكون) , ((955)) (فقال لها و للا رض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين. ((956)) (
و قوله:
اذ قالت الانساع للبطن الحق ـــ قدوما فضت كالفنيق المحنق((957)) و قوله:
قـالـت لـه ريح الصبا قرقار ـــ و اختلط المعروف بالانكار((958)) قال الذهبي : و لكن ابن المنير السني لم يرض هذا من الزمخشري بطبيعة الحال ، و لذا تعقبه بقوله : اطلاق التمثيل احسن و قدورد الشرع به اما اطلاق التخييل على كلام اللّه تعالى فمردود، و لم يرد به سمع ، و قد كثر انـكارنا عليه لهذه اللفظة ثم ان القاعدة مستقرة على ان الظاهر ما لم يخالف المعقول يجب اقراره على مـا هـو عليه ، فلذلك اقره الاكثرون على ظاهره و حقيقته ،و لم يجعلوه مثالا اما كيفية الاخراج و المخاطبة فاللّه اعلم بذلك ((959)).
و مـسالة ((التمثيل)) و ((التخييل)) يستعملها الزمخشري بحرية اوسع فيما ورد من الاحاديث الـتي يبدو ظاهرها مستغربا،و قد مر كلامه في حديث مس الشيطان و نخسه للمواليد، الامر الذي اثار ثائرة خصمه السني الذي لم يرتض هذا الصنيع من خصمه المعتزلي ، فتراه يتورك عليه بقوله : امـا الـحـديـث فـمـذكور في الصحاح متفق على صحته ، فلا محيص له اذن عن تعطيل كلامه (ع (بتحميله ما لايحتمله ، جنوحا الى اعتزال منتزع ، في فلسفة منتزعة ، في الحاد، ظلمات بعضها فوق بعض ((960)) .

امتهانه بشان القرا

و هـكذا نجد الزمخشري قد اغاظ خصومه اهل الظاهر و المقلدة من اهل السنة و الجماعة , حيث رفض حجية القرات حجية تعبدية ، حتى و لو كانت على خلاف الفصحى من اللغة ، اذ لم تثبت حجيتها بهذه السعة و الاطلاق ، فاذاما تعارضت قراة

مع المقرر من لغة العرب الفصحى ، نجد العلما المحققين امثال الزمخشري يرفضون تلك القراة ، حفاظا على سلامة القرآن ،من خلل في فصاحته العليا، الامر الذي لم يرتضه المقلدة من اهل الظاهر، فهبوا يهاجمونه باشنع القذائف.
هذا ابن عامر قارئ دمشق ، و هو احد القرا السبعة قرا : (و كذلك زين لكثير من المشركين قتل اولا دهم شركاؤهم ((961)) (برفع ((قتل)) و نصب ((اولادهم)) و جر((شركائهم ((باضافة ((قتل)) الى ((شركائهم)) مع الفصل بالمفعول به ،و قراة ((زى ن)) مبنيا للمفعول.
فانكر عليه الزمخشري و عد قراته هذه سمجة مردودة ، قال : و اما قراة ابن عامر فشي لو كان في مكان الضرورات و هو الشعر، لكان سمجا مردودا، كما سمج و رد: فزججتها بمزجة ـــ زج القلوص ابي مزادة((962)) .
فكيف به في الكلام المنثور، فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه و جزالته.
قال : و الذي حمله على ذلك ، ان راى في بعض المصاحف ((شركائهم)) مكتوبا باليا و لو قرا بجر الاولاد و الشركا، لان الاولاد شركاؤهم في اموالهم ، لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب ((963)).
و في ذلك امتهان بشان ابن عامر((964)) و استهانة بشان قراته غيرالمستندة الى حجة معتبرة((965)) , الامر الذي اثار نعرات القوم ضده و جعلوه يقذفونه باقبح الشتائم هذا ابن المنير الاسكندري الهائم في تيه ضلاله ، يعلو بنشيجه في ذلك ، يقول في حدة و غضب : لقد ركب المصنف في هذا الفصل متن عميا، و تاه في تيها، و انا ابرا الى اللّه ، و ابرئ حملة كتابه و حفظة كلامه مما رماهم به ، فانه تخيل ان القرا ـ ائمة الوجوه السبعة ـ اختار كل منهم حرفا قرا به اجتهادا لا نقلا و سماعا، فلذلك غلط ابن عامر في قراته هذه و لم يعلم الزمخشري ان ابن عامر قرا بها، يعلم ضرورة ان النبي (ص) قراها على جبرائيل كماانزلها عليه كذلك ، و تواترت عن النبي (ص) و لولا عذر ان المنكر ليس من اهل الشانين : علم القراة و علم الاصول ، لخيف عليه الخروج من ربقة الدين ، و انه على هذا العذر لفي عهدة خطرة و زلة منكرة((966)) .
و قال ابوحيان الاندلسي : ((و اعجب لعجمي ضعيف في النحو يرد على عربي صريح محض قراة متواترة ، موجودنظيرها في ((لسان العرب)) في غيرما بيت ، و اعجب لسؤ ظن هذا الرجل بالقرا الائمة الذين تخيرتهم هذه الامة لنقل كتاب اللّه شرقا و غربا، و قد اعتمد المسلمون على نقلهم لضبطهم و معرفتهم و ديانتهم و لا التفات لقول ابي علي الفارسي : هذا قبيح قليل في الاستعمال و قال قبل ذلك : و لا التفات الى قول ابن عطية : و هذه قراة ضعيفة في استعمال العرب. ((967)) ((
و قال الكواشي ـ هو احمد بن يوسف ابوالعباس الموصلي صاحب تفسير، توفي سنة (٦٨٠ ه) ـ)) : كلام الزمخشري يشعر بان ابن عامر ارتكب محظورا، و انه غير ثقة ، لانه ياخذ القراة من المصحف لا من المشايخ ، و مع ذلك اسندها الى النبي (ص) و ليس الطعن في ابن عامر طعنا فيه ، و انما هو طعن في علما الامصار، حيث جعلوه احد القرا السبعة المرضية ،و في الفقها حيث لم ينكروا عليه ، و انهم يقراونها في محاريبهم ، و اللّه اكرم من ان يجمعهم على الخطا.((
و قال التفتازاني : هذا اشد الجرم ، حيث طعن في اسناد القرا السبعة و رواياتهم ، و زعم انهم انما يقراون من عند انفسهم و هذه عادته ، يطعن في تواتر القرات السبع ، و ينسب الخطا تارة اليهم ، كما في هذا الموضع ، و تارة الى الروايات عنهم و كلاهما خطا. ((968)) ((
و تقلد الالوسي عبارة ابن المنير : ((و قد ركب في هذا الكلام عميا و تاه في تيها، فقد تخيل ان القرا ائمة الوجوه السبعة اختار كل منهم حرفا قرا به اجتهادا لا نقلا و سماعا، كما ذهب اليه بعض الجهلة ، فلذلك غلط ابن عامر في قراته هذه و اخذيين منشا غلطه ، و هذا غلط صريح يخشى منه الكفر و العياذ باللّه تعالى فان القرات السبع متواترة جملة و تفصيلا عن افصح من نطق بالضاد(ص (فتغليط شي منها في معنى تغليط رسول اللّه (ص) بل تغليط اللّه ، نعوذ باللّه سبحانه من ذلك ((969)) .

تهاجمه على اهل السنة

كما و لم يقصر الزمخشري في تهاجمه على خصومه من اهل السنة ، فلم يدع فرصة اثنا تفسيره الا و قذفهم بقذائف لاذعة و قرعهم بمقامع دامغة قال الذهبي : و ان المتتبع لما في ((الكشاف)) من الجدل المذهبي ، ليجد ان الزمخشري قد مزجه في الغالب بشي من المبالغة في السخرية و الاستهزا باهل السنة ، فهو لايكاد يدع فرصة تمر بدون ان يحقرهم و يرميهم بالاوصاف المقذعة ، فتارة يسميهم المجبرة ، و اخرى يسميهم الحشوية ، و ثالثة يسميهم المشبهة ,و احيانا يسميهم القدرية ،تلك التسمية التي اطلقها اهل السنة على منكري القدر، فرماهم بها الزمخشري ، لانهم يؤمنون بالقدر كما جعل حديث الرسول (ص) الذي حكم فيه على القدرية انهم مجوس هذه الامة ، منصبا عليهم ، و ذلك حيث قال عند تفسيره لقوله تعالى (و اما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى : ((970)) (و لو لم يكن في القرآن حجة على القدرية الذين هم مجوس هذه الامة ، بشهادة نبيها(ص) ـ و كفى به شاهدا ـ الا هذه الاية لكفى بها حجة((971)) .

كما سماهم بهذا الاسم و رماهم بانهم يحيون لياليهم في تحمل الفاحشة ، ينسبونها الى اللّه تعالى , حيث قال عند تفسيره لقوله تعالى (قد افلح من زكاها و قد خاب من دساها : ((972)) (و اما قول من زعم ان الضمير في ((زكى)) و ((دسى)) للّه تعالى ،و ان تانيث الضمير الراجع الى ((من ((لانه في معنى النفس ، فمن تعكيس القدرية الذين يوركون((973)) على اللّه قدرا هو بري منه و متعال عنه و يحيون لياليهم في تمحل فاحشة ينسبونها اليه((974)) .

و الظاهرة العجيبة في خصومة الزمخشري ، انه يحرص كل الحرص على ان يحول الايات القرآنية التي وردت في حق الكفار، الى ناحية مخالفيه في العقيدة من اهل السنة ، ففي سورة آل عمران حيث يقول تعالى : (و لا تكونوا كالذين تفرقواو اختلفوا من بعد ما جاهم البينات , ((975)) (نجد الزمخشري بعد ما يعترف بان الاية واردة في حق اليهود و النصارى يجوزان تكون واردة في حق مبتدعي هذه الامة ، و ينص على انهم ((المشبهة)) و ((المجبرة ((و ((الحشوية)) و اشباههم((976)) .

و في سورة يونس ، حيث يقول تعالى : (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه و لماياتهم تاويله , ((977)) (يقول : بل سارعوا الى التكذيب بالقرآن و فاجاوه في بديهة السماع قبل ان يفقهوه و يعلموا كنه امره , و قبل ان يتدبروه و يقفوا على تاويله و معانيه ،و ذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم ، و شرادهم عن مفارقة دين آبائهم ، كالناشئ على التقليد من ((الحشوية)) اذا احس بكلمة لاتوافق ما نشا عليه و الفه و ان كانت اضوا من الشمس في ظهور الصحة و بيان الاستقامة انكرها في اول وهلة ، و اشماز منها قبل ان يحس ادراكها بحاسة سمعه ، من غير فكر في صحة او فساد، لانه لم يشعر قلبه الا صحة مذهبه و فساد ما عداه من المذاهب ((978)).

و لقد اظهر الزمخشري تعصبا قويا لمذهبه ، الى حد جعله يخرج خصومه السنيين من دين اللّه ، و هو الاسلام ، و ذلك حيث يقول عند تفسيره لقوله تعالى (شهد اللّه انه لا اله الا هو و الملا ئكة و اولوا العلم : ((979)) (فان قلت : ما المراد باولي العلم الذين عظمهم هذا التعظيم ، حيث جمعهم معه و مع الملائكة في الشهادة على وحدانيته و عدله ؟ .

قلت : هم الذين يثبتون وحدانيته و عدله بالحجج الساطعة و البراهين القاطعة ، و هم علما العدل و التوحيد ـ يريد اهل مذهبه ـ
فان قلت : ما فائدة هذا التوكيد يعني في قوله : (ان الدين عنداللّه الاسلا م)؟.

قلت : فائدته ان قوله : (لا اله الا اللّه) هو توحيد، و قوله : (قائما بالقسط) تعديل ، فاذا اردفه بقوله : (ان الدين عنداللّه الاسلا م) فقد آذن ان الاسلام هو العدل و التوحيد، و هو الدين عنداللّه , و ما عداه فليس عنده في شي من الدين و فيه : ان من ذهب الى تشبيه ، او ما يؤدي اليه كاجازة الرؤية ، او ذهب الى الجبر الذي هو محض الجور، لم يكن على دين اللّه الذي هوالاسلام ، و هذا بين جلى كما ترى((980)) .
و عند تفسيره لقوله تعالى : (قال رب ارني انظر اليك , ((981)) (قال : ((ثم تعجب من المتسمين بالاسلام ، المتسمين باهل السنة و الجماعة ، كيف اتخذوا هذه العظيمة مذهبا، و لايغرنك تسترهم ((982))و القول ما قال بعض العدلية فيهم : فانه من منصوبات اشياخهم لجماعة سموا هواهم سنة ـــ و جماعة حمر لعمري موكفة((983)) .
قد شبهوه بخلقه و تخوفوا ـــ شنع الورى فتستروا بالبلكفة.
و حمل الاية على انها ترجمة عن مقترح قومه و حكاية لقولهم.
و تفسير آخر، و هو : ان يريد بقوله : (ارني انظر اليك) عرفني نفسك تعريفا واضحا جليا، كانها اراة في جلائها بية ،مثل آيات القيامة التي تضطر الخلق الى معرفتك ، انظر اليك : اعرفك معرفة اضطرار، كاني انظر اليك ، كما جا في الحديث ((سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر ((بمعنى : ستعرفونه معرفة جلية هي في الجلا كابصاركم للقمر اذا امتلا و استوى((984)) .
و قد اثار ذلك ثورة احمد الاسكندري ، فجعل يقابل هجاه لاهل السنة بهجا اهل العدل ، قال : ((و لولا الاستنادبحسان بن ثابت الانصاري صاحب رسول اللّه (ص) و شاعره ، و المنافح عنه و روح القدس معه ، لقلنا لهؤلا المتلقبين بالعدلية و بالناجين سلاما، و لكن كما نافح حسان عن رسول اللّه (ص) اعداه ، فنحن ننافح عن اصحاب سنة رسول اللّه (ص) اعداهم فنقول :
و جماعة كفروا برؤية ربهم ـــ حقا و وعد اللّه ما لن يخلفه.
و تلقبوا عدلية قلنا : اجل ـــ عدلوا بربهم فحسبهموا سفه.
و تلقبوا الناجين ، كلا انهم ـــ ان لم يكونوا في لظى فعلى شفه ((985)) ((.

البحر المحيط

لاثير الدين محمد بن يوسف بن علي الحياني الاندلسي النحوي ، كان من اقطاب سلسلة العلم و الادب ، و اعيان المبصرين بدقائق ما يكون من لغة العرب حكي انه سمع الحديث بالاندلس و افريقية و الاسكندرية و مصر و الحجاز، من نحواربعمائة و خمسين شيخا، و كان شيخ النحاة بالديار المصرية ، و اخذ عنه اكابر عصره فعن الصفدي انه قال : لم اره قط الا يسمع او يشتغل او يكتب او ينظر في كتاب و كان ثبتا صدوقا حجة ، سالم العقيدة من البدع و القول بالتجسيم ، و مال الى مذهب اهل الظاهر و الى محبة الامام اميرالمؤمنين علي بن ابي طالب (ع) كثير الخشوع و البكا عند قراة القرآن توفي بالقاهرة سنة 745)ه.(
و من شعره:
هم بحثوا عن زلتي فاجتنبتها ـــ و هم نافسوني فاكتسبت المعاليا.
يروي عنه شيخنا الشهيد الثاني بواسطة تلميذه جمال الدين عبدالصمد بن ابراهيم بن الخليل البغدادي((986)) .
و تفسيره هذا من اجمع التفاسير على النكات الادبية الرائعة التي اشتمل عليها القرآن الكريم ، و اوفرهم بحثا ورا كشف المعاني الدقيقة التي حواها كلام اللّه العزيز الحميد و قد امتاز بالاهتمام البالغ بجهات اللغة و النحو و الادب البارع ،و يعدتفسيره ديوانا حافلا بشواهد تفسير الكلمات و اللغات و التعابير العربية و الوجوه الاعرابية ، كما اهتم بالقراات و اللهجات ، اذ كان عارفا بها، و نقل اقوال الائمة و آرا الفقها، فكان

تفسيرا جامعا و شاملا يروي الغليل و يشفي العليل.
و قد ابان عن منهجه في المقدمة ، قائلا:
))و ترتيبي في هذا الكتاب اني ابتدات او لا بالكلام على مفردات الاية التي افسرها لفظة لفظة , فيما يحتاج اليه من اللغة و الاحكام النحوية التي لتلك اللفظة قبل التركيب ، و اذا كان لكلمة معنيان او معان ، ذكرت ذلك في اول موضع فيه تلك الكلمة ،لينظر ما يناسب لها من تلك المعاني في كل موضع تقع فيه فيحمل عليه ثم اشرع في تفسير الاية ، ذاكرا سبب نزولها اذا كان لهاسبب و نسخها و مناسبتها و ارتباطها بماقبلها، حاشدا فيها القراات ، شاذها و مستعملها، ذاكرا توجيه ذلك في علم العربية ،ناقلا اقاويل السلف و الخلف في فهم معانيها، متكلما على جليها و خفيها، بحيث اني لم اغادر منها كلمة و ان اشتهرت ، حتى اتكلم عليها، مبديا ما فيها من غوامض الاعراب و دقائق الادب ، من بديع و بيان ، مجتهدا ثم اختتم الكلام في جملة من الايات التي افسرها افرادا و تركيبا، بما ذكروا فيها من علم البيان و البديع ملخصا. ((987)) ((

معاني القرآن

لابي زكريا يحيى بن زياد الفرا المتوفى سنة (٢٠٧ ه) كان تلميذ الكسائي و صاحبه ، و ابرع الكوفيين و اعلمهم بالنحوو اللغة و فنون الادب قال ثعلب : لولا الفرا لما كانت عربية ، لانه خلصها و ضبطها و كانت له حظوة عند المامون ، كان يقدمه ,و عهد اليه تعليم ابنيه ، و اقترح عليه ان يؤلف ما يجمع به اصول النحو و ما سمع من العربية ، و امر ان تفرد له حجرة في الدارو وكل بها جواري و خدما للقيام بما يحتاج اليه ، و صير اليه الوراقين يكتبون ما يمليه ، و قد عظم قدر الفرا في الدولة العباسية.
كان الفرا قوى الحافظة ، لايكتب ما يتلقاه عن الشيوخ استغنا بحفظه و بقيت له قوة الحفظ طوال حياته ، و كان يملي كتبه من غير نسخة قيل عنه : انه اميرالمؤمنين في النحو يقول ثمامة بن الاشرس المعتزلي عنه ـ و هو يتردد على باب المامون ـ :فرايت ابهة اديب ، فجلست اليه ففاتشته عن اللغة فوجدته بحرا، و فاتشته عن النحو فشاهدته نسيج وحده ، و عن الفقه فوجدته رجلا فقيها عارفا باختلاف القوم ، و بالنحو ماهرا، و بالطب خبيرا، و بايام العرب و اشعارها حاذقا.
و كان سبب تاليفه لكتاب معاني القرآن على ما حكاه ابوالعباس ثعلب ان عمر بن بكير كان من اصحابه و كان منقطعا الى الحسن بن سهل ، فكتب الى الفر ا : ان الامير الحسن بن سهل ربما سالني عن الشي بعد الشي من القرآن ، فلايحضرني فيه جواب ، فان رايت ان تجمع لي اصولا او تجعل في ذلك كتابا ارجع اليه فعلت فاجابه الفرا، و قال لاصحابه : اجتمعوا حتى امل عليكم كتابا في القرآن ، و جعل لهم يوما، فلما حضروا خرج اليهم و كان في المسجد رجل يؤذن و يقرا بالناس في الصلاة ،فالتفت اليه الفرا، فقال له : اقرا بفاتحة الكتاب ، ففسرها، ثم توفى الكتاب كله ، يقرا الرجل و يفسر الفرا قال ابوالعباس :لم يعمل احد قبله ، و لااحسب ان احدا يزيد عليه و عن ابي بديل الوضاحي : فاردنا ان نعد الناس الذين اجتمعوا لاملاالكتاب فلم يضبط، قال : فعددنا القضاة فكانوا ثمانين قاضيا.
و عن محمد بن الجهم : كان الفرا يخرج الينا ـ و قد لبس ثيابه ـ في المسجد الذي في خندق عبويه ، و على راسه قلنسوة كبيرة ، فيجلس فيقرا ابوطلحة الناقط عشرا من القرآن ، ثم يقول : امسك ، فيملي من حفظه المجلس ثم يجي سلمة بن عاصم من جلة تلامذته بعد ان ننصرف نحن ، فياخذ كتاب بعضنا فيقرا عليه و يغير و يزيد و ينقص.
يقول محمد بن الجهم السمري راوي الكتاب في المقدمة : هذا كتاب فيه معاني القرآن ، املاه علينا ابوزكريا يحيى بن زيادالفرا ـ يرحمه اللّه ـ عن حفظه من غير نسخة ، في مجالسه اول النهار من ايام الثلاثاوات و الجمع ، في شهر رمضان و ما بعده من سنة اثنتين ، و في شهور سنة ثلاث ، و شهور من سنة اربع و مائتين((988)) .
فقد تم املا الكتاب خلال ثلاث سنوات ، كل يوم الثلاثا و الجمعة من الاسبوع في كل

شهر، ابتدا من شهر رمضان المبارك ، في سنين اثنتين و ثلاث و اربع بعد المائتين.
و هو اجمع كتاب اتى على نكات القرآن الادبية : اللغة و النحو و البلاغة ، لايستغني الباحث عن معاني القرآن من مراجعته و الوقوف على لطائفه و دقائقه و قد اعتنى المفسرون بهذا الكتاب و جعلوه موضع اهتمامهم ، سوا صرحوا بذلك ام لم يصرحوا فانه احد مباني التفسير، و كان معروفا بذلك.
و الكتب في ((معاني القرآن)) كثيرة ، اولها : ((معاني القرآن)) لابان بن تغلب بن رباح البكري التابعي ، من خواص الامام علي بن الحسين السجاد(ع) المتوفى سنة (١٤١ ه)، و هو اول من صنف في هذا الباب صرح به النجاشي و ابن النديم.
و الثاني : ((معاني القرآن)) لامام الكوفيين في النحو و الادب و اللغة ، و اولهم بالتصنيف فيه , استاذ الكسائي و الفرا، هوالشيخ ابوجعفر محمد بن الحسن ، ابوسارة الرواسي الكوفي ، الراوي عن الامامين الباقر و الصادق (ع)، و قد نسبه اليه الزبيدي و عد النجاشي من كتبه ((اعراب القرآن)) و لعلهما واحد، ذكره ابن النديم .
و الثالث : ((معانى القرآن)) لابي العباس محمد بن يزيد بن عبد الاكبر بن عمير الثمالي الازدي البصري المتوفى سنة (٢٨٥ه) امام العربية ، الملقب من استاذه المازني بالمبرد، اي المثبت للحق((989)) .
و قد كتب في معاني القرآن كثير من الفحول ، يقول الخطيب بصدد الحديث عن معاني القرآن لابي عبيد و انه احتذى فيه من سبقه : ((و كذلك كتابه في معاني القرآن ، و ذلك ان اول من صنف في ذلك من اهل اللغة ابوعبيدة معمر بن المثنى ، ثم قطرب بن المستنير، ثم الاخفش و صنف من الكوفيين الكسائي ثم الفرا فجمع ابوعبيد (القاسم بن سلام الامام) من كتبهم ،و جا فيه بالاثار و اسانيدها، و تفاسير الصحابة و التابعين و الفقها، توفي سنة (٢٢٤ ه) بمكة المكرمة. ((990))((

املا ما من به الرحمان من وجوه الاعراب و القرات في جميع القرآن

لابي البقا عبداللّه بن الحسين بن عبداللّه العكبري المتوفى سنة (٦١٦ ه .(هو اخصر و اشمل كتاب حوى على بيان اعراب الاهم من الفاظ القرآن و انحا قرااته و لقد اوجز المؤلف في ذلك ،و اوفى الكلام حول اعراب القرآن في اشكل مواضعه ، فيما يحتاج اليه المفسر او الناظر في معاني القرآن الكريم يقول المؤلف في مقدمة الكتاب:
ان اولى ما عني باغي العلم بمراعاته ، و احق ما صرف العناية الى معاناته ما كان من العلوم اصلا لغيره منها، و حاكما عليها،و ذلك هو القرآن المجيد، و هو المعجز الباقي على الابد، و المودع اسرار المعاني التي لاتنفد فاول مبدؤ به من ذلك تلقف الفاظه من حفاظه ، ثم تلقي معانيه ممن يعانيه و اقوم طريق يسلك في الوقوف على معناه ، و يتوصل به الى تبيين اغراضه و مغزاه ، معرفة اعرابه و اشتقاق مقاصده من انحا خطابه ، و النظر في وجوه القرآن المنقولة عن الائمة الاثبات.
و الكتب المؤلفة في هذا العلم كثيرة جدا، فمنها المختصر حجما و علما، و منها المطول بكثرة اعراب الظواهر، و خلطالاعراب بالمعاني ، و قلما تجد فيها مختصر الحجم كثير العلم ، فلما وجدتها على ما وصفت ، احببت ان املي كتابا يصغر حجمه و يكثر علمه ، اقتصر فيه على ذكر الاعراب و وجوه القرات ، فاتيت به على ذلك.
و الكتاب مرتب حسب ترتيب السور، متعرضا لاعراب القرآن آية فية و كلمة فكلمة ، حتى ياتي الى آخره.
و الكتب في اعراب القرآن كثيرة ، افضلها ما كتبه المتقدمون ، و قد استرسل فيها المتاخرون ، فاتوا بما لا طائل تحته في كثير من تصانيفهم بهذا الشان.
و من احسن كتب السلف في اعراب القرآن ، كتاب ((البيان)) في غريب اعراب القرآن ، تاليف كمال الدين ، عبدالرحمان بن محمد بن عبيداللّه ، ابي البركات ، المعروف بابن الانباري ، المتوفى سنة 577)هـ) و قد انتهت اليه زعامة العلم في العراق ،و كان قبلة الانظار بين اساتذة المدرسة النظامية في بغداد، يرحل اليه العلما من جميع الاقطار، و قد تخاطف الطلاب و الادباتصانيفه ، و طولب بالتاليف في مختلف

علوم اللغة.
و قد وضع كتابه هذا على احسن اسلوب و اجمل ترتيب ، في بيان اعاريب القرآن ، منتهجا ترتيب معاني القرآن للفرا،و اسلوبه في شرح مواضع الكلمات ، و بيان تفاصيل وجوهها و هو مرتب حتى نهاية القرآن الكريم.
و من الكتب المؤلفة في هذا الباب ، و يعد من اجملها : كتاب ((اعراب القرآن)) المنسوب الى الزجاج المتوفى سنة (٣١٦ ه) لكن من المحتمل القريب انه من تاليف ابي محمد مكي بن ابي طالب القيسي المغربي ، صاحب التليف الكثيرة في القرآن ،و في الادب و اللغة ، توفي سنة (٤٣٧ ه . ((991)) (
هذا الكتاب وضع على تسعين بابا، جا الكلام فيها في مختلف شؤون النكات الادبية و النحوية و اللغوية ، كل باب بنوع خاص من المسائل الادبية و قد استوفى الكلام حول مسائل اللغة في القرآن و بعض مسائل البلاغة و البديع كالباب التاسع عشر، فيما جا في التنزيل من ازدواج الكلام و المطابقة و المشاكلة و غير ذلك و الباب الخامس و الثلاثين ، فيما جافي التنزيل من التجريد و الباب الثالث و الثمانين ، فيما جا في التنزيل من تفنن الخطاب و الانتقال من الغيبة الى الخطاب و من الخطاب الى الغيبة و من الغيبة الى التكلم كما تعرض لبعض القرااات ، كالباب السابع و الثمانين فيما جا في التنزيل من القراة التي رواها سيبويه في كتابه و الباب الثامن و الثمانين في نوع آخر من القرااات و سائر الابواب متمحضة في النحو و الاشتقاق.
و على اى حال ، فهو كتاب ممتع ، و مفيد للباحثين ، عن نكات القرآن الادبية و الدقائق اللغوية البارعة.
و لمكي بن ابي طالب ، كتاب آخر في ((مشكل اعراب القرآن)) طبع في جزئين و هو تاليف لطيف وضعه على ترتيب السور، تعرض للمشكل من اعاريب الفاظ القرآن الكريم ، هادفا ورا ذلك ايضاح المعاني ، حيث وضح الاعراب هو خير معين في فهم المعنى قال في المقدمة : ((اذ بمعرفة حقائق الاعراب تعرف اكثر المعاني و ينجلي الاشكال ، فتظهر الفوائد و يفهم الخطاب و تصح معرفة حقيقة المراد و قد رايت اكثر من الف في الاعراب ، طوله بذكره لحروف الخفض و حروف الجزم ،و بما هو ظاهر من ذكر الفاعل و المفعول ، و اسم ان و خبرها، في اشباه لذلك يستوي في معرفتها العالم و المبتدئ ، و اغفل كثيرا مما يحتاج الى معرفته من المشكلات ، فقصدت في هذا الكتاب الى تفسير مشكل الاعراب ، و ذكر علله و صعبه و نادره. ((992)) ((

تفاسير لغوية

هناك كتب تعرضت لغريب اللغة في القرآن ، و فسرت معاني الكلمات التي جات غريبة في كتاب اللّه و قد فسرنا فيمامضى معنى ((الغريب)) الواقع في القرآن ، و انها اللفظة المستعملة و المعروفة في لغة قبيلة دون اخرى ، فجا استعمالها في القرآن غريبا على سائر اللغات ، و ذلك في مثل ((الودق)) بمعنى المطر ,لغة جرهم و ((المنساة)) بمعنى العصا، لغة حضرموت و ((آسن)) بمعنى منتن ,لغة تميم و ((سعر)) بمعنى جنون ، لغة عمان و ((بست)) بمعنى تفتتت ، لغة كندة ، و هلم جرا و عليه فالذي جا منه في القرآن الشي الكثير، هو الغريب العذب و الوحش السائغ ، الذي اصبح بفضل استعماله الوفا، و صار بعد اصطياده خلوبا، دون البعيد الركيك ، و المتوعر النفور و قد بحثنا عن ذلك مستوفى عند الكلام عن اعجاز القرآن البياني ((993)).
و المؤلفون في غريب القرآن كثير، اولهم : محمد بن السائب الكلبي الكوفي النسابة ، من اصحاب الامامين الباقرو الصادق (ع) المتوفى سنة (١٤٦ ه) ثم ابوفيد مؤرج بن عمر النحوي السدوسي البصري المتوفى سنة (١٧٤ ه)،و ابوالحسن النضر بن شميل المازني البصري المتوفى سنة 203)ه) و استمر الحال و تسلسل تاليف رسائل و كتب في غريب القرآن طول القرون ، على ايدي علما ادبا و لغويين نبها، اوضحوا الكثير من غريب الفاظ القرآن الكريم ، و عنوا بذلك عناية بالغة , جزاهم اللّه عن الاسلام و القرآن خير جزا.

و اقدم كتاب وصل الينا في تفسير غريب القرآن ، ما هو المنسوب الى الامام الشهيد زيد بن علي بن الحسين (ع)، و هوبرواية الشيخ الامام العالم الزاهد الفقيه ابي جعفر محمد بن منصور المقري رضي اللّه عنه ، و كان شيخ الزيدية بالكوفة رواه عن احمد بن عيسى ، و القاسم بن ابراهيم ، و الحسن بن يحيى ، و عبداللّه بن موسى ، و محمد بن علي ، و زيد بن علي ،و جعفر بن محمد.
و هو تفسير موجز لطيف ، و تبيين شاف لمواضع الابهام من الذكر الحكيم ، تجده وافيا بايفاد المعاني في تسلسل رتيب حسب ترتيب السور و الايات ، مما ينبؤك عن علم غزير و ذوق ظريف و دقة فائقة((994)) .
و خير كتاب وجدته تعرض للمشكل من معاني القرآن ، متصديا لتاويله و تبيينه ، هو كتاب ((تاويل مشكل القرآن)) تاليف العلا مة الناقد البصير ابي محمد عبداللّه بن مسلم (ابن قتيبة) الدينوري المروزي المتوفى سنة (٢٧٦ ه.(
و قد استوفى المؤلف الكلام حول انواع المتشابه في القرآن ، و شرحها شرحا وافيا تكلم عن الطاعنين في القرآن ، و ماادعى فيه من التناقض و الاختلاف ، و التكرار و الزيادة و مخالفة الظاهر، و ما ادعى فيه من فساد النظم و الاعراب كما تعرض للاشباه و النظائر في معاني الفاظ القرآن (و لعله كان المرجع لحبيش التفلسي في تاليفه الاتى) و تكلم في حروف المعاني و ماشاكلها من افعال ، و استعمال بعض الحروف مكان البعض ، و اخيرا الكلام عن مشكل القرآن و ما شابه ذلك.
فهو كتاب فريد في بابه ، لم يسبق له نظير في مثله ، كما لم يخلفه بديل.
و احسن كتاب في هذا الباب ، هو كتاب ((المفردات)) لابي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني ،المتوفى سنة (٥٠٢ ه)، فانه اول كتاب فتح باب الاجتهاد في اللغة و اعمل الراي و الاستنباط في فهم معاني اللغات و لقد اجادفي ذلك و افاد، و استقصى لغات القرآن كلها و استوعب الكلام في الجمع و التفريق ، و البسط و التفصيل ، في المعاني و مفاهيم الكلمات.
و لابي الفضل حبيش بن ابراهيم التفلسي من اعلام القرن السادس كتاب لطيف ، كتبه في وجوه معاني القرآن ، تعرض فيه للمعاني المحتملة من تعابير جات في القرآن الكريم ، وضعه بالفارسية ، و هو موجز مختصر طريف في بابه حققه الاستاذالدكتور مهدي محقق ، و طبع و نشر اخيرا في عدة طبعات بطهران.
و اجمع كتاب ظهر اخيرا جامعا لمعاني القرآن و شاملا و مستوعبا لغرائب الفاظه الكريمة ، هو كتاب ((تفسير غريب القرآن الكريم)) للفقيه المفسر اللغوي الاديب الشيخ فخرالدين الطريحي النجفي المتوفى سنة (١٠٨٥ ه) و هو كتاب شاف و واف بالموضوع ، طبع طبعة انيقة ، بتحقيق الاستاذ محمد كاظم الطريحي ، بالنجف الاشرف ـ العراق.

تفسير المتشابهات

و يلحق بهذا الباب تفاسير خصت الكلام حول متشابهات القرآن و رد المطاعن عنه ، و هي كثيرة و متنوعة ، كان من اهمها:
1ـ متشابه القرآن ، للقاضي عمادالدين ابي الحسن عبدالجبار بن احمد الهمداني المعتزلي المتوفى سنة (٤١٥ هـ) ولد في ضواحي مدينة همدان ، في قرية اسدآباد، و خرج الى البصرة في طلب العلم ، و اختلف الى مجالس العلما، حتى برع في الفقه و الحديث و الادب و التفسير، و تكلم على مذهب الاعتزال ، و تولى القضا في الرى ، على عهد الصاحب بن عباد في دولة بني بويه ، حيث كان الصاحب لايرى تولية القضا في دولته الشيعية الا لمن كان معروفا من اهل القول بالعدل.
كان عبدالجبار امام المعتزلة في عصره ، و اتصل بالصاحب ، و وقع تحت عنايته ، و من ثم كتب له عهدا بتولية رئاسة القضا في الرى و قزوين و غيرهما، من الاعمال التي كانت لفخرالدولة ، ثم اضاف اليه بعد ذلك في عهد آخر اقليمي جرجان و طبرستان.
و له تصانيف قيمة و جيدة ، و لاسيما في الاصول و الكلام ، مثل ((المغني))، و ((شرح الاصول الخمسة))، و كتاب ((الحكمة و الحكيم))، و غير ذلك.

و من جيد تصانيفه : كتابه في متشابهات القرآن ، يستعرض فيه سور القرآن حسب ترتيبها في المصحف ، و يقف في كل منها عند نوعين من الايات : الايات المتشابهة التي يزعم الخصم ان فيها دلالة على مذهبه الباطل ، و الايات المحكمة الدالة على مذهب الحق ، و ذلك ما الزم به نفسه في مقدمة الكتاب ، و استمر عليه حتى نهاية الكتاب و لقد اجاد فيما افاد،و استوعب الكلام فيما اراد.
2ـ تنزيه القرآن عن المطاعن ، ايضا للقاضي عبدالجبار كتبه في دفع الشكوك عن القرآن الكريم , و رتبه حسب ترتيب السور، و تكلم في ايراد الاشكالات الادبية و المعنوية الواردة ، او المحتملة على القرآن ، ثم الاجابة عليها اجابة شافية و كافية ،حسبما اوتي من حول و قوة و لقد استوفى الكلام في ذلك حتى نهاية القرآن.
3ـ متشابهات القرآن و مختلفه ، للشيخ الجليل رشيدالدين ابي جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب السروري المازندراني المتوفى سنة (٥٨٨ ه) كان علما من اعلام عصره ، وضا كثير التصنيف و التاليف ، في مختلف العلوم الاسلامية ،و كان خبيرا ناقدا و بصيرا بشؤون الدين و الشريعة.
قال المحقق القمي بشانه : فخر الشيعة و مروج الشريعة ، محيي آثار المناقب و الفضائل ، و البحر المتلاطم الزخار الذي لايساجل ، شيخ مشايخ الامامية و عن الصفدي : حفظ اكثر القرآن و لم يبلغ الثامنة من عمره ، كان يرحل اليه من البلاد، له تقدم في علم القرآن و الغريب و النحو و وعظ على المنبر ايام المقتفي العباسي ببغداد، فاعجبه و خلع عليه و كان بهى المنظر،حسن الوجه و الشيبة , صدوق اللهجة ، مليح المحاورة ، واسع العلم ، كثير الخشوع و العبادة و التهجد، لم يكن الا على وضؤعاش عيشته الحميدة مائة عام ، و توفي بحلب و قبره مزار بمشهد السقط على جبل جوشن خارج حلب ((995)).
اما كتابه هذا فهو من خير ما كتب في متشابهات القرآن ، و اجمعها و اشملها، و اتقنها احكاما و بيانا و تفصيلا، وضعه على اسلوب طريف ، يبدا بمسائل التوحيد و صفات الذات و الفعل ، و عالم الذر و القلب و الروح و العقل ، و القضا و القدر،و السعادة و الشقا، والنبوة و العصمة ، و تاريخ الانبيا، و الكلام على اعجاز القرآن ، و المحكم و المتشابه ، و الوحي و الخلافة و التكليف ، و الجن و الملك و الشياطين ، و مسائل الامامة و الولاية ، ثم باصول الفقه و الاحكام و الشرائع ،و النسخ ، و الاستثنا و الشرط، و الحقيقة و المجاز، و الكناية و الاستعارة و التشبيه ، و سائر المسائل الادبية و اللغوية ، و ماالى ذلك ، ترتيبا طبيعيا منسجما، سهل التناول قريب المنال ، في عبارات سهلة جزلة , فللّه دره و عليه اجره.
4ـ اسئلة القرآن المجيد و اجوبتها، تاليف زين الدين محمد بن ابي بكر الرازي المتوفى سنة 666) ه)، يشتمل على الف و ماتي سؤال و جواب حول متشابهات القرآن ، اوردها بصورة موجزة و موفية بالمقصود، و كانت معروفة بمسائل الرازي.
كان المؤلف ـ و هو من مواليد الرى ، و من ثم نسب اليه ـ على غاية من الذكا و سعة الاطلاع ، و له تليف جيدة ، مثل ((الذهب الابريز في تفسير الكتاب العزيز))، و ((روضة الفصاحة)) في البديع و البيان ، و ((مختار الصحاح))، و ((شرح مقامات الحريري)) و ((تحفة الملوك)) في العبادات , مما ينبؤك عن ادب جم و خبرة واسعة.
وضع كتابه على ترتيب السور، يتعرض للشبهة بصورة سؤال ، ثم يجيب عليها اجابة وافية ، حسبما اوتي من علم و بصيرة ،و هو تاليف لطيف في بابه ، حسن الاسلوب ، بديع في مثله.
و للشيخ خليل ياسين ، من ابرز علما لبنان في العصر الاخير، كتاب حافل و شامل ، حوى الفا و ستمائة سؤال و جواب حول شبهات القرآن ، عرضها حسب ترتيب السور و الايات ، عرضا علميا ادبيا، و كانت الاجوبة موفية حسب امكان المؤلف العلمي ، بصورة موجزة و وافية و جا اسم الكتاب))اضوا على متشابهات القرآن)) اسما متطابقا مع المسمى طبع في بيروت ـ لبنان ـ سنة (١٣٨٨ ه (و هو كتاب جليل جميل.

التفاسير الموجزة

هناك تفاسير اتخذت طريقة الايجاز في تفسير القرآن و تبيين معانيه ، ابتعدت عن طريقة التفصيل التي مشى عليها اكثرالمفسرين الكبار، محاولين بذلك الى تقريب معاني القرآن الى الاذهان في خطوات سريعة و متقاربة ، و الاكثر ان يكون ذلك خدمة للناشئة من طلبة العلوم الدينية ، و من قاربهم من ذوي الثقافات العامة.
1ـ و ممن حاز قصب السبق في هذا المضمار، هو (السيد عبداللّه شبر) في تفسيره الوجيز الذي قدمه للملا من المسلمين خدمة موفقة الى حد بعيد، فهو على وجازته يحتوي على نكات و دقائق تفسيرية رائقة ، مما قد يفوت بعض التفاسير الضخام فانه لايفوته ان يكشف لنا عن كثير من النكات اللفظية و البيانية و المعنوية ، مع الخوض احيانا في المعاني اللغوية و المسائل النحوية ، كل هذا ـ كما قال الاستاذ الذهبي ـ في اسلوب ممتع لايمل قارئه من تعقيد و لايسام من طول((996)) .
و قد حرص المؤلف على ان يكون جل اعتماده على ما ورد من التفسير عن ائمة اهل البيت (ع) و ان كان لايعزو كل قول الى قائله في الغالب ، كما حرص على ان ينصر المذهب و يدافع عنه سوا في ذلك ما يتعلق باصول المذهب ام بفروعه و هوبعد ذلك يشرح الايات التي لها صلة بمسائل علم الكلام شرحا يتفق مع مذهب اهل العدل ، او الظاهر المتفق عليه لدى اهل الحديث ، ثم لايفوت المؤلف في تفسيره هذا ان يشير الى بعض مشكلات القرآن التي ترد على ظاهر النظم الكريم ، و يجيب عنها اجابة سليمة عن تكلف اهل البدع و لا غرو فانه الاديب البارع و الفقيه المحدث الجامع.
و لقد وصف المؤلف تفسيره هذا، و بين مسلكه فيه ، جا في مقدمته:
((هذه كلمات شريفة ، و تحقيقات منيفة ، و بيانات شافية ، و اشارات وافية ، تتعلق ببعض مشكلات الايات القرآنية ،و غرائب الفقرات الفرقانية ، و نتحرى غالبا ما ورد عن خزان اسرار الوحي و التنزيل ، و معادن جواهر العلم و التاويل ، الذين نزل في بيوتهم جبرائيل ، باوجز اشارة و الطف عبارة ، و فيما يتعلق بالالفاظ و الاغراض و النكات البيانية ، تفسير وجيز فانه الطف التفاسير بيانا ,و احسنها تبيانا، مع وجازة اللفظ و كثرة المعنى. ((997))))
و لقد وفى المؤلف بما وعد، فقد اسند جواهر تفسيره و جيد آرائه الى معينه الاصل من علوم ائمة اهل البيت (ع) كمااوجز و اوفى في البيان و ابدا النكت و الظرائف في عبارات سهلة قريبة وافية.
قال الاستاذ حامد حفني (استاذ كرسي الادب في كلية الالسن العليا بالقاهرة) في مقدمة التفسير المطبوع بالقاهرة :((و العالم بهذا الفن يدرك لاول وهلة دقة المفسر و امساكه بخطام هذه الصناعة ، و جمعه لادوات المفسر و لعلك و انت تقراتفسير الفاتحة في تفسيره هنا و توازن ذلك بما جا في ((تفسير الجلالين)) تقف بنفسك على قدرات المفسر، و لاسيما في الاصول اللغوية , حين يرد لفظ الجلالة ((اللّه)) الى اصله اللغوي ، و حين يفرق في حصافة منقطعة النظير بين معنى اسمه تعالى ((الرحمان)) و اسمه تعالى ((الرحيم)) و حين لايكتفي بالفروق اللغوية ، فيزيدك ايضاحا بما حفظه من نصوص و ادعية مرفوعة الى ائمة اهل البيت النبوى (ع)و هو في ذلك كله سهل الجانب ، معتدل العبارة ، يسوقها في حماس العالم ، و ليس في ثورة المتعصب كما لاينسى و هو يفسر ان يشرح الاية بيات اخرى ، و ان يذكر سبب النزول كلما دعا الامر الى ذلك ، و كان عونا له على توضيح المعنى المطلوب من الاية ، و هكذا نلحظ هذا الصنيع في سائر عبارات هذا التفسير الجليل ((998)) .
هذا، و قد اتم المؤلف تفسيره هذا ـ كما قال في خاتمته ـ في جمادى الاولى سنة تسع و ثلاثين و مائتين بعد الالف من الهجرة (١٢٣٩ ه ق) و قد طبع عدة طبعات ، و لايزال.
هذا ما يرجع الى التفسير ذاته ، و اما المؤلف ، فهو المولى المحقق العلامة السيد عبداللّه بن محمدرضا العلوي الحسيني الشهير بشبر ولد بالنجف الاشرف سنة (١١٨٨ ه)، ثم ارتحل مع والده الى الكاظمية ، و مكث بها الى ان مات بها سنة (١٢٤٢ ه) كان من افاضل العلما، فقيها و محدثا نبيها و مفسرا متبحرا، جامعا لعلوم كثيرة ، آية في الاخلاق النبيلة كان يعتبرعلما من اعلام الشيعة , و شخصية علمية بارزة ، لها

مكانتها و مقدارها و لقد عكف مدة حياته العلمية على التاليف و الـتـصنيف ،حتى اخرج للناس ـ مع سنه الذي لم يتجاوز الاربع و الخمسين ـ كتبا كثيرة و مصنفات عـديدة ، كلها ذوات فوائد و ممتعة ،لاتزال رائجة في الاوساط العلمية ، فرحمة اللّه عليه من فقيه محدث خبير، و مفسر نابه بصير.
2ـ الاصـفـى : اوسـط الـتفاسير الثلاثة التي الفها العلامة المحدث الفيض الكاشاني المتوفى سنة 1091)ه)، انتخبه من تفسيره ((الصافي)) و اوجزه ، و انهاه الى احد و عشرين الف بيت اقتصر فيه على الماثور من تفاسير اهل البيت (ع)اوله :((الحمدللّه الذي هدانا للتمسك بالثقلين و جعل لنا القرآن و المودة في القربى قرة عين)) فرغ منه سنة (١٠٧٦ ه.(
و هو تفسير موجز لطيف يحتوي على امهات المسائل التفسيرية ، على مشرب اهل الحديث ، مقتصرا عـلـيـه ففيه لباب الكلام و عباب المرام ، يكفي المراجع في تبيين معاني القرآن و شرح مبانيه طبع طبعات حجرية ، و هي منتشرة و اخيرا طبع في مجلدين طبعة انيقة.
3ـ و لخص الاصفى ايضا، و سماه ((المصفى))، و هو اوجز تفسير يوجد في هذا الباب .
4ـ الـتسهيل لعلوم التنزيل ، لابي القاسم محمد بن احمد بن محمد بن جزى الكلبي الغرناطي توف ي سـنـة (٧٤١ هـ)كان من مشاهير العلما بغرناطة عاكفا على العلم و الاشـتغال بالنظر و التحقيق و التدوين ، و قد الف في فنون من علوم القرآن و الفقه و الحديث و التفسير كان المؤلف ممن يرغب في الجهاد، فقتل شـهيدا في معركة ((طريف)) بالقرب من ((جبل طارق.((
و تـفـسيره هذا موجز شامل لتفسير القرآن كله ، مع ايضاح المشكلات و بيان المجملات و شرح الاقوال و الارا بصورة موجزة وافية قال في المقدمة:
))و صـنـفـت هذا الكتاب في تفسير القرآن العظيم ، و سائر ما يتعلق به من العلوم ، و سلكت مسلكا نافعا، اذ جعلته وجيزاجامعا، قصدت به اربعة مقاصد، تتضمن اربعة فوائد : ١ـ جمع كثير من العلم فـي كـتـاب صـغـيـر الـحجم ٢ـ ذكر نكت عجيبة و فوائد غريبة ٣ـ ايضاح المشكلات ، و بيان المجملات ٤ـ تحقيق اقوال المفسرين ، و تمييز الراجح من المرجوح. ((999)) ((
و جـعل المؤلف لتفسيره مقدمة وجيزة ذكر فيها ما يتعلق بشؤون القرآن و علومه الشـي الوفير، و حـقـق فيها مسائل كثيرة نافعة ، جعلها في اثني عشر بابا، و هي اشبه بمقدمة ((المحرر الوجيز ((لابن عطية ، و لعلها ماخوذة منها فان المؤلف اعتمد في تفسيره هذا الوجيز على تفسير ابن عطية ، و الـكـشاف للزمخشري ، و غيرهما من تفاسير ادبية و لغوية كانت معروفة آنذاك ،و على اى تقدير فهو تفسير لطيف و جامع كامل في بابه و قد طبع عدة طبعات.
5ـ تـفـسير الجلالين ، اشترك في تاليف هذا التفسير، جلال الدين المحلي ، و جلال الدين السيوطي فـقـد ابـتـدا جلال الدين محمد بن احمد المحلي الشافعي ـ المتوفى سنة (٨٦٤ ه) و كان علا مة عـصـره ـ في تفسير القرآن من اول سورة الكهف الى آخرالقرآن ، ثم شرع في تفسير الفاتحة ، و بعد ان اتمها اخترمته المنية فلم يفسر ما بعدها فجا جلال الدين السيوطي المتوفى (٩١١ه) فاكمل الـتفسير، فابتدا بتفسير البقرة و انتهى عند آخر سورة الاسرا، و وضع تفسير الفاتحة في آخر تـفـسـيـر الجلال المحلي لتكون ملحقة به و قد نهج السيوطي في التفسير منهج المحلي ، من ايجاز المطالب ، و ذكر ما يفهم من كلام اللّه تعالى ، و الاعتمادعلى ارجح الاقوال ، و اعراب ما يحتاج اليه , و الـتـنبيه على القرات المختلفة المشهورة ، على وجه لطيف ، و تعبير وجيز،بحيث لايكاد قارئ تـفـسـير الجلالين يلمس فرقا بينا بين طريقة الشيخين فيما فسراه ، اللهم في مواضع قليلة لاتبلغ العشرة.
و التفسير قيم في بابه ، و حظى بكثرة الانتشار و رواجه بين رواد العلم ، و قد طبع مرارا و طار صيته.
6ـ الـتـفـسـير المقارن ، و هو خلاصة التفاسير الاسلامية المشهورة قام بتاليفه العلامة المعاصر الشيخ محمدباقرالناصري ـ من اهل الناصرية بالعراق ـ اعتمد ما يقرب من

ثلاثين تفسيرا فلخصها و جمع لبابها و حوى على عبابها، في تفسيرمختصر وجيز، حسن الاسلوب ، جيد العبارة ، سهل التناول ، مما يطلعك على قدرة المؤلف العلمية و الادبية و كان منهجه : ان يذكر المعاني اللغوية النادرة اولا، ثم ينتقي اوضح النصوص و اجمعها لما حوت الاية من دلالة ، مع ادخال بعض التعديلات في عبارات السلف ، لتتناسب مع لغة العصر، و يعتمد اهم كتب التفسير عند الشيعة الامامية ، و خيرة تفاسير اهل السنة و الجماعة و قدم مباحث تمهيدية قبل الورود في التفسير، مما يهم للمفسر رعايتها لدى تفسير الايات و قد قام بطبعه و نشره مركزالبحوث و الدراسات العلمية , التابع للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية ـ في قم المقدسة ـ في شهر رجب المرجب سنة (١٤١٦ ه) و كان تاريخ التاليف (١٤١٥ ه.(

7ـ صفوة التفاسير تاليف الاستاذ محمد علي الصابوني ، من اساتذة كلية الشريعة بمكة المكرمة كان له نشاط في علوم القرآن و التفسير، و من ثم قام بتاليف عدة كتب في التفسير و علوم القرآن , اكثرها مختصرات ، كمختصر تفسير ابن كثير،و مختصر تفسير الطبري ، و التبيان في علوم القرآن ، و روائع البيان في تفسير آيات الاحكام ، و قبس من نور القرآن ، و صفوة التفاسير، و هو الكتاب الذي نحن بصدده.
و هو تفسير موجز، شامل جامع بين الماثور و المعقول ، مستمد من اوثق التفاسير المعروفة كالطبري و الكشاف و ابن كثيرو البحر المحيط و روح المعاني ، في اسلوب ميسر سهل التناول , مع العناية بالوجوه البيانية و اللغوية قال في المقدمة : و قداسميت كتابي ((صفوة التفاسير))، و ذلك لانه جامع لعيون ما في التفاسير الكبيرة المفصلة ، مع الاختصار و الترتيب ، و الوضوح و البيان فهو تفسير توسط فيه المؤلف في مسلكه العلمي ، ليسهل فهمه على طلبة العلم باسلوب سهل و عبارات ميسرة ،و ايضاحات جيدة في بيان تحليلي تربوي قريب التناول طبع الكتاب في ثلاث مجلدات ، و كان تاريخ التاليف سنة (١٤٠٠ ه.(

8ـ الوجيز في تفسير القرآن العزيز تاليف الاستاذ محمد علي دخيل ، من ذوي النشاطات الدينية الحريصة على الاسلام و الدفاع عنه ، الى جنب تربية النشا الجديد تربية اسلامية عريقة ، و من ثم كانت تليفه تدور حول هذا المحور، مثل :ثواب الاعمال و عقابها، علي في القرآن ، دراسات في القرآن الكريم ، قصص القرآن الكريم ، المصحف المفسر، الوجيز ـ الذي هو مورد دراستنا ـ فقد تم تاليفه سنة (١٤٠٥ ه)، و طبع سنة (١٤٠٦ ه)، في مجلد واحد كبير، في (٨٢٩) صفحة .

هو ابو القاسم عبدالكريم بن هوازن القشيري النيسابوري ولد في قرية من ضواحي نيسابور سنة (٣٧٦ هـ) و مات ابوه و هو صغير، فاتجهت به اسرته نحو طلب العلم ، فبرع فيه حسبما دارت رحى العلم في ذلك العهد، في الفقه و الحديث و الادب و الاصول و التفسير و سار في درب الصوفية على يد ابي الحسن ابن الدقاق المتوفى سنة (٤٤٨ ه) من كبار مشايخ الصوفية ذلك العهد، و قد اشار عليه ان يحضر حلقات درس ابي بكر الطوسي ، و ابن فورك ، و الاسفراييني و في اثنا ذلك كان يداوم على درس ابن الدقاق ، و لما توفي انتقل الى دروس عبدالرحمان السلمي المتوفى سنة (٤١٢ هـ) حتى اصبح شيخ خراسان في الفقه و الكلام ، مع تصدير في الحديث و الوعظ و الارشاد و توفي سنة (٤٦٥ ه) بمدينة نيسابور.
و تفسيره هذا امتداد للتفسير الصوفي الباطني ، معتمدا في اكثر الاحيان على تاويلات قد ينبو عنها ظاهر لفظ الاية الكريمة لكنه مع ذلك حاول ان يوفق بين علوم الحقيقة ـ حسب مصطلحهم ـ و علوم الشريعة ، قاصدا ان لاتعارض بينهما، و ان اى كلام يناقض ذلك فهو خروج على كليهما، اذ كل

شـريعة غير مؤيدة بالحقيقة فغير مقبول ، و كل حقيقة غيرمقيدة بالشريعة فغيرمحصول ، فالشريعة ان تعبده ، و الحقيقة ان تشهده كما جا في ((الرسالة القشيرية. ((1046))((
حـاول فـي هذا التفسير ان يبرهن على ان كل صغيرة و كبيرة في علوم الصوفية ، فان لها اصلا من القرآن و يتجلي ذلك بصفة خاصة حيثما ورد المصطلح الصوفي صريحا في النص القرآني ، كالذكر و الـتـوكل و الرضا، و الولى و الولاية و الحق ، و الظاهرو الباطن ، و القبض و البسط فانك عند خلال قراة التفسير لاتكاد تملك الا ان تحكم ان الصوفية قد استمدوا اصولهم و فروعهم من كتاب اللّه الـكـريـم ، و ان علومهم ليست غريبة و لا مستوردة ، كما يحلو لكثير من الباحثين ، حين يرون التصو ف الاسلامى متاثرا بالتيارات الاجنبية ، اليونان و الفرس و الهند.
كـذلـك تـلـحـظ عبقرية القشيري ازا اللفظة او الاية ، حينما لايكون فيها اصطلاح صوفي ، فانه يـسـتـخرج لك من آيات الطلاق اشارات في الصحبة و الصاحب ، و من علاقة النبى (ص) باصحابه اشـارات عـن الشيخ و مريديه ، و من مظاهر الطبيعة كالشمس و القمر و المطر و الجبال اشارات تتصل اتصالا وثيقا بالرياضات و المجاهدات ، او بالمواصلات و الكشوفات.
و من ثم فانه من اوفق التفاسير الصوفية في الجمع بين الشريعة و الطريقة ، و اسلمها عن الخوض في التاويلات البعيدة التي ياباها اللفظ و ينفرها، كما في سائر تفاسيرهم.
و لـذلك فان فيه بعض الشطحات او التاويلات البعيدة ، مما يعد تفسيرا بالراي الممنوع منه شرعا ,مثلا عند قوله تعالى :(و عهدنا الى ابراهيم و اسماعيل ان طهرا بيتي للطائفين و العاكفين و الركع السجود ((1047)) (يقول : الامر في الظاهر بتطهيرالبيت ، و الاشارة من الاية الى تطهير القلوب و تـطـهـير البيت بصونه عن الادناس و الاوضار، و تطهير القلب بحفظه عن ملاحظة الاجناس و الاغيار.
و طـواف الـحـجـاج حـول البيت معلوم بلسان الشرع ، و طواف المعاني معلوم لاهل الحق ، فقلوب العارفين المعاني فيهاطائفة ، و قلوب الموحدين الحقائق فيها عاكفة ، فهؤلا اصحاب التلوين ، و هؤلا ارباب التمكين((1048)) .
و قلوب القاصدين بملازمة الخضوع على باب الجود ابدا واقفة.
و قلوب الموحدين على بساط الوصل ابدا راكعة.
و قلوب الواجدين على بساط القرب ابدا ساجدة.
و يـقـال : صواعد نوازع الطالبين بباب الكرم ابدا واقفة ، و سوامي قصود المريدين بمشهد الجود ابدا طائفة ، و وفود همم العارفين بحضرة العز ابدا عاكفة((1049)) .
و قال في قوله تعالى : (يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم اللّه بشى من الصيد تناله ايديكم و رماحكم ليعلم اللّه مـن يـخـافه بالغيب ـ الى قوله ـ يا ايها الذين آمنوا لاتقتلوا الصيد و انتم حرم ، و من قتله منكم مـتـعـمدا فجزا مثل ما قتل من النعم : ((1050)) (و الاشارة فيه ان من قصد بيتنا فينبغي ان يكون الصيد منه في الامان ، لايتاذى منه حيوان بحال ، لذا قالوا : البرمن لايؤذي الذر و لايضمر الشر.
و يـقال : الاشارة في هذا ان من قصدنا فعليه نبذ الاطماع جملة ، و لاينبغي ان تكون له مطالبة بحال مـن الاحـوال و كـما ان الصيد على المحرم حرام الى ان يتحلل ، فكذلك الطلب و الطمع و الاختيار على الواجد حرام مادام محرما بقلبه.
و يقال : العارف صيد الحق ، و لايكون للصيد صيد.
و اذا قـتـل المحرم الصيد فعليه الكفارة ، و اذا لاحظ العارف الاغيار، او طمع او رغب في شي او اخـتـار لزمته الكفارة ،و لكن لايكتفي منه بجزا المثل و لا

باضعاف امثال ما تصرف فيه او طمع ، و لكن كفارته تجرده على الحقيقة عن كل غير،قليل او كثير، صغير او كبير.
قوله عز و جل : (احل لكم صيد البحر و طعامه متاعا لكم و للسيارة ، و حرم عليكم صيد البر ((1051)) (قال : حكم البحر خلاف حكم البر، و اذا غرق العبد في بحار الحقائق سق ط حكمه ، فصيد البحر مباح له ، لانه اذا غرق صار محوا، فما اليه ليس به ولا منه اذ هو محو، و اللّه غالب على امره ((1052)).
و قد تقدم تفسيره للبسملة في كل سورة بمعنى يغاير معناها في سورة اخرى ، و هل هذا مستند الى دليل ، او مجرددذوق عرفاني لا اساس له ؟

4ـ كشف الاسرار و عدة الابرار (تفسير الميبدي(

المعروف بتفسير الخواجا عبداللّه الانصاري . اصل هذا التفسير للخواجا عبداللّه الانصاري ، ثم بسطه و وضح مبانيه المولى ابوالفضل رشيد الدين الميبدي ، كما يقول في المقدمة:
))اما بعد فاني طالعت كتاب شيخ الاسلام ، فريد عصره و وحيد دهره ، ابي اسماعيل عبداللّه بن محمد بن علي الانصاري ـ قدس اللّه روحه ـ في تفسير القرآن ، و كشف معانيه ، و رايته قد بلغ به حد الاعجاز لفظا و معنى و تحقيقا و ترصيعا، غيرانه اوجز غاية الايجاز، و سلك فيه سبيل الاختصار، فلايكاد يحصل غرض المتعلم المسترشد، او يشفي غليل صدر المتامل المستبصر ,فاردت ان انشر فيه جناح الكلام ، و ارسل في بسطه عنان اللسان ، جمعا بين حقائق التفسير و لطائف التذكير،و تسهيلا للامر على من اشتغل بهذا الفن ، فصممت العزم على تحقيق ما نويت ، و شرعت بعون اللّه في تحرير ما هممت ، في اوائل سنة عشرين و خمسمائة ، و ترجمت الكتاب بكشف الاسرار و عدة الابرار. ((1053)) ((
اما الخواجا، فهو الامام القدوة الحافظ الكبير، ابو اسماعيل عبداللّه بن محمد بن علي بن محمد الانصاري الهروى ، من ذرية صاحب النبي (ص) ابي ايوب الانصاري مولده بهرات سنة (٣٩٦ ه (و توفي بها سنة (٤٨١ ه) و قبره مزار مشهود هناك كان على حظ وافر من العربية و الفقه و الحديث و التواريخ و الانساب ، اماما كاملا في التفسير، حسن السيرة في التصوف ، غيرمشتغل بكسب ، مكتفيا بما يباسط به المريدين و الاتباع من اهل مجلسه في العام مرة او مرتين على راس الملا، فيحصل على الوف من الدنانير و اعداد من الثياب و الحلى ، فياخذها و يفرقها على اللحام و الخباز، و ينفق منها، و لاياخذ من السلطان و لامن اركان الدولة شيئا و قل ما يراعيهم ، و لايدخل عليهم ، و لايبالي بهم ، فبقي عزيزا مقبولا قبولا اتم من الملك ، مطاع الامرنحوا من ستين سنة ، من غير مزاحمة و قد كان سيفا مسلولا على المتكلمين ، له صولة و هيبة و استيلا على النفوس ببلده ،يعظمونه و يتغالون فيه ، و يبذلون ارواحهم فيما يامر به كان عندهم اطوع و ارفع من السلطان بكثير، و كان طورا راسيا في السنة لايتزلزل و لايلين و قد امتحن عدة مرات و اوذي في اللّه و له مقامات و حكايات ذكرها ارباب التراجم((1054)) .
و اما الميبدي فهو الامام السعيد رشيد الدين ابوالفضل ابن ابي سعيد احمد بن محمد بن محمود الميبدي((1055)) , و كان ابوه جمال الاسلام ابو سعيد قد توفي قبل الخواجا بسنة ـ سنة ٤٨٠ ه ـ و من ثم فان المترجم كان قد ادرك الخواجا، و من ثم وصفه اصحاب التراجم بالتلمذة لديه((1056)) قد تصدى تحرير تفسير شيخه عام (٥٢٠ ه) اي بعد وفاة شيخه باربعين سنة و ميبدبلدة من ضواحى يزد ـ ايران.
و يظهر من تاليفه هذا الفخيم انه كان على مستوى رفيع من الفضيلة و الادب السامي ، و لاسيما في الادب الفارسي البديع ،حيث تستجيعه المتين و ترصيفه الرصين ، في جزالة و سلاسة و سهولة في التعبير، و لاسيما في النوبة الثالثة ، حيث ظرافة الذوق العرفاني العميق و الادب الرفيع ، تجدهما قد امتزجا في كلامه ، فجا شيئا طريفا يستدعي التحسين و الاعجاب.

اما التفسير ذاته فيعد من اكبر و اضخم تفسير كتب على الطريقة العرفانية الصوفية ، في عشر مجلدات ضخام ، وضع على احسن سبك و اجمل عبارات ادبية رصينة ، فهو من التفاسير الادبية الممتازة باللغة الفارسية ، و قد كثر تداوله بين الادباو افاضل العرفا.
و كان منهجه السير في ثلاث نوبات:
النوبة الاولى في التفسير الظاهري على حد الترجمة الظاهرية.
و النوبة الثانية في بيان وجوه المعاني و القرات و اسباب النزول ، و بيان الاحكام و ذكر الاخبار ,و الاثار الواردة بالمناسبة.
و النوبة الثالثة في بيان الرموز و الاشارات العرفانية ، و لطائف الدقائق و النكات الظريفة المستفادة من سجف العبارات ،و هو بيت القصيد من التفسير.
كل ذلك بعبارات رائعة ذات تسجيع و ترصيف لطيف ، كما هو داب اكثر اصحاب التفسير العرفاني.
و مما حظي به هذا السفر الجليل ، كثرة استشهاده بالوجوه و النظائر من الايات الكريمة ، يوردها تباعا في كل مناسبة ،مما يدل على احاطة المؤلف بمعاني القرآن ، و مختلف انواع آيه الكريمة هذا عند كل مناسبة ، نذكر منها ما يلي:
مثلا عند قوله تعالى : (و اوفوا بعهدي اوف بعهدكم ((1057)) (يقول : و نظير ذلك في القرآن كثير، و يذكر الايات التالية ،و يترجم كل آية ترجمة رائعة ، نذكرها مع الترجمة:
)ادعوني استجب لكم) ((1058)) (فاذكروني اذكركم. ((1059)) (
)بنده من درى برگشاى تا درى برگشايم) (عبدي ، افتح بابا حتى افتح بابا.(
)و انابوا الى اللّه لهم البشرى. ((1060)) (
)در انابت برگشاى تا در بشارت برگشايم) (افتح باب الانابة حتى افتح باب البشارة.(
)و ما انفقتم من شي فهو يخلفه. ((1061)) (
)در انفاق برگشاى تا در خلف برگشايم) (افتح باب الانفاق حتى افتح باب العوض.(
)و الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا. ((1062)) (
)در مجاهدت برگشاى تا در هدايت برگشايم) (افتح باب المجاهدة حتى افتح باب الهداية.(
)ثم يستغفر اللّه يجد اللّه غفورا رحيما. ((1063)) (
)در استغفار برگشاى تا در مغفرت برگشايم) (افتح باب الاستغفار حتى افتح باب المغفرة.(
)لئن شكرتم لا زيدنكم. ((1064)) (
)در شكر برگشاى تا در زيادت نعمت برگشايم) (افتح باب الشكر حتى افتح باب الزيادة في النعمة.(
)و اوفوا بعهدي اوف بعهدكم. ((1065)) (
)بنده من به عهد من واز آى تا به عهد تو واز آيم) ((1066)) (عبدي اوف بعهدي حتى اوفي بعهدك.(
هكذا يحظى هذا السفر الجليل بجودة سبكه و جمال اسلوبه الادبي ، الذي داب المؤلف عليه في عامة تعابيره في التفسير، و لا سيما في النوبة الثالثة ، حيث ظرافة الذوق العرفاني اللطيف ، و طراوة الادب الفارسي الرفيع ، تجدهما قد امتزجامعا، فاصبح آية في الجمال و البها و يبدو براعة المؤلف و سعة تضلعه الادبي الفائق ، اذا ما وجدنا تلك الطلاوة الرائعة قدافرغت في قالب الادب الفارسي الجزل السلس السهل التعبير.
و اليك نموذجا من النوبة الثالثة العرفانية:
هو عند تفسير قوله تعالى : (يا بني اسرائيل اذكروا نعمتى التي انعمت عليكم و اوفوا بعهدي اوف بعهدكم و اياى فارهبون ((1067)) (يقول:
))پير طريقت گفت : الهى دارد، او كه در دو جهان تو را داردهرگز كى تو را بگذارد دارد از همه زارتر مى گدازد او كه نيافت به سبب نايافت مى زارد، او كه يافت بارى چرا مى گدازد.
در بر آن را كه چون تو يارى باشد ـــ گر ناله كند سياه كارى باشد. ((1068)) ((

)و اياي فارهبون) همان است كه گفت : (و اياي فاتقون.(
رهـبـت و تـقـوى ، دو مقام است از مقامات ترسندگان ، و در جمله ترسندگان راه دين بر شش قسم اند:
تايبانند و عابدان و زاهدان و عالمان و عارفان و صديقان.
تايبان را خوف است ، چنان كه گفت : (يخافون يوما تتقلب فيه القلوب و الا بصار.(
و عابدان را وجل : (الذين اذا ذكر اللّه وجلت قلوبهم.(
و زاهدان را رهبت : (يدعوننا رغبا و رهبا.(
و عالمان را خشيت : (انما يخشى اللّه من عباده العلما.(
و عارفان را اشفاق : (ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون.(
و صديقان را هيبت : (و يحذركم اللّه نفسه. ((1069)) (
اما خـوف ، ترس تائبان و مبتديان است ، حصار ايمان و تریاق و سلاح مؤمن ، هر كه را اين ترس نيست او را ايمان نيست ،كه ايمنى را روى نيست ، و هر كه را هست به قدر آن ترس ايمان است.
و وجـل ، ترس زنده دلان است كه ايشان را از غفلت رهايى دهد، و راه اخلاص بر ايشان گشاده گـردانـد، و امل كوتاه كند،و چنانك وجل از خوف مه است ، رهبت از وجل مه((1070)) , اين رهبت عيش مرد ببرد، و او را از خلق ببرد، و در جهان از جهان جدا كند اين چنين ترسنده همه نـفـس خـود غـرامـت بـيـنـد، هـمـه سخن خود شكايت بيند، همه كرد خود جنايت بيند گهى چـون غرق شدگان فرياد خواهد، گهى چون نوحه گران دست بر سر زند، گهى چون بيماران آه كـنـد و از ايـن رهـبـت اشـفـاق پديد آيد كه ترس عارفان است ، ترسى كه نه پيش دعا حجاب گذارد، نه پيش فراست بند، نه پيش اميد ديوار ترسى گدازنده كشنده ، كه تاندای (الاتخافوا و لا تـحـزنـوا و ابشروا ((1071)) (نشنود نيارامد اين ترسنده را گهى سوزند و گاه نوازند ,گهى خوانند و گاه كشند، نه از سوختن آه كند و نه از كشتن بنالد.
كم تقتلونا و كم نحبكم ـــ يا عجبا كم نحب من قتلا((1072)) .
از پس اشفاق هيبت است ـ بيم صديقان ـ بيمى كه از عيان خيزد، و ديگر بيمها از خبر چيزى در دل تـابـد چـون برق ، نه كالبد آن را تابد، نه جان طاقت آن دارد كه با وى بماند، و بيشتر اين در وقت وجد و سماع افتد، چنانك (كليم) را افتاد به (طور)(و خر موسى صعقا ((1073)) (و تا نگويى كه اين هيبت از تهديد افتد كه اين از اطلاع جبار افتد.
يك ذره اگر كشف شود عين عيان ـــ نه دل برهد نه جان نه كفر و ايمان((1074)) .
هذا هو المشار اليه بقوله (ص) : ((حجابه النور لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل شي ادركه بصره. ((1075)) ((
و نموذج آخر اروع ، عند قوله تعالى : (بلى من اسلم وجهه للّه ((1076)) (يقول:
))كـار كـار مـخلصان است ، و دولت دولت صادقان ، و سيرت سيرت پاكان ، و نقد آن نقد كه در دستارچه ايشان امروز بربساط خدمت با نور معرفت ، فردا بر بساط صحبت با سرور وصلت (انا اخـلـصـناهم بخالصة ((1077)) (مى گويد : پاكشان گردانيم و از كوره امتحان خالص بيرون آريـم ، تا حضرت را بشايند، كه حضرت پاك جز پاكان را بخود راه ندهد، ((ان اللّه طيب لايقبل الا الطيب)) به حضرت پاك جز عمل پاك ، و گفت پاك بكار نيايد، آنگه از آن عمل پاك ، چنان پاك بايد شد، كه نه در دنيابازجويى آن را و نه در عقبى ، تا به خداوند پاك رسى (و ان له عندنا لزلفى و حسن ماب. ((1078)) (
سر اين سخن آن است كه ((بوبكر زقاق ((1079)) ((گفت : ((نقصان كل مخلص فى اخلاصه رؤيـة اخـلاصـه ، فـاذا اراد اللّه ان يخلص اخلاصه اسقط عن اخلاصه رؤيته لاخلاصه فيكون مخلصا لا مخلصا.((
مـى گويد : اخلاص تو آنگه خالص باشد كه از ديدن تو پاك باشد، و بدانى كه آن اخلاص نه در دسـت تـو است و نه بقوت و داشت تو است ، بلكه سرى است ربانى و نهادى است سبحانى ، كس را بر آن اطلاع نه ، و غيرى را بر آن راه نه.
احـديـت مـى گـويـد : ((سـر مـن سرى استودعته قلب من احببت من عبادى)) گفت : بنده را برگزينم و به دوستى خود بپسندم ،آنگه در سويدا دلش آن وديعت خود بنهم

، نه شيطان بدان راه برد تا تباه كند، نه هواى نفس آن را بيند تا بگرداند، نه فرشته بدان رسد تا بنويسد.
جنيد((1080)) از اينجا گفت : ((الاخلاص سر بين اللّه و بين العبد، لايعلمه ملك فيكتبه ، و لا شيطان فيفسده ، و لا هوى فيميله.((
ذوالنون مصرى((1081)) گفت : ((كسى كه اين وديعت به نزديك وى نهادند نشان وى آن است كه مدح كسان و ذم ايشان ، پيش وى به يك نرخ باشد، آفرين و نفرين ايشان يك رنگ بيند، نه از آن شاد شود، نه از اين فراهم آيد چنان كه مصطفى (ص) شب قرب و كرامت ، همه آفرينش منشور سلطنت او مى خواندند، و او به گوشه چشم به هيچ نگرست و مى گفت : شما كه مقربان حضرتيد مى گوييد : ((السلام على النبي الصالح الذي هو خير من في السما و الارض)) و ما منتظريم تا ما را بـه آستانه جفابوجهل باز فرستند تا گويد : اى ساحر، اى كذاب ، تا چنانك در ((خير من في السما و الارض)) خود را بر سنگ نقد زديم ، درساحر و كذاب نيز برزنيم ، اگر هر دو ما را به يك نرخ نباشد، پس اين كلاه دعوى از سر فرونهيم.
رو كه در بند صفاتى عاشق خويشى هنوز ـــ گر بر تو عز منبر خوش تر است از ذل دار.
ايـن چـنـيـن كـس را مـخلص خوانند نه مخلص ، چنانك بوبكر زقاق گفت : ((فيكون مخلصا لا مخلصا)) مخلص در دريای خطردر غرقاب است ، نهنگان جان ربای در چپ و راست وى درآمده , دريا مى برد و مى ترسد، تا خود به ساحل امن چون رسدو كى رسد از اينجاست كه بزرگان سلف گفتند : ((و المخلصون في خطر عظيم)) و مخلص آن است كه به ساحل امن رسيد((1082) .
رب العـالـمـيـن ، مـوسـى را به هر دو حالت نشان كرد، گفت : (انه كان مخلصا و كان رسولا نبيا ((1083) (هم مخلصا ـ به كسر لام ـ و هم مخلصا ـ به فتح لام ـ خوانده اند ((1084)).
اگـر به كسر خوانى بدايت كار اوست ، و اگر به فتح خوانى نهايت كار اوست مخلص آنگاه بود كه كار نبوت وى در پيوست ،و نواخت احديت به وى روى نهاد، و مخلص آنگاه شد كه كار نبوت بـالا گرفت و به حضرت عزت بستاخ((1085) شد اين خودحال كسى است كه از اول او را روش بـود و زان پـس بـه كـشـش حق رسد، و شتان بينه و بين نبينا محمد(ص) چند كه فرق اسـت ميان موسى و ميان مصطفى (ع) كه پيش از دور گل آدم به كمند كشش حق معتصم گشت , چنانك گفت : ((كنت نبيا و آدم مجبول في طينته.((
شبلى((1086) از اينجا گفت : در قيامت هر كسى را خصمى خواهد بود، و خصم آدم منم كه بر راه من عقبه كرد تا در گلزار وى بماندم.
شـيـخ الاسلام انصارى (ره) از اينجا گفت : دانى كه محقق كى به حق رسد؟ چون سيل ربوبيت در رسـد، و گـرد بشريت برخيزد حقيقت بيفزايد، بهانه بكاهد، نه كالبد ماند نه دل ، نه جان ماند صافى رسته از آب و گل ، نه نور در خاك آميخته نه خاك در نور.
خاك با خاك شود، نور با نور زبان در سر ذكر شود و ذكر در سر مذكور دل در سر مهر شود و مهر در سر نور جان در سرعيان شود و عيان از بيان دور اگر تو را اين روز آرزو است از خود برون آى ، چنانك مار از پوست ، به ترك خود بگوى كه نسبت با خود نه نيكو است ، همان است كه آن جوانمرد گفت:
نيست عشق لايزالى را در آن دل هيچ كار ـــ كو هنوز اندر صفات خويش ماندست استوار.
هـيـچـكـس را نـامـده اسـت از دوستان در راه عشق ـــ بى زوال ملك صورت ملك معنى در كنار((1087) .

اللغات الغريبة التي جات في هذا التفسير

و من امتيازات هذا التفسير الجليل ، استعماله اللغات الفارسية العتيدة , و لكنها جات غريبة في هذا العهد، مما ينبؤك عن ادب رفيع و احاطة واسعة كان يحظى بها المؤلف الكبير و اليك نماذج منها:
جا بشان نبي اللّه موسى (ع) ذيل قوله تعالى : (بلى من اسلم وجهه للّه (((1088))انه كان مخلصا و مخلصا، قال:
مخلص آنگاه بود كه كار نبوت وى درپيوست ، و نواخت احديت به وى روى نهاد، و مخلص آنگاه شد كه كار نبوت بالاگرفت ، و به حضرت عزت بستاخ شد((1089)) .
استعمل ثلاث كلمات هي من صنعة الاديب العتيد:
1ـ ((درپيوست)) اي استقام امر نبوته.
2ـ ((نواخت احديت)) اي ندا الربوبية.
3ـ ((بستاخ شد)) اي كملت معرفته.
و قد فسر ((بستاخ)) به معنى ((گستاخ)) اي الجري ، في حين ان هذا المعنى لايناسب المقام , لان فيه شائبة الوقاحة ، غيراللائقة بمقام النبوة و انما المراد هو نفس كمال المعرفة (آشنايى كامل) المعرفة بالاوضاع و الاحوال.
و في تفسير سورة الفاتحة : بنده من مرا به بزرگوارى و پاكى بستود، بنده من پشت وا من داد و كار وامن گذاشت ، دانست كه به سر برنده كار وى مائيم((1090)) .
))پشت وامن داد)) ((وا)) به معنى ((با)) (مع) اي اعتمد ظهره علي ، و فعل معتمدا علي.
))به سر برنده)) : پايان رساننده كار وى ماييم بمعنى : ((البالغ امره.((
و في ص ٥ : استعمل ((شكافته)) بمعنى ((المشتق.((
و ص ١١ : ((پيوسيدن)) به معنى ((اميد داشتن)) : ((به هر چه پيوسند رسند))بمعنى))الرجا.((
و ص ١٧ : ((فرا)) به معنى ((به)) : ((در خبر است كه مصطفى فرا ابن عباس گفت)) بمعنى))قال له.((
و ص ٩٦ : ((گاز)) به معنى ((البنا)) قال في ترجمة (و السما بنا)) : ((1091)) (و آسمان گازى برداشته)) و قال في ترجمة (رفع سمكها ((1092)) (ـ ص ١٠١ـ : ((گاز آن بالا داد.((
و ص ١٢٣ : ((و از اوشيد)) في ترجمة (اليه ترجعون.(
و ص ٢٢٠ : ((كپيان)) : بوزينگان : قردة ، في ترجمة (كونوا قردة خاسئين ((1093)) (.
و ص ٢٩٦ : ((گوشوانان)) : نگهبانان : حرسة.
و في ص ٥٧٥ : ((خنور)) : الوعا.
و اللغات من هذا القبيل كثيرة في هذا التفسير.
و الابدع : انه ركب كلمات تركيبات ادبية ، مما جعلها تفيد معاني جديدة ابتدعها مفسرنا العظيم.
من ذلك ما جا في (ج١ ، ص ١١) : ((پس آورد)) : عاقبة الامر.
و في ص ٢٦ : ((باز بريدن)) : الاعتزال.
و في ص ٩٦ : ((ارپس)) في ترجمة ((فان.((
و في ص ١٠٦ : ((هامسانى)) : همانندى : مثل.
و في ص ٣٢١ : ((برآمد نگاه آفتاب)) : المشرق ((فروشد نگاه آفتاب)) : المغرب.
و في ص ٣٥٥ : ((فرانياوم)) في ترجمة : (ثم اضطره. ((1094)) (
و في ص ٥٨٩ : ((بازكاود)) : فريضه گزارد : صلى الصلاة الفريضة.

5ـ تفسير الخواجا عبداللّه الانصاري

قد اسبقنا ان تفسير الميبدي ((كشف الاسرار و عدة الابرار)) وضع على اساس تفسير الخواجا عبداللّه الانصاري الذي كان مختصرا ففصله و زاد عليه.
ثم جا الاستاذ حبيب اللّه (آموزگار) ليلخص بدوره هذا التفسير الكبير و يستخلص فيما

حسب التفسير الاصل الذي صنعه الخواجا، و ذلك في سنة (١٣٨٥ ه ق ١٣٤٤ ه ش) و تم له ذلك خلال ثلاث سنوات ، و اسماه ((تفسير ادبي و عرفاني خواجه عبدالله انصاري)) و طبع في جزئين , في مجلد واحد ضخم ، الطبعة الاولى سنة (١٣٤٧ ه ش)، و الطبعة الثانية سنة (١٣٥٣ (في طهران.

6ـ تفسير ابن عربي

هو ابوبكر محي الدين محمد بن علي بن محمد بن احمد بن عبدالله الحاتمي الطائي الاندلسي , المعروف بابن عربي ـ بدون اداة التعريف ـ فرقا بينه و بين القاضي ابي بكر ابن العربي صاحب كتاب احكام القرآن و هذا الفرق من اصطلاح المشارقة ، اما اهل المغرب فياتون باللام في كلا الموردين.
ولد بمرسية سنة (٥٦٠ ه) ثم انتقل الى اشبيلية سنة (٥٦٨ ه) و بقي بها نحوا من (٣٠) سنة تلقى فيها العلم على كثير من الشيوخ حتى بزغ نجمه و علا ذكره و في سنة (٥٩٨ ه) نزح الى المشرق و طوف في كثير من البلاد، فدخل الشام و مصرو الموصل و آسيا الصغرى و مكة ، و اخيرا القى عصاه و استقربه النوى في دمشق ، توفي بها سنة (٦٣٨ ه.(
كان ابن عربي شيخ المتصوفة في وقته ، و كان له اتباع و مريدون معجبين به الى حد كبير، حتى لقبوه بالشيخ الاكبرو العارف بالله ، كما كان له اعدا ينقمون عليه و يرفضون طريقته و يرمونه بالكفر و الزندقة ، لما كان يصدر عنه من المقالات الموهمة ، التي تحمل في ظاهرها معاني الكفر و الالحاد.
و كان الى جنب تصوفه بارعا في كثير من العلوم ، فكان عارفا بالاثار و السنن ، و كان شاعرا اديبا ,و لذلك كان يكتب الانشا لبعض ملوك الغرب.
و تلك مؤلفاته الكثيرة تدل على سعة باعه و وفرة اطلاعه و تبحره في العلوم الظاهرة و الباطنة , و كانت له حدة في النظرو دقة في الاستنباط، و لكن في الاكثر على مشربه الصوفي الباطني ، و من ثم كانت له شطحات ملا كتبه و مصنفاته.

هل لابن عربي من تفسير؟

كانت له في التفسير و الحديث نظرات ، و له فيها مقالات ضمن كتبه و لاسيما))الفتوحات المكية)) و ((الفصوص))و غيرهما من امهات كتبه و لكن هل كان قد الف كتابا في التفسير يخصه ؟.
يبدو من مواضع من كتبه و لاسيما ((الفتوحات))، ان له تاليفا في التفسير، ففي الجز الاول من الفتوحات (ص ٥٩) عندالكلام على حروف المعجم في اوائل سور القرآن ، يقول : ((ذكرناه في كتاب الجمع و التفصيل في معرفة معاني التنزيل.((
و في (ص ٦٣) يقول : ((و قد اشبعنا القول في هذا الفصل عندما تكلمنا على قوله تعالى : (فاخلع نعليك ((1095)) (في كتاب الجمع و التفصيل.((
و فى (ص ٧٧) عند كلامه على حروف المعجم ، يقول : ((من اراد التشفي منها فليطالع تفسير القرآن الذي سميناه الجمع و التفصيل.((
و يقول عن كتاب آخر في التفسير اسماه ((ايجاز البيان في الترجمة عن القرآن)) في الجز الثالث من الفتوحات (ص ٦٤) عندالكلام عن ((علم الاصرار)) : ((قد بيناه في كتاب ((ايجاز البيان في الترجمة عن القرآن)) في قوله تعالى في آل عمران : (و لم يصرواعلى ما فعلوا ((1096)) (فانظره هناك.((
و هذا التفسير قد وجد منه جز يسير من اوله الى الاية ٢٥٣ من سورة البقرة ، و عليه في الخاتمة توشيح المؤلف هكذا:
))انتهى الجز الثامن من ((ايجاز البيان في الترجمة عن القرآن)) و يتلوه في التاسع قوله تعالى) : تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ((1097)) (و هذا الاصل بخط يدي من غير مسودة ، و كتب محمد بن على بن محمد بن احمد بن العربي الحاتمي الطائي ، المترجم يوم الجمعة الثاني و العشرين من ذي القعدة ، سنة احدى و

عشرين و ستمائة ، و الحمد للّه رب العالمين و صلى اللّه على محمد خاتم النبيين ، و على آله اجمعين آمين. ((1098)) ((
و قد طبع على هامش ((رحمة من الرحمان)) من كلام ابن العربي (الجز الاول من ص ٧ الى ص ٣٧٨.(
و له ايضا اشارة ، الى تفسيرين ، احدهما بعنوان ((التفسير الكبير)) حيث يقول فى الجز الرابع من الفتوحات (ص ١٩٤: (
))اعلم ان كل ذكر ينتج خلاف المفهوم الاول منه ، فانه يدل ما ينتجه على حال الذاكر، كما شرطناه فى ((التفسير الكبير)) لنا.((
و الثاني بعنوان ((التفسير)) او ((تفسير القرآن)) كما جا في الجز الاول من الفتوحات)ص ٨٦) و (ص ١١٤) و الجز الثالث (ص ٦٤.(
و هل هما نفس التفسيرين الانف ذكرهما، ام غيرهما، غير واضح.
غير ان الذي يستفاد من مجموع كلماته ، ان له في التفسير تاليفا باستقلاله ، و قد ضاع مع الاسف سوى النزر اليسير حسبماذكرنا.

تفاسير منسوبة الى ابن عربي

نعم هناك تفاسير تحمل اسم ابن عربي : ١ـ ايجاز البيان في الترجمة عن القرآن ، و هو في كمال الايجاز و الاختصار، و قد طبع جز يسير منه على هامش ((رحمة من الرحمان)) على ما اسلفنا.
2ـ رحمة من الرحمان في تفسير و اشارات القرآن ، من كلام الشيخ الاكبر محيي الدين بن عربي جمع و تاليف محمودمحمود الغراب ، من علما دمشق المعاصرين.
و هو تفسير غير شامل ، التقطه المؤلف من كلام ابن عربي ضمن تاليفاته ، و لاسيما ((الفتوحات ((حيثما تكلم عن تفسير آية او اشارة الى معنى من معاني القرآن ، و من ثم لم يستوعب جميع آي القرآن .
و قد قام المؤلف بهذا الجمع خلال خمسة و عشرين عاما، قال : و لمحاولة الوقوف على فهم الشيخ الاكبر للقرآن الكريم ،قمت بالعمل اكثر من خمس و عشرين سنة ، في جمع و تصنيف و ترتيب ما كتبه الشيخ الاكبر، في كتبه التي بين ايدينا، ممايصلح ان يكون تفسيرا لبعض آيات القرآن ، سوا من الناحية الظاهرة على نسق التفاسير الاخرى من الاحكام الشرعية و المعاني العربية ، او ما يصلح ان يكون تفسيرا صوفيا لبعض آيات القرآن ، و هو ما يسمى بالاعتبار و الاشارة في التوحيدو السلوك , و سميته ((رحمة من الرحمان في تفسير و اشارات القرآن)) تمشيا مع عقيدة الشيخ الاكبر في شمول الرحمة و عدم سرمدة العذاب ((1099)).
و طبع هذا الاثر في اربع مجلدات ، في دمشق سنة (١٤١٠ ه ـ ١٩٨٩ م.(
3ـ تفسير القرآن الكريم في مجلدين اشتهرت نسبته الى ابن عربي ، و قد راج ذلك منذ زمن سحيق ، و هو موضوع على مذاق الصوفية في التفسير الباطني المحض و فيه بعض الشطحات مما اثار الريب في نسبته الى الشيخ ، و زعموا انه من صنع الشيخ كمال الدين ابي الغنائم المولى عبد الرزاق الكاشي السمرقندي المتوفى سنة (٧٣٠ ه.(
قال الشيخ محمد عبده : من التفسير الاشاري ما ينسبونه للشيخ الاكبر محيى الدين ابن عربي ، و انما هو للقاشاني الباطني الشهير، و فيه من النزعات ما يتبرا منه دين اللّه و كتابه العزيز((1100)) .
و اما الحاجي خليفة ـ صاحب كشف الظنون ـ فقد نسبه راسا الى القاشاني من غير ترديد، قال : كتاب ((تاويلات القرآن))المعروف بتاويلات القاشاني ، هو تفسير بالتاويل على اصطلاح اهل التصوف ، للشيخ كمال الدين ابي الغنائم عبد الرزاق بن جمال الدين الكاشي السمرقندي ، اوله)) : الحمد للّه الذي جعل مناظم كلامه مظاهر حسن صفائه ((1101)) ((و هذه العبارة هي المبدؤ بها في التفسير المذكور.
و النسخة التي كانت عند حاجي خليفة ، كانت الى سورة ص و توجد نسخ كاملة في سائر المكتبات , منها نسخة كاملة بالمكتبة السليمانية بتركيا تحت رقم (١٧ـ ١٨)

و تحمل خاتم عبدالرزاق الكاشاني((1102)) .
و يـتـايـد نسبة الكتاب الى القاشاني بما جا في تفسير سورة ((القصص)) عند الاية رقم ٣٢: (و اضـمـم اليك جناحك من الرهب)، قوله : ((و قد سمعت شيخنا المولى نور الدين عبد الصمد(قدس سره) في شهود الوحدة و مقام الفنا عن ابيه ، انه كان بعض الفقرا في خدمة الشيخ الكبير شهاب الدين السهروردي((1103)) .
و نـور الـدين هذا هو : نور الدين عبد الصمد بن علي النطنزي الاصفهاني ، و المتوفى في اواخر الـقـرن الـسابع ، و كان شيخالعبد الرزاق القاشاني ، المتوفى سنة (٧٣٠ ه) و غير معقول ان يكون نور الدين هذا شيخا لابن عربي المتوفى سنة (٦٣٨ ه(((1104)) .
التعريف بهذا التفسير.
قـد اتـى المؤلف فيه بالتفسير الرمزي الاشاري على طريقة الصوفية العرفانية و غالبه يقوم على اسـاس وحـدة الـوجـود، ذلـك الـمذهب الذي كان له اثره السيئ في تفسير كلام اللّه ، و الذي دعا بالقائلين انه من صنع ابن عربي ، حيث مذهبه في وحدة الوجود مشـهور.
و هـو تفسير مغلق العبارة ، لايفهم معناها، كما لايوجد لها من سياق الاية او فحواها ما يدل عليها، و لـو ان المؤلف كان واضحا في كلامه ، او كان جمع بين التفسير الظاهر و التفسير الباطن كما فعله الـمـيـبـدي لهان الامر، و لكنه لم يفعل شيئا من ذلك ،مما جعل الكتاب مغلقا، كاكثر مواضع كتب ابن عربي و لاسيما كتابه ((الفتوحات)) و من ثم كان دليلا آخر على احتمال صحة نسبته اليه فهو في سـورة آل عـمران (ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار , ((1105)) (يقول : ربنا ما خـلـقـت هـذاالـخلق باطلا اي شيئا غيرك ، فان غير الحق هو الباطل ، بل جعلته اسماك و مظاهر صـفـاتك ، سبحانك ، ننزهك ان يوجد غيرك ،اي يقارن شـي فردانيتك ، او يثني وحدانيتك فقنا عذاب نـار الاحتجاب ، بالاكوان عن افعالك ، و بالافعال عن صفاتك ،و بالصفات عن ذاتك ، وقاية مطلقة تامة كافية((1106)) .
و فـي سـورة الـواقعة (نحن خلقناكم فلولا تصدقون ((1107)) (يقول : نحن خلقناكم باظهاركم بوجودنا و ظهورنا في صوركم((1108)) .
و فـي سـورة الحديد (و هو معكم اينما كنتم ((1109)) (يقول : و هو معكم اينما كنتم لوجودكم به ، و ظهوره في مظاهركم((1110)) .
و فـي سـورة الـمـجادلة (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ((1111)) (يقول : لا بالعدد و المقارنة ، بل بامتيازهم عنه بتعيناتهم ، و احتجابهم عنه بماهياتهم و انياتهم ، و افتراقهم منه بالامكان الـلازم لـمـاهياتهم و هوياتهم ، و تحققهم بوجوبه اللازم لذاته ، و اتصاله بهم بهويته المندرجة في هـويـاتـهـم ، و ظهوره في مظاهرهم ، و تستره بماهياتهم ، و وجوداتهم المشخصة ،و اقامتها بعين وجـوده ، و ايجابهم بوجوبه فبهذه الاعتبارات هو رابع معهم ، و لو اعتبرت الحقيقة لكان عينهم ، و لـهذا قيل :((لولا الاعتبارات لارتفعت الحكمة))، و قال اميرالمؤمنين (ع) : ((العلم نقطة كثرها الجاهلون)) ((1112)) .
و فـي سـورة المزمل (و اذكر اسم ربك و تبتل اليه تبتيلا رب المشرق و المغرب لا اله الا هو فـاتخذه وكيلا ((1113)) (يقول :و اذكر اسم ربك الذي هو انت ، اي اعرف نفسك ، و اذكرها، و لاتنسها، فينساك اللّه ، و اجتهد لتحصيل كمالها بعد معرفة حقيقتها.
رب الـمـشـرق و المغرب ، اي الذي ظهر عليك نوره ، فطلع من افق وجودك بايجادك ، و المغرب الذي اختفى بوجودك ،و غرب نوره فيك ، و احتجب بك ((1114)).
تلك نماذج تكشف لك عن واقع هذا التفسير، و انه يقوم على مذهب صاحبه في القول بوحدة الوجود ,الامـر الـذي يلتئم و امكان نسبته الى ابن عربي القائل بذلك ، فليس غريبا منه ان يقوم بتاليف تفسير يـعـتـمـد عـلـى مذهبه الخاص فلا موضع لمااستغر به امثال الشيخ محمد عبده ، و ان النزعات او الـشـطحات التي تشاهد في هذا التفسير، ليست شيئا غريبا عن روح ابن عربي و مذهبه في وحدة الوجود.
و يـقـوم مـذهب ابن عربي في التفسير ـ في سائر مؤلفاته ـ غالبا على نظرية ((وحدة الوجود ((الـتي يدين بها، و على الفيوضات و الوجدانيات التي تنهل عليه من سحائب

الغيب الالهي ، و تنقذف في قلبه من ناحية الاشراق الرباني ، فنراه في كثيرمن الاحيان يتعسف في التاويل ، ليجعل الاية تتمشى مع هذه النظرية ، فهو يبدل فيما اراد اللّه من آياته و يفسرها على ان تتضمن مذهبه و تكون اسانيد له ، الامر الذي ليس من شان المفسر المنصف المخلص للّه عمله ، اذ يجب على المفسر المخلص ان يبحث في القرآن بحثا مجردا عن الهوى و العقيدة ، مما قل ما يوجد في اهل التصوف و العرفان.

هذا و قد بالغ ابن عربي في دعواه الاشراقات الربانية المنهلة على قلبه ، و يدعي ان كل ما يجري على لسان اهل الحقيقة ـو يعني بهم الصوفية بالذات ـ من المعاني الاشارية في القرآن هو في الحقيقة تفسير و شرح لمراد اللّه ، و ان اهل اللّه ـ و يعني بهم الصوفية ـ احق الناس بشرح كتابه , لانهم يتلقون علومهم عن اللّه مباشرة ، فهم يقولون في القرآن على بصيرة ، اما اهل الظاهرفيقولون بالظن و التخمين ، و فضلا عن ذلك انه يرى ان تفاسير اهل الحقيقة لايعتريها شك ، و انها صدق و حق على غرارالقرآن الكريم ، فاذا كان القرآن الكريم لاياتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه , لانه من عنداللّه ، فكذلك اقوال اهل الحقيقة في التفسير، لاياتيها الباطل من بين يديها و لا من خلفها ,لانها منزلة من عند اللّه.

يقرر ابن عربي كل هذه المبادئ و يصرح بها في فتوحاته .

يقول : ((و ما خلق اللّه اشق و لااشد من علما الرسوم على اهل اللّه المختصين بخدمته ، العارفين به من طريق الوهب الالهي , الذين منحهم اسراره في خلقه ، و فهمهم معاني كتابه و اشارات خطابه , فهم لهذه الطائفة مثل الفراعنة للرسل (ع)، و لماكان الامر في الوجود الواقع على ماسبق به العلم القديم ـ كما ذكرنا ـ عدل اصحابنا الى الاشارات كما عدلت مريم (س)من اجل اهل الافك و الالحاد الى الاشارة فكلامهم في شرح كتابه العزيز الذي لاياتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه , اشارات ، و ان كان ذلك حقيقة و تفسيرا لمعانيه النافعة ، ورد ذلك كله الى انفسهم مع تقريرهم اياه في العموم و فيما نزل فيه كما يعلمه اهل اللسان الذين نزل ذلك الكتاب بلسانهم ، فعم به سبحانه عندهم الوجهين , كما قال تعالى : (سنريهم آياتنا في الافاق و في انفسهم , ((1115)) (يعني الايات المنزلة في الافاق و في انفسهم ، فكل آية منزلة لها وجهان : وجه يرونه في نفوسهم ، و وجه آخر يرونه فيما خرج عنهم ، فيسمون ما يرونه في نفوسهم اشارة ، ليانس الفقيه صاحب الرسوم الى ذلك , و لايقولون في ذلك انه تفسير، وقاية لشرهم و تشنيعهم في ذلك بالكفر عليه ، و ذلك لجهلهم بمواقع خطاب الحق ، و اقتدوا في ذلك بسنن الهدى ،فان اللّه كان قادرا على تنصيص ما تاوله اهل اللّه في كتابه ، و مع ذلك فما فعل ، بل ادرج في تلك الكلمات الالهية التي نزلت بلسان العامة ، علوم معاني الاختصاص التي فهمها عباده حين فتح لهم فيها بعين الفهم الذي رزقهم((1116)) .

و تفاسيره بهذا النمط كثيرة و منبثة في كتبه لاسيما في ((الفتوحات)) خذ لذلك مثلا ما ذكره بشان قوله تعالى : (ن ، و القلم و ما يسطرون ((1117)) (بما لايرجع الى محصل.

قال في الباب الستين الذي وضعه لمعرفة العناصر و سلطان العالم العلوي على العالم السفلى:

))اعلم ان اللّه تعالى لما تسمى بالملك رتب العالم ترتيب المملكة

، فجعل له خواصا من عباده ، و هم الـملائكـة المهيمنة جلسا الحق تعالى بالذكر لايستكبرون عن عبادته و لايستحسرون ، يسبحون الليل و النهار لايفترون ثم اتخذ حاجبا من الكروبيين واحدا اعطاه علمه في خلقه ، و هو علم مفصل في اجمال ، فعلمه سبحانه كان فيه مجلى له ، و سمى ذلك الملك ((نونا)) فلايزال معتكفا في حضرة عـلـمـه و هو راس الديوان الالهي ، و الحق من كونه عليما لايحتجب عنه ثم عين من ملائكته ملكا آخر دونه في المرتبة سماه ((القلم)) و جعل منزلته دون منزلة ((النون)) و اتخذه كاتبا، فيعلمه اللّه سـبحانه من علمه ما شاه في خلقه بوساطة ((النون))، و لكن من العلم الاجمالي ، و مما يحوي عـلـيه العلم الاجمالي علم التفصيل ، و هو من بعض علوم الاجمال ، لان العلوم لها مراتب ، من جملتها عـلـم التفصيل فما عند القلم الالهي من مراتب العلوم المجملة الا علم التفصيل مطلقا، و بعض العلوم الـمـفصلة لاغير، و اتخذ هذا الملك كاتب ديوانه و تجلى له من اسمه القادر، فامده من هذا التجلي الالهي ،و جعل نظره الى جهة عالم التدوين و التسطير، فخلق له لوحا و امره ان يكتب فيه جميع ما شـا سـبحانه ان يجريه في خلقه الى يوم القيامة خاصة ، و انزله منزلة التلميذ من الاستاذ، فتوجهت عـلـيـه هـنـا الارادة الالهية ، فخصصت له هذا القدر من العلوم المفصلة ، و له تجليات من الحق بلا واسـطـة و لـيس للنون سوى تجل واحد في مقام اشرف ، فانه لابدل تعدد التجليات و لاكثرتها على الاشرفية ، و انما الاشرف من له المقام الاعم فامر اللّه النون ان يمدالقلم بثلاثمئة و ستين علما من عـلـوم الاجـمـال ، تـحت كل علم تفاصيل ، و لكن معى نة منحصرة لم يعطه غيرها، يتضمن كل علم اجمالي من تلك العلوم ثلاثمئة و ستين علما من علوم التفصيل ، فاذا ضربت ثلاثمئة و ستين في مثلها ,فما خرج لك فهو مقدار علم اللّه تعالى في خلقه الى يوم القيامة خاصة ، ليس عند اللوح من العلم الذي كـتبه فيه هذا القلم اكثر من هذا، لايزيد و لاينقص ، و لهذه الحقيقة الالهية جعل اللّه الفلك الاقصى ثلاثمئة و ستين درجة ، و كل درجة مجملة لما تحوي عليه من تفصيل الدقائق و الثواني و الثوالث الى ما شااللّه سبحانه ، مما يظهره في خلقه الى يوم القيامة ، و سمي هذا القلم الكاتب.

ثـم ان اللّه سـبـحـانـه و تعالى امر ان يولى على عالم الخلق اثناعشر واليا، يكون مقرهم في الفلك الاقـصـى مـنـا فـي بروج ، فقسم الفلك الاقصى اثني عشر قسما، جعل كل قسم برجا لسكنى هؤلا الولاة ، مثل ابراج سور المدينة ، فانزلهم اللّه اليها فنزلوا فيها،كل وال على تخت في برجه ، و رفع اللّه الـحـجـاب الذي بينهم و بين اللوح المحفوظ، فراوا فيه مسطرا اسماؤهم و مراتبهم و ماشا الـحـق ان يـجريه على ايديهم في عالم الخلق الى يوم القيامة ، فارتقم ذلك كله في نفوسهم و علموه عـلـما محفوظا لايتبدل و لايتغير[((1118))]((1118)) ((و قال في الباب الثاني الذي وضعه لمعرفة مراتب الحروف ـ الفصل الاول ـ:

))ثم انه في نفس النون الرقمية (ن) التي هي شطر الفلك من العجائب ما لايقدر على سماعها الا من شـد عـلـيه مئزر التسليم ،و تحقق بروح الموت الذي لايتصور ممن قام به اعتراض و لاتطلع ، و كـذلـك في نفس نقطة النون اول دلالة النون الروحانية المعقولة فوق شكل النون السفلية ، التي هي الـنـصف من الدائرة ، و

النقطة الموصولة بالنون المرقومة الموضوعة ، اول الشكل ،التي هي مركز الالف المعقولة ، التي بها يتميز قطر الدائرة ، و النقطة الاخيرة التي ينقطع بها شكل النون ، و ينتهي بـها هي راس هذا الالف المعقولة المتوهمة ، فتقدر قيامها من رقدتها فترتكز لك على النون ، فيظهر مـن ذلـك حـرف الـلام ، و النون نصفها زاي مع وجود الالف المذكورة ، فتكون النون بهذا الاعتبار تـعطيك الازل الانساني ، كما اعطاك الالف و الزاي و اللام في الحق غير انه في الحق ظاهر، لانه بذاته ازلي لا اول له ، و لامفتتح لوجوده في ذاته ، بلا ريب و لا شك.
و لـبـعـض المحققين كلام في الانسان الازلي ، فنسب الانسان الى الازل ، فالانسان خفي فيه الازل فـجـهـل ، لان الازل ليس ظاهرا في ذاته ، و انما صح فيه الازل لوجه ما من وجوه وجوده ، منها ان الـمـوجود يطلق عليه الوجود في اربع مراتب : وجود في الذهن ، و وجود في العين ، و وجود في الـلفظ، و وجود في الرقم فمن جهة وجوده على صورته التي وجد عليها في عينه ، في العلم القديم الازلـي الـمـتـعلق به في حال ثبوته ، فهو موجود ازلا ايضا، كانه بعناية العلم المتعلق به ، كالتحيز للعرض بسبب قيامه بالجوهر، فصار متحيزا بالتبعية ، فلهذا خفي فيه الازل ، و لحقائقه ايضا الازلية المجردة عن الصورة المعينة المعقولة التي تقبل القدم و الحدوث ((1119)).
و قال في الباب (٣٥١) في معرفة اشتراك النفوس و الارواح: القلم و اللوح اول عالم التدوين و التسطير، و حقيقتهما ساريتان في جميع الموجودات علوا و سفلا و معنى و حسا،و بهما حفظ اللّه العلم على العالم ، و لهذا ورد في الخبر عنه (ص) : ((قيدوا العلم بـالـكـتـابـة)) و من هنا كتب اللّه التوراة بيده ، و من هذه الحضرة اتخذ رسول اللّه (ص) و جميع الـرسـل (ع) كتاب الوحي ، و قال : (كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون, ((1120)) (و قال : (ما لهذا الـكـتـاب لايـغـادر صغيرة و لا كبيرة الا احصاها , ((1121)) (و قال : (و كل شئ احصيناه في امام مبين. ((1122)) (
و قـال : (فـي كـتـاب مـكـنـون , ((1123)) (و قال : (في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدى سـفـرة , ((1124)) (و قـال :(و نـكتب ما قدموا و آثارهم ((1125)) (و الكتب : الضم ، و منه سـميت الكتيبة كتيبة ، لانضمام الاجناد بعضهم الى بعض و بانضمام الزوجين وقع النكاح في المعاني و الاجسام ، فظهرت النتائج في الاعيان ، فمن حفظ عليها هذا الضم الخاص افادته علوما لم تكن عنده , و من لم يحفظ هذا الضم الخاص المفيد علم لم يحصل على طائل ، و كان كلامه غير مفيد((1126)) .
و قال في ديوانه ابياتا بشان النون و القلم نذكر منها:
اذا جا بالاجمال نون فانه ـــ يفصله العلا م بالقلم الاعلى.
فيلقيه في اللوح الحفيظ مفصلا ـــ حروفا و اشكالا و آياته تتلى.
و ما فصل الاجمال منه بعلمه ـــ و ما كان الا كاتبا حينما يتلى.
عليه الذي القاه فيه مسطر ـــ لتبلى به اكوانه و هو لا يبلى.
هو العقل حقا حين يعقل ذاته ـــ له الكشف و التحقيق بالمشهد الاعلى((1127)) .
و اشـنع تفسير رايته في كلامه ما ذكره بشان اخفائه تعالى اولياه في صفة اعدائه ، فكانوا اوليا في صـورة اعدا، و عبادامخلصين في زى عتاة متمردين يقول في تفسير قوله تعالى : (ان الذين كفروا

سـوا عـلـيهم اانذرتهم ام لم تنذرهم لايؤمنون ختم اللّه على قلوبهم و على سمعهم و على ابصارهم ((1128))ان الذين كفروا ستروا محبتهم :ايجاز البيان فيه ، يا محمد فـى ، دعـهـم فـسـوا عـلـيـهم اانذرتهم بوعيدك الذي ارسلتك به ام لم تنذرهم لايؤمنون بكلامك , فـانـهم لايعقلون غيري ، و انت تنذرهم بخلقي و هم ما عقلوه و لاشاهدوه ، و كيف يؤمنون بك و قد ختمت على قلوبهم فلم اجعل فيهامتسعا لغيري ، و على سمعهم ، فلايسمعون كلاما في العالم الا مني و عـلـى ابـصارهم غشاوة ، من بهائي عند مشاهدتي فلايبصرون سواي ، و لهم عذاب عظيم عندي اردهـم بـعد هذا المشهد السنى الى انذارك ، و احجبهم عني ، كما فعلت بك بعدقاب قوسين او ادنى قـربا، انزلتك الى من يكذبك و يرد ما جئت به اليه مني في وجهك ، و تسمع في ما يضيق له صدرك , فاين ذلك الشرح الذي شاهدته في اسرائك فهكذا امنائي على خلقي الذين اخفيتهم رضاي عنهم ، فلا اسخط عليهم ابدا ((1129)).

و اليك من تفاسير ابن عربي معتمدة على نظرية وحدة الوجود، جات في سائر كتبه:

قـال فـي تـفسير قوله تعالى : (من يطع الرسول فقد اطاع اللّه (: ((1130))لانه لاينطق الا عن اللّه ، بل لاينطق الا باللّه ، بل لاينطق الا اللّه منه ، فانه صورته((1131)) .

و فـي تـفـسير قوله تعالى : (يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية ، فادخلى في عـبادي و ادخلي جنتي (, ((1132))يقول : و ادخلي جنتي التي هي ستري ، و ليست جنتي سواك , فـانت تسترني بذاتك الانسانية ، فلا اعرف الا بك ، كما انك لاتكون الا بي ، فمن عرفك عرفني ، و انـا لااعرف فانت لاتعرف ، فاذا دخلت جنته دخلت نفسك فتعرف نفسك معرفة اخرى غير المعرفة الـتـي عرفتها حين عرفت ربك بمعرفتك اياها، فتكون صاحب معرفتين ، معرفة به من حيث انت ،و مـعرفة به بك من حيث هو لا من حيث انت ، فانت عبد و انت رب لمن له فيه انت عبد، و انت رب و انت عبد لمن له في الخطاب عهد((1133)) .

و فـي تـفسير قوله تعالى : (قد افلح من زكاها و قد خاب من دساها ((1134)) (يقول : ان النفس لاتـزكـو الا بربها، فيه تشرف و تعظم في ذاتها، لان الزكاة ربو، فمن كان الحق سمعه و بصره و جـمـيع قواه ، و الصورة في الشاهد صورة خلق ، فقد زكت نفس من هذا نعته و ربت و انبتت من كل زوج بـهـيج ، كالاسما الالهية للّه ، و الخلق كله بهذا النعت في نفس الامر، و لولا انه هكذا في نفس الامـر مـا صح لصورة الخلق ظهور و لا وجود، و لذلك خاب من دساها، لانه جهل ذلك فتخيل انه دسـها في هذا النعت ، و ماعلم ان هذا النعت لنفسه نعت ذاتي لاينفك عنه يستحيل زواله ، لذلك وصفه بـالـخيبة ، حيث لم يعلم هذا، و لذلك قال : قدافلح ، ففرض له البقا و البقا ليس الا للّه او لما كان عند اللّه ، و مـا ثـم الا اللّه او ما هو عنده ، فخزائنه غير نافدة ، فليس الا صورتعقب صورا، و العلم بها يسترسل عليها استرسالا((1135)) .

و بعد فاذا كانت النزعات او الشطحات التي كان الشيخ الاستاذ محمد عبده يستوحشها و يستغرب ان تـكـون صـادرة مـن مـثل ابن عربي ، و من ثم استنكر انتساب التفسير اليه ، فها هي مثلها او اشد غرابة ، مبثوثة في كتبه و لاسيما الفتوحات ، فاين موضع

الاستغراب و من ثم فالارجح صحة النسبة و لاسيما مع شهرتها و عدم وجود ما ينافي هذه النسبة ، نظرا لشدة المشابهة بين محتويات هذا التفسير و سائر مؤلفات ابن عربي.
و اما ما ذكره الاستاذ الذهبي ـ لوجه المنافاة ـ من السماع من نور الدين عبد الصمد النطنزي الاصفهاني المتوفى في اواخرالقرن السابع ، حيث يصلح ان يكون شيخا للمولى عبد الرزاق الكاشي المتوفى سنة (٧٣٠ ه) لا لابن عربي المتوفى سنة (٥٦٣٨.(فيمكن توجيهه ، بان الناسخ و هو المولى عبد الرزاق الكاشي زاد هذا الكلام هنا او جعله على الهامش ، ثم ادخل في المتن على يد النساخ المتاخرين ، فلا منافاة.

7ـ عرائس البيان في حقائق القرآن لابي محمد الشيرازي

هو ابومحمد روزبهان بن ابي نصر البقلي الشيرازي المتوفى سنة (٦٦٦ ه).
هو تفسير اشاري رمزي على الطريقة الصوفية العرفانية ، جمع فيه من آرا من تقدمه من اقطاب الصوفية و اهل العرفان ،فكان تفسيرا عرفانيا موجزا، و في نفس الوقت جامعا و كاملا في حد ذاته قال في المقدمة : ((و لما وجدت ان كلامه الازلي لانهاية له في الظاهر و الباطن ، و لم يبلغ احد الى كماله و غاية معانيه ، لان تحت كل حرف من حروفه بحرا من بحار الاسرار،و نهرا من انهار الانوار، فتعرضت ان اغرف من هذه البحور الازلية غرفات من حكم الازليات ، و الاشارات و الابديات ، ثم اردفت بعد قولي اقوال مشايخي مما عباراتها الطف ، و اشاراتها اظرف ببركاتهم ، و سميته : عرائس البيان في حقائق القرآن.((
و هو يجري في تفسيره مع الذوق العرفاني المجرد، حتى نهاية القرآن ، و طبع في جزئين يضمهما مجلد واحد كبير.

8ـ التاويلات النجمية لنجم الدين داية ، و علا الدولة السمناني

الف هذا التفسير نجم الدين داية ، و مات قبل ان يتمه ،فاكمله من بعده علاالدولة السمناني . اما نجم الدين فهو ابوبكر عبداللّه الرازي المعروف بداية توفي سنة (٦٥٤ ه) كان من كبار الصوفية ، و كان مقيما اول امره بخوارزم ، ثم خرج منها ايام هجوم چنگيزخان ، الى بلاد الروم ، و يقال :انه قتل اثنا تلك الحروب.
و اما علاالدولة فهو احمد بن محمد السمناني ، توفي سنة (٧٣٦ ه) كان احد الائمة المعروفين , و كان ينتقص من ابن عربي كثيرا، و كان مليحا ظريفا حسن المجلس حسن المناظرة ، عزيز الفتوة ، كثير البر، و له مصنفات كثيرة ربما تبلغ الثلاثمئة كان قد دخل بلاد التتار، ثم رجع و سكن تبريز ثم بغداد.
يقع هذا التفسير في خمس مجلدات كبار، و هو تفسير لطيف ، وضع على اسلوب التفسير الاشاري , و لكن في ظرافة بالغة و في عبارات شائقة.
و هناك تفاسير ذوات اعتبار، جعلت قسطا من منهجها للبيان العرفاني الاشاري للقرآن ، و ساروا على منهج الاعتدال في هذا المجال ، امثال النيسابوري في تفسيره ((غرائب القرآن))، و المولى محسن الفيض الكاشاني في تفسيره ((الصافي))،و السيد محمود الالوسي البغدادي في ((روح المعاني)) على ما اسلفنا الكلام عليها، فلانعيد ذكرها، و بذلك قد تم مقصودنا من هذا الكتاب ، و الحمدللّه.

و قـد تـم بـتوفيقه تعالى تبييض هذه الصحائف عصر يوم الجمعة الثالث و العشرين من شهر ربيع الاغـر سـنة الف و اربعمئة و ست عشرة هجرية في جوار مولانا الامام ابي الحسن علي بن موسى الـرضا ـ عليه آلاف التحية و الثنا ـ على يد الفقير الى اللّه الغني محمد هادي معرفة ، و الحمد للّه رب العالمين و الصلاة و السلام على خير خلقه محمد و آله الطاهرين.
/23ع١ /١٤١٦ ١٣٧٥/٥/١٩ .

-هوامش 1- .--- راجع : تفسير الطبري ، ج١ ، ص ٣١ 2- .تهذيب التهذيب لابن حجر، ج١٠ ، ص ٤٣.
3- تهذيب التهذيب ، ج٧ ، ص ١٩٨ ـ ١٩٩، رقم (٣٨٢).
4- وفيات الاعيان لابن خلكان ، ج٣ ، ص ٤٦٢، رقم (٥٠٣).
5- الاتقان للسيوطي ، ج٤ ، ص ٢٠٨.
6- تهذيب التهذيب ، ج٦ ، ص ٤٠٣ ـ ٤٠٤.
7- الفهرست لابن النديم ، ص ١٠٥.
8- ضحى الاسلام ، ج٢ ، ص ١٤٠ ـ ١٤١.
9- محمد/ ٢٤.
10- النحل / ٤٤.
11- نهج البلاغة ، خ١٣٣ ، ص ١٩٢ (صبحي صالح).
12- الدخان / ١ ـ ٣.
13- القدر/ ١.
14- البقرة / ١٨٥.
15- الانفال / ٢٤.
16- الحشر/ ١٩.
17- الرعد/ ٤١.
18- المائدة / ٣٣.
19- راجع : تفسير البرهان للبحراني ، ج٢ ، ص ٣٠١ ـ ٣٠٢.
20- الاحزاب / ٧٢.
21- البقرة / ٣٠.
22- لقمان /٢٠.
23- الجاثية / ١٣.
24- الجن / ١٨.
25- راجع : تفسير العياشي ، ج١ ، ص ٣١٩ ـ ٣٢٠.
26- الشورى / ١١.
27- النحل / ٤٤.
28- تفسير الطبري ، ج١ ، ص ٢٧ و ٣٠.
29- نهج البلاغة ، خ١٢٨ ، ص ١٨٦(صبحى صالح).
31- الاتقان ، ج٤ ، ص ١٨٠.
32- المصدر نفسه ، ص ٢٠٩.
33- الحجرات / ٦.
34- راجـع : شـرح الـنـهـج لابن ابي الحديد، ج٤ ، ص ٦٣، و سياتي ذلك عند الكلام عن الوضع 35- التفسير و المفسرون ، ج١ ، ص ١٥٨.

36- اضوا على السنة المحمدية ، ص ١١٨.
37- رسالة التوحيد، (ط١)، ص ٧ـ٨.
38- الاضوا، ص ١٢١.
39- الموضوعات لابن الجوزي ، ج١ ، ص ٣٧ـ٣٨.
40- اللالئ المصنوعة في الاحاديث الموضوعة ، ج١ ، ص ٢٦٧، و راجع : الموضوعات ، ج١ 41- , الموضوعات ، ج١ ، ص ٤٩.
42- الموضوعات ، ج١ ، ص ٣٨ـ٣٩.
43- اضوا على السنة المحمدية ، ص ١٢٢ و راجع : الغدير (ج٥ ، ص ٢٧٧ـ٢٨٨) للعلامة 44- المختصر، ص ٢١، (الاضوا، ص ١٢٢.(
45- الاضوا، ص ١٢٢ـ١٢٣.
46- الموضوعات ، ج١ ، ص ٢٤١ و اللالئ المصنوعة للسيوطي ، ج١ ، ص ٢٢٧ـ٢٢٨.
47- مقدمة صحيح مسلم الحديث ، رقم٤٠ ، ج١ ، ص ١٣ـ١٤.
48- التذكار للقرطبي ، ص ١٥٥ـ١٥٦ (الغدير، ج٥ ، ص ٢٧٥ـ٢٧٦.(
49- راجع : الغدير، ج٥ ، ص ٢٦٨ و ٢٦٩.
50- و قد افرد العلامة الاميني فصلا اورد اسماهم فيه (الغدير، ج٥ ، ص ٢٧٥ـ٢٧٧.(
51- الموضوعات ، ج١ ، ص ٣٩ـ٤٠.
52- ابوالبختري ، وهب بن وهب ، انتقل من المدينة الى بغداد في خلافة هارون الرشيد، فولا ه 53- راجع : تفسير القرطبي (المقدمة)، ج١ ، ص ٧٩ـ٨٠.
54- لموضوعات ، ج١ ، ص ٤٢.
55- لسان الميزان لابن حجر، ج٦ ، ص ٢٣٣.
56- الموضوعات ، ج٣ ، ص ١٢.
57- الموضوعات ، ج٣ ، ص ٤٧ـ٤٨.
58- المصدر، ج٢ ، ص ٣٠ـ٣٧.
59- الاضوا، ص ١٢٦ـ١٢٧.
60- هو العام الذي نزل فيه الامام السبط الاكبر عن الحكم لمعاوية الطاغية ، حقنا لدما المسلمين 61- قال ابورية : يبدو من هذا القول ان كذب ابي هريرة على النبي كان قد اشتهر من اول يومه 62- راجع : شرح النهج لابن ابى الحديد، ج٤ ، ص ٦٣ـ٦٨.
63- البقرة / ٢٠٤ ـ ٢٠٥.
64- البقرة / ٢٠٧.
65- شرح النهج ، ج٤ ، ص ٧٣.
66- الاضوا، ص ١٢٨.
67- الغدير، ج١٠ ، ص ١٣٨، فما بعد.
68- الاضوا، ص ١٧٠.
69- المؤمنون / ٥٠.
70- الاضوا، ص ١٢٩.
71- شرح نهج البلاغة ، ج٤ ، ص ٧٢.
72- الاضوا، ص ١٣٠ ـ ١٣١.
73- صحيح البخاري ، ج٤ ، ص ٢٥٢.
74- نهاية الارب ، ج١ ، ص ٣٣٣.
75- الاضوا، ص ١٧٠ـ١٧١و من طريف ما يذكر هنا : ان رجلا لقى كعب الاحبار فسلم عليه و 76- الموضوعات ، ج٢ ، ص ٢٤.
77- فتح البارى بشرح البخاري ، ج٧ ، ص ٨١.
78- صحيح البخاري ، ج٥ ، ص ٣٥.

79- الموضوعات ، ج٢ ، ص ١٥.
80- فتح الباري ، ج٧ ، ص ٨١.
81- سير اعلام النبلا، ج١٤ ، ص ١٣٢ و هو الذي روى حديث ((اللهم لاتشبع بطنه))، ص ١٢٩.
82- النور/ ١١.
83- الموضوعات في الاثار و الاخبار، هاشم معروف الحسنى ، ص ١٣٧ و ١٩٩.
84- تفسير القرطبي ، ج١ ، ص ٧٩.
85- الموضوعات ، ج١ ، ص ٤٤ ـ ٤٥.
86- الاضوا لابي رية ، ص ١٢٤.
87- المصدر نفسه.
88- سير اعلام النبلا، ج٢ ، ص ٤٤٧.
89- فجر الاسلام لاحمد امين ، ص ١٥٩ ـ ١٦٠.
90- النزاع و التخاصم فيما بين بني امية و بني هاشم ، للمقريزي ، ص ٥١.
91- الاصابة ، ج٣ ، ص ٣١٦ و راجع : الاضوا، ص ١٧٩ ـ ١٨١.
92- الموضوعات ، ج١ ، ص ٣٥ ـ ٤٦.
93- ملحق كتابه في الضعفا و المتروكين ، ص ١٢٣.
94- راجع : سير اعلام النبلا، ج٨ ، ص ٤٥٠، رقم١١٩ و تهذيب التهذيب ، ج١ ، ص ١٥٨ 95- ,راجع : الفهرست للشيخ ابي جعفر الطوسي ، ص ٣.
96- سير اعلام النبلا، ج٩ ، ص ٤٥٤ ـ ٤٦٩، رقم ١٧٢ و تاريخ بغداد، ج٣ ، ص ٣ ـ ٢١و 97- راجع : تاريخ بغداد، ج١٣ ، ص ١٦٠ ـ ١٦٩.
98- تفسير القرطبي ، ج١ ، ص ٧٨.
99- هامش ملحق الضعفا للنسائي ، ص ١٢٤.
100- ميزان الاعتدال للذهبي ، ج٣ ، ص ٥٦١، رقم ٧٥٩٢.
101- الموضوعات ، ج١ ، ص ٤٧ ـ ٤٨.
102- راجع : الغدير، ج٥ ، ص ٢٠٩ ـ ٢٧٥.
103- الاعراف / ١٣٩.
104- بحارالانوار، ج٢ ، ص ٢٢٥.
105- ميزان الاعتدال ، ج٢ ، ص ١٢ ـ ١٣، رقم٢٦٣٢.
106- الغدير، ج٥ ، ص ٣٠٨.
107- الغدير، ج٥ ، ص ٣١١.
108- المصدر، ص ٣٢٠.
109- تفسير القرطبي ، ج٢٠ ، ص ١٨٠.
110- الحجر/ ٤٧.
111- نزهة المجالس ، ج٢ ، ص ٢١٧ و راجع : اسباب النزول للواحدي ، ص ٢٠٧ و للعلا مة الاميني 112- القمر/ ١٣.
113- نزهة المجالس ، ج٢ ، ص ٢١٤.
114- الانسان / ٣٠.
115- الموضوعات ، ج١ ، ص ٣١٥ ـ ٣١٦.
116- لسان الميزان ، ج٤ ، ص ٣٦٣، رقم١٠٦١.
117- الغدير، ج٥ ، ص ٢٤٩.
118- الموضوعات ، ج١ ، ص ٢٩٤.
119- الامالي لابي جعفر الصدوق ، (ط نجف)، المجلس ٩٢، الحديث رقم ٦، ص ٥٦٧ ـ ٥٦٨.
120- المناقب ، ج١ ، ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥.
121- الاصابة ، ج٢ ، ص ٩٥ ـ ٩٦، رقم٣٥٨٢.

122- الموضوعات ، ج١ ، ص ٢٠١ ـ ٢٩٥.
123- اللئالي المصنوعة في الاحاديث الموضوعة ، ج١ ، ص ٢٧٧ ـ ٢٨٢.
124- صرح بهذا التعميم جيمس هاكس في قاموس الكتاب المقدس ، ص ٥٣.
125- راجع : سفر التكوين ، اصحاح ٣٢، عدد ٢٥ ((فقال له اللّه : ما اسمك ؟ قال : يعقوب فقال 126- : قاموس الكتاب المقدس ، ص ٥٣ و ١٤٢.
127- المائدة / ٨٢.
128- يونس / ٩٤.
129- يس / ٢٢.
130- الانبيا/ ٧.
131- النحل / ٤٣.
132- الاسرا/ ١٠١.
133- آل عمران / ١١٨.
134- مسند احمدبن حنبل ، ج٣ ، ص ٣٨٧ و راجع : فتح الباري في شرح البخاري لابن 135- صحيح البخاري ، ج٩ ، ص ١٣٦ و راجع : ج٣ ، ص ٢٣٧.
136- راجع : فتح الباري ، ج١٣ ، ص ٢٨٢.
137- صحيح البخاري ، ج٩ ، ص ١٣٦.
138- لان اباهريرة اسلم بعد فتح خيبر سنة سبع من الهجرة.
139- في نسخة : ((احدث الاخبار باللّه.((
140- لم يشب : من الشوب و هو الخلط، اي لم يشبه شي ، كناية عن عدم الدس فيه و التحريف ، كما 141- صحيح البخاري ، ج٩ ، ص ١٣٦ و ج٣ ، ص ٢٣٧ و في الموضعين بعض الاختلاف في لفظ 142- المقدمة ، ص ٤٣٩ ـ ٤٤٠، آخر الفصل الخامس فيما ذكره بشان التفسير.
143- رواه البخاري في باب ما ذكر عن بني اسرائيل من كتاب الانبيا، ج٤ ، ص ٢٠٧.
144- الزاملة : هي الملفة ، و ربما كانت حمل بعير، و قد فسر ابوشهبة الزاملتين بحمل 145- سناتي على تفسير هذا الحديث بغير ما فهمه هؤلا.
146- من عدم تصديقهم و لا تكذيبهم فيما يحكونه ذكر ذلك في ص ١٩ من رسالته .
147- مقدمته في اصول التفسير، ص ٤٥ ـ ٤٦، (المطبعة السلفية) و راجع : مقدمة تفسير 148- يونس / ٩٤.
149- الانبيا/ ٧، و النحل / ٤٣.
150- الزخرف / ٤٥.
151- الاسرائيليات في التفسير و الحديث ، محمد حسين الذهبي ، ص ٦٠ ـ ٦١، الاعراف / ١٦٣ 152- ,المصدر، ص ٦٣.
153- الاسرائيليات في التفسير و الحديث ، ص ٦٤ ـ ٦٥.
154- الاسرائيليات في التفسير و الحديث ، ص ٦٦ ـ ٦٧.
155- راجع : فتح الباري ، ج٦ ، ص ٣٢٠.
156- يونس / ٩٤.
157- النحل / ٤٣.
158- راجع : مجمع الامثال للميداني رقم ١١٠٣، ج١ ، ص ٢٠٧ و فرائد الادب للاب لويس معلوف.
159- مسند احمد بن حنبل ، ج٣ ، ص ١٣.
160- المصدر، ص ٥٦.
161- الاصابة ، ج٢ ، ص ٣٢٠.
162- سير اعلام النبلا، ج٢ ، ص ٤١٨ ـ ٤١٩.

163- هامش سير اعلام النبلا اخرج الحديث عن ((مجمع الزوائد، ج١ ، ص ١٧٣ ـ ١٧٤)).
164- اوردها ابن سعد في الطبقات (ط ليدن)، ج١ ، ص ٨٧، س ١٤.
165- الاصابة ، ج٢ ، ص ٣٢١، و سير الاعلام ، ج٢ ، ص ٤١٦.
166- و ربما رجح الثاني ، لما رواه الطبراني من طريق يحيى بن ابي عمرو الشيباني عن عوف 167- قال معاوية في وصف علمه : الا ان كعب الاحبار احد العلما، ان كان عنده علم كالثمار و ان 168- الطبقات ، ج٧ ، ق٢ ، ص ١٥٦ و راجع : الاصابة ، ج٣ ، ص ٣١٦ و الاضوا لابي رية ، ص 169- 147اخرجه ابوزرعة الدمشقي في تاريخه ، ج١ ، ص ٥٤٤ راجع : هامش سير اعلام النبلا 170- ,شرح النهج ، ج٤ ، ص ٧٧.
171- طبقات ابن سعد، ج٣ ، ق١ ، ص ٢٤٠، س ٤ ـ ١٢.
172- جا في تاريخ الطبري ، ج٣ ، ص ٢٦٤ (مطبعة الاستقامة) حوادث سنة (٢٣) : ان عمر كان 173- فجر الاسلام ، ص ١٦١.
174- اضوا على السنة المحمدية ، ص ١٥٥.
175- الطبقات ، ج٣ , ق١ ، ص ٢٥٧، س ٢ ـ ١٢.
176- المصدر، ص ٢٦٢، س ١٩.
177- هامش سير اعلام النبلا، ج٣ ، ص ٤٩٠ و معاوية هو الذي اثنى عليه بالعلم راجع : فتح 178- راجع : البخاري بهامش الفتح ، ج١٣ ، ص ٢٨٢.
179- الاصابة ، ج٣ ، ص ٣١٦.
180- الطبقات ، ج٧ ، ق٢ ، ص ١٦٠، س ١٠.
181- فجر الاسلام ، ص ١٦٠ ـ ١٦١.
182- التفسير و المفسرون ، ج١ ، ص ١٨٨.
183- الاسرائيليات في التفسير و الحديث للذهبي ص ٩٥ قال ابورية في الاضوا، ص ١٦٤ 184- : اضوا على السنة المحمدية ، ص ١٦٤.
185- و الجساسة : دابة ـ فيما زعمه هذا الراهب النصراني ـ كان رآها في جزيرة من البحر 186- الاصابة ، ج١ ، ص ١٨٣ ـ ١٨٤، و الطبقات ، ج١ ، ق٢ ، ص ٧٥.
187- سير اعلام النبلا، ج٢ ، ص ٤٤٢ ـ ٤٤٣.
188- الاموال لابي عبيد بن سلا م ، ص ٣٤٩ ـ ٣٥٠.
189- ابن حجر في الاصابة في ترجمة معاوية بن حرمل ، ج٣ ، ص ٤٩٧ و سير اعلام النبلا 190- ,كما قال احمد امين ، فجر الاسلام ص ١٥٩.
191- سير اعلام النبلا، ج٢ ، ص ٤٤٧.
192- فجر الاسلام ، ص ١٥٩ ـ ١٦٠.
193- غليظ الشعر.
194- في الهامش : سميت جساسة لتجسسها الاخبار للدجال قال صاحب التحفة : هي دابة الارض 195- بيسان ، مدينة بالاردن بالغور الشامي ، و هي بين حوران و فلسطين يقال عنها : انها لسان 196- على وزان زفر : بلدة في الجانب القبلي من الشام.
197- اي المسيح الدجال الذي زعموا انه يخرج في آخر الزمان.
198- اي مسلولا.
199- صحيح مسلم ، ج٨ ، ص ٢٠٣ ـ ٢٠٥ و رواه احمد في المسند، ج٦ ، ص ٣٧٣، باختلاف 200- تهذيب التهذيب ، ج١٠ ، ص ٤٠.
201- كتاب المجروحين و الضعفا لابن حبان ، ج٣ ، ص ١٠.
202- راجع : الكنى في تهذيب التهذيب ، ج١٢ ، ص ٢٨٦.
203- تهذيب التهذيب ، ج٥ ، ص ١٥٨.
204- تهذيب التهذيب ، ج١١ ، ص ١٦٦ ـ ١٦٨.

205- تهذيب التهذيب ، ج٩ ، ص ٤٢٠ ـ ٤٢٢.
206- يـرمـوك : واد بناحية الشـام كانت به حرب بين المسـلمين و الروم في اواخر
ايام ابي بكرو 207- الزاملة : الملفة ، من زمل الشـي بثوبه او في ثوبه : لفه و ربما
كانت حمل بعير، و هكذا عبر 208- صحيح البخاري ، ج٤ ، ص ٢٠٧.
209- مقدمته في التفسير، ص ٤٥.
210- سـير اعلام النبلا، ج٣ ، ص ٨٦ و مسـند احمد، ج٢ ، ص ٢٢٢ و حلية الاوليا،
ج١ ، ص ٢٨٦.
211- الطبقات ، ج٢ ، ق٢ ، ص ١٢٥.
212- جامع البخاري ، ج١ ، ص ٣٩، باب كتابة العلم و راجع : الفتح ، ج١ ، ص ١٨٤.
213- البقرة / ١٧٠.
214- لقمان / ١٥.
215- هكذا في النسخ ، و لعله : مجونك ، هو المزاح في وقاحة.
216- و هكذا اخرج ابن سعد عن عبداللّه بن الحارث ، قال : اني لاسير مع معاوية
في منصرفه عن 217- راجع : فتح الباري ، ج٧ ، ص ٦٢.
218- الاضوا لابي رية ، ص ١٩٥ ـ ١٩٩.
219- راجع : تاريخ آداب العرب ، ج١ ، ص ٢٧٨.
220- راجع : الاضوا، ص ٢٠٢ ـ ٢٠٦.
221- هم : عبداللّه بن عمرو بن العاص و عبداللّه بن عمر و عبداللّه بن عباس ،
غير ان الاخير 222- حياة الحيوان للدميري ، ج١ ، ص ٢٥٧.
223- نهاية الارب للنويري ، ج١٠ ، ص ٢٢٠.
224- الاضوا لابي رية ، ص ٢٠٨.
225- تفسير ابن كثير، ج٣ ، ص ١٠٤ ـ ١٠٥.
226- قال ابورية : من روايات هذا الحديث : و طول آدم سـتون ذراعا و قد انتقد هذا
الحديث ابن 227- الاضوا، ص ٢٠٧ ـ ٢١٠.
228- الاضوا، ص ٢١٠.
229- راجع : تفسير ابن كثير، ج٢ ، ص ٥١٣ ـ٥١٤.
230- الاضوا، ص ٢١٨.
231- مجلة المنار، ج١٩ ، ص ٩٧ (الاضوا، ص ٢١٨ ـ ٢١٩.)
232- التفسير و المفسرون ، ج١ ، ص ١٩٨.
233- الاتقان ، ج٢ ، ص ١٨٨.
234- تهذيب التهذيب ، ج٦ ، ص ٤٠٢ ـ ٤٠٦.
235- حـدث عـمـر عـن نفسـه ، قال : انتسـخت كتابا من اهل الكتاب ، ثم جئت به
في اديم ، فقال لي 236- سير اعلام النبلا، ج٢ ، ص ٤٤٧.
237- راجع تفسير ابن كثير، ج٤ ، ص ١٧.
238- الاسـرائيليات و الموضوعات ، ص ٨٩.
239- سـوس : مدينة شـوش التي بها قبر دانيال ، من ارض خوزسـتان.
240- يوسـف / ١ ـ ٣.
241- صلاصفة : جمع صلصفة هي الصحيفة.
242- الاكراع : جمع الكرع : مقدم عظم السـاق ، و المقصود : العظام الرقيقة.
243- الفرق : الفزع.
244- اي اخذه مني.
245- الهوك : الحمق.
246- راجع : تفسير ابن كثير، ج٢ ، ص ٤٦٧ ـ ٤٦٨.
247- للاسـتاذ عبدالوهاب النجار في ((قصص الانبيا)) محاولة في اسـتخراج قصص
القرآن من 248- لانصادقه في هذا الراي ، و انما كان يراجع اهل الكتاب من قلت

بضاعته من الاصحاب.
249- التفسير و المفسرون ، ج١ ، ص ١٦٩.
250- لـم يـشـب ، اي كـان محفوظا عن الدس فيه ، فهو كلام اللّه الخالص ، من غير ان تشوهه يد 251- راجـع : صـحـيـح الـبـخاري ، باب لايسال اهل الشرك عن الشهادة ، ج٩ ، ص ٢٣٧ و ج٣ 252- , تفسير ابن كثير، ج١ ، ص ١٣٨ و راجع تاريخه البداية و النهاية ايضا، ج١ ، ص ٣٧و هكذا 253- البخاري في باب الجمعة ، ج٢ ، ص ١٣.
254- الـقـسطلاني في شرحه للحديث المذكور، ج٢ ، ص ١٩٠ (الذهبي ، ج١ ، ص ١٧٠ ـ ١٧١و 255- تاويل مختلف الحديث ، ص ٢٧٩ـ٢٨٠.
256- الاسرائيليات و الموضوعات ، ص ٨٩ ـ٩٠.
257- فجر الاسلام ، ص ١٦٠.
258- خطط المقريزى ، ج٢ ، ص ٢٥٣، ط اميرية.
259- احيا العلوم لابي حامد الغزالي ، ج٢ ، ص ٣٣١، ط ١٩٣٩ الانعام / ٦٨.
260- فجر الاسلام ، ص ١٥٩ ـ ١٦٠.
261- راجع : تفسير القرطبي ، ج١ ، ص ٧٩.
262- الاسرائيليات و الموضوعات ، ص ٩٠.
263- الاسرائيليات للذهبي ، ص ٤٧ ـ ٥٤.
264- الاسرائيليات و الموضوعات ، ص ١٠٦ ـ ١١٤.
265- فجر الاسلام ، ص ١٦٠ ـ ١٦١.
266- مقدمة ابن خلدون ، ص ٤٣٩ ـ ٤٤٠.
267- تاريخ الطبري ، ج١ ، ص ٢٤.
268- فجر الاسلام ، ص ١٥٧.
269- البقرة / ٧٩.
270- جامع البخاري ، ج٣ ، ص ٢٣٧.
271- الانبيا/ ١٠٥.
272- الصخر هنا : كناية عن الحجر الاساسي ، فيه القوة و الصلابة.
273- التمهيد في علوم القرآن ، ج٦ ، ص ٣١٠ـ٣١٢.
274- جامع البخاري ، ج٩ ، ص ١٣٦.
275- مسند احمد، ج٣ ، ص ٣٨٧.
276- فتح الباري بشرح البخاري ، ج١٣ ، ص ٢٥٩.
277- تـركـنـا الـقـلـم هـنـا بيد الدكتور محمد بن محمد ابي شهبة في كتابه ((الاسرائيليات و 278- البقرة / ١٠٢.
279- الدر المنثور، ج١ ، من ص ٩٧ ـ ١٠٣ و تفسير ابن جرير، ج١ ، ص ٣٦٢ ـ ٣٦٧، ط بولاق 280- راوداها عن نفسها.
281- اي فعلا بها الفاحشة.
282- الزهرة ، كرطبة ـ يعني بضم الزاي و فتح الها ـ : نجم في السما كما في القاموس و غيره.
283- تـصـحـيح الحاكم غيرمعتد به ، لانه معروف انه متساهل في الحكم بالتصحيح ، كما قال ابن 284- الدر المنثور، ص ١٠١ و تفسير الطبري ، ج١ ، ص ٣٦٦.
285- بابل : بلد من بلاد العراق قرب الكوفة و الحلة.
286- الدر المنثور، ج١ ، ص ٩٧ و تفسير الطبري ، ج١ ، ص ٣٦٤ ـ ٣٦٥.
287- الموضوعات ، ج١ , ص ١٨٧.
288- روح المعاني ، ج١ ، ص ٣٤١.
289- لعله اراد به الضعيف ، و اعتبر ما روى مرفوعا ساقطا عن الاعتبار.
290- البداية و النهاية ، ج١ ، ص ٣٧.

291- تفسير الطبري ، ج١ ، ص ٣٦٣.
292- هو الحافظ ابن حجر، و تابعه السيوطي.
293- التحريم / ٦.
294- الانبيا/ ١٩ ـ ٢٠.
295- الانبيا/ ٢٦ ـ ٢٨.
296- راجع : تفسير البرهان للسيد هاشم البحراني ، ج١ ، ص ١٣٦ ـ ١٣٨ البقرة / ١٠٢.
297- لان تعلم السحر للعمل به كفر.
298- البقرة / ١٠٢.
299- تفسير ابن جرير، ج١ ، ص ٣٥٩ و ٣٦٠.
300- جمع مسخ ، اي الممسوخ من حالة الى حالة اخرى.
301- في القاموس ((الجريث كسكيت : سمك.((
302- الديوث : الذي لايغار على زوجته.
303- الدعموص ـ بضم الدال ـ : دويبة او دودة سودا، تكون في الغدران اذا اخذ ماؤها في 304- الدر المنثور، ج١ ، ص ١٠٢ و ١٠٣.
305- البقرة / ١٢٧.
306- الدر المنثور، ج١ ، ص ١٢٥ ـ ١٣٧.
307- صحيح البخاري ـ كتاب احاديث الانبيا ـ باب ((و اتخذ اللّه ابراهيم خليلا.((
308- و لاادري كيف يحجونه و لايعلمون مكانه ؟.
309- تفسير ابن جرير، ج١ ، ص ٤٢٨ و ٤٢٩.
310- الزاملة : البعير الذي يحمل عليه المتاع.
311- تفسير ابن كثير، ج١ ، ص ٣٨٣ و تفسير البغوي ، ج١ ، ص ١١٥ و فتح الباري ، ج٦ ، ص 312- 310البداية و النهاية ، ج١ ، ص ١٦٣ و ج٢ ، ص ٢٩٩.
313- البقرة / ٢٤٨.
314- في ((البغوي)) بالمعجمتين و الدال المهملة ، و في ((القرطبي)) بالمعجمة ثم ميم ثم سين 315- شديد المرور في غير استوا، و لاادري كيف يكون للريح راسان ، و وجه كوجه الانسان ؟.
316- التوبة / ٤٠.
317- الفتح / ٤.
318- الفتح / ٢٦.
319- البقرة / ٢٥١.
320- شي يقذف به كالمقلاع فلايخطئ هدفه.
321- ما يلبسه الملوك على رؤوسهم.
322- جمع سارية ، و هي العمود، اي انهم كالعمد الطويلة.
323- امعر : قليل الشعر، او نحيف الجسم ، و هذا من اكاذيب بني اسرائيل ، و رميهم الانبيا بابشع 324- البيضة : ما يلبسه المحارب على راسه ، و هذا من اكاذيبهم ، و تخريفاتهم ، و لاادري و لا 325- الغلفة ـ بضم الغين ـ : القطعة التي تقطع من الصبي عند الختان.
326- تفسير ابن كثير، ج١ ، ص ٣٠٣ و تفسير البغوى ، ج١ ، ص ٢٣٢ ـ ٢٣٣.
327- و يؤكد انه من الاسرائيليات ان هذا جله ماخوذ من التوراة : انظر التوراة ـ سفر صمويل 328- البقرة / ٣٦.
329- هذا ابن جرير، و قد شك في اللفظ الذي سمعه ممن اخذ عنه : اهو ذريته ام زوجته ؟ 330- و كيف و الملائكة لاتاكل و لاتشرب ؟.
331- و هي الانثى من الجمال البخت و الذكر البختى ، و هي جمال طوال الاعناق .

-332 هذا تهرب من الجواب ، و عجز عن تصحيح هذا الكذب الظاهر.
-333 تفسير الطبري ، ج١ ، ص ١٨٦ و ١٨٧.
-334 الدر المنثور، ج١ ، ص ٥٣.
-335 هو عمرو بن عبدالرحمان بن مهرب ، الراوي عن وهب.
-336 انظر التوراة ـ سفر التكوين ـ الاصحاح الثالث لتزداد يقينا انه من الاسرائيليات ، و ليس -337 المائدة / ٣١.
-338 تفسير الطبري ، ج٦ ، ص ١١٨، عند قوله تعالى في سورة المائدة : (و اتل عليهم نبا ابني -339 تفسير الطبري ، ج٦ ، ص ١٢٢ و الدر المنثور، ج٢ ، ص ٢٧٦ و ٢٧٧.
-340 الاسرائيليات و الموضوعات ، ص ١٨٣.
-341 تفسير الكشاف ، ج١ ، ص ٦٢٦.
-342 يس / ٦٩.
-343 روح المعاني ، ج٦ ، ص ١٠٣ و راجع : القرطبى ، ج٦ ، ص ١٤٠.
-344 المائدة / ٢٢.
-345 المائدة / ٢٣.
-346 تفسير الطبري ، ج٦ ، ص ١١٢، و الدر المنثور، ج٢ ، ص ٢٧٠.
-347 منهم من يقول : ابن عوق ، و منهم من يقول : ابن عنق كما ذكر ابن كثير، و في القاموس -348 : هود/ ٤٢ ـ ٤٣.
-349 الحجزة : موضع التكة من السروال.
-350 تاويل مختلف الحديث ، ص ٢٨٤ و روح المعانى ، ج٦ ، ص ٩٥.
-351 نوح / ٢٦.
-352 الشعرا/ ١١٩ ـ ١٢٠.
-353 هود/ ٤٣.
-354 تفسير ابن كثير، ج٢ ، ص ٣٨.
-355 المائدة / ٢٢.
-356 الاسرائيليات و الموضوعات ، ص ١٨٧.
-357 المن : شي كالعسل كان ينزل على الشجر من السما فياخذونه و ياكلونه ، و السلوى : طير -358 يريد بالكتاب الاول من ((مقدمته المشهورة)) و قد قسمها الى فصول.
-359 مقدمة ابن خلدون ، ص ٩ ـ ١١.
-360 المائدة / ١١٢ ـ ١١٥.
-361 سنن الترمذي ، ج٤ ، ص ٣٢٥.
-362 التصغير للتقليل هنا.
-363 احوات : جمع حوت ، في القاموس : الحوت : السمك ، جمعه : احوات ، و حوتة ، و حيتان.
-364 اي قشر، ففي رواية البغوي : ليس عليها فلوسها.
-365 اي الدهن لسمنها.
-366 قديد : اي لحم مجفف.
-367 لعل مراده سؤال تعنت ، و انهم لايريدون بالسؤال ان يطعمهم اللّه من رزقه و خيره.
-368 هذا مما يضعف القصة و يدل على الاختلاق ، و الا فكيف يطلبونها، ثم يمتنعون عن الاكل -369 , من القيلولة : الراحة وسط النهار.
-370 القرآن الكريم يدل دلالة واضحة على ان المائدة لم تنزل الا مرة واحدة ، و هذا يدل على -371 الغريب : ما تفرد به رواته في كل السند او بعضه ، و منه الصحيح ، و منه غير الصحيح و -372 تدريب الراوي ، ص ١٩٢.

373- انظر تفسير الطبري ، ج٧ ، ص ٧٨ و تفسير الدر المنثور، ج٢ ، ص ٣٤٦ و تفسير 374- تفسير القرطبي ، ج٦ ، ص ٣٧٢، ط الاولى.
375- هذه العبارة تطلق عند بعض المحدثين على ما هو موضوع و ليس من شك في ان رفع هذا 376- المائدة /١١٢.
377- الانفال / ١.
378- البقرة / ٢٦٠.
379- المائدة / ١١٤.
380- المائدة / ١١٥.
381- الاعراف / ١٤٣.
382- جمع ثور، و هذا من سؤ ادب بني اسرائيل مع الملائكة.
383- اللجب : تزاحم الاصوات و يقال لصهيل الفرس ايضا.
384- هو جبريل (ع.(
385- لاادري كيف يتفق هذا و ما ذكر من قبل من شدة خوفه و فزعه في المرات الخمس و هذا 386- و هذا تهافت آخر، و امارة من امارات الاختلاق ، اليس اللّه بقادر على حمايته من غير 387- تفسير البغوي ، ج٢ ، ص ١٩٥ ـ ١٩٨.
388- تفسير البغوي ، ج٢ ، ص ١٩٨.
389- تفسير الكشاف عند تفسير قوله تعالى : (و خر موسى صعقا)، ج٢ ، ص ١٥٥.
390- تفسير الالوسي ، ج٩ ، ص ٤٦، ط منير.
391- الاعراف / ١٤٥.
392- لم يخرج البغوي ـ كما هي عادته ـ الحديثين و لم يبرز سندهما، و قد ذكر الالوسي ان 393- الظاهر انها بضم البا و سكون الرا : الثوب المختط، و الا فلو كانت من برد ـ بفتح البا و 394- لاادري كيف يقبل عقل انها حمل سبعين بعيرا، و اذا لم يقراها الا اربعة ، فلماذا انزلها اللّه ؟ 395- تفسير الالوسي ، ج٩ ، ص ٥٦ و ٥٧، ط منير.
396- طرحها و القى بها.
397- الاعراف / ١٥٠.
398- تفسير ابن كثير، ج٢ ، ص ٢٤٨ و تفسير البغوى ، ج٢ ، ص ٢٠٢.
399- تفسير القرطبي ، ج٧ ، ص ٢٨٨.
400- الاعراف / ١٤٤ و ١٤٥ و ١٥٩.
401- الاعراف / ١٥٩.
402- تفسير الطبري ، ج٩ ، ص ٦٠.
403- بني اسرائيل / ١٠٤.
404- الاعراف / ١٥٩.
405- تفسير البغوي ، ج٢ ، ص ٢٠٦.
406- اي يعظمون السبت كاليهود.
407- تفسير الالوسي ، ج٩ ، ص ٨٤ و ٨٥.
408- الاعراف / ١٥٨.
409- ليجد فيها سكن النفس و طمانينة القلب.
410- اي : باشرها كما باشر الرجل زوجته.
411- الاعراف / ١٨٩ و ١٩٠.
412- تفسير الطبرى ، ج٩ ، ص ٩٧.
413- تفسير البغوي ، ج٢ ، ص ٢٢١.
414- تفسير القرطبي ، ج٧ ، ص ٣٣٨ و ٣٣٩.
415- الدر المنثور، ج٣ ، ص ١٥١.

416- تفسير الالوسي ، ج٩ ، ص ١٣٩ و ١٤٢.
417- تفسير القرطبي ، ج٧ ، ص ٣٣٨.
418- جرت عادة المحدثين ان يحذفوا من الاسانيد لفظ (قال) خطا، و لكنهم ينطقون بها عند 419- يعني ببقية السند المذكور اولا.
420- اى صحيح الاسناد على شرط البخاري و مسلم.
421- القائل : و حدثنا هو ابن جرير.
422- راجع الهامش السابق.
423- فيه اشارة الى قوله (ص) ((ما من مولود الا يولد على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه 424- , تفسير ابن كثير، ج٢ ، ص ٢٧٥ و تفسير البغوي ، ج٢ ، ص ٢٢١ و ٢٢٢.
425- الايل بضم الهمزة و كسرها، و اليا فيها مشددة مفتوحة : ذكر الاوعال ، و هو التيس الجبلي 426- بصيغة الامر.
427- قد تكلمنا عن هذا الحديث ، و انه من ضرب الامثال ، كناية عن توسعهم في الفساد و العيث في 428- لاموضع لهذا الترديد، بعد وضوح كونه اثرا مكذوبا محضا، حيث الانبيا معصومون لايحتمل 430- انظر تفاسير الكشاف ، ج٢ ، ص ١٨٦ و ١٨٧ و الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ، ج٧ 431- , لاندري باي رواية نصدق ، ابرواية ابن عباس هذه ، ام بالسابقة ، و هذا الاضطراب امارة 432- في القاموس : القير، و القار : شي اسود تطلى به الابل ، او هو : الزفت.
433- تفسير الطبري ، ج١٢ ، ص ٢١ ـ ٢٩، و الدر المنثور، ج٣ ، ص ٣٢٧ ـ ٣٣٥.
434- يوسف / ٤.
435- تصحيح الحاكم على شرط الشيخين.
436- و هناك بعض الاختلاف في الاسما و قد جات ثلاثة عشر، و الضيا و النور هما الشمس و 437- تفسير الطبري ، ج١٢ ، ص ٩٠ و ٩١ و الدر المنثور، ج٤ ، ص ٤.
438- تفسير ابن كثير، ج٢ ، ص ٤٦٨ و ٤٦٩.
439- ميزان الاعتدال ، ج١ ، ص ٢٦٨، ط السعادة.
440- يوسف / ٢٤.
441- الانفطار/ ١٠ و ١١.
442- يونس / ٦١.
443- الرعد/ ٣٣.
444- الاسرا/ ٣٢.
445- تفسير الطبري ، ج١٢ ، ص ١٠٨ ـ ١١٤ و الدر المنثور، ج٤ ، ص ١٣ و ١٤ و تفسير ابن 446- البقرة / ٢٨١.
447- الدر المنثور، ج٤ ، ص ١٤.
448- يوسف / ٢٤ قرئ في السبع بضم الميم و فتح اللام ، اي الذين اصطفاهم و اختارهم لنبوته و 449- يوسف / ٥١.
450- يوسف / ٣٢.
451- يوسف /٣٣ و ٣٤.
452- ص / ٨٢ و ٨٣.
453- قيل : كان رجلا عاقلا حكيما مجربا من خاصة الملك ، و كان من اهلها، و قيل : كان صبيا 454- يوسف / ٢٦ ـ ٢٨.
455- تفسير الطبري ، ج١٢ ، ص ١١٠.
456- تفسير البغوي ، ج٢ ، ص ٤٢٢.
457- تفسير الطبري ، ج١٢ ، ص ١٠٩ و ١١٠.
458- يوسف / ٥٢.
459- يوسف.51 /

460- يوسف / ٥٣.
461- يوسف / ٥٢ و ٥٣.
462- تفسير ابن كثير، ج٢ ، ص ٤٨١ ـ ٤٨٢ و راجع تفسير الماوردي ، ج٣ ، ص ٤٧ و المنار ,

تفسير البغوي ، ج٢ ، ص ٤١٩ -463- 464-.يوسف / ٤٢.
465- لاندري ما المناسبة بين نبي اللّه ، و بختنصر الذي اذل اليهود و سباهم ؟.
466- تفسير البغوي ، ج٢ ، ص ٤٢٨.
467- بعض المفسرين لايكتفي بالسبع بل يضم اليها خمسا قبل ذلك و لاادري ما مستنده في هذا؟ و ظاهر القرآن لايشهد له و لو كان كذلك لصرح به القرآن ، او لاشار اليه.
468- الضعيف جدا لايحتج به لا في الاحكام و لا في الفضائل ، فما بالك في مثل هذا؟.
469- لان المرسل احتج به بعض المحدثين اذا تضافر اما في مثل هذا الذي فيه ادانة بعض الانبيا ,و القا اللوم عليه فلا.
470- تفسير ابن كثير، ج٢ ، ص ٤٧٩.
471- الرعد/ ٢٩.
472- اي ابلا كراما.
473- الرحال : ما يوضع على البعير ليركب عليه.
474- البرك : الصدر.
475- تفسير الطبري ، عند تفسير هذه الاية ، ج١٣ ، ص ١٤٨ (ط٢)، الدر المنثور، ج٤ ، ص ٦٠.
476- تفسير ابن كثير، ج٢ ، ص ٥١٣ و تفسير البغوي ، ج٣ ، ص ١٨.
477- الاسرا/ ٤ ـ ٨.
478- الذي نرجحه ان العباد ذوي الباس الشديد الذين نكلوا بهم ، و اذلوهم ، و سبوهم , هم بختنصر و جنوده ، و ان الاخرين الذين اساواوجوههم ، و دخلوا المسجد الاقصى هم))طيطوس)) الروماني و جيوشه ، فقد اساموهم سؤ العذاب ، و تامل في قوله : ((و ان عدتم عدنا))فانه يدل على انهم سيعودون ثم يفسدون ، فيرسل اللّه لهم من يسومهم العذاب الوانا.
479- تفسير الطبري ، ج١٥ ، ص ١٦ ـ ٣٤.
480- تفسير البغوي ، ج٥ ، ص ١٤٤ ـ ١٥٤.
481- ج٤ ، ص ١٦٣ ـ ١٦٦.
482- تفسير الطبري ، ج١٥ ، ص ٢٩.
483- المراد انزل معناه لا لفظه ، فالتوراة لم تكن بالعربية ، ولا كان لسان موسى (ع) عربيا.
484- الاسرا/ ٤.
485- من المبالغات التي لاتصدق ، و كن على ذكر مما نقلناه عن العلامة ابن خلدون فيما سبق.
486- اي خافوا.
487- ج١٥ ، ص ١٨ ـ ٢١.

488- ج١٥ ، ص ٢٩ ـ ٣٣.
489- و اي جرم اعظم من ان ينسب هذا التخريف الى النبي (ص)؟.
490- مبالغات و اكاذيب تنزه رسول اللّه (ص) عنها.
491- في تفسير البغوي ((قاقس بن استيانوس.((
492- تفسير الطبري ، ج١٥ ، ص ١٧ ـ ١٨.
493- تفسير ابن كثير، ج٣ ، ص ٢٥ و تفسير البغوي ، ج٣ ، ص ٩٧ ـ ١٠٥.
494- الاسرا/ ٨.
495- الاعراف / ١٦٧.
496- تفسير الطبري ، ج١٥ ، ص ١٣٣ و ما بعدها.
497- الدر المنثور، ج٤ ، ص ٢١١ ـ ٢١٨.
498- نسبة الى انبج بلد تعرف بصنع الاكسية.
499- المطففين / ١٩ و ٢٠.
500- المطففين / ٨ و ٩.
501- الكهف / ٢٢.
502- تفسير ابن كثير عند قوله تعالى : (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم)، ج٣ ، ص ٧٨.
503- الكهف / ٨٣ و ما بعدها.
504- اى لان.
505- جامع البيان ، ج١٦ ، ص ١٤ ـ ١٨.
506- الدر المنثور، ج٤ ، ص ٢٤٢ ـ ٢٤٦.
507- تفسير ابن كثير، ج٣ ، ص ١٠٤ و تفسير البغوى ، ج٣ ، ص ١٧٨.
508- جامع البيان ، ج١٦ ، ص ٧ و ٨.
509- ج٤ ، ص ٢٤١.
510- تفسير ابن كثير عند تفسير قوله تعالى : (و يسالونك عن ذي القرنين)، ج٣ ، ص ١٠٠.
511- الكهف / ٩٤.
512- ج٥ ، ص ٢٥٠ و ٢٥١.
513- اللالئ المصنوعة في الاحاديث الموضوعة ، ج١ ، ص ١٧٣ فما بعد.
514- جمع مشيمة ، و هي ما ينزل مع الجنين حين يولد، و بها يتغذى في بطن امه.
515- يعنى يقول : ((ان شا اللّه)) لانها في معنى الاستثنا، يعني الا ان يشا اللّه تعالى.
516- النغف ـ محركة ـ : دود يكون في انوف الابل و الغنم ، واحده : نغفة.
517- اي تسمن سمنا.
518- الدر المنثور، ج٤ ، ص ٢٥١.
519- الكهف / ٩٧.
520- تفسير ابن كثير، ج٣ ، ص ١٠٥ و تفسير البغوي ، ج٣ ، ص ١٨٠ ـ ١٨٢.
521- تفسير ابن كثير، ج٣ ، ص ١٠٤.
522- النمل / ٤٤.
523- المراد : الموسى التي تزيل الشعر.
524- مادة يزال بها الشعر.
525- كذب ظاهر، كان النورة و الحمام لم يكونا الا لها، و كان سليمان (ع) لم يكن له هم الا ازالة شعر ساقيها، و هو تجن صارخ على الانبيا،و اظهارهم بمظهر المتهالك على النسا و محاسنهن ، فقبح اللّه اليهود.
526- الصرح : هو القصر المشيد المحكم البنا، المرتفع في السما، و الممرد

: الناعم الاملس القوارير : الزجاج الشديد الصفا.
527- تفسير ابن كثير، ج٣ ، ص ٣٦٦ و تفسير البغوي ، ج٣ ، ص ٤٢١ و ٤٢٢.
528- جمع آبدة ، و هي الامور المشكلة البعيدة المعاني ، و اصل الابدة : النافرة من الوحش التي يستعصى اخذها، ثم شبه بها الكلام المشكل العويص المعاني.
529- النمل / ٣٥.
530- اي خادم ، و خادمة.
531- انثى البغال.
532- البغل.
533- تفسير البغوي ، ج٣ ، ص ٤١٧ و ٤١٨.
534- تفسير ابن كثير، ج٣ ، ص ٣٦٣.
535- اضجعه على جبينه على الارض ، و للانسان جبينان و الجبهة بينهما.
536- الصافات / ٩٩ ـ ١١٣.
537- تفسير الطبري ، ج٢٣ ، ص ٥١.
538- تفسير البغوي ، ج٤ ، ص ٣٢.
539- تفسير الدر المنثور، ج٥ ، ص ٢٧٩ ـ ٢٨٤.
540- تفسير ابن كثير، ج٤ ، ص ١٧.
541- انظر اعلام المحدثين للاستاذ ابي شهبة.
542- تفسير الالوسي ، ج٢٣ ، ص ١٢٣.
543- تفسير ابن كثير، ج٤ ، ص ١٦ ـ ١٧.
544- و قد ذكرت القصة في التوراة في ١٤ فقرة ، فليرجع اليها من يشا لتكون لنا الحجة عليهم , من نفس كتابهم المقدس.
545- و يصدق هذا كتاب اللّه الشاهد على الكتب السماوية كلها، قوله سبحانه حكاية لمقالة ابراهيم ، و اسماعيل (ع) بعد ان بنيا البيت : (ربناو اجعلنا مسلمين لك و من ذريتنا امة مسلمة لك) و لو ان اليهود وعوا ما جا في التوراة و القرآن ، لعلموا انه ستكون امة لها شانها من نسل اسماعيل ، و لما حسدوا المسلمين على هذا الفضل.
546- اول مولود يولد للشخص راجع : تفسير ابن كثير، ج٤ ، ص ١٤.
547- هود/ ٧١.
548- الصافات / ١١٢.
549- الذاريات / ٢٨.
550- اي الجارية.
551- زاد المعاد، ج١ ، ص ١٣ ـ ١٤.
552- تفسير ابن كثير، ج٤ ، ص ١٨.
553- جامع البيان ، ج٢٣ ، ص ٥٤ ـ ٥٥.
554- الدرالمنثور، ج٥ ، ص ٢٨٠ و الكامل في التاريخ ج١ ص ١٠٨ ـ ١١١.
555- الصافات / ١٢٣ ـ ١٣٢.
556- هو الذي يقوم بخدمة الاصنام.
557- ما يلبسه المحارب.
558- يعني النفخة الاولى في الصور.
559- الدر المنثور، ج٥ ، ص ٢٨٠ و ٢٨١.
560- اكفلنيها : ضمها الي.
561- عزني : غلبني في القول لقوته ، وجاهه و ضعفي.
562- ص / ٢١ ـ ٢٥.
563- ج٥ ، ص ٣٠٠ ـ ٣٠٢.
564- كتاب داود(ع.(

565- صندوق فيه بعض مخلفات انبيا بني اسرائيل ، فكانوا يقدمونه بين يدى الجيش كي ينصروا.
566- هي هكذا في ((الدر المنثور)) و في تفسير البغوي و لعلها قطع.
567- تفسير البغوي ، ج٤ ، ص ٥٢ ـ ٥٩ و الدر المنثور، ج٥ ، ص ٣٠٠ ـ ٣٠١.
568- تهذيب التهذيب ، ج١١ ، ص ٣٠٩.
569- تفسير ابن كثير، ج٤ ، ص ٣١.
570- تفسير ابن كثير، ص ٣٢.
571- تفسير البغوي ، ج٤ ، ص ٥٧ ـ ٥٨.
572- الشفا بالتعريف بحقوق المصطفى ، ج٢ ، ص ١٥٨.
573- لان حد القذف لغير الانبيا ثمانين ، فراى (رض) تضعيفه بالنسبة الى الانبيا و في الكذب عليهم رمى لهم بما هم برا منه ، ففيه معنى القذف لداود بالتعدي على حرمات الاعراض و التحايل في سبيل ذلك.
574- راجع الطبرسي ، ج٨ ، ص ٤٧٢ و البحار، ج١٤ ، ص ٢٩ رقم٦.
575- ص / ٣٤.
576- المرحاض.
577- يباشرنا.
578- اخرجوها.
579- الدر المنثور، ج٥ ، ص ٣٠٩ ـ ٣١١.
580- الدر المنثور، ج٥ ، ص ٣١٠.
581- تفسير البغوي ، ج٤ ، ص ٦١ ـ ٦٤.
582- الشفا، ج٢ ، ص ١٦٢.
583- ج٤ ، ص ٣٥ ـ ٣٦.
584- يعني في كتابه ((المعجم الاوسط.((
585- اللالئ المصنوعة في الاحاديث الموضوعة ، ج٢ ، ص ٢٢١.
586- مجمع البيان ، ج٨ ، ص ٤٧٥.
587- ص / ٤١ ـ ٤٤.
588- الدر المنثور، ج٥ ، ص ٣١٥ و ٣١٦.
589- الانبيا/ ٨٣ و ٨٤.
590- تفسير البغوي ، ج٣ ، ص ٢٥٦ ـ ٢٦٤.
591- تفسير ابن كثير، ج٣ ، ص ١٨٨ ـ ١٩٠.
592- تفسير ابن كثير، ج٣ ، ص ١٨٩.
593- آل عمران / ١٨١.
594- المائدة / ٦٤.
595- الجذام : مرض من اخبث الامراض ، و اقذرها.
596- خيارهم و اكرمهم نسبا و عشيرة.
597- مجمع البيان ، ج ،٧٨.
598- الفجر/ ٦ ـ ٨.
599- جمع اهبه ، و الاهبة ـ بضم الهمزة ـ العدة كما في القاموس.
600- انظر الكشاف ، ج٤ ، ص ٧٤٨، عند تفسير هذه الاية ، و تفسير البغوي ، ج٤ ، ص ٤٨٢، و النسفي ، و الخازن عند تفسير هذه الاية.
601- الدر المنثور، ج٦ ، ص ٣٤٧.
602- اي لفظ، ارم ، بدل من عاد او عطف بيان.
603- تفسير ابن كثير، ج٤ ، ص ٥٠٧ ـ ٥٠٨.
604- الحاقة / ٦ ـ ٨.
605- الاعراف / ٦٩.

606- فصلت / ١٥.
607- حوالي ستة امتار او تزيد.
608- تفسير ابن كثير، ج٤ ، ص ٥٠٧.
609- الدر المنثور، ج٦ ، ص ٣٤٧.
610- الاسرا/ ١٢.
611- اللالئ المصنوعة في الاحاديث الموضوعة ، ج١ ، ص ٢٤ و ما بعدها.
612- مجمع الزوائد للهيثمي ، ج٨ ، ص ١٣١.
613- المخراق : خرق تفتل و يضرب به الصبيان بعضهم بعضا، و المراد هنا آلة تزجر بها الملائكة السحاب.
614- مجمع الزوائد، ج٨ ، ص ١٣٢.
615- ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، ج٣ ، ص ٣٣٥، ترجمة رقم ٢٨٦٦، ط السعادة.
616- ج٦ ، ص ٣٣٠، ط الهند.
617- الاصابة ، ج١ ، ص ٤٢٧، ترجمة ٢٢٥٨.
618- مجمع الزوائد، ج٨ ، ص ١٣٥.
619- الرعد/ ١٣.
620- ج٣ ، ص ٧٠.
621- الرعد/ ١٢ و ١٣.
622- تفسير الالوسي ، ج١٣ ، ص ١٠٦ و ١٠٧، ط منير.
623- سنن اللّه الكونية ، ص ١٥٨ ـ ١٦٠.
624- سنن اللّه الكونية ، ص ١٦٢.
625- ق / ١.
626- روح المعاني للالوسي ، ج٢٦ ، ص ١٢٠.
627- ابن كثير توفي سنة (٧٧٤ ه) و الالوسي توفي سنة (١٢٧٠ه.)
628- تفسير ابن كثير، ج٤ ، ص ٢٢١ و البغوي ، ج٤ ، ص ٢٢٠.
629- تفسير ابن كثير، ج٤ ، ص ٢٢١.
630- تحركت و مالت.
631- و الصحيح عندنا ـ على ما اسلفنا البحث فيه في التمهيد (ج٥ ص ٣٠٥ ـ ٣١٤) ـ : ان هذه الحروف المقطعة في اوائل السور، هي اشارات رمزية الى اسرار بين اللّه و رسوله ، و لم يهتد اليها سوى المامونين على وحيه و لو كان يمكن الاطلاع عليها لغيرهم لم تكن حاجة الى الرمزبها .نعم لايبعد اشتمالها على حكم و فوائد تزيد في فخامة مواضعها في مفتتحات السور، حسبما احتملته قرائح العلما، فيما ذكروه من فوائدو اللّه العالم بحقائق اسراره.
632- تفسير المنار، ج٣ ، ص ٢٩٨ ـ ٢٩٩.
633- التفسير و المفسرون ، ج١ ، ص ٢١٢ و ٢١٥.
634- البقرة / ٦.
635- الانفال / ٥٨.
636- تفسير الطبري ، ج١ ، ص ٨٦.
637- البقرة / ٧.
638- المطففين / ١٤.
639- تفسير الطبري ، ج١ ، ص ٨٧.
640- يوسف / ٤٩.
641- تفسير الطبري ، ج١٢ ، ص ١٣٨.
642- يقول الخوارزمي : بمل مولدي و بنو جرير ـــ فاخوالي ، ويحكي المر خاله . فها انا رافضي عن تراث ـــ و غيري رافضي عن كلاله . لكن ياقوت الحموي

يفند هذا الزعم ، يقول : و كذب ، لم يكن ابوجعفر رافضيا، و انما حسدته الحنابلة فرموه بذلك ، فاغتنمها الخوارزمي متبجحا به و كان سبابا رافضيا مجاهرا بذلك (معجم البلدان ، ج١ ، ص ٥٧.(

643- الشورى / ٢٣.

644- تفسير الطبري ، ج٢٥ ، ص ١٥ ـ ١٧.

645- الممتحنة / ١.

646- تفسير الكشاف ، ج٤ ، ص ٢١٩ ـ ٢٢٠.

647- راجع : مقدمة تفسير العياشي المطبوع ، و الذريعة للطهراني ، ج٤ ، ص ٢٩٥ و الكنى و الالقاب للقمي ، ج٢ ، ص ٤٩٠.

648- البقرة / ٢٣٨.

649- تفسير العياشي ، ج١ ، ص ١٢٧ ـ ١٢٨، رقم٤١٦ ـ ٤٢١.

650- تفسير العياشي ، ج٢ ، ص ٢٤٩ ـ ٢٥١، سورة الحجر، رقم٣٣ ـ ٤١.

651- نورالثقلين ، ج١ ، ص ٢ (مقدمة الكتاب.(

652- البقرة / ٢٦.

653- نور الثقلين ، ج١ ، ص ٣٧ ـ ٣٨.

654- نور الثقلين ، ج١ ، ص ٩١.

655- النسا/ ١.

656- الروم / ٢١.

657- الغرمول : الذكر.

658- راجع ـ مثلا ـ الجز الاول صفحات ٧٣و٧٩و٨٧و٩١، و هو كثير منتشر في الكتاب .

659- الدر المنثور، ج١ ، ص ٢.

660- الاتقان ، ج٤ ، ص ٢١٣ ـ ٢١٤.

661- تفسير الصافي ، ج١ ، ص ١٣٠، ذيل الاية رقم١٠٣ ، من سورة البقرة.

662- تفسير ابن كثير، ج١ ، ص ١٣٧ ـ ١٤١.

663- تفسير ابن كثير، ج١ ، ص ١٠٨ ـ ١١٠.

664- المصدر، ج٤ ، ص ٢٢١.

665- المقدمة لابن خلدون ، ص ٤٣٩ ـ ٤٤٠، الفصل الخامس.

666- تفسير البحر المحيط، ج١ ، ص ١٠.

667- راجع : وفيات الاعيان ، ج١ ، ص ٣٧ ـ ٣٨.

668- معجم الادبا، ج٥ ، ص ٣٧.

669- التفسير و المفسرون ، ج١ ، ص ٢٢٨ ـ ٢٣٥.

670- عند البحث عن صلاحية المفسر في الجز الاول ، ص ٦١ ـ ٩٦، و ما كاد يزله لو لم يتحذر.

671- الامالي للصدوق ، ص ٦، المجلس الثاني.

672- تفسير الطبري ، ج١ ، ص ٢٧.

673- علی ما ذکره الفاضل المقداد في مقدمة كتابه ((كنز العرفان)) ج١ ، ص ٥ لكن جا في فهرس آيات الاحكام لابن العربي انها نحو من ثمانمئة آية (ج٤ ، ص ١٩٩٤ ـ ٢٠٩٨) غير انا لو نظرنا الى القرآن من زاوية عنايته الخاصة بمسائل السياسة و الاجتماع ، و التي اغفلها السلف , واعتنى بها المتاخرون ، لارتفعت اعداد آيات الاحكام الى ما ينوف على الالفين آية.

674- الزخرف / ١٨.

675- البقرة / ١٨٧.

676- احكام القرآن للجصاص ، ج١ ، ص ٢٧٤ ـ ٢٨٥.

677- التفسير و المفسرون ، ج٢ ، ص ٤٤٠.

678- الفقه على المذاهب الاربعة ، ج١ ، ص ٥٥٨.
679- راجع : ابن رشد الاندلسي ، في بداية المجتهد، ج١ ، ص ٣٢٢.
680- راجع : الخلاف للشيخ الطوسي ، ج١ ، ص ٤٠٠، م٨٣.
681- البقرة .232 /
682- احكام القرآن للجصاص ، ج١ ، ص ٤٠٠.
683- النسا/ ٢.
684- النسا/ ٦.
685- احكام القرآن ، ج٢ ، ص ٤٩.
686- احكام القرآن ، ج٢ ، ص ١١٨.
687- راجع : المسالة (٢٨) من احكام المصاهرة ، من العروة الوثقى.
688- احكام القرآن للجصاص ، ج٣ ، ص ٤ ـ ٥.
689- الحج / ٣٩ ـ ٤١.
690- احكام القرآن للجصاص ، ج٣ ، ص ٢٤٦.
691- النور/ ٥٥.
692- احكام القرآن للجصاص ، ج٣ ، ص ٣٢٩.
693- الحجرات / ٩.
694- احكام القرآن للجصاص ، ج٣ ، ص ٤٠٠.
695- التفسير و المفسرون ، ج٢ ، ص ٤٤٣.
696- انه في اخريات حياته صانع حكومة مصر في مسالمتها مع اعدا الاسلام ، و من ثم اغتالته ايدي مسلمة مصر دفاعا عن حريم الاسلام وذلك في شعبان عام ١٣٩٧ ه الموافق ١٩٧٧ م و 1356ش.
697- المطففين / ١٥.
698- الدهر/ ٣٠.
699- احكام القرآن للشافعي (البيهقي)، ج١ ، ص ٤٠.
700- نوح / ١.
701- الاعراف / ٦٥.
702- الاعراف / ٧٣.
703- احكام القرآن للشافعي (البيهقي)، ج١ ، ص ٣١ ـ ٣٢.
704- العلق / ١٩.
705- مما اثبته الشافعي قبل اثر مجاهد.
706- الاسرا/ ١٠٧.
707- الاحزاب / ٥٦.
708- احكام القرآن ، ج١ ، ص ٧٠ ـ ٧٢.
709- السجدة / ٧ ـ ٨.
710- احكام القرآن ، ج١ ، ص ٨١ ـ ٨٢.
711- كيا : كلمة فارسية ، معناها : الكبير القدر، المقدم بين الناس.
712- التفسير و المفسرون ، ج٢ ، ص ٤٤٥.
713- المائدة / ٦.
714- النسا/ ٢.
715- احكام القرآن لابن العربي ، ج٢ ، ص ٥٦٢ ـ ٥٦٥.
716- البقرة / ٦٧.
717- المصحف : مجموعة صحائف تشرم : تشقق و تمزق.
718- احكام القرآن لابن العربي ، ج١ ، ص ٢٣.
719- النور/ ٣٦ ـ ٣٧.
720- الانعام / ١٦٢ ـ ١٦٣.

721- فقه القرآن ، ج١ ، ص ١١١.
722- المنة ـ بضم الميم ـ : القوة و الكلمة من الاضداد.
723- المائدة / ٥٥.
724- التبيان ، ج٣ ، ص ٥٥٩.
725- النسا/ ٨٣.
726- التبيان ، ج٣ ، ص ٢٧٣.
727- التوبة / ٤٠.
728- الكهف / ٣٧.
729- التبيان ، ج٥ ، ص ٢٢٠ ـ ٢٢٣.
730- البقرة / ٧.
731- التبيان ، ج١ ، ص ٦٣ ـ ٦٤.
732- البقرة / ١٨.
733- الاعراف / ١٩٨.
734- النسا/ ١٥٥.
735- التوبة / ٩٣ ـ النحل / ١٠٨ ـ محمد/ ١٦.
736- طه / ٨٥.
737- محمد/٢٣.
738- الانعام / ٢٥، الاسرا/ ٤٦، الكهف / ٥٧.
739- الصف / ٥.
740- التبيان ، ج١ ، ص ٨٨ ـ ٩٠.
741- يونس / ٧٤.
742- التبيان ، ج٥ ، ص ٤١٢.
743- التفسير و المفسرون ، ج٢ ، ص ١٠٤ ـ ١٠٥.
744- المائدة / ٥٥.
745- التفسير و المفسرون ، ج٢ ، ص ١٠٩.
746- معرفة علوم الحديث ، ص ١٠٢، للامام الحافظ الحاكم النيسابوري.
747- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج٨ ، ص ٣٣٣.
748- راجع : الغدير للعلامة الاميني ، ج٣ ، ص ١٥٧ رقم٦ و ١٦.
749- لباب النقول في اسباب النزول للسيوطي ص ١٠٧.
750- الغدير، ج٣ ، ص ١٥٦ ـ ١٦٢ و راجع تفسير ابي الفتوح ، ج٤ ، ص ٢٤٤ ـ ٢٥٧.
751- و نسبت هذه الابيات الى خزيمة بن ثابت ذي الشهادتين ايضا، و لعله الارجح غير ان المشهور نسبتها الى حسان ، راجع هامش ابن عساكر ـترجمة الامام (ع)، ج٢ ، ص ٤١٠.
752- احكام القرآن للجصاص ، ج٢ ، ص ٤٤٦.
753- شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ، ج١ ، ص ١٦١ ـ ١٨٤.
754- فضائل الخمسة ، ج٢ ، ص ١٣ ـ ١٩.
755- التفسير و الفسرون ، ج٢ ، ص ١٤٢ ـ ١٤٣.
756- عوالي اللئالي ، لابن ابي جمهور الاحسائي ، ج٤ ، ص ٧٧ رقم٦٧.
757- المصدر ، ج١ ، ص ٣٥٨ رقم٢٩ و ج٢ ص ٢٤١ رقم٩ و سنن ابن ماجة ، ج١ ، ص ٩٨.
758- راجع : فضائل الخمسة ، ج١ ، ص ٢٩٩ فما بعد.
759- التفسير و المفسرون ، ج٢ ، ص ١٢٨.
760- راجع : مجالس المؤمنين للقاضي التستري ، ج١ ، ص ٤٩٠.
761- البقرة / ٣٤.
762- راجع : تفسير ابي الفتوح ، ج١ ، ص ١٣٨.

763- راجع : التفسير الكبير، ج٢ ، ص ٢٣٧.
764- راجع : تفسير ابي الفتوح ، ج١ ، ص ١٣٩، و التفسير الكبير، ج٢ ، ص ٢٣٧ ـ ٢٣٨.
765- تفسير ابي الفتوح ، ج١ ، ص ٧٩و٨٠.
766- تفسير ابي الفتوح ، ج١ ، ص ٢٢٥.
767- المصدر، ج٢ ، ص ٤٨٤.
768- المصدر، ص ٤٧٧.
769- المصدر، ج١ ، ص ٢٥٥.
770- المصدر، ص ٢٤٠.
771- المصدر، ص ٢٤١.
772- المصدر، ص ٢٨٣.
773- المصدر، ص ٢٨٠.
774- الكلمة رقم٧٧ ، من قصار الكلم ـ نهج البلاغة.
775- تفسير ابي الفتوح ، ج١ ، ص ١٧٩.
776- البقرة / ١٤.
777- الصافات / ٦٥.
778- تفسير ابي الفتوح ، ج١ ، ص ٧٩ ـ ٨٠.
779- البقرة / ٦٧.
780- تفسير ابي الفتوح ، ج١ ، ص ٢٢٠.
781- البقرة / ٣٤.
782- تفسير ابي الفتوح ، ج١ ، ص ١٣٨ ـ ١٣٩ و راجع ايضا ج٤ ، ص ٢٣٣.
783- المستدرك ، ج٧ ، ص ٤٤٨، رقم ٨٦٢٥ و البحار، ج٢١ ، ص ١١٤.
784- البقرة / ٣.
785- النور/ ٥٥.
786- تفسير ابي الفتوح ، ج١ ، ص ٦٤.
787- راجع مباحثه عن ((الضلال و الاضلال)) ذيل تفسير قوله تعالى : ((يضل به كثيرا و يهدي به كثيرا و ما يضل به الا الفاسقين))، البقرة / ٢٦ راجع :التفسير ج١ ، ص ١١٤ ـ ١١٥.
788- البقرة /٣٤.
789- ابوالفتوح ، ج١ ، ص ١٣٥ ـ ١٣٦.
790- الكمي : البطل الكفي.
791- الاوابي : جمع آبية ، اي حصينة ممتنعة.
792- الجرد : الفرس القصار الشعر و هو من صفات حسنهن و الشعال : ما كان في اعالي ذيلهابياض و الزغف : السرد و المذال : الواسعة و السمر : جمع اسمر : القناة و العوالي : جمع عالية.
793- آساد : جمع اسد و الديس : الشجعان و الاشبال : جمع شبل ولد الاسد و الخيس : الغابة و الخميس : الجند عند ما تتهيا و تترتب للقتال.
794- العقاب : راية النضال و غيرآل : غيرمقصر.
795- الهامة : عظم فوق الراس و الشفرة : حد السيف.
796- بتكت : فرقت و ارغام الانف : تعفيره بالتراب.
797- الصمصامة : السيف الصارم.
798- راجع : تفسير ابي الفتوح ، ج٤ ، ص ٢٣٧ ـ ٢٤١.
799- تفسير ابي الفتوح ، ج١ ،، ص ٢٤٠، رقم ١.
800- المصدر، ج١ ، ص ١٤٩.
801- النكت و العيون ، ج١ ، ص ٢١.

802- النسا/ ٨٣.
803- النكت و العيون ، ج١ ، ص ٣٤.
804- محمد/ ٢٤.
805- وفيات الاعيان ، ج٤ ، ص ٢٤٩، رقم الترجمة٦٠٠.
806- الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة ، ج١ ، ص ٣٠٤.
807- كشف الظنون ، ج٢ ، ص ١٧٥٦.
808- عيون الانبا، ج٢ ، ص ١٧١ (الرازي مفسرا لمحسن عبدالحميد، ص ٥٢.(
809- التفسير و المفسرون ، ج١ ، ص ٢٩٢.
810- الواقعة / ٢٤.
811- راجع : التفسير الكبير، ج٢٩ ، ص ١٥٦.
812- التفسير و المفسرون ، ج١ ، ص ٢٩٢.
813- التفسير و المفسرون ، ج١ ، ص ٢٩٣.
814- الزمر/ ٢٢.
815- الانعام / ١٢٥.
816- راجع التفسير الكبير، ج٢٦ ، ص ٢٦٥ ـ ٢٦٦.
817- راجع : تفسير سورة الفاتحة ، ج١ ، ص ٢٠٤ ـ ٢٠٧ من التفسير الكبير.
818- التفسير الكبير، ج٣١ ، ص ٨٥.
819- التفسير الكبير، ج٣٢ ، ص ١٥٣.
820- المصدر، ص ١٢٤.
821- المصدر، ج١٠ ، ص ٥٣ ـ ٥٤.
822- التفسير الكبير، ج١٨ ، ص ٢١٢.
823- راجع : المصدر، ج١٢ ، ص ٢١و٢٩.
824- الاعراف / ١٥٨.
825- النور/ ٦٣.
826- آل عمران / ٣١.
827- الاحزاب / ٢١.
828- التفسير الكبير، ج٢٧ ، ص ١٦٥ ـ ١٦٦.
829- لسان الميزان ، ج٤ ، ص ٤٢٩.
830- الاكسير في علم التفسير للطوفي ، ص ٢٦ و اللسان ، ج٤ ، ص ٤٢٨.
831- راجع : رسالته الوجيزة ((توضيح المقاصد))، ص ٢٥، المطبوعة ضمن رسائل باسم))المجموعة النفيسة))، ص ٥٨٣، من مطبوعات مكتبة المرعشي بقم.
832- الاكسير في علم التفسير، ص ٢٦ ـ ٢٧ تحقيق عبد القادر حسين.
833- البقرة / ٦.
834- يس / ٧.
835- المدثر/ ١٧.
836- تبت /١.
837- الفتح / ١٥.
838- الاسرا/ ٩٤.
839- النسا/ ٣٩.
840- الانشقاق / ٢٠.
841- النسا/ ١٦٥.
842- طه / ١٣٤.
843- البقرة / ٢٨٦.
844- الحج / ٧٨.

845- الاعراف / ١٥٧.
846- راجع : التفسير الكبير، ج٢ ، ص ٤٢ ـ ٤٧.
847- الاعراف / ١٤ ـ ١٦.
848- سبا/ ٢٠.
849- الصافات / ١٦٢ ـ ١٦٣.
850- التفسير الكبير، ج١٤ ، ص ٣٩ ـ ٤٠.
851- النسا/ ١٦٣ ـ ١٦٥.
852- ابراهيم / ٢٢.
853- قال تعالى : (ان كيد الشيطان كان ضعيفا)، النسا/ ٧٦.
854- قال تعالى : (ان ربك هو القوى العزيز) ـ هود/ ٦٦.((
855- المجادلة / ٢١.
856- غافر/ ٥١.
857- البقرة / ١٢٤.
858- التفسير الكبير، ج٤ ، ص ٤٥ ـ ٥٠.
859- حول الاية رقم (٢٠) من سورة البقرة ، التفسير الكبير، ج٢ ، ص ١٠٥ ـ ١٠٦.
860- المصدر، ج٢ ، ص ١٠٦ ـ ١٠٩.
861- البقرة /١٨٥.
862- التفسير الكبير، ج٥ ,ص ٩٣.
863- البقرة / ٢٧٥.
864- البيضاوي ، ج١ ، ص ٢٦٧.
865- ابراهيم / ٢٢.
866- سبا/ ٢١.
867- كشف الظنون لحاجي خليفة ، ج١ ، ص ١٨٧.
868- المصدر، ص ١٨٨.
869- نسف معرب ((نخشب)) ببلاد السند، بين جيحون و سمرقند.
870- راجع : القصة في تفسير ابي السعود، ج٧ ، ص ٢٢٢.
871- البقرة / ١٥.
872- روح المعاني ، ج١ ، ص ١٤٨.
873- التفسير و المفسرون ، ج١ ، ص ٣٥٨.
874- الرازي مفسرا لعبدالحميد، ص ١٧٠.
875- شارك في حركة العراق الاستقلالية ضد الانجليز، في ثورة (١٩٢٠ م) الدامية.
876- الاية رقم ٥٧ من سورة النسا .لكن هنا للاستاذ الذهبي اساة تعبير بشان هذا المفسر الجليل ، ينبؤك عن خبث طوية يقول في صفاقته : ((و ينتهى تفسير البلاغي عند قوله تعالى : (ان الذين كفروا بياتنا سوف نصليهم نارا)(التفسير و المفسرون ، ج٢ ، ص ٤٤ .(و لعل القضا صب عليه البلا (عام ١٩٧٧ م) حيث هلاكه في شر قتلة مغبة تجاسره على امثال هذا العبد الصالح الذي قضى حياته في الدفاع عن حريم الاسلام لكن شيخنا البلاغي عمل عمله للّه , فكان مصداقا لقوله تعالى : (فاصدع بما تؤمر و اعرض عن المشركين اناكفيناك المستهزئين) (الحجر/ ٢٩٤.(
877- لدى رسالتان قيمتان فيما يخص مسائل الطب و القرآن الكريم ، احداهما : ((القرآن و الطب الحديث)) تاليف صديقنا الفاضل الدكتورصادق عبدالرضا علي ، طبعت في بيروت و الاخرى)) : مع الطب في القرآن الكريم)) تاليف الدكتورين عبدالحميد دياب و احمد قرقوز،طبعت في دمشق رسالة اعدت لنيل اجازة دكتورا في الطب.

878- الجواهر في تفسير القرآن ، ج١ ، ص ٢.
879- المصدر نفسه ، ص ٣.
880- الامر الذي جعل الحكومة السعودية ان اصدرت الامر بمصادرة الكتاب ، و عدم السماح بدخوله الى الحجاز يجد القارئ ذلك في نص الكتاب المرسل من المؤلف الى الملك عبدالعزيز آل سعود في الجزء٢٥، ص ٢٣٨.
881- الانعام / ٣٨.
882- النحل / ٤٤.
883- التفسير و المفسرون ، ج٢ ، ص ٥٥٤ ـ ٥٥٥.
884- منهج الامام محمد عبده ـ لشحاتة ـ المفسرون ، ص ٦٦٨.
885- راجع : الذهبي في التفسير و المفسرون ، ج٢ ، ص ٥٧٢.
886- تفسير المنار، ج١ ، ص ٢٦٧ ـ ٢٦٩.
887- تفسير المنار، ج١ ، ص ٢٨١ ـ ٢٨٢.
888- تفسير المنار، ج٣ ، ص ٢٩٨ ـ ٢٩٩.
889- راجع : الدر المنثور، ج٦ ، ص ٤١٧ و رواه البخاري و مسلم و ابن ماجة (روح المعاني , ج٣٠ ، ص ٢٨٢ ـ ٢٨٣.(
890- الفرقان / ٨.
891- ذكر ذلك في تفسيره لجز عم ص ١٨٥ ـ ١٨٦ و تعرض له في تفسير المنار، ج٣ , ص ٢٩١.
892- صحيح البخاري ، ج٧ ، ص ١٧٨ و مسلم ج٧ ، ص ١٤ فتح الباري ، ج١٠ ، ص ١٩٣.
893- راجع : تفسير المنار، ج٣ ، ص ٢٩٠.
894- التفسير و المفسرون ، ج٢ ، ص ٥٧٥.
895- راجع : المنار، ج٧ ، ص ٥١٢ ـ ٥١٣ ابراهيم / ٢٢.
896- الحجر/ ٤٢.
897- و قد انكر الشيخ الامام امكان استحواذ الشيطان على عباداللّه المخلصين راجع : المنار ,ج٣ ، ص ٢٩١.
898- تكلمنا عن ذلك في التمهيد (ج١ ، ص ١٦٣ ـ ١٦٩) عند الكلام عن سورتي المعوذتين.
899- تفسير المنار، ج٧ ، ص ٥١٦، التفسير و المفسرون ، ج٢ ، ص ٥٨٤.
900- تفسير المنار، ج٣ ، ص ٩٦.
901- راجع : محاسن التاويل ، ج١ ، ص ٣٣٧.
902- التفسير و المفسرون ، ج٢ ، ص ٥٩٠.
903- راجع : في ظلال القرآن ، ج١ ، ص ٢٦٠، ج٢ ، ص ٩٤.
904- الميزان ، ج١ ، ص ١٤ (ط طهران) و ص ١٦ (ط بيروت.(
905- الميزان ، ج٣ ، ص ٥٥.
906- النحل / ٨٩.
907- الميزان ، ج١ ، ص ٩.
908- الفرقان في تفسير القرآن ، ج١ ، ص ٣١.
909- من هدى القرآن ، ج١ ، ص ٥.
910- تفسير من وحي القرآن ، ج١ ، ص ٨.
911- رسالة القرآن ، العدد الرابع ، مقال : الملامح العامة لتفسير ((من وحي القرآن))، ص ٥٩.
912- الامثل ، ج١ ، ص ١١.
913- القيامة / ٢٢ـ٢٣.
914- القيامة / ١٢.

915- القيامة / ٣٠.
916- الشورى / ٥٣.
917- آل عمران / ٢٨، النور/ ٤٢، فاطر/ ١٨.
918- البقرة / ٢٤٥.
919- الشورى / ١٠.
920- تفسير الكشاف ، ج٤ ، ص ٦٦٢.
921- بهامش التفسير ج٤ ، ص ٦٦٢.
922- تفسير المراغي ، ج١٠ ، ص ١٥٢ ـ ١٥٣.
923- راجع : الطبري ، ص ٧٣ ـ ٧٥ و ابن كثير، ج٢ ، ص ٤١٤ و كذا القشيري ، ج٣ ، ص ٩١.
924- الغاشية / ١٧.
925- يس / ٤٩.
926- النمل / ٣٥.
927- راجع : كتاب ((الابانة)) لابي الحسن الاشعري ، ص ١٠ ـ ١٩ و ((اللمع)) له ايضا ص 61ـ ٦٨.
928- الشورى / ١١.
929- باب نفي الرؤية ، ص ٢٣٢ ـ ٢٧٧.
930- شرح تجريد العقايد للعلامة الحسن بن المطهر الحلي ، ص ١٦٣ ـ ١٦٥ ط بمباي.
931- الانعام / ١٠٣.
932- لقمان / ٣٤.
933- المائدة / ٦٧.
934- تفسير المنار، ج٩ ، ص ١٥٣.
935- المصدر، ص ١٣٤.
936- يس / ٤٩.
937- الاعراف / ٥٣.
938- البقرة / ٢١٠.
939- تفسير المنار، ج٩ ، ص ١٣٤.
940- راجع : التمهيد، ج٣ ، ص ٩٠ ـ ١١١.
941- فصلت / ١١.
942- هـو لـلقطامي ، و قيل : لذي الرمة و حس له حسا : رق له و عطف و الحس ايضا : العقل و الـتـدبـيـر و النظر في العواقب و الارفضاض :الترشرش و التناثر و احفظه احفاظا : اغضبه و الـكتائف جمع كتيفة ، و هي الضغينة و الحقد يقول : اخوك هو الذي لاتملك نفسه الرحمة ، بل يبذلها لك و يسرع اليك بغتة و تذهب ضغائنه.
943- الاحزاب / ٧٢.
944- خاس به يخيس و يخوس : غدر به خاس بالعهد، اذا نكث.
945- الكشاف ، ج٣ ، ص ٥٦٤ ـ ٥٦٥.
946- التفسير و المفسرون ، ج١ ، ص ٤٤٩.
947- الحشر/ ٢١.
948- الكشاف ، ج٤ ، ص ٥٠٩.
949- الحجر/ ٣٩ ـ ٤٠.
950- الكشاف ، ج١ ، ص ٣٥٦ ـ ٣٥٧.
951- الاية ٢٥٥.
952- الزمر/ ٦٧.

953- الكشاف ، ج١ ، ص ٣٠١.
954- الاية ١٧٢.
955- النحل / ٤٠.
956- فصلت / ١١.
957- هو لابي النجم العجلي . و النسع ـ بالكسر ـ : حزام عريض يشد به وسط الدابة و ستر الهودج . و الحق : فعل امر، اي التصق يا ظهر بالبطن وانضمر .و قدوما مصدر منصوب بمحذوف او بما قبله على انه مفعول له . و آض يئيض : صار يصير .و الفنيق : الفحل المنعم المكرم . و المحنق :المغيظ من الحنق ، و هو الغيظ.
958- ايضا لابي النجم . و قرقار: اسم فعل بمعنى قرقر، امر السحاب لتنزيله منزلة العاقل ، اي صوت بالرعد .و المقصود من الانكار: المواضع غيرالمعروفة ، اي سو بين الامكان المعهودة بالامطار و غيرالمعهودة.
959- الكشاف ، ج٢ ، ص ١٧٦ ـ ١٧٧.
960- التفسير و المفسرون ، ج١ ، ص ٤٥٢.
961- الانعام / ١٣٧.
962- الزج : الطعن و المزجة : الرمح القصير لانه آلة للزج و القلوص : الناقة الشابة ، و هو مفعول فاصل بين المضاف و المضاف اليه.
963- الكشاف ، ج٢ ، ص ٧٠.
964- هو عبدالله بن عامر اليحصبي قارئ الشام ، توفي سنة (١١٨) كان خامل النسب خامل الذكر، لم يعرف نسبه كما لم يعرف له شيخ ، تعلم القراة عفوا، و قد كرهه الناس و كرهوا قراته , كان يؤم الناس بالمسجد الاموي ، فلما استخلف سليمان بن عبدالملك بعث الى مهاجرو قال : قف خلف ابن عامر فاذا تقدم فخذ بثيابه و اجذبه ، فلن يتقدم منا دعى ، و صل انت يا مهاجر، ففعل راجع : التمهيد، ج٢ ، ص ١٨٦، وطبقات الفرا، ط٣، رقم٨.
965- و قد تكلمنا عن القرات السبع و انها غيرمتواترة ، و انما هي اجتهادات للقرا، لا حجية فيها ذاتية في سوى قراة عاصم برواية حفص ،فانها لوحدها القراة المتواترة التي توارثها المسلمون من رسول الله (ص) و لا حجية في غيرها اطلاقا راجع : التمهيد، ج٢ ، ص ٦٠ ـ ٨٤،مبحث القرا و القرات.
966- هامش الكشاف ، ج٢ ، ص ٦٩.
967- تفسير ((البحر المحيط)) لابي حيان ، ج٤ ، ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠.
968- بنقل الشيخ يوسف البحراني في الكشكول ، ج٣ ، ص ٣٣٩.
969- روح المعاني ، ج٨ ، ص ٣٣.
970- فصلت / ١٧.
971- الكشاف ، ج٤ ، ص ١٩٤.
972- الشمس / ٩ ـ ١٠.
973- ورك فلان ذنبه على غيره ، اذا قرفه به ، اي اتهمه به ظلما.
974- الكشاف ، ج٤ ، ص ٧٦٠.
975- الاية ١٠٥.
976- الكشاف ، ج١ ، ص ٣٩٩.
977- الاية ٣٩.
978- الكشاف ، ج٢ ، ص ٣٤٧ ـ ٣٤٨.
979- آل عمران / ١٨.
980- الكشاف ، ج١ ، ص ٣٤٤ ـ ٣٤٥ و راجع : التفسير و المفسرون ، ج١ ، ص ٤٦٥ ـ ٤٦٧.
981- الاعراف / ١٤٣.
982- لانهم قالوا : انه يرى بلاكيف ، اي لاتسال عن كيفية رؤيته تعالى و البلكفة

مخففة ذلك و عد الـزمـخـشـري ذلـك ذريـعة للتخلص من مازق القول بالجسمية و القول بالجهة ، فهو من منصوبات اشياخهم ، اي شبكات يتصيدون بها الضعفا.
983- اي موضوع عليها الاكاف و هي البرذعة و هي بمنزلة السرج للفرس.
984- تفسير الكشاف ، ج٢ ، ص ١٥٢ ـ ١٥٦.
985- هامش تفسير الكشاف ، ج٢ ، ص ١٥٦.
986- الكنى و الالقاب للقمي ، ج١ ، ص ٥٩ ـ ٦٠.
987- مقدمة تفسير البحر المحيط، ج١ ، ص ٤ ـ ٥.
988- معاني القرآن ، للفرا، ج١ ، ص ٩ ـ ١٤.
989- جا ذكر هؤلا الثلاثة في الذريعة للطهراني ، ج٢١ ، ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦، رقم ٤٦٣٢ و ٣٣ و 34.
990- تاريخ بغداد، ج١٢ ، ص ٤٠٥.
991- راجع : ملحق الكتاب ، برقم ٥، ص ١٠٩٦ ـ ١٠٩٩.
992- مشكل اعراب القرآن لمكي ، ج١ ، ص ٦٣ ـ ٦٤.
993- التمهيد في علوم القرآن ، ج٥ ، ص ١٠٨ ـ ١٣٠.
994- و اخيرا قام بتحقيقه و تنميقه زميلنا الفاضل السيد محمدجواد الجلالي و طبع طبعة انيقة.
995- الكنى و الالقاب للقمي ، ج١ ، ص ٣٣٢.
996- راجع : التفسير و المفسرون ، ج٢ ، ص ١٨٧.
997- تفسير القرآن ، سيد عبداللّه شبر، ص ٣٨.
998- تفسير شبر، مقدمة الدكتور حامد حفني داوود.
999- مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل ، ج١ ، ص ٣.
1000- مقدمة النهر الماد، بهامش البحر المحيط، ج١ ، ص ٤ ـ ١٠.
1001- الـصوفية ، نسبة الى الصوف : اسم رمزي لفئات جعلت شعارها التقشف في الحياة و التزهد عـن مـبـاهـجها، و منه الاجتزا بلبس الصوف بدلامن فاخر الثياب ، كناية عن الاعراض عن مطلق الـتـرفه في الحياة و كان من مبتدعاتهم ان جعلوا ((الطريقة)) في مقابلة ((الشريعة))، فزعموا :مـن اهل الشريعة هم اهل الظواهر، و اهل الطريقة هم اهل البواطن ، و حسبوا من انفسهم الجمع بـيـن الطريقة و الشريعة ، و لكن مفضلين الطريقة على الشريعة ، زعما بان الاصل هو الباطن ، و ان الظاهر عنوان الباطن . و قد تسربت النزعة الصوفية الى بعض اوساط الخواص ، حاملة اسم ((العرفان)) كانت طريقتهم فـي الـسلوك و العرفان امتن و ادق ظرافة من طرائق العامة ، و كانت تاويلاتهم لظواهر الكتاب و السنة اقرب و اضبط .و لكلا الطائفتين تفاسير مبتنية على اساس التاويل ، كل على شاكلته ، سوف نتعرض الى امثلتها ان شا اللّه.
1002- لطائف الاشارات ، ج١ ، ص ٥٦.
1003- المصدر، ص ٦٤ ـ ٦٥.
1004- لطائف الاشارات ، ج١ ، ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠.
1005- لطائف الاشارات ، ج٢ ، ص ٥ ـ ٦.
1006- المصدر، ج٢ ، ص ٩١.
1007- المصدر، ج٤ ، ص ٣٣٩.
1008- وزيـر الاقـتصاد و التجارة الخارجية بمصر، له تعريف بتفسير القشيري اثبته في مقدمة الكتاب.
1009- شرح العقائد النسفية ، ص ١٢٠ (ط كابل.(
1010- مقدمة تفسير القشيري ، ج١ ، ص ٤ ـ ٦.
1011- التفسير و المفسرون ، ج٢ ، ص ٣٣٩.
1012- المصدر، ص ٣٥٢.

[1013-] النور/ ٣٩.
[1014-] جمعه محمود الغراب من علما دمشق المعاصرين حسبما نذكر.
[1015-] تفسير التستري ، ص ٣.
[1016-] المصدر، ص ٩ ـ ١٢.
[1017-] حقائق التفسير للسلمي ، ص ٩.
[1018-] البقرة / ٣٥.
[1019-] تفسير التستري ، ص ١٦ ـ ١٧.
[1020-] النسا/ ٣٦.
[1021-] تفسير التستري ،ص ٤٥.
[1022-] الروم / ٤١.
[1023-] تفسير التستري ، ص ٤٥ و راجع : الذهبي ، ج٢ ، ص ٣٦٥.
[1024-] حقائق التفسير للسلمي ، ص ١ ـ ٢.
[1025-] هو الامام الحافظ العلا مة شيخ الاسلام في قطره و عصره ، تقي الدين ابوعمرو عثمان بن المفتي صلاح الدين عبدالرحمان الكردي الشهرزوري الموصلي ولد سنة (٥٧٧ ه) و توفي سنة 643)هـ) بدمشق ، و دفن بمقبرة الصوفية ، و كان قبره ظاهرا يزار (سير اعلام النبلاللذهبي , ج٢٣ ، ص ١٤٠، رقم ١٠٠.(
[1026-] التوبة / ١٢٣.
[1027-] فتاوي ابن الصلاح ، ص ٢٩ (الذهبي ، ج٢ ، ص ٣٦٨.(
[1028-] تاريخ بغداد، ج٢ ، ص ٢٤٨.
[1029-] منهاج السنة ، ج٤ ، ص ١٥٥.
[1030-] تذكرة الحفاظ، ج٣ ، ص ١٠٤٦.
[1031-] سير اعلام النبلا، ج١٧ ، ص ٢٥٢.
[1032-] طبقات المفسرين للسيوطي (ط ليدن) ص ٣١.
[1033-] طبقات المفسرين للداوودي ، ج٢ ، ص ١٣٩.
[1034-] النسا/ ٦٦.
[1035-] تفسير السلمى (حقائق التفسير)، ص ٤٩.
[1036-] الرعد/ ٣.
[1037-] تفسير السلمي ، ص ١٣٨.
[1038-] الحج / ٦٣.
[1039-] تفسير السلمي ، ص ٢١٢.
[1040-] الرحمان /١١.
[1041-] تفسير السلمي ، ص ٣٤٤.
[1042-] الانفطار/١٣ ـ ١٤.
[1043-] تفسير السلمي ، ص ٣٨٥.
[1044-] النصر/ ١.
[1045-] تفسير السلمي ، ص ٤٠٢.
[1046-] الرسالة القشيرية ، ص ٤٦ و راجع : مقدمة تفسير القشيري ، ج١ ، ص ١٨.
[1047-] البقره / ١٢٥.
[1048-] التلوين و التمكين لفظان اصطلاحيان : التلوين صفة ارباب الاحوال ، و التمكين صفة اهل الحقائق فمادام العبد في الطريق فهو صاحب تلوين ، لانه يرتقي من حال الى حال ، و ينتقل من وصف الى وصف ، و هو ابدا في الزيادة اما صاحب التمكين فوصل ثم اتصل ، و امارة انه اتصل انه بالكلية عن كليته بطل ، و التغيير بما يرد على العبد اما لقوة الوارد او لضعف صاحبه ، و السكون اما لقوته او لضعف الوارد عليه (الرسالة القشيرية ، ص ٤٤.(

1049- لطائف الاشارات ، ج١ ، ص ١٣٦.
1050- المائدة / ٩٤ـ٩٥.
1051- المائدة / ٩٦.
1052- لطائف الاشارات ، ج٢ ، ص ١٤٣ـ١٤٤.
1053- كشف الاسرار و عدة الابرار، ج١ ، ص ١.
1054- راجع : تذكرة الحفاظ للذهبي ، ج٣ ، ص ١١٨٣، رقم١٠٢٨ و سير اعلام النبلا، ج١٨ , ص ٥٠٣، رقم٢٦٠.
1055- راجع : مقدمة التفسير بقلم الدكتور على اصغر حكمت .

راجع : لغت نامه دهخدا حرف الرا، نقلا عن تاريخ ادبي ايران لادوارد براون ذيل
1056-صفحه٣٧٥ و هكذا تاريخ ادبيات ايران للدكتور صفا،ج٢ ، صص ٢٥٧ و ٨٨٣ و ٩٣٠ و ٩٣٢.
1057- البقرة / ٤٠.
1058- غافر/ ٦٠.
1059- البقرة / ١٥٢.
1060- الزمر/ ١٧.
1061- سبا/ ٣٩.
1062- العنكبوت / ٦٩.
1063- النسا/ ١١٠.
1064- ابراهيم / ٧.
1065- البقرة / ٤٠.
1066- كشف الاسرار، ج١ ، ص ١٧٦.
1067- البقرة / ٤٠.
1068- قال شيخ الطريقة : الهي ، لاشغل الا لمن كان شغله معك و لا ناصر الا من كان ناصره مثلك و من كان له مثلك في الدارين فلن يدعك و العجب ان من كان له مثلك كان اكثرهم انيناو و يئن من لم يجدك بسبب عدم الكشف ، اما الذي وجدك فلم يئن و يندب ؟ من كان معينه مثلك و شكا فقد ظلم و جفا) .كشف الاسرار، ج١ ، ص ١٧٥.(
1069- الذي قال : (و اياي فارهبون) (البقرة /٤٠) هو الذي قال (و اياي فاتقون) (البقرة /٤١ .(الرهبة و التقوى ، منزلتان من منازل الخائفين و الخائفون في طريق الدين على ست طوائف : التائبون العابدون الزاهدون العالمون العارفون الصديقون . اما التائبون فعلى خوف ، كما قال تعالى : (يخافون يوما تتقلب فيه القلوب و الابصار) (النور/٣٧ .(و العابدون على وجل : (الذين اذا ذكر اللّه وجلت قلوبهم) (الحج /٣٥ .(و الزاهدون على رهبة : (يدعوننا رغبا و رهبا) (الانبيا/٩٠ .(و العالمون على خشية : (انما يخشى اللّه من عباده العلما) (فاطر/٢٨ .(و العارفون على اشفاق : (ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون) (المؤمنون /٥٧ .(و الصديقون على حذر: (و يحذركم اللّه نفسه) (آل عمران /٢٨.(
1070-)) مه)) ـ بكسر الميم ـ بمعنى الكبير و يقابله ((كه)) بمعنى الصغير.
1071- فصلت / ٣٠.
1072- اما الخوف الذى يمثل خوف التائبين و المبتدئين ، فهو طوق الايمان ، و

بلم المؤمن و سـلاحه و من لا خوف له لا ايمان له ، اذ لا مامن هناك ومن كان له خوف فايمانه بمقدار خوفه و اما الـوجـل ، فـهـو خوف اولى البصائر، ينقذهم من الغفلة ، و يفتح لهم باب الاخلاص ، و يقصر الامل , والـرهـبـة اكـبر من الوجل كما ان الوجل اكبر من الخوف ان الرهبة تذهب بعيش المر و تجعله وحيدا، تفصله عن الدنيا و هو في الدنيا هذاالخائف يجد نفسه كلها غرما، و كلامه برمته شكوى ، و عمله جميعه جرما فهو تارة كالغريق يستصرخ ، و اخرى كالنادب يضرب على راسه وثالثة كالعليل يتاوه . و الاشفاق وليد هذه الرهبة ، التي هي خوف العارفين ، ذلك الخوف لايضع حجابا يحول دون الدعا، و لا قـيدا يحول دون فراسة النفس ، ولا حاجزا يحول دون الرجا انه خوف ممض قاتل ، و لولا قوله تعالى : (الا تخافوا و لا تحزنوا و ابشروا) لما قر له قرار .و قـد يـحـرق هذا الخائف حينا، و قد يشفق عليه حينا آخر و قد يقتل و قد يدعى فلا من الحرق يتاوه و لا من القتل يتوجع : كم تقتلوننا و كم نحبكم يا عجبا كم نحب من قتلا.

1073- الاعراف / ١٤٣.

1074- تاتي الهيبة بعد الاشفاق ـ و هي خوف الصديقين ـ ذلك الخوف المنبعث عن معاينة ، و غيره مـنـبـعـث عن خبر يتالق في القلب ، لاالجسم يتحمل ذلك الخوف و لا الروح تطيقه كي تبقى معه و الاكثر انه يتفق حين الوجد و السماع ، كما اتفق للكليم (ع) في جبل طور (و خرموسى صعقا) فلا تقل : انها هيبة عن تهديد، و انما هي عن معرفة الجبار جل عزه . لو كشفت ذرة عن عين عيان لا القلب ينجو، لا الروح ، لا الكفر و لا الايمان.

1075- كشف الاسرار، ج١ ، ص ١٧٧ـ١٧٨.

1076- البقرة / ١١٢.

1077- ص / ٤٦.

1078- ص / ٢٥ الـعـمل عمل المخلصين ، و الدولة دولة الصادقين ، و السيرة سيرة المطهرين و الـنـقد هو ما كان في ايديهم و هم اليوم على اريكة الخدمة يعلوهم نور المعرفة ، و غدا على اريكة الـصـحـبـة مـنعمين بسرور الوصل ((انا اخلصناهم بخالصة)) اي : طهرناهم و اخرجنا لهم من يـوتقه الاختبار الخالص ؟ كي يتاهلوا للمثول امام اللّه تعالى ((ان اللّه طيب لا يقبل الا الطيب))، اذ لا يـليق بساحة الطهارة الا من كان طاهرا في قوله وعمله و يطهر بذلك العمل الطاهر الطيب فلا تـجـده فـي هـذه الـدنيا و لا في دار العقبى ، حتى يصل الى ساحة قدس طهارته جل جلاله (و ان له عندنا لزلفى و حسن مب.(

1079- هـو مـن الطبقة الثالثة ، و اسمه احمد بن نصر، هو من مشايخ الصوفية بمصر، و كان في طـبـقة الجنيد البغدادي و من اصحابه ، و يلقب بالكبيراما الزقاق الصغير فهو بغدادي تلميذ الزقاق الـكـبـيـر راجـع : نـفـحـات الانس للمولى عبدالرحمان بن احمد الجامي ، ص ١٧٦ـ١٧٧ و لما توفي الزقاق الكبير قال الكتاني بشانه : ((انقطعت حجة الفقرا في ذهابهم الى مصر.((

1080- هـو ابـوالـقـسـم سـعـيد بن محمد بن الجنيد القواريري البغدادي ، ملقب بسلطان الطائفة الصوفية ، كان شيخ وقته و فريد عصره في الزهدو التصوف ، مات ببغداد سنة (٢٩٧ ه.(

1081- اسـمـه ثـوبان بن ابراهيم كان ابوه نوبيا من موالي قريش هو من الطبقة الاولى من مشايخ الصوفية بمصر، توفي سنة (٢٤٥ ه.(

1082-)) علاقة من اودعته هذه الوديعة (السر الالهي) ان يتساوى عنده مدح الاخرين و ذمهم و يرى الدعا له و عليه سيين لا يسره ذلك و لايحزنه هذا)) كما كان النبي المصطفى٦ ليلة القرب و الـكـرامـة ، اذ تـغـنى عالم الخليقة كله بميثاق مكنته ، و هو٦ ينظر بطرف خفى ، ويقول : انتم ايها الـمـقـربـون ، تقولون : ((السلام على النبى الصالح الذي هو خير من في السما و الارض)) و انا انتظر

الاشخاص الى بوابة جفاابي جهل ، كي يقول لي : ايها الساحر، ايها الكذاب حتى اذا اختبرنا در))خير من في السما و الارض)) بمسبار النقد، توجنا بدرة ((الساحرالكذاب)) فاذا لم يتكافا عندنا الامران معا، رفعنا قبعة الدعوى هذه من رؤوسنا اذهب فانك في قيد النعوت ما قبئت لعشق نفسك و ان كان عزالمنبر احلى لك من ذل الاعواد و من كان كذلك فهو ((مخلص)) لا))مخلص))، كما قال ابوبكر الزقاق ((فيكون مخلصا لا مخلصا .((و المخلص غريق في بحر الاخطار، و قد حاقت به الحيتان المرعبة من كل جانب ، و هو يشق عباب البحر خائفا حتى يصل الى ساحل الامن ، و كيف يصل ؟ و متى يصل ؟ من هنا قال اكابر السلف :))و المخلصون في خطر عظيم)) اما ((المخلص)) فهو الواصل الى مرفا الامن.

1083- مريم / ٥١.

1084- قرا اهل الكوفة بفتح اللام ، و الباقون بالكسر و الاولى هي المشهورة المعهودة لدى المسلمين ، و الاستدلال في المتن بكلتا القراتين ، مبني على حجية القرات اجمع ، حتى مع التعارض , قياسا على مختلف الروايات لكنا لانقول بذلك حتى في متعارض الروايات فضلا عن القرات ، و ان الحجة واحدة ، و هي قراة حفص و من تبعه من الكوفيين راجع : التمهيد، ج٢ ، ص ١٦١ـ١٦٦ ,مباحث القرات . ـ١٠٨٥ ((بستاخ)) على وزان بستان ، بمعنى الجرئ اي العارف المقدام و هو بالفارسية بمعنى))گستاخ.((

1086- هو ابوبكر دلف بن جحدر الخراساني البغدادي تولد في سامرا و نشا في بغداد صاحب جنيد و الحلا ج و خير النساج كان من كبارمشايخ الصوفية ، توفي ببغداد سنة (٣٣٤ ه) و دفن بمقبرة الخيزران.

1087- انه تعالى قد وسم نبيه موسى (ع) بكلتا السمتين : ((انه كان مخلصا و كان رسولا نبيا))قرئت الاية بكسر اللام و بفتحها ان قراتها بالكسر، فهومستهل امره و ان قراتها بالفتح فهو ختام امره لقد كان مخلصا حين حظى بمقام النبوة و شملته العناية الربانية كان مخلصا حين بلغت نبوته ذروتها و تشرف و بساحة العزة مقداما و هذه هي حالة من انتهج منهج الحق لينال مرتبة الوصل بالحق في نهاية المطاف و شتان ما بين موسى و نبينا المصطفى محمد(ص) الذى نال مرتبة الوصل و اعتصم بحبل الحق قبل ان يخلق آدم (ع)كما قال (ص): ((كنت نبيا و آدم مجبول في طينته .((من هنا قال ((الشبلي)): لكل امرئ في القيامة خصيم ، و خصيمي فيها آدم (ع) اذ عرقل طريقي , لاضل راسبا في وحله . قال شيخ الاسلام الانصاري (ره): او تدري متى يبلغ المحقق الحق ؟ ذاك حينما ينحدر سيل الربوبية ، و يرتفع غبار البشرية ، و تزدادالحقيقة ، و تقل الاعذار، فلا الجسم يبقى و لا القلب ، و لا الروح الصافية الخالصة من الما و الطين ، و لا النور الممتزج بالتراب ، و لا التراب الممتزج بالنور .فالتراب يصير مع التراب ، و النور مع النور، و اللسان يصبح ذكرا في الراس ، و الذكر مذكورا في الراس القلب ينطبع في الراس ، و الانطباع ينقلب في الراس نورا الروح تتجلى في الراس ، و التجلي بعيد عن البيان . فلو كنت ترجو ذلك اليوم فانخلع من نفسك ، كما تنخلع الحية من جلدها، و دع ذاتك اذ الانتساب اليها مشين ، كما قال الشاعر الشهم : لا عشق للّه في قلب ما انفك حبيس صفاته لم يتيسر الحظ من ملك المعاني لاحد من العشاق بدون زوال ملك الصور) .كشف الاسرار، ج١ ، ص ٣٢٧ـ٣٢٩.(

1088- البقرة / ١١٢.

1089- انما المخلص من استقام امر نبوته ، و بلغه ندا الربوبية ، و المخلص من ارتقت درجة نبوته و كملت معرفته.

1090- عبدي مجدني و نزه مقامي عبدي اعتمد على و وكل امره الى ، و علم اني بالغ به امره.

1091- البقرة / ٢٢.

1092- النازعات / ٢٨.
1093- البقرة / ٦٥.
1094- البقرة / ١٢٦.
1095- طه / ١٢.
1096- آل عمران / ١٣٥.
1097- البقرة / ٢٥٣.
1098- راجـع : رحـمة من الرحمان في تفسير و اشارات القرآن ، تاليف محمود محمود الغراب , ج١ ، ص ٣٧٨.
1099- راجع : المقدمة ، ص ٥.
1100- تفسير المنار، ج١ ، ص ١٨.
1101- كشف الظنون ، ج١ ، ص ١٨٧.
1102- مقدمة رحمة من الرحمان ، ج١ ، ص ٤.
1103- التفسير المنسوب الى ابن عربي ، ج٢ ، ص ٢٢٨.
1104- راجع : الذهبي ،التفسير و المفسرون ، ج٢ ، ص ٤٣٦ـ٤٣٨، ط بيروت.
1105- الاية / ١٩١.
1106- تفسير ابن عربي ، ج١ ، ص ٢٤١ ـ ٢٤٢.
1107- الاية / ٥٧.
1108- تفسير ابن عربي ، ج٢ ، ص ٥٩٣.
1109- الاية / ٤.
1110- تفسير ابن عربي ، ج٢ ، ص ٥٩٩.
1111- الاية / ٧.
1112- تفسير ابن عربي ، ج٢ ، ص ٦١٢.
1113- الاية / ٨ و ٩.
1114- تفسير ابن عربي ، ج٢ ، ص ٧٢٠ ـ ٧٢١.
1115- فصلت / ٥٣.
1116- راجع : الفتوحات المكية ، ج١ ، ص ٢٧٩.
1117- القلم / ١.
1118- الفتوحات المكية ، ج١ ، ص ٢٩٤ ـ ٢٩٥.
1119- الفتوحات المكية ، ج١ ، ص ٥٣ ـ ٥٤.
1120- الانفطار/ ١١ ـ ١٢.
1121- الكهف / ٤٩.
1122- يس / ١٢.
1123- الواقعة / ٧٨.
1124- عبس / ١٣ ـ ١٥.
1125- يس / ١٢.
1126- الفتوحات المكية ، ج٣ ، ص ٢٢١.
1127- رحمة من الرحمان ، للغراب ، ج٤ ، ص ٣٦٤ نقلا عن ديوان ابن عربي ص ١٦٤.
1128- البقرة / ٦ ـ ٧.
1129- الفتوحات ، ج١ ، ص ١١٥.
1130- النسا/ ٨٠.
1131- الفتوحات ، ج٤ ، ص ١٢٢.
1132- الفجر/ ٢٧ ـ ٣٠.
1133- فصوص الحكم ، ص ٩١ ـ ٩٣.
1134- الشمس / ٩ ـ ١٠.

1135- الفتوحات ، ج٤ ، ص ١١٩ .

فهرست التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب / ج ٢

التفسير و المفسرون .

المرحلة الخامسة التفسير في عهد التدوين .

النمط الاول التفسير بالماثور .

التفسير في عهد التدوين .

تدرج التفسير و تلونه .

النمط الاول التفسير بالماثور .

1ـ تفسير القرآن بالقرآن .

2ـ تفسير القرآن بالسنة .

3ـ تفسير القرآن بقول الصحابي .

4ـ تفسير القرآن بقول التابعي .

آفات التفسير بالماثور .

1ـ ضعف الاسانيد .

2ـ الوضع في التفسير .

اهم اسباب الوضع .

اقسام الوضاعين .

اقطاب الوضاعين .

انحا الموضوعات .

3ـ الاسرائيليات .

الاسرائيليات في التفسير و الحديث .

هل تحوز مراجعة اهل الكتاب ؟ .

مناقشة دلائل الجواز .

اقطاب الروايات الاسرائيلية .

1ـ عبداللّه بن سلام .

2ـ كعب الاحبار .

3ـ تميم بن اوس الدارى .

4ـ وهب بن منبه .

5ـ محمد بن كعب القرظي .

6ـ عبداللّه بن عمرو بن العاص .

7ـ ابوهريرة .

8ـ ابن جريج .

مبدا نشر الاسرائيليات .

اقسام الاسرائيليات .

نماذج من اسرائيليات مبثوثة في التفسير .

1ـ الاسرائيليات في قصة هاروت و ماروت ((٢٧٧ .))

2ـ اسرائيلية في المسوخ من المخلوقات .

3ـ الاسرائيليات في بنا الكعبة : البت الحرام و الحجر الاسود .

4ـ الاسرائيليات في قصة التابوت .

5ـ الاسرائيليات في قصة قتل داود جالوت .

6ـ الاسرائيليات في قصص الانبيا و الامم السابقة .

7ـ ما ورد في قصة آدم (ع).

ما نسب الى ابني آدم لما قتل احدهما الاخر .

ما نسب الى آدم (ع) من قول الشعر .

8ـ الاسرائيليات في عظم خلق الجبارين و خرافة عوج بن عوق .

خرافة عوج بن عوق ((٣٤٧)).

9ـ الاسرائيليات في قصة التيه .

10ـ الاسرائيليات في : ((المائدة التي طلبها الحواريون)).

11ـ الاسرائيليات في ((سؤال موسى ربه الرؤية)).

12ـ الاسرائيليات في الواح التوراة .

13ـ اسرائيلية مكذوبة في سبب غضب موسى لما القى الالواح .

14ـ اسرائيليات و خرافات في بني اسرائيل .

التفسير الصحيح للاية .

الحديث المرفوع , و الاثار الواردة في هذا .

16ـ الاسرائيليات في سفينة نوح .

17ـ الاسرائيليات في قصة يوسف (ع).

18ـ الاسرائيليات في قوله تعالى .

القرآن يرد هذه الاكاذيب .

19ـ الاسرائيليات في سبب لبث يوسف في السجن .

20ـ الاسرائيليات في شجرة طوبى .

21ـ الاسرائيليات في افساد بني اسرائيل .

الكذب على رسول اللّه بنسبة هذه الاسرائيليات اليه .

22ـ الاسرائيليات في قصة اصحاب الكهف .

23ـ الاسرائيليات في قصة ذي القرنين .

و من هو ذوالقرنين ؟ .

24ـ الاسرائيليات في قصة ياجوج و ماجوج .

25ـ الاسرائيليات في قصة بلقيس ملكة سبا .

26ـ الاسرائيليات في هدية ملكة سبا لسيدنا سليمان .

27ـ الاسرائيليات في قصة الذبح و انه اسحاق .

تحريفهم للتوراة .

نص التوراة .

الذبيح هو اسماعيل (ع .)

و شهد شاهد من اهلها .

28ـ الاسرائيليات في قصة الياس (ع .)

29ـ الاسرائيليات في قصة داود(ع .)

التفسير الصحيح للايات .

30ـ الاسرائيليات في قصة سليمان (ع .)

نسبة بعض هذه الاكاذيب الى رسول اللّه (ص .(

31ـ الاسرائيليات في قصة ايوب (ع .(

الحق في هذه القصة .

32ـ الاسرائيليات في قصة (ارم ذات العماد .(

ما روى في عظم طولهم .

ما يتعلق بعمر الدنيا .

ما يتعلق بخلق الشمس و القمر .

ما يتعلق بتعليل بعض الظواهر الكونية .

ما ذكره المفسرون في الرعد و البرق في كتبهم .

اقوال الرسول عند سماع الرعد و رؤية البرق .

راى العلم في حدوث الرعد، و البرق ، و الصواعق .

الرياح ، و الكهربائية الجوية .

جبل ((قاف)) المزعوم ، و حدوث الزلازل .

الاسرائيليات في تفسير (ن و القلم .(

اشهر كتب التفسير بالماثور .

1ـ جامع البيان للطبرى .

منهجه في التفسير و نقد الارا .

موقفه تجاه اهل الراى في التفسير .

نزعته التعصبية .

2ـ تفسير العياشي .

3ـ تفسير القمي .

4ـ تفسير الحويزى (نور الثقلين .(

5ـ تفسير البحراني)البرهان .(

6ـ الدر المنثور في التفسير بالماثور .

7ـ تفسير البرغاني (بحر العرفان .(

نمط آخر من التفسير بالماثور .

8ـ تفسير الصافي .

9ـ تفسير المشهدى (كنز الدقائق و بحر الغرائب .(

10ـ تفسير ابن كثير .

11ـ تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز .(

12ـ تفسير الثعلبي (الكشف و البان .(

13ـ تفسير الثعالبي (الجواهر الحسان .(

14ـ منهج الصادقين .

النمط الثاني التفسير الاجتهادي .

تنوع التفسير الاجتهادى .

التفسير الفقهي (آيات الاحكام .(

اهم كتب آيات الاحكام .

احكام القرآن ـ للجصاص الحنفي .

احكام القرآن (المنسوب الى الشافعي المتوفى سنة٢٠٤ .(

احكام القرآن لكاالهراسي الشافعي ايضا .

احكام القرآن لابن العربي المالكي .

احكام القرآن ـ للراوندي (فقه القرآن .(

احكام القرآن ـ للسبورى (كنز العرفان في فقه القرآن .(

زبدة البيان في احكام القرآن للمقدس الاردبيلي .

مسالك الافهام ـ الى آيات الاحكام للفاضل الجواد الكاظمي .

قلائد الدرر في بيان آيات الاحكام بالاثر .

آيات الاحكام ـ للسيد الطباطبائي البزدى .

التفاسير الجامعة .

التبيان ـ في تفسير القرآن لابي جعفر الطوسي .(460)

روح الجنان و روح الجنان لابي الفتوح الرازى .

كنز الدقائق و بحر الغرائب للمولى المشهدى .

تفسير القرطبي (الجامع لاحكام القرآن .(

تفسير الماوردى (النكت و العيون .(

التفسير الكبير (مفاتيح الغيب .(

عنايته باهل البيت .

امام المشككين .

تفسير البيضاوى (انوار التنزيل و اسرار التاويل .(

تفسير النسفي (مدارك التنزيل و حقائق التاويل .(

تفسير ابي السعود (ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم .(

تفسير الالوسي (روح المعاني .(

تفسير البلاغي (آلا الرحمان .(

التفسير في العصر الحديث .

الوان التفسير في العصر الحديث .

1ـ اللون العلمي .

اهم الكتب التي عنت بهذا اللون .

الجواهر في تفسير القرآن للطنطاوي .

2ـ اللون الادبي الاجتماعي .

اهم رواد هذه المدرسة .

المنار (تفسير القرآن العظيم .(

موقفه من حقيقة الملائكة و الشياطين .

انكاره على اهل الحديث في روايتهم للطامات .

راى صاحب المنار في الجن .

تفسير القاسمي (محاسن التاويل .(

تفسير المراغي .

في ظلال القرآن .

الميزان في تفسير القرآن .

الفرقان في تفسير القرآن .

من هدى القرآن .

من وحي القرآن .

تفسير نمونه)الامثل .(

الكاشف .

مخزن العرفان .

تفاسير ادبية .

الكشاف .

اعتماده على التاويل و التمثل .

امتهانه بشان القرا .

تهاجمه على اهل السنة .

البحر المحيط .

معاني القرآن .

املا ما من به الرحمان من وجوه الاعراب و القرات في جميع القرآن .

تفاسير لغوية .

تفسير المتشابهات .

التفاسير الموجزة .

تفاسير عرفانية (التفسير الرمزى و الاشارى .(

التنويع في التفسير الباطني .

اهم تفاسير الصوفية و اهل العرفان .

1ـ تفسير التسترى .

2ـ حقائق التفسير للسلمي .

3ـ لطائف الاشارات للقشيرى .

4ـ كشف الاسرار و عدة الابرار (تفسير الميبدى .(

اللغات الغريبة التي جات في هذا التفسير .

5ـ تفسير الخواجا عبدالله الانصاري .

6ـ تفسير ابن عربي .

هل لابن عربي من تفسير؟ .

تفاسير منسوبة الى ابن عربي .

7ـ عرائس البيان في حقائق القرآن لابي محمد الشيرازى .

8ـ التاويلات النجمية لنجم الدين دابة ، و علا الدولة السمناني .